عبد الله أوجلان

مسألة الشخصية في كردستان

خصائص المناضل الثوري

وحياة الحزب

عبد الله أوجلان

مسألة الشخصية في كردستان

شلير للطباعة و النشر

قامشلو ٢٠١٧

weje.vejin@gmail.com

weshanashiler@gmail.com

الفهرس

مقدمة الطبعة العربية: ٥
مقدمة: ٦
مدخل: ٩
الفصل الأول
الشخصية عبر التاريخ..... ٢٨
الفصل الثاني
مسألة الشخصية في كردستان..... ٧٣
الفصل الثالث
سمات المناضل الثوري الخاصة ١٠٩
الفصل الرابع
تقاليد المقاومة لدى مناضلي حزب العمال الكردستاني والشخصية النضالية .. ١٩٧
الفصل الخامس
حياة الحزب ٢٨١
النظام الداخلي للحزب ٣٢٩
الخاتمة ٣٩٩
قائمة المراجع: ٤١٠

الإهداء

كتابنا هذا يظهر بأوضح الصور خصائص المناضل الثوري الواجب التحلي بها في غمرة نضال التحرر الوطني الكردستاني. ونظراً لأننا نؤمن بأنه سيكون المشعل الذي يهتدي به كوادرنا، والدليل الذي يقودهم إلى اكتساب الشخصية النضالية الحقيقية، نقدمه هدية لتخليد ذكرى شهداء المقاومة حيث يعتبر إحدى ضرورات الالتزام بذكراهم.

مقدمة الطبعة العربية:

لقد هب شعبنا يخوض نضالاً مريراً تحت قيادة حزبه حزب العمال الكردستاني من اجل دفن حياته القديمة والتعويض عنها بحياة معاصرة حرة كريمة، وأخذ مكانه بين مجموعة شعوب العالم الحرة.

مما لاشك فيه ان تكليل هذه النضالات بالنصر يمر عبر خلق الشخصية النضالية في تكوين الجيش والتنظيم والممارسة العملية وكافة مجالات الحياة الأخرى. لذا ونظراً لأن الشخصية الثورية كانت ولا تزال مشوهة لأبعد الحدود في تركيا وكردستان، لابد من تحقيق الثورة في الذات من أجل الوصول إلى الصفات الواجب التحلي بها في غمرة هذا النضال.

الكتاب الذي بين أيديكم هو عبارة عن مجموعة محاضرات التي ألقاها الرفيق الأمين العام لحزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان خلال دورات تدريب مجموعات من الكوادر. ونظراً للأهمية اليومية والتاريخية التي يتمتع بها هذا الكتاب الذي نشر لأول مرة باللغة التركية في تموز في عام (١٩٨٣)والدور الذي سيلعبه والمساهمة التي سيقدمها لنضالات شعوب المنطقة والعالم وترسيخ الأخوة النضالية بينها والتزاماً منا بذكرى الشهداء الذين تحول كل واحد منهم إلى معبد للمقاومة، رأينا من الأهمية بمكان ترجمة هذا الكتاب ونشره باللغة العربية أيضاً

١٩٨٦/٩/٢٠

مقدمة:

لماذا مسألة الشخصية؟ ذلك هو السؤال الذي سيطرحه العديد من الناس بوعي أو بدونه لأن هذا الموضوع لم يفهم إلا جزئياً أو تعرض للتشويه في غمار معارك النضال الديمقراطي الثوري في كل من تركيا وكردستان.

لم يكن قيامنا بمعالجة مسألة الشخصية وتقديمها مجرد موقف عرضي قابل لأن يتم في أي زمان أو أي مكان بدون تحديد. فإلقاء الضوء على هذه المسألة بكل أبعادها من وجهة نظر ثورية يشكل مهمة لابد للثورة الكردية التي دخلت بكل زخمها إلى جدول أعمال شعبنا من أن تحلها، لأنها مهمة تفرضها الوقائع التاريخية واليومية للشعب الكردستاني الذي كاد يفقد شخصيته في ظل الهيمنة الاستعمارية التي دامت آلاف السنين كما تفرضها الظروف الثورية في الوقت نفسه.

يعاني وطننا وشعبنا اليوم آلام الاندماج أو اللحاق بالعصر. فالشعب الكردستاني، نتيجة للقهر والأستغلال اللذين لم يسبق لهما مثيل واللذين يتعرض لهما منذ مئات السنين، وجد نفسه مضطراً لأن يواجه خطراً شديد السلبية كفقدان شخصيته الخاصة. ومن الواضح أن تعرف شعب كهذا على نفسه وتمكنه من كتابة تاريخه بيده لابد لهم من المرور عبر طريق الثورة. غير أن اختيار مثل هذا الطريق والولوج فيه يكون مستحيلاً إلا إذا تم تمزيق وتبديد الأوهام الكاذبة التي تحجب الهوية الحقيقية للشعب وتخفي سائر إشكال اضطهاده واستغلاله.

مسألة الشخصية في كردستان

إن الشعب الكردستاني الموجود فيزيائياً في العصر ولكنه إزاء حقائق العصر يكاد يكون أعمى وأصم وأبكم لا يستطيع أن يسير في طريق الثورة إلا إذا وجد دليلاً طليعياً ينقل إليه هذه الحقائق ويجعلها جزءاً من حياته؛ وبدون هذا الشرط لن يستطيع الشعب أن يتابع السير في هذا الطريق. لهذا السبب بالذات لا بد من أن تقوم فئة طليعية بتجسيد المستقبل القومي والاجتماعي للشعب وخصائص الثورة كلها على المستويين الفردي والتنظيمي في كردستان أكثر من اي مكان أو بلد أخر بما لايقاس. لابد لأولئك الذين يعطون أنفسهم هذه الصفة أي الذين يقولون بأنهم طليعيون كأفراد وكتنظيمات، من أن يعرضوا واقعهم وما يخططون لأن يقوموا به بكل التفاصيل والدقائق وعلى المستويين النظري والعملي أمام الشعب، إلا إذا كانوا يقبلون بأن يوصفوا بأنهم جماعة من المزورين المزيفين الذين يعيشون على أكتاف الشعب. وهذا بالذات هو أيضا الأسلوب الذي يوفر إمكانية قطع الطريق على المخاطر التي قد تأتي من المثقفين المشوهين والجبناء الذين هم نتاج الاغتراب الشديد المفروض على كردستان.

بعبارة أوضح نقول: إذا لم نكشف النقاب عن حقيقة أولئك الشياطين الذين يتقنون فن الظهور بمظهر الملائكة البريئة القادمة من السماء، فأن آمال شعبنا الغارق في دياجير الظلام منذ مئات السنين، ستكون قد تلقت الضربة الأخيرة نتيجة لعدم كفاءتنا نحن بالذات.

لقد رأينا ان من مستلزمات فهمنا للمسؤولية ان نبادر إلى كتابة مثل هذا البحث الذي يعرض الصورة التي نريد ان نجسد بها في حياتنا الشخصية والتنظيمية وعلى ارض واقع وطننا الماركسية اللينينية التي نعتبرها دليل العمل الوحيد على طريق تحررنا القومي والاجتماعي انطلاقاً من فهمنا وإيماننا العميقين. وفي الوقت نفسه نحن واثقون من اننا بمثل هذا العمل نكون قد قدمنا وسيلة هامة إلى سائر القوى التقدمية الثورية لتتخلص من نواقصها في هذا المجال لاننا طرحنا مثل هذا الموضوع الذي ينطوي على خطورة بالغة في المرحلة التي نعيشها، كما نكشف هويتنا

الخاصة من خلال المفاهيم والمقترحات التي نقدمها في هذه الدراسة التي هي انعكاس لصورة التحرر القومي والاجتماعي الذي نتطلع اليه من اجل شعبنا.

لهذا الهدف حاولنا ان نبين الشروط التي نراها ضرورية لتجاوز الشخصيات السلبية ولتمكين الشخصية الايجابية من ان تطبع المسيرة بطابعها في دراستنا هذه التي استعرضت الظروف الاجتماعية للشعب الذي ننتمي اليه والبنى الشخصية السلبية منها والايجابية النابعة من هذه الظروف. نعتقد بأن المنهج الذي نهجناه في تناول المسألة وحلها منهج صحيح وواقعي ينسجم مع روح الماركسية – اللينينية. وانطلاقاً من هذا الاعتقاد والإيمان ندعو سائر قوى الشعب المسؤولة إلى طرح هوياتها الحقيقية بالقياس إلى هذه الحقائق، وإلى التعرف بعضها على بعض والتضامن فيما بينها على هذا الأساس.

مدخل:

دخلت مسألة الشخصية إلى مسرح التاريخ الإنساني مع الثورات الاجتماعية. فقبل الثورات الاجتماعية كانت الشخصية موضوع البحث، نتيجة للخصائص الاجتماعية للمرحلة، شخصية متوسطة ممسوحة باهتة بصورة عامة. ولكن ما أن يترك الركود المخيم على المجتمع مكانه لمرحلة الثورة حتى تتقدم مسألة الشخصية إلى الصفوف الأمامية.

يكون مجتمع ما قبل الثورة خاضعاً للقوانين الصارمة التي تشكلت تحت تأثير مختلف المؤسسات وأحكام القيم الأخلاقية والتقليدية، والأفكار الفلسفية والدينية التي تتعزز مع مرور الزمن. بصورة عامة يكون هناك شكل اقتصادي اكتسب مشروعية تعلو فوقه بنية فوقية و مؤسسات سياسية سائدة وحاكمة. وهذه جميعاً تكون مفروضة بالقوة أو بوسائل أخرى اضافة الى القوة، على عقول الناس وشخصياتهم على أنها قوانين ونواميس أبدية لا تحول ولا تزول حتى غدت مقبولة على أنها أقدار سواء من قبل الأفراد أم من جانب المجتمع. أما الدين والفلسفة و الأخلاق التي هي في خدمة النظام القائم فقد ظلت تدعوا باستمرار الى المعتقدات التي تؤكد على أن المجتمع وبالتالي العالم ثابت لا يتغير.

مما لاشك فيه أن الدور المبدع للفرد في إطار هذه المؤسسات المنتشرة بشكل واسع، أي دور الشخصية في المجتمع، قد بات محدوداً إلى أقصى الحدود. لم يعد الفرد إلا مسنناً بسيطاً في الآليات الكبيرة الدائرة للمجتمع. وهو يتابع بذل كل ما لديه من جهد في سبيل ضمان سير عمل هذه الآلية بشكل أكثر انتظاماً لامن أجل تحطيمها وتدميرها. إن المهم بالنسبة له، باختصار، هو أن يصبح رجلاً جيداً بالنسبة للنظام يضمن عمله بدون نواقص أو عيوب. تلك هي الصفات التي تطبع الشخصية بطابعها. وواضح أن مثل هذه الشخصية شخصية مسطحة وممسوخة. وهذه بصورة عامة هي الطريقة التي تنعكس بها الحالة المثالية للنظام القديم البالي على الشخصية.

ولكن هذا الواقع الذي يفرض نفسه على بنية المجتمع و على شخصيات أفراده ليس دائماً. فما أن تنتصب علاقات الانتاج حجر عثرة في طريق القوى المنتجة وبالتالي تصبح الدولة بوصفها إحدى مؤسسات البنية الفوقية رجعية تلجم التطور، حتى يدخل المجتمع في مرحلة تشهد تطور الظروف الموضوعية للثورة، في مرحلة مشحونة بالثورة. ومع هذا التطور تظهر عمليات الاهتراء والتآكل على العديد من آليات البنية الفوقية والتحتية التي كانت تضمن استمرار سير المجتمع القديم. وهذه الأزمة التي ظهرت في المجتمع تتعمق مع مرور الزمن وصولاً إلى تفسخ المؤسسات القائمة وتمزقها. ذلك يعني في الوقت نفسه بداية عملية اهتراء قبضة المجتمع على الفرد، وتباطؤ العجلات التي تسحق الفرد وشخصيته تحت وطأتها، وتفسخها وتمزقها مع مرور الأيام. وهكذا تتوفر للفرد فرصة أفضل بقليل لكي يتطور تطوراً حراً. غير أن النقطة الملفتة للنظر في هذا المجال هي أن الذي يحطم ويدمر الآليات والقيود ليس هو الفرد بالذات، بل العكس من ذلك، إنه جهاز المؤسسات القائمة التي توفر للفرد فرصة القيام بدوره وتصنع الظروف الموضوعية اللازمة لذلك.

تترافق مع الأزمة التي يتعرض لها المجتمع أزمة موازية يتعرض لها الفرد أيضاً. فمنذ هذه اللحظة يغدو الفرد معارضاً. إنه يكاد يعادي ويعارض سائر العلاقات والمؤسسات وأساليب التفكير في البنية التحتية أو الفوقية للمجتمع القديم. إن المهمة الأساسية في خلق المجتمع الجديد كما في هدم وأزالة المجتمع القديم تقع على عاتق الأفراد الذين يؤلفون المجتمع. لذا فإن واجب الفرد في هذه النقطة هو تقيم الظروف القائمة تقيماً صحيحاً والانطلاق، لدى تحرره من القيود القديمة التي بدأت تهترئ من جراء اختلال البنية التحتية والفوقية للمجتمع، إلى نقد وفضح الماضي بشكل واسع والمسارعة إلى العمل البناء لصياغة المستقبل المشرق. ونقد الماضي هذا ليس حدثاً يمكن تحققه بشكل مجرد وبغياب الأفراد، كما أن بناء المستقبل ليس حدثا يمكن تحقيقه بالأمور المجردة وعن طريق الأفكار وحدها. إن بناء المجتمع الجديد لايتم إلا من خلال أفراد يجسدون تلك المثل وتنظيمات تقوم على هؤلاء الأفراد. لهذا فان الشخصية في فترة الأزمة تبرز أمامنا بوصفها قوة حاسمة وبالغة الأهمية. فهذه الفترات هي فترات يستطيع خلالها الأفراد أن يطبعوا العصر بطابعهم، منعطفات تاريخية تتمكن عبرها الشخصية من أن تمتلك فرصة القيام بدورها الحقيقي في عملية التطور الاجتماعي.

ما من مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي شهدت بلوغ دور الشخصيات هذا المستوى من الحسم والأهمية. ففي مثل هذه اللحظات التاريخية يمكن للشخصيات، في حال تدخلها الفعلي في سير التطورات وإظهارها العظمة والقوة الكفاءة التي تتطلبها المرحلة منها، أن تدفع عجلة التاريخ إلى الأمام، كما يمكنها، بالمقابل، في حال عجزها عن القيام بالدور المنوط بها وبقائها شخصيات قزمة، أن تصبح عقبات على الطريق وأن توقف مسيرة التاريخ الصاعدة.

أما النقطة الثانية التي يجب إيضاحها هنا فهي أن الدخول في عملية نقد الماضي بشكل سليم وبناء المستقبل بناء ايجابياً بالاستناد الى هذا الأساس لا تتحقق دفعة واحدة. فقبل كل شيء يترافق التحلل الذي يتعرض له المجتمع بعملية بحث جديدة ومتجددة عن إشكال من

الاندماج والتوحيد. إن كل فئات المجتمع تدخل في مرحلة ملأى بالأزمات بعد تحررها من ركود الماضي. ويكون تأثير مرحلة الأزمة على فئات آنفة الذكر تأثيراً مختلفاً مما يجعل جهودها أيضاً متباينة. كما أن جميع الأفراد في المجتمع يتأثرون بالأزمة الى هذا القدر أو ذاك مما يدفعهم الى البحث عن مخارج وحلول للأزمة تختلف باختلاف المواقع المختلفة التي يحتلونها إزاء قوى الانتاج. ويمكننا أن نصنف الشخصيات التي تظهر في مثل هذه المراحل إلى ثلاث مجموعات مختلفة هي:

١ – مجموعة اولئك الذين يتمسكون بالماضي ويريدون إحياءه من المحافظين هي النماذج الأولى التي تظهر على الساحة لدى دخول المجتمع في مرحلة التأزم. وهؤلاء الذين يكونون قادمين بصورة عامة من الطبقات المهيمنة على النظام، مرتبطين بوجودهم مع استمرار بقاء النظام القائم، يريدون أن يوقفوا مسيرة التاريخ وأن يحافظوا بالتالي على بقاء هذا النظام المهترئ تاريخياً والمحكوم بالانهيار النهائي حكماً حتمياً وذلك عن طريق القوة والعنف. إنهم مولعون بأن يبقى كل شي على حاله، وبأن تستمر سائر القوانين والمؤسسات أنماط الحياة التي كانت سائدة في الماضي. إلا أن المرحلة التي وصلت إليها عملية التطور الاجتماعي تقف في وجه تلبية تطلعات هذه النماذج، وتجعل السمات الأساسية التي ظلت سائدة ومسيطرة الى ذلك الحين مستحيلة في إطار بنية الماضي. لأن هذا الماضي قد تعرض في كثير من جوانبه الى الاهتراء وبات عاجزاً عن مواجهة المهمات اليومية ناهيك عن المساهمة في خدمة المستقبل. ومثل هذا الوضع يبقى النماذج التي أتينا على ذكرها مجردة من السلاح ويظهر أن تأثيرها على الحياة بات ناقصاً متراجعاً في طريقه إلى الزوال.

هذا النمط من الشخصية يظهر بكثافة في داخل الأزمة التي تمر بها المجتمعات بصورة عامة. واضح أن هذا النمط من الشخصية لا يمثل المجتمع المتطور ولايعكس مثل هذا المجتمع، بل على النقيض من ذلك هو نمط من الشخصية ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع القديم حتى أصبح

نمطاً غارقاً في رجعيته. إن أصحاب مثل هذه الشخصية، من خلال سعيهم لإدامة حياة المجتمع المهترئ والبالي في مرحلة تحتم ميلاد مجتمع جديد عبر الأزمة التي تزداد عمقاً، يكونون قد اختاروا لأنفسهم دوراً محافظاً ورجعياً يتولى مهمة الوقوف في وجه عجلة التاريخ. ونتيجة لهذا الدور الذي يتولونه يطلق على هذه النماذج من الشخصيات ويحق اسم الشخصيات الرجعية والمحافظة.

إن هذه الشخصيات القابعة في ثنايا حياة النظام القديم الذي بليت شروط استمراره، تكون معادية، بسبب مواقعها، لكل ما هو ومن هو في خدمة التطور والتجديد. ولهذا السبب تخوض حرباً لارحمة فيها ضد سائر الأفراد والمؤسسات والأفكار التي تمثل ما هو جديد، وحين تميد الأرض تحت أقدامها وتبدأ أسس النظام التي تستند إليها بالانهيار لا تتردد في رفع مستوى حربها إلى أعلى درجات الوحشية بعد أن تصاب بالسعار والعدوانية المطلقة. وللسبب نفسه تكون الشخصية الثورية التي تمثل الجديد مضطرة لأن تخوض نضالاً ثابتاً ودؤوباً ومستمراً ضد تلك الشخصية الرجعية في نضالها العام من أجل تحطيم القديم وبناء الجديد لأن هذه الشخصية الثورية لا تستطيع ان تقيم صرح الجديد الا على أشلاء تلك الشخصية الرجعية المحافظة التي اتينا على ذكرها.

٢- اما النمط الثاني من انماط الشخصية الثلاثة التي تظهر في مرحلة الأزمة فيجد تعبيره في الأفراد الذين ينتمون إلى الفئات والشرائح الوسطية في المجتمع. وهؤلاء ليسوا من المسحوقين ولا من الظالمين المستغلين. فهذه الفئات التي نطلق عليها اسم فئات صغار الملاك ولا تستطيع أن تحقق بشكل كامل تطلعاتها المتركزة على أن تغدو صاحبة كلمة مسموعة أكثر وعلى زيادة امكانياتها المادية من جهة كما أنها تتعرض لقدر محدد من الأذى من جانب النظام القائم من جهة ثانية. لذا فهي ليست مرتبطة ارتباطاً لا ينفصم بالنظام ولكنها في الوقت نفسه ليست أيضاً ذات طبيعة ثورية بسبب خوفها من الطبقة الثورية. إنها تتأثر بالأزمة التي يعيشها المجتمع

فترفض هذا المجتمع واستمراره، غير آنها في الوقت نفسه تعاني من الصعوبة الشيء الكثير في ميدان تبني ماهو جديد. فعلى الرغم من أن كابوس الظلم والاضطهاد الذي ترزح تحته هذه الفئات التي نطلق عليها اسم الوسيطة ليس بمستوى شدة الكابوس الذي تقبع تحته الطبقات المسحوقة تماماً، فإنها تواجه خطر الزوال في مراحل التأزم حيث تكون الطبقات المستغلة والمستغلة جميعاً في مواجهة الفناء. ومثل هذا الوضع يدفع بها في اتجاه البحث عن مخرج من الأزمة. فهذه القطاعات المختلفة للفئات الوسطى التي ليست ذات بنية موحدة منسجمة والمحرومة من قابلية الخروج من الأزمة بقواها الذاتية تحاول البحث عن مخرج من هذه الأزمة عبر التحالف مع مختلف القوى. وفي حين يبادر القطاع الذي يتمتع بظروف حياة مادية افضل خصوصاً لأن يصبح رجعياً ويتخذ مكاناً له في صف ممثلي الطبقات المستغلة الظالمة وتنظيماتها، نرى القطاع المسحوق الأكثر فقراً يشعر بضرورة الارتباط بالتنظيم الطليعي الذي يمثل الطبقة المكافحة في سبيل خلق المجتمع الجديد بمقدار ما يؤمن أو يتوقع بأنه سيجد لنفسه مكاناً أفضل في مجتمع المستقبل. وهكذا فإن قطاعاً من تلك الفئات الوسطى يصبح محافظاً ورجعياً في حين يحتل القطاع الآخر موقعاً متقدماً و تقدمياً تحت تأثير قيادة الطبقة التقدمية وشخصيتها.

هذا النمط الذي يعتبر نفسه مركز الكون من الشخصية لايورط نفسه في أية جهود جدية لا بجانب المستغلين ولافي صف المستغلين (بكسر الغين وفتحها) لدى العملية الخروج من الأزمة، ولكنه في الوقت نفسه لايستطيع أن يتحرر من تأثير هذين المعسكرين. بل يظل يتأرجح بينهما – بين المستغلين والمسحوقين – بصورة دائمة في أثناء عملية الثورة بسبب صفته المتذبذبة غير المستقرة والنفعية إلى أبعد الحدود. وفيما تكتسب هذه الشخصية هوية رجعية خالصة في الفترات التي ماتزال فيها القوى الثورية ضعيفة. سرعان ما تنقلب ثورية متقدة بعد أن تتطور تلك القوى لتشكل بديلا للسلطة. إن جهودها كلها متركزة على تأمين موقع لها في المجتمع المسيطر القادم. غير أنها لاتعتمد في ذلك على قوتها هي أو كفاءتها

ونضالها بل على الألاعيب التي تمارسها بشكلم مستمر. لهذا السبب فإنها تتصرف تصرفاً محسوباً وموزوناً بشكل بالغ الدقة، بدون أن تندفع كثيراً كي لاتتعرض لأي نوع من الأذى. ومن المميزات الرئيسية الاخرى التي تتميز بها هذه الشخصية هي كونها عاجزة تماماً عن البحث وعن تطوير النضال ولعب دور قيادي وطليعي في النضال من أجل خلق المجتمع الجديد.

يقول انجلز عن استحالة الثقة بهذه الشخصية التي تتجسد اليوم في شخص البرجوازية الصغيرة بأوضح صورها مايلي:(اولئك يستحيل الثقة بهم إلا بعد النصر حين يبادرون إلى إطلاق شعارات النصر التي تشق عنان السماء في الخمارات!) سنقتبس مقطعاً آخر من انجلز أيضاً يساعدنا على فهم الموقع الاجتماعي والتوجهات السياسية لهذه الطبقة بشكل افضل:

(إن موقعها المتوسط بين كبار الرأسماليين، طبقة التجار والصناعيين، أي الطبقة البرجوازية من جهة والبروليتاريا أي الطبقة العاملة من الجهة الثانية هو سمتها المميزة. فهي تبقى تواقة إلى مواقع البرجوازية ولكن أي سوء طالع صغير يؤدي بأفراد هذه الطبقة البرجوازية الصغيرة إلى صفوف البروليتاريا ...وهي تظل تتأرجح باستمرار بين الأمل في الصعود إلى مستوى أغنى الطبقات وبين الخوف من السقوط في المواقع البروليتارية بل والفقيرة المعدمة مما يجعلها تحتل موقعاً ما في الشؤون السياسية عاقدة الأمل على اكساب مصالحها أولوية معينة ثم تبادر إلى معارضة لا تكون في وقتها المناسب مما قد يثير غضب الحكومة التي تمسك بيدها مقاديرها بالذات؛ إن هذه الذبذبة والتأرجح لدى هذه الطبقة التي هي بين بين من حيث الثقة والطمأنينة اللتين تتناسبان عكساً مع ثروتها غير الثابتة هي التي تجعلها متأرجحة ومتذبذبة إلى أقصى الحدود في قناعاتها. فهذه الطبقة التي تقف مواقف الاحترام لاوية عنقها حانية رأسها في ظل حكومة اقطاعية أو ملكية استبدادية قوية، تميل إلى الليبرالية في فترات صعود البرجوازية؛ وما أن تحقق هذه الأخيرة هيمنتها حتى تصاب بنوبات ديمقراطية قسرية؛ غير أنها

لحظة شعورها بأن الطبقة التي تحتها أي البروليتاريا قد باشرت حركتها المستقلة تسارع إلى السقوط في أوحال اليأس والقنوط المثيرة للشفقة مرة أخرى).

اما النمط الثالث الذي يظهر إلى الوجود مع الأزمات من الشخصية فيتجسد في الأفراد الذين يستطيعون أن يدركوا ضرورة تغييرالمجتمع القائم، و يتمكنون من صياغة مواصفات المجتمع الجديد عبر توجيه النقد الصارم للماضي ومن عرض ما صاغوه بشكل واضح تماماً؛ في هؤلاء الأفراد المفعمين بالحماس الذي يجعلهم تواقين لأن يكونوا طلائع بناة المستقبل والغارقين في بحر من التطور الحي والعاصف. وهذا النمط من الشخصية يجد تعبيره في الفئات المسحوقة التي تمثل المجتمع الجديد وإن كانت خارجة من أحشاء المجتمع القديم. إن هذه الشخصية تتكون على أساس رد الفعل ضد سائر مؤسسات وايديولوجيات وسياسات وعادات وتقاليد المجتمع القديم تكون، بمقتضى طبيعتها، معبرة عن الثورية والتقدمية، عن العداء للذين يعيقون تطور المجتمع ويسعون لابقائه خارج معاييرالعصر في سبيل ايصال هذا المجتمع إلى مستويات مقاييس العصر ومعاييره. إن الدور الثوري ينعكس على سائر أشكال تفكيرها وممارستها العملية حتى تتجسد بشكل ملموس في كيانها مما يجعلها شخصية مجيدة ورائعة تليق بروح المهمات الصعبة، ولكنها نبيلة، التي التزمت بالعمل من أجلها. ففي حين تتجلى آيات الحقد والكراهية التي تكنها لكل ما هو قديم بات بالياً ومهترئاً لابد من اقتلاعه وتدميره على شكل نزوع إلى الهدم، تكون شخصية مبدعة وخلاقة لأنها تمثل الجديد. إن صعوبة المهمات التي قررت أن تنجزها تكسبها قدراً كبيراً من قوة الارادة والعزيمة والثبات؛ كما أن تبنيها لمصالح المجتمع يكسبها الثقة والجرأة في حين يجعلها انتماؤها لطبقة طليعية تكونت حديثاً ذات نظرة متقدمة وذات مميزات قيادية قادرة على القيام بالأدوار الطليعية. إن هذه الشخصية تتجلى اليوم بأوضح صورها في شخصية البروليتاريا، في شخصية الطبقة العاملة.

تباشر الشخصية الثورية التي تولت مهمة تدمير المجتمع القديم واستبداله بمجتمع جديد عملها بنقد سائر البنى التحتية والفوقية للمجتمع السابق نقداً صارماً وتبيان حتمية تغيير هذا المجتمع. إلا أنها لا تكتفي بذلك بل وتبادر في الوقت نفسه إلى صياغة المجتمع المقبل على المستوى النظري الفكري. بعبارة اخرى تبين كيف ستكون الأفكار دليلاً في الطريق الموصل إلى المجتمع المقبل وماهية أساليب تنظيمية. ومع هذه العملية تبدأ مرحلة (نهضة)، مرحلة تجديد في عالم الفكر؛ عصر فكري جديد. وعملية التجديد هذه تتعزز باستمرار في ميادين الفن والثقافة والحياة والسلوك حتى تغدو بعد نقطة معينة غير قادرة على الاستمرار في متابعة حياتها في إطار المجتمع القديم. وعندئذ تبدأ الطبقة الثورية التي تؤسس تنظماتها الخاصة بالاستناد إلى الأساس الايديولوجي المطروح، وتصبح بالتالي قوة سياسية ذات شأن، بالتعامل مع المجتمع القديم بشكل اوعى وأفضل تنظيماً مما يمكنها من مراكمة طاقاتها وقدراتها على الحركة. ومع المرورالزمن توصل نشاطها وفعاليتها الواعية والمنظمة إلى اقصى مستوياتهما– إلى المستوى المعروف بالثورة– وتنزل بالتالي آخر ضرباتها بالمجتمع القديم وتطيح بذلك الشكل الاجتماعي ولا سيما في البنية الفوقية السياسية. وعقب انتصار الثورة تبدأ عملية خلق المجتمع الجديد بالانطلاق من نقطة جديدة مرة أخرى. ذلك يعني أن هناك مخرج آخر، مخرج ثوري من الأزمة.

أما مبدعو أفكار المجتمع الجديد – وهم أولئك الذين يظهرون على خشبة المسرح التاريخي بوصفهم فلاسفة كبار ورجال دين عظماء ورجال فكر متميزين – فهم الشخصيات التي تظهر لدى بداية ظهور التشكيلات الاجتماعية الجديدة ولو في أحشاء المجتمع القديم. ومما لاشك فيه أن مثل هذه المراحل تشهد جنباً إلى جنب مع تلك الشخصيات شخصيات عملية عظيمة أيضاً، شخصيات أخلاقية طليعية جديدة وقيادات عسكرية عظيمة ورجالات دولة كبار. إن عظمة هذه الشخصيات كلها تكون عظمة تتناسب طرداً مع عظمة المجتمع الجديد الذي تجسده. وهذه العظمة في الشخصية تنمو وتكبر بشكل متناسب مع تضاؤل

القديم والنمو المطرد للجديد. نحن حين نصف هذه الشخصيات بالكبيرة والعظيمة لأنها تعيش مئات السنين التي ستعاش في المستقبل، وهي ما تزال في هذه المرحلة، بأفكارها وممارستها وسلوكها مما يمكنها من أن تلعب دوراً بالغ النبل والمجد.

هناك حاجة ملحة إلى مثل هذه الشخصيات النبيلة والمجيدة في المراحل التي تتعرض لها مسيرة التاريخ للفوضى الشاملة. إنها شخصيات الضيوف الحتميين الذين يظهرون في المراحل التي يلعب فيها الأفراد أدواراً حاسمة في التاريخ. في مثل هذه المراحل يستحيل تقدم التاريخ وخلق المجتمع المقبل إلا إذا قامت الشخصيات بدورها الصحيح. لا شك أن القيام بهذا الدور ليس سهلاً بل ينطوي على الكثير من المآسي التي تتعرض لها تلك الشخصيات في أثناء قيامها بدورها. فالآلام الكبرى والأيام الملأى بالعذاب، بالجوع وأشكال التعذيب تكون متداخلة ومتعاقبة مع الأيام المفعمة بالفرح والحماس. كما ان الهزائم والانتصارات تكون متعاقبة. أن منعكسات تلك الأيام العاصفة في التاريخ نلمسها في حياة الفرد.

من الواضح أن هذه الشخصيات تعيش المجتمع المقبل – مجتمع القرون القادمة أحياناً – ذلك هو منبع الجانب المأساوي لحياتهما من الأساس. فهي تحاول أن تحل في شخصها التناقض الذي قد يستغرق حله قروناً من الزمن، وتعمل، بعبارة أخرى، لإيجاد أشكال التفكير والتنظيم والسلوك التي ستكون سائدة في المجتمع الجديد. من الطبيعي أن هذه الشخصيات مضطرة لأن تحقق انتصاراً أولياً في هذا الموضوع ولأن تلعب دورها التاريخي بشكل محتم. فهي إما منتصرة أو مهزومة. مثل هذه الشخصيات لا يمكنها قط أن تبقى بين بين. من هنا أيضاً فإننا نصف حياتهم بأنها مأساوية درامية.

مثلما تعيش هذه الشخصيات الصراعات التي ستكون بين الطبقات في المجتمع الذي سيتكون في المستقبل فيما بينها يمكن في الوقت نفسه أن نلاحظ صراعات الطبقات المتبقية من المجتمع القديم لدى فئات وقطاعات مختلفة من هذه الشخصيات نفسها. ويشكل ذلك بالتالي لقاء

وصداماً على الجسر الذي يقود من القديم إلى الجديد. إن الشخصيات المحافظة من جهة والفئات الوسطى التي تتوهم بأنها مركز الكون من جهة الثانية والشخصيات التي تستشرف آفاق المستقبل البعيد جداً من جهة ثالثة تدخل في معارك طاحنة وعنيفة جداً وبذلك تكاد تكون قد حققت الثورة الاجتماعية في شخصياتها بصورة مسبقة. إن هذه الأطراف الثلاثة تخوض فيما بينها صراعاً بالغ الحدة في ميدان الفكر أولاً وفي ميادين التنظيم والممارسة العملية بعد ذلك. وفي أثناء هذه المعارك يجري، بطبيعة الحال، إتباع العديد من التكتيكات والاستراتيجيات المختلفة. أن التاريخ مملوء بنماذج عنيفة عن مثل هذه المعارك. فالصراعات الفكرية الكبرى في مرحلة الانتقال من مجتمع المشاعية البدائية إلى المجتمع العبودي في اليونان القديمة كانت صراعات هائلة ومثيرة جداً. كذلك أيضاً كان الصراع بين الدين والفلسفة، بين عبدة أوثان الديانة القديمة ومحطمي الأصنام من إتباع الديانة الجديدة بالغ العنف. فالصراع بين الفلسفات المثالية والمادية الذي تمتد جذوره إلى المجتمع العبودي القديم في اليونان، مثلاً، يمكن أن نراه بشكل واضح تماماً في الصراع بين وجهات نظر الفيلسوف المادي ديموقريطوس ووجهات نظر الفيلسوف المثالي أفلاطون. إن هذا الصراع الكبير الذي يستمر بين ممثلي النظام القديم والمدافعين عن النظام الجديد في سائر الميادين قد تجلى بشكل واضح جداً في التاريخ وخصوصاً في ميدان الفن.

لايكون التطور للانتقال من المجتمع القديم إلى المجتمع الجديد بدون آلام ومصاعب وعذابات. وفي أثناء تطور هذه النضال تتم عملية تصفية حساب صارمة مع المجتمع القديم مع إلحاق الهزيمة بالقديم مما يؤدي إلى دحرجة رؤوس أولئك الذين يصرون على استمراره و تحطيم هياكلهم. هناك العديد من الأمثلة الشهيرة على ذلك التاريخ. ففي عهد العبودية في كل من اليونان وروما في عهد الاقطاع في الجزيرة العربية حيث كان الاسلام سائداً تم تحطيم الهياكل والأصنام القديمة وقتل أولئك الذين أرادوا أن يستمر النظام القديم من خلال معارك دامية وعنيفة ضدهم. إن النضال الذي خاضه محمد ضد عبدة الأصنام لدى تطويره الاسلام،

وتحطيم الحاكم الظالم ضحاك مع سلطنته من قبل كاوا الثوري وقواته في تاريخ شعبنا، وقيام النبي إبراهيم بإزالة الحاكم الظالم نمرود مع أصنامه، ماهي إلا نماذج وأمثلة مشخصة. إن هذه اللحظات هي لحظات اشتداد الصراع بين المجتمعات الجديدة والقديمة، هي لحظات الانحلال والتمزق المتسارعين للبنى القديمة تحت وطأة الصراع.

رغم تصفية حساب القديم نتيجة لهذا النضال لايكون الجديد قد تم تأسيسه بعد. إنه ما يزال في بداية الطريق. غير أنه سواء في الطبيعة أم في المجتمع لايتم أي تطور بصورة عفوية بدون توفر الحياة المتناقضة. لذا فإن بناء المجتمع الجديد في مراحل الثورة لايكون ممكناً إلا إذا توفرت قدرة كبيرة وعبر نضال وصراع لا هوادة فيهما. وبهذا المعنى أيضاً لايكون هدم المجتمع القديم والتفنن بعملية الهدم وحده كافياً لبناء صرح المجتمع الجديد، فالهدم في البداية يلعب دوراً هاماً في عملية التطوير، غير أنه معروف أيضاً أن العديد من الثورات ظلت تراوح في مكانها لأنها اكتفت بالهدم وعجزت عن الانتقال إلى مستوى أعلى. بعبارة أخرى فإن هذه الثورات أهملت أحد جانبي القضية فيما أنجزت جانبها الآخر؛ عجزت عن تحقيق بناء صرح الجديد بدلاً للقديم الذي قامت بتحطيمه. ظهر العديد من التنظيمات والأنماط المدمرة المحطمة على امتداد التاريخ ولكن هذه التنظيمات والأنماط لم تستطع أن تؤدي إلا أدواراً عارضة وعابرة ربما لأنها عجزت عن تطوير جوانبها البناءة والخلاقة. علماً أن النصر التام لايمكن إظهاره بوضوح إلا من خلال إبداع الجديد وبناء صرحه. فقابلية الهدم التي يتم إبداؤها لدى تدمير القديم لابد لها من أن تتحلى على شكل قابلية بناء وخلق في إعلاء صرح البنيان الجديد. إن الشخصيات التي تحطم القديم لا بد لها من أن تغدو شخصيات معلمي بناء مهرة يبدعون العمل الجديد.

إن بناء الجديد يتطلب معايير ومفاهيم مختلفة عن المعايير والمفاهيم القديمة، وفي هذا المجال فقدت خطط القديم وتكتيكاته فاعليتها مما يوجب استبدالها بخطط الجديد وتكتيكاته. وإذا

كان الذي يقوم بهذين العملين كليهما هم الأشخاص أنفسهم فإن عملية الانعطاف صعبة ومؤلمة جداً. لذا فإن التطور على المستويين الشخصي والتنظيمي يكون من هذه الناحية أيضاً مؤلماً ومشحوناً بالتطورات الدراماتيكية المثيرة. لابد للفرد في هذه الفترة بسبب هذه المهمات الصعبة التي يتولاها من أن يعتمد على ذاته اعتماداً كبيراً. يمكن تشبيه تكون المجتمع الجديد بتحول البرعم البسيط أو الشتلة الصغيرة إلى شجرة باسقة مؤهلة لان تعيش مئات السنين، غير أن المجتمع البشري يبقى، كما هو واضح، حدثاً أكبر وأشمل بما لايقاس .

لعل أكبر القضايا التي يواجهها الأفراد والتنظيمات التي تلعب الدور الحاسم في مراحل معينة من التاريخ، هي قضية القدرة على التعبير عن البناء الصحي للجديد في ذواتهم وشخصياتهم الخاصة. لهذا السبب يكثر الحديث عن أن هؤلاء الأفراد والتنظيمات تتعرض للطرق بين المطرقة والسندان وتسقى بالماء عدة مرات كما الفولاذ. إن الفرد لايكتفي بالمقاييس العادية لدى خلقه للجديد بل هو مضطر لأن يطور معايير خارقة للعادة متناسبة مع روح تلك الخطوة المجيدة التي خطاها. لا تكون أنماط التفكير والجرأة والتضحية الاعتيادية كافية في عملية خلق الجديد، ذلك لأن المقاييس الاعتيادية تظل عاجزة عن إعطاء الأفراد المضطرين لان يعيشوا مئات سنين المستقبل خلال فترة زمنية قصيرة الطاقة التي تمكنهم من اجتياز هذه الفترة بنجاح.

في هذه النقطة بالذات تبدأ الآلام الكبيرة والعذابات الهائلة والمآسي المثيرة للأفراد بالظهور على المسرح. هل هم قادرون على خلق المجتمع الجديد أم لا؟ هل هم قادرون على تحقيق النجاح أم لا؟ فأولئك الذين يعجزون عن الإجابة بنعم على مثل هذه الأسئلة ولا يثقون بأنفسهم يتعرضون في مثل هذه المنعطفات للانهيار والانحلال بأشكال بسيطة جداً كما تظهر حوادث الانتهازية وخيانة القضية والهدف. من المؤكد أن الذين يسقطون في مثل هذه الحالات ليسوا من أصحاب الشخصيات الكبيرة بل هم الناس العاديون للنظام. هناك ملايين

الأفراد الذين يمتلكون هذه المعايير سواء في إطار المجتمع القديم أم في أحشاء المجتمع الجديد. لذا فإن مثل هذه الشخصيات الاعتيادية تبقى بعيدة عن أن تكون شخصيات حاسمة تقدم الحلول. غير أن هذا الواقع لايلغي الحاجة الماسة إلى الشخصيات التي ينبغي لها أن تقوم بدورها المرسوم في هذا المنعطف التاريخي، بل على العكس تماماً، يجعل مثل هذه العملية أكثر إلحاحاً وأشد ضرورة مقابل حالات التفسخ والتحلل الذاتية الجارية.

يمكن للفرد ان يصل إلى مستوى المفكر العظيم والفنان الكبير والأخلاقي الشهير والمنظم العظيم والممارس العملي الداهية بمقدار مقاومته للمعايير الاعتيادية وبمقدار تجاوزه للمقاييس المألوفة؛ ويستطيع تبعاً لذلك أن يزيد عظمته عمقا.

غير أن هذه العظمة مع ذلك ليست بدون حدود. وحدود عظمة الشخصية يرسمها المجتمع المقبل أي أن عظمة المجتمع المقبل وسمو شأنه هي التي تبين وباختصار المستويات التي يمكن للشخصية أن تبلغها. فسواء على مستوى قوى الإنتاج أو علاقات الإنتاج، وسواء على مستوى علاقات البنية الفوقية السياسية، تكون التناقضات الإيجابية منها والسلبية التي تظهر في أحشاء المجتمع المقبل منعكسة في مرآة الشخصية. ان مستوى تطور تناقضات المجتمع المقبل تتجلى أيضاً في التناقضات الكامنة في الشخصيات كما أن أبعاد الصراع الطبقي المقبل تتجلى بوضوح كامل في الصراع بين الأفراد أو الشخصيات. فبمقدار ما يتمكن الأفراد، هكذا، من تجسيد المجتمع المقبل في ذواتهم، يرتفعون إلى مواقع الشخصيات المنتقاة والنخبة التي تلعب أدواراً في التاريخ وينفذون مهمات فعالة وحاسمة في عملية خلق المجتمعات الجديدة.

بمقدار ما يتم عن طريق الحدث الذي يطلق عليه اسم الثورة، تحطيم السلطة السياسية الرجعية بالعنف وبناء دولة المجتمع الجديد وبنيتها الفوقية على هذا الأساس، يمكن الحديث عن الأعمال الظافرة والثورية العظيمة للشخصيات المعنية وللتنظيمات التي أقامتها تلك

الشخصيات. أما العمل الذي يجب إنجازه بعد هذه النقطة فهو قيام الطبقة صاحبة السلطة الجديدة وممثليها بتطوير البنى التي نشأت في إطار المجتمع القديم بما يتفق مع إطرها الخاصة وتعزيز قوتها بحيث تغدو مهيمنة على بنية المجتمع القديم وصولاً إلى جعل هذه البنى الجديدة البنية التحتية الوحيدة السائدة في المجتمع القائم. ومع استكمال هذه العملية التي تحتل سنوات بناء الثورة تتوقف مرحلة الثورة في حياة المجتمع و تخلي مكانها للتطور الاعتيادي. وفي هذه المرحلة الجديدة تتقدم الثورات في العلوم والتكنولوجيا لتحتل المراكز الأمامية.

ومع هذه التغيرات تبادر الشخصيات الكبيرة لمرحلة الثورة وتنظيماتها هي الأخرى إلى ترك مكانها لشخصيات النظام الاعتيادية ومنظماتها. وهنا لا يعود الحديث عن الدور الحاسم للشخصيات وارداً. ذلك لأن الأفراد يتحولون إلى مسننات صغيرة وبسيطة في آلية النظام الكبيرة ولم تعد مهماتها تتعدى ضمان سير النظام القائم في ظروف اعتيادية وتطوره البطيء بوتائر مقبولة. وفي الوقت نفسه تكون التنظيمات التي كانت مكلفة بتحطيم النظام في السابق قد تحولت في المجتمع الجديد إلى تنظيمات مكلفة بضمان سير النظام بشكل سليم. لاشك أن المجتمع الجديد أيضاً يشهد ظهور العديد من الأشخاص المبدعين الطليعيين الذين ينجحون في تحقيق إنجازات ذات شأن غير أن من المستحيل أن نرى في هؤلاء شخصيات المنعطفات الثورية أي شخصيات التحولات الجذرية. وفي بعض الأحيان يصاب أولئك الذين عاشوا أمجاد المرحلة الثورية وعظمائها بخيبة الأمل حين يرون مدى بساطة النظام الذي أقيم في أعقاب الثورة. وهذه الخيبة تكون بالغة الوضوح خصوصاً لدى الشخصيات الكبيرة التي طبعت المراحل الثورية بطابعها الخاص. فهذه الشخصيات لا تستطيع أن تتعود على المقاييس العادية للنظام الجديد؛ لأنها تبدو في نظرهم بالغة الضيق والبساطة والسهولة. حتى أن بعضها تفضل الحفاظ على عظمتها على الاندماج بتلك العلاقات فتذهب إلى حتفها باختيارها هي. هناك أمثلة كثيرة في التاريخ تؤكد صحة ما ذهبنا إليه.

يمكن الحديث عن الشعوب الطليعية والشعوب العظيمة على مستوى الشعوب كما على المستوى الأفراد. من الواضح أن بعض الشعوب هي التي تتولى الدور الطليعي لا كلها في مراحل الثورة. وبهذا المعنى تظهر شعوب طليعية وأمم طليعية على مسرح التاريخ. وفي مرحلة ما قبل تشكل الأمم والشعوب أيضاً يمكن الحديث عن وجود قبائل وعشائر طليعية متقدمة. تكون الشعوب والأمم التي تلعب دوراً طليعياً في مراحل الأزمات بقيادة ممثلي الطبقات المتشكلة حديثاً والمعبرة عن المجتمع الجديد. وهؤلاء الممثلون هم مشاهير الشخصيات التاريخية المعروفة. إن مثل هذا النمط من الأقوام والعشائر والشعوب والأمم تطبع بعض مراحل التاريخ بطابعها مما يجعل تلك المراحل حاملة لأسمائها. وبالطريقة ذاتها يجري تخليد ذكر قادة هذه الشعوب والقبائل والعشائر والأمم جنباً إلى جنب مع أسماء أقوامهم. باختصار نقول أن الأشخاص لايظهرون بمعزل عن شعوبهم وطبقاتهم وخارجها، بل على العكس تماماً فأنهم يعبرون عن ذواتهم من خلال تلك الشعوب والطبقات وفي إطارها.

مقابل أنماط الشخصيات الإيجابية والقوية التي تظهر في مراحل التأزم والثورة تظهر أيضاً أنماط سلبية. فجنباً إلى جنب مع صعود الشخصيات العظيمة والشعوب المجيدة تبرز على الساحة حادثة انعدام الشخصية النابعة من الإخفاق أو العجز إزاء القيام بالدور المنتظر. ما أكثر أولئك الذين لايعودون قادرين على الحفاظ على معايير الشخصية والأخلاق للنظام القديم الذي بدأ ينهار ولكنهم في الوقت نفسه عاجزون عن بلوغ مستوى الشخصية الثورية الحاسمة والفاعلة للنظام الجديد! وأمثال هؤلاء الأفراد يتعرضون للهزيمة المحتوية في مواجهة التطورات بعد إخفاقهم في بلوغ مستوى المرحلة الجديدة للشخصية رغم رغبتهم الذاتية في ذلك. وكما أشرنا في السابق أيضاً فإن الأفراد لايكتسبون شخصياتهم المتميزة إلا بمقدار ما يتحملون المسؤوليات التي ألقى بها التاريخ على عواتقهم. أما أولئك الذين يعجزون عن تمثيل التنظيم والحركة والتفكير والشخصية الحاسمة والفعالة والمحرومون من الطاقة الكفيلة بأن يجددوا ذواتهم فيظلون، كما هو واضح، محرومين من ذلك وينعتهم التاريخ بصفة عديمي الشخصية.

باختصار نقول: إن أشكال العظمة المهيبة التي كثيراً ما كان التاريخ شاهداً عليها والشخصيات المجيدة كانت مترافقة ومتزامنة مع مثل هذه الحالات المثيرة للتقزز والقرف من انعدام الشخصية وإمحائها.

يكون الفرد بهذه البنية قد تقزم وتضاءل وأصبح بسيطاً في وضع لا يمكن التعرف عليه من خلاله. يكاد يكون مخنوقاً في بحر أزمات المرحلة عاجزاً عن الاهتداء إلى أي مخرج للخلاص. ولهذا السبب يكون بلا تفكير، جباناً، بلا أخلاق ؛ منقطعاً عن قومه وعشيرته أو شعبه وطبقته في وضع نكرة لا مكان له ولا وطن. إن هذه النمط يجسد في شخصه سائر هذه السلبيات كلها. إن الورطة التي يجد نفسه فيها والتي لا مخرج لها قد يدفع مثل هذه الشخص إلى عالم الإجرام والقتل. غير أن ميوله الهدامة هذه لاتكون ميولاً بناءة تستهدف خلق الجديد، بل على العكس من ذلك هي ميول عدوانية سلبية تظهر على شكل ردود أفعال رافضة لكل شيء. وأمثال هؤلاء يسمون بالفوضويين في بعض الأماكن. إن هؤلاء الأفراد الذين لا يعترفون بأية ضوابط أو أية معايير قديمة أو جديد يظهرون على المسرح بوصفهم عصاة متمردين وقطاع طرق مما يؤدي إلى إغراق المجتمع في بحر من الفوضى والاضطراب. ربما صادفنا مثل هذه الحالة أحياناً على مستوى الأقوام والقبائل مثلما هي على مستوى الأفراد. و مثل هذا النمط من الأقوام والقبائل تغدو مصائب وشروراً بالنسبة للمجتمعات تغير عليها وتغرقها في بحار الدماء والدمار وتعرض الناس للمذابح الجماعية. إنها تشل البنى الاجتماعية الموجودة عن العمل كما إنها ليست بناءة وخلاقة في الوقت نفسه. وهكذا تصبح من أكبر العقبات التي تقف في طريق التطور. إن مثل هذا النمط من القبائل والأقوام تكون خاضعة خضوعاً كاملاً لحالة من الجنون والضياع، لحالة من الاغتراب التام والانفصام الكامل.

في العديد من مراحل التاريخ المشحونة بالأزمات تظهر هذه العناصر عديمة الشخصية بكثرة وتتبدى على المسرح بلونيات مختلفة. وإذا تمكن أولئك من السيطرة على أحد المجتمعات في

فترة من فترات الأزمة فإن ذلك يعني أن ذلك المجتمع والشعب قد تعرض لأبشع أشكال التخريب والدمار في حياته. أضف إلى ذلك أنها إذا تمكنت من تنظيم أشكال انعدام الشخصية عندها ومن ربطها بنموذج معين رافعة إياها إلى مستوى التضليل والديماغوجيا، أي إذا كانت باختصار قد نجحت في تنظيم هذه الشخصيات السلبية الممسوخة فإن فترة من الضياع الكامل والزعرنة واللصوصية والنهب والسطو هي التي تسود سيادة كاملة. ما أكثر القبائل والشعوب التي ذهبت ضحية ظلم ووحشية أمثال أولئك من الفوضويين معدمي الشخصية! وهؤلاء في النهاية يختلفون فيما بينهم ويتصارعون صراعاً عنيفاً يبيد فيه بعضهم بعضاً.

غير أن مثل هذا الوضع يستحيل أن يدوم طويلاً، فمرحلة الأزمة لا بد لها من أن توجد في النهاية القوة القادرة على تجاوزها وحل عقدها، هذه القوة التي سبق لنا أن فصلناها من قبل. فإما أن تنجح القوى المحافظة التي تدافع عن النظام في سحقهم أو تتمكن قوى الثورة من إخضاعهم لها ولهيمنتها الكاملة. وفي حال إخفاق القوى الثورية في تحقيق ذلك لن تتأخر القوى الرجعية المحافظة في فرض سيطرتها ونظامها على اولئك العصاة. من الواضح أن بديل الزوال تحت تأثير مثل هذه الفوضى واللصوصية والنزعة التدميرية بالنسبة لأي قوم أو قبيلة أو شعب – إلى حين ظهور ممثلي النظام الجديد على المسرح – هو القبول بالعيش في ظل النظام القديم. نعم، بدلاً من الاستمرار في العيش تحت وطأة هذا النوع من اللصوصية وانعدام الشخصية، وإلى حين اكتمال نضج القوى المؤهلة لخلق المجتمع الجديد موضوعياً، تفضل العيش في ظل القوانين والنظم الجائرة للنظام القديم. وبهذا المعنى يكون احتمال انتصار المحافظين في مراحل الأزمة وارداً أيضاً. وذلك عندما تخفق القوة الثورية في أن تلعب دورها وفي أن تحقق الثورة. وتتشكل في هذه المرحلة أيضاً فئة سائبة وخليطة تهدد كيان المجتمع. إن البيئة التي تتوافر فيها كل هذه الأشياء هي التي تمكن أقبح أشكال الرجعية وأكثرها افتضاحاً وهي النظم الفاشية من أن تقوم وترسخ أقدامها.

يبقى هذا الوضع مستمراً إلى أن تقوم قوى المجتمع الجديد الثورية بالإطاحة بسلطة القدماء. والقوة الجديدة هذه لا تستطيع أن تضع حداً للفوضى إلا على هذا الأساس. إنها تدفن في مقبرة التاريخ كلاً من حملة أشكال انعدام الشخصية والأخلاق واللصوصية والتردد الناجمة عن مرحلة الأزمة جنباً إلى جنب مع سائر القوى الرجعية التي أطاحت بسلطتها. كما أنها تحقق انتصاراً آخراً من خلال الوصول إلى شخصية جديدة في ظل مجتمع جديد مقابل انعدام الشخصية الذي كان سائداً في المجتمع القديم. إن النصر الذي يتحقق لا يكون، باختصار، على الرجعيين والمحافظين فقط بل وعلى سائر أشكال ومظاهر البنى التي ظهرت إلى الوجود بتأثير مرحلة الأزمة والتي باتت منتشرة على هامش المجتمع ومعزولة ومشوشة ومبعثرة تنقصها الشخصية أيضاً في الوقت نفسه. إنه انتصار الشخصية على انعدام الشخصية. وفي هذه المعارك يتم اللجوء احياناً الى أساليب بالغة العنف والقسوة، ولكن، مهما كانت الأساليب المتبعة، لا بد من إلحاق الهزيمة الكاملة وتحقيق الانتصار التام على مثل هذه الفئات والقطاعات. إن النظام الجديد يحقق انتصاراً آخر على ما هو قديم في هذا الميدان ايضاً.

في ضوء هذه التحديدات وقبل الولوج في موضوع قضية الشخصية في كردستان ومسألة مواصفات المناضل الثوري، ستقوم بدراسة دور الشخصية وطريقة عملها وتأثيرها في مختلف المجتمعات على امتداد التاريخ. إذا ما تم اخذ مسألة الشخصية عندنا بنظر الاعتبار بكل ثقلها فإن مدى ضرورة مثل هذه الدراسة ستغدو مفهومة تماماً، كما أن هذه الدراسة ستقدم لنا مفاتيح حل المشكلة التي نعاني منها نحن بشكل واضح وضوحاً كاملاً.

الفصل الأول

الشخصية عبر التاريخ

يتحدد مستوى تطور الأشخاص والشخصيات بما يتناسب مع تطور المجتمعات. ولدى معالجة مسألة الشخصية لا بد من الانطلاق بما يتفق مع الوضع المحدد من قبل العلاقات القائمة بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ككل. ومن هذه الزاوية فإن نقطة الانطلاق الرئيسة عند معالجة التطور العام للشخصية في إطار المجتمع الأنساني ودورها لا بد لها من أن تكون مستوى التطورالعام الناجم عن قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في ذلك المجتمع.

في ضوء هذا المنهج فإننا سوف نرى لدى الرجوع الى المراحل الأولى لنشوء المجتمع البشري أنه ليست هناك إمكانية للحديث عن الشخصية بمعناها العادي في تلك المراحل. فمرحلة المشاعية البدائية هي مرحلة انفصال البشرية عن عالم الحيوان حيث تسود علاقات إنتاج بسيطة تكونت على أساس قوى إنتاج موغلة في التخلف. وفي مرحلة لم تشهد ظهور الملكية الخاصة بعد ووسائل الإنتاج فيها ملك للجميع كما أن الجميع بحاجة ماسة بعضهم إلى بعض

مسألة الشخصية في كردستان

يستحيل الكلام عن الأفراد المنعزلين وعن الشخصيات المختلفة. فالفرد الذي يواجه خط الزوال فور خروجه الى خارج إطار المجتمع يكون لهذا السبب، موجوداً فقط مندمجاً بعشيرته وبقبيلته. وفي هذا الوضع الذي وضعه ماركس قائلاً: (حين يكون الفرد مرتبطاً بحبل السرة بالمجتمع) ليس الفرد لدى خروجه من الأسرة أو العشيرة أوالقبيلة إلا عدماً، لاشيء. ولهذا السبب يعرف الفرد في مرحلة المشاعية البدائية بشخصية الوحدة الاجتماعية التي ينتمي إليها لا بشخصيته هو . ففي هذه التجمعات البدائية لا وجود للشخصيات المميزة البارزة. تكاد الأنماط البشرية العائدة الى هذا العصر تكون صوراً طبق الأصل بعضها عن البعض الآخر، لا مجال هنا للحديث عن حرية وحقوق هذا النمط أو ذاك عن حرية وحقوق الفرد. ليس لزعماء الأسر والقبائل والعشائرفي هذه المرحلة أية امتيازات أو شخصيات تميزهم عن الآخرين. ولعل ميزتهم الوحيدة هي أنهم يمثلون المواقع القيادية في الإدارة لأنهم الأكثر خبرة وتطوراً والأقوى في الجماعة. غير أن تلك المواقع، كما سبق لنا أن أشرنا، بعيدة كل البعد عن أن تجعلهم ذوي شخصيات مختلفة اختلافاً جذرياً عن الاخرين.

يبين انجلز أوضاع الناس الأوائل لدى ظهورهم على مسرح التاريخ على النحو التالي:

(مثلما خرج الناس في البدء – بالمعنى الضيق للكلمة – من عالم الحيوان كذلك دخلوا إلى التاريخ: كانوا ما يزالون متوحشين أنصاف حيوانات، لا حول لهم ولا قوة إزاء قوة الطبيعة، لا علم لهم بقواهم الخاصة؛ وبالتالي فقد كانوا معدمين كالحيوانات ذوي إنتاجية تكاد لا تفوق إنتاجية الحيوانات. وقد سادت في تلك الأزمان مساواة معينة في ظروف الحياة وقد دامت هذه المساواة في المرحلة اللاحقة بين الجماعات الزراعية البدائية عند الأقوام المتحضرة بين رؤساء الأسر بوصفها نوعاً من المساواة في المواقع الاجتماعية – انعدام الطبقات الاجتماعية على الأقل–)

بسبب تشابه جميع الأفراد وانعدام الشخصيات التي طبعت التاريخ بطابعها في مجتمع المشاعية البدائية فإننا لا نصادف رموزاً معروفة اكتسبت شهرة تمكنت ان تنتقل عبر الزمن من تلك الأيام إلى يومنا هذا. إن المتاحف والمكتبات وكتب التاريخ ملأى بالشخصيات التي ذاع صيتها في الماضي وبالقيم التي تذكر الناس بهم غير أن تلك المصادر خالية تماماً من أي شخص أو قيم عائدة إلى المجتمع المشاعي البدائي. ذلك لأن الأشخاص الأفراد والشخصيات الواصلة إلى تلك المستويات المؤهلة لها لأن تدخل التاريخ غير موجودة. بل أن الوضع على مستوى العشيرة والقبيلة ليس مختلفاً أيضاً. فهذه أيضاً لم تكن هي الأخرى إلا تجمعات بسيطة متشابهة.

أما دور الأفراد فيظهر على الساحة ويفرض نفسه بقوة في مرحلة تلي مرحلة هذا النمط من المجتمع. فلحظة دخول المجتمع المشاعي البدائي في الأزمة حيث يغدو عاجزاً عن الاستمرار على حاله، أي لحظة الوصول إلى فجر المجتمع التالي، المجتمع العبودي، يظهر إلى الوجود أبطال ملحميون كبار فعلاً. يتحدث إنجلز في كتابه (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) عن (عصر الأبطال) الذي تزامن مع انهيار المجتمع المشاعي البدائي أو مع ميلاد المجتمع العبودي بعبارة أخرى. هناك حدث ظهور الشخصيات العظيمة للمرة الأولى في المجتمع الذي لم يكن يعرف معنى العظمة حتى ذلك التاريخ، كما تبرز تعاليم لم يسبق لها مثيل من قبل كالقواعد الأخلاقية والمؤسسات المختلفة التي صارت ضرورية بنماذجها الأولى. بالشكل ذاته تنشأ الدولة للمرة الأولى وتباشر بخلق مؤسساتها وأجهزتها المختلفة.

إن هذه المرحلة من مراحل المجتمع الإنساني حيث يكون من الضروري خلق جميع هذه الأمور العظيمة والكبيرة يحق لها ان تحمل اسم (عصر الأبطال والبطولات).

وهذا العصر كما هو معروف هو عصر تم التعبير عنه بكتابات وصلت إلى يومنا الراهن وتجلى بشكل ملموس في حضارة اليونان القديمة بشكل خاص وينعكس بهذا الشكل أو ذاك في

تواريخ العديد من الشعوب الأخرى. فلدى تحليلنا لانحلال المجتمع المشاعي البدائي وميلاد المجتمع العبودي في مثال اليونان نستطيع أن نرى بوضوح الأدوار الهامة التي لعبتها الشخصيات. كان الأفراد في تلك المرحلة من تاريخ اليونان قد تحولو إلى آلهة. ومن غير المستغرب أو المستهجن ان تظهر الشخصيات الكبيرة في هذه المرحلة على شكل آلهة أو أنصاف آلهة و أنصاف بشر. فقد كان ذلك ضرورياً لأن الشخصيات الكبيرة كانت تبادر وللمرة الأولى في التاريخ إلى طبع المرحلة بطابعها وتخلق الجديد. ومن هذه الناحية أيضاً يجب النظر إلى تأليه الأفراد نظرة طبيعية.

إن الفرد الموروث من مجتمع المشاعية البدائية بالغ الضعف وهذا واضح تماماً في نمط تفكيره وسلوكه العملي. لذا فإن أية شخصية أو مؤسسة تعلو فوقه هي الشخصية الأعظم والمؤسسة الأكبر. لم يكن هنا الفرد من قبل يعرف إلا زعيماً واحداً في عشيرته الخاصة – وهؤلاء الزعماء العشائريون هم الذين ظهروا كشخصيات كبيرة في معظم الأحيان –وهؤلاء الزعماء يبدون قوة غير عادية لها السيطرة الكاملة على أعضاء العشيرة العاديين والبسطاء بمقدار ما يقومون بقلب مجتمع المشاعية البدائية إلى مجتمع الطبقي، بمقدار ما ينجحون في إقامة المجتمع العبودي من حيث البنية التحتية والبنية الفوقية. فمقابل صغر ابن العشيرة العادي لا يعترف الفرد الذي يسمو فوقه بوجود أية حدود أوعظمة تفوق حدوده وعظمته هو. ذلك لأنه لم ير أي شخص كبير جاء قبله. وبالتالي يجد نفسه مختلفاً عن الآخرين. ذلك هو السبب الذي يجعل أفراد (عصر البطولة والأبطال) يعلنون أنفسهم آلهة أو (أنصاف آلهة) على الأقل.

هناك ميزة أخرى يتميز بها أنصاف – الأهة هؤلاء هي أنهم إما فلاسفة أو رجال دين أو دعاة أخلاق جديدة، أو رجال دولة بشكل خاص يمثلون

النظام الجديد. وقد صدف أن اجتمعت هذه المواصفات جميعاً في شخص واحد في الكثير من الأحيان. وفي مثل هذه الحالة تكتسب حادثة الألوهية أو التأله بعداً إضافياً. إن حضارة اليونان القديمة ملأى بالعديد من الأمثلة الحية في هذا المجال.

تكون عملية الانتقال من الشخصيات البسيطة إلى الشخصيات المبدعة والخلاقة عملية مؤلمة وملأى بالمآسي. لقد ظهر العديد من التراجيديات والكوميديات التي ترافقت معها والتي تحدثت عن الأحداث التي عيشت في هذه المرحلة للمرة الأولى في التاريخ في هذه الحقبة الزمنية. كان ل (كتاب التراجيديا مثل ايسخيلوس وسوفو كليس ويور بيدس، والشاعر الكوميدي آريستوفانس تأثير واضح على الثقافة العالمية)، وهؤلاء جميعاً ظهروا في المجتمع العبودي في اليونان. هناك أيضاً أبطال آخرون دخلوا التاريخ بفضل أعمالهم الثقافية المشهورة في هذه المرحلة. يمكننا أن نورد اسم هوميروس صاحب ملحمتي الألياذة والأوديسة. وهذه التطورات في ميدان الثقافة تنعكس على الفن أيضاً. في فجر الحضارة هذا يمكننا أن نرى العديد من التطورات الفكرية والعملية التي تلخص تاريخ البشرية اللاحق لا من وجهة نظر المجتمع العبودي فقط بل وحتى الوصول إلى الاقطاع والرأسمالية والاشتراكية. إن تلك الافكار والممارسات تترك آثاراً لا تمحى على صفحات التاريخ التي جاءت فيما بعد. وبالشكل نفسه نشأت الفلسفتان المثالية والمادية في هذه الفترة وجرى بينهما صراع عنيف. نستطيع هنا أن نذكر كلاً من هيراقليط الذي طرح للمرة الأولى في تاريخ البشرية فكرة تطور الكون وفكرة الصراع الأضداد ووحدتها، وديموقريطوس الذي طرح أولية المادة ولا نهائيتها من بين الايديولوجين الماديين؛ وكلاً من سقراط وأفلاطون من الفلاسفة المثاليين. نظراً لأن البذور الأولى للتطورات التي لم يسبق لها مثيل قد ظهرت في هذه المرحلة كما أكدنا من قبل ايضاً، فقد أطلق على بداية هذه المرحلة اسم (عصر الأبطال والبطولة)، وعلى مبدعي هذه المرحلة اسم كبار أبطال فجر البشرية. يحظى هؤلاء الأفراد بسبب هذه المميزات التي يتميزون بها

بالاحترام الكبير كما يثمنون تثميناً عالياً. أما الذين أتوا فيما بعد فقد تابعوا، بالانطلاق من أمثولات هذه المرحلة، عمليات إعلاء وتطوير القيم التي ظهرت في هذه المرحلة.

لا تقف عظمة كبار الشخصيات عند حدود التعبيرعن نفسها في إطار الظروف الاجتماعية فقط بل تتجاوزها لتتبدى بأشكال من العظمة التي تفوق تلك الظروف. فمقابل كون أعضاء المجتمع العاديين كائنات تكاد تكون بلا قيمة ذات شأن، يظهر أولئك العظماء في صورة شخصيات مبجلة ومفخمة إلى أقصى الحدود. ونتيجة لذلك يتعرض المجتمع لانقسام يتضح ويتحدد بالتدريج؛ إذ ينقسم المجتمع إلى فقراء وأغنياء؛ إلى مواطنين وغرباء؛ إلى نبلاء وعوام. وهكذا، فيما يتحدد الانقسام الحاصل في المجتمع بين النخبة وغير النخبة تجري المبالغات في تصوير عظمة العظماء المؤهلين. ثمة حقيقة ثابتة لا تستوجب أي قدر من الشك هي حقيقة وجود المبالغة في هذه المرحلة التي شهدت ظهور كبار الفلاسفة والمفاهيم الدينية وكبار مبدعي الأخلاق. على الرغم من أن نشوء المجتمع العبودي حدث كبير فإن من الممكن الحديث عن إظهار الشخصيات أكبر مما هي في الواقع. وهذه الحقيقة تتضح أكثر فأكثر في شخص البشر – الآلهة الذين تجسدوا مع ميلاد الديانات التي ألهت البشر والتي استمرت حتى أيامنا. ففي هذه المرحلة يجري رفع الأفراد إلى مستوى الآلهة ويعتبرون ذوي قدرة كبيرة يستطيعون أن يفعلوا كل شيء حتى يتم إيصالهم إلى مستوى من الإبداع والخلق والقوة ربما لن يصلوا إليه في أي من الأزمان .

أما التاريخ الذي يأتي بعد ذلك فهو تاريخ نزول البشر، بمعنى من المعاني، مرتبة الآلوهية شيئاً فشيئاً. فآلهة السماء البشرية التي رفعت إلى السماوات في فجر الحضارة مثل زيوس أنزلت أولاً إلى السحب ومن ثم إلى جبل أوليمبوس وبعد ذلك حولت إلى أصنام بسيطة تعرضت فيما بعد لعمليات الإحراق والتحطيم. بهذه الطريقة فقط استطاع الناس أن يتحرروا من الأخطاء التي صنعوها بأنفسهم. ونتيجة لذلك تقدمت مسألة الشخصية أكثر فأكثر وصارت تحتل

موقعها في الصفوف الأمامية، مما جعل معايير العظمة التي بدأت مع الحضارة والتي لم يكن يبلغها إلا الأقلية المحدودة، تتحول تدريجياً لأن تغدو ملكاً للإنسانية كلها. وقد أخذت التطورات اللاحقة هذا الاتجاه نفسه.

لقد تجلى هذا العصر في بنية الشعوب التي طبعت التاريخ بطابعها ولعبت فيه دوراً فعالاً، حتى أصبحت هذه العهود تروى على شكل ملاحم في تواريخ العديد من هذه الشعوب. لعل كلمتي الأليادة والأوديسة اللتين ظهرتا في اليونان للشاعر هوميروس يشكلان أفضل الأمثلة. إن هذه المرحلة هي تلك التي تروى عبر ملاحم العديد من الشعوب سواء في آسيا أم في أوروبا. وبالطريقة نفسها جرى تحويل الأبطال الذين قاموا بأدوار كبيرة في تقدم الشعوب والذين ترسخوا في أذهان الناس بعمق إلى أبطال أسطوريين وملحميين مما جعلهم خالدين إلى الأبد. لقد تبدت أعظم آيات الشجاعة والبطولة في شخصيات اولئك الذين شيدت لهم نصب تذكارية خلدت أسماءهم وأفعالهم إلى يومنا هذا. إن سائر أنماط العظمة والمجد هذه جسدت في المؤلفات الفنية والموسيقية المختلفة مما جعلها ملكاً لحياة المجتمع بأسره.

كان لا بد لأبطال (عصر البطولة) الذي بدأ في أثناء عملية الانتقال من مجتمع المشاعية البدائية إلى المجتمع العبودي من ان يتركوا بصماتهم على عملية تنظيم مجتمع جديد أيضاً. فكبار الأبطال الذين دشنوا مولد عصر جديد ظهروا فيما بعد بوصفهم قادة المجتمع العبودي وزعماؤه. لقد تولى هؤلاء الأبطال ومن جاؤوا بعدهم، ورثة لهم من سلالاتهم، مهمات كبيرة في ميدان بقاء المجتمع العبودي وتوجيهه.

يتعرض المجتمع في عهد العبودية إلى الانقسام الأشد وضوحاً مع مرور الزمن. تتحول الفئة صاحبة الامتيازات قديماً إلى طبقة ذات امتيازات. أما العشائر والقبائل فتصبح عاجزة عن حماية نفسها وتبدأ بالانحلال. كما أن الفروق بين الأفراد تتزايد حتى يغدو البعض مواطنين أعضاء في الدولة في حين يبقى الآخرون خارج دائرة المواطنة والانتماء إلى الدولة معينة.

وهكذا، ففي حين يكتسب أعضاء قطاع من المجتمع شخصيات مستندة إلى هذه الحقوق، يجري إبقاء قطاع آخر خارج إطار المجتمع الرسمي. يتعرض المسحوقون لأبشع أشكال الاحتقار ويقحمون في اوضاع معاشية أقرب إلى الأوضاع الحيوانية مما يؤدي إلى انعدام الشخصية لديهم . ففي حين يتابع مالكو العبيد الذين يشكلون الطبقة الحاكمة مراكمة ثمار التطور الاجتماعي وسائر الخيرات المادية والمعنوية بين أيديهم، تتحول الأكثرية الساحقة الباقية من المجتمع إلى جماعات من العبيد الذين لا يتمتعون بأية حقوق شخصية بما فيها حق بناء الأسرة. ليس العبد إلا وسيلة للأنتاج؛ يجبرونه على العمل الدائم ويتعرض للاستغلال الشنيع ثم يترك مضطراً لأن ينام في الحظائر والاصطبلات. أما سيده، أي صاحب العبد ومالكه، فيكون متمتعاً بكل أشكال السيطرة على عبده الذي يستطيع أن يبعيه بل وأن يقتله اذا شاء. أن الوحيد الذي يستطيع أن يحدد مستقبل العبد وأن يرسم مصيره هو سيده؛ وليست هناك أية فرصة أخرى للعيش بالنسبة للعبد في تلك الظروف.

يبدأ المسحوقون من منتسبي المجتمع الذي يعيش في مثل هذه الظروف اللا إنسانية بتذكر حياتهم في ظل النظم العشائرية والقبائلية القديمة البدائية بشوق وتحسر يتزايدان يوماً بعد يوم. لأن تلك المراحل البدائية التي كانت فيها وسائل الإنتاج المادي ملكاً لجميع أفراد الجماعة الذين كانوا أحراراً ومتساوين، ولم تكن فيها فرصة قيام البعض باضطهاد البعض الآخر واستغلالهم واردة، وحيث كانت راية (كل منا للجميع، والجميع لكل واحد منا!) مرفوعة ولو بلا وعي، هي مراحل وأزمان كان الجميع يعيشون فيها حياة جماعية فيكتسبون على أساسها شخصيات متشابهة. لذا فإن التمايزات التي بدأت تظهر في المجتمع بدت للفرد ثقيلة ولا يمكن قبولها وجعلته يحلم بالعودة إلى الجنة أي إلى النظام الاجتماعي الجماعي القديم من الجديد. إن ظهور مفهوم الجنة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بظهور العبودية والنظام العبودي في المجتمع. فما هو معروف باسم الجنة ليس إلا ذلك الفردوس المفقود، فردوس المشاعية البدائية، الذي

صار حلماً عزيزاً بالنسبة لأفراد العشائر السابقين الذين تحولوا إلى عبيد وصاروا مضطرين لأن يتابعوا العيش محرومين من سائر الحقوق الشخصية حياة حيوانية قاهرة.

إن الوضع الجديد الذي وجد العبد نفسه فيه وضع بائس للغاية. فالفرد، رغم شوقه الشديد، لا يستطيع، لأن الفرد البشري هذا كائن متطور يتجاوز القديم، أن يعود إلى فردوس المفقود، أي إلى مجتمع المشاعية البدائية الذي يبحث عنه مرة أخرى. وكما أن مثل هذه الرغبة المتناقضة مع سير التاريخ مستحيلة التحقق كذلك فإن العبد يعجز عن العثور على طريقة مناسبة للتحرر من الوضع الذي هو فيه وبالتالي يبقى محروماً تماماً من سائر حقوقه حتى تلك البسيطة جداً منها. نعني تكون فئة مالكة لجميع الحقوق ولسائر فرص تطورالشخصية وممسكة بأيديها بجميع القيم المادية في ظل المجتمع العبودي، تكون فئة أخرى مضطرة لأن ترضى بحياة شبيهة بحياة الحيوانات لا أكثر. ونظراً لأن الإنسان مخلوق يتطور ويفكر ويستطيع أن يطبق ما يفكر به على الواقع، لا يمكن أن يقبل بهذه الحياة الحيوانية بسهولة بطبيعة الحال. وهو سيبادر مع مرور الزمن إلى مقاومة ما هو مفروض عليه وسيبذل الجهود المختلفة حتى يصل بالتدريج إلى تكوين شخصيته.

إن الذين يجري قبولهم على أنهم وقائع وأحداث في مرحلة المجتمع العبودي هم فقط الملوك. فضلاً عن أن المرحلة هي مرحلة اعتبار إرادات هؤلاء الملوك قوانين ونواميس ثابتة تخضع لها إرادة المجتمع بأسره. هناك نوع من الديمقراطية فيما بين أصحاب العبيد في ظل الدكتاتورية الفردية اللا محدودة لهؤلاء مقابل أبشع أنواع الاستغلال والظلم والقهر ضد المسحوقين وهم الأكثرية الساحقة من العبيد. من المؤكد أن هذا الوضع ليس وضعاً يمكن قبوله بصمت ولي العنق ازاءه. إلا أن الأديان التي قدمها النظام السائد بوصفها آمالاً باطلة في الخلاص مارست عند ظهورها، بسبب مزاعم العودة إلى الفردوس المفقود بالنسبة للعبيد، تأثيراً كبيراً على هؤلاء العبيد. ومثل هذا التطور أمر طبيعي جداً في ظل تلك الظروف. فليبادر العبد إلى البحث عن

الجنة التي أضاعوها في الحياة والتي لم يعودوا قادرين على العيش فيها في خيالاتهم وأوهامهم على الأقل وليحاولوا أن يجدوا عزاءهم في الحلم بها! لأن هؤلاء العبيد، بوصفهم مخلوقات بشرية سامية، يستحيل أن يعيشوا بلا تفكير وبدون تطلعات وأحلام مثل الحيوانات. ذلك هو السبب الذي مكن الأديان من أن تمارس تأثيراً كبيراً جداً عليهم، وجعلها تلعب دوراً يكاد يكون حافزاً ودافعاً إلى الأمام.

بأمل العثور على الأشياء التي لم يكن العبيد يجدونها في دنياهم المادية المعاشة، في (الدنيا الآخرة) التي وعدهم الدين بها، حاول هؤلاء العبيد أن يتحملوا سائر ألوان العذاب وأشكال الظلم التي ظلوا يواجهونها. غير أن تكشف الأوهام لعدم قدرتها على أن تنعكس على الحياة المادية التي ظلت تسوء أكثر فأكثر مع تزايد الظلم والاستغلال يوماً بعد آخر أدى شيئاً فشيئاً إلى تمرد العبيد على أسيادهم. إن انعدام الرحمة لدى الاسياد جنباً الى جنب مع حياة الجوع والفقر كانت وراء تنامي كراهية العبيد للنظام وحقدهم عليه وتحول ردود الأفعال إلى المعارك والانتفاضات بعد أن تمكن هؤلاء العبيد من التحرر من قيود عالم التوكل والاستسلام التي أقحمتهم فيها الأوهام الفارغة التي فرضها الدين على عقولهم. ولحظة يغدو المجتمع العبودي قيداً لايطاق ولامعنى له بالنسبة للعبد تتنامى الانتفاضات وحركات التمرد لتصل إلى ذروتها القصوى. ذلك لأن النظام العبودي أصبح يشكل عقبة لابد من تجاوزها بالنسبة للعبيد الذين يمتلكون كفاءات عالية ويقدرون على أن يلعبوا دوراً أكبر في تطور المجتمع والذين يستطيعون بفضل شخصياتهم أن يساهموا في عملية التطور هذه مساهمة أكبر. ومع زيادة زخم النضال في هذه الاتجاه يصبح من الممكن الحديث عن فضح الصراع الطبقي للمرة الأولى في التاريخ وعن أن المسحوقين باتوا قادرين على خلق شخصياتهم وعن شروعهم في تمكين ممثليهم من أن يتكلموا باسمهم . إن سبارتاكوس الذي برز من بين صفوف العبيد ومازال اسمه حتى الآن مصدر الهام بالنسبة للعديد من الثوريين، قد ظهر على مسرح الأحداث كرمز للسمحوقين والمضطهدين في وجه العديد من الأشخاص المبارزين الذين جاؤوا من الطبقة

الحاكمة. إن عظمة سبارتاكوس ليست ناتجة فقط عن كونه قائد مقاومة الظلم والاستغلال بل لأنه، في الوقت نفسه كان خالق الانتفاضة المنظمة الأولى للمسحوقين عبر التاريخ.

قمعت الحركات التمردية التي قام بها العبيد بشكل دموي. ذلك لأن أصحاب وسادة المجتمع العبودي مازالوا اقوياء جداً في حين أن تمردات العبيد وانتفاضاتهم ليست على درجة من القوة تكفي للإطاحة بأولئك. مازال المجتمع الطبقي خاضعاً في تطوره لأصحاب العبيد من السادة كما أن كون المجتمع التالي هو الآخر مجتمع طبقي، أي لأن المجتمع الطبقي مازال يحتل موقعه الدافع إلى الأمام في تاريخ البشر تنتهي انتفاضات العبيد نهاية مؤلمة بهزيمة مؤكدة. حتى ولو حققت هذه الانتفاضة أو تلك بعض النجاح فإن الوضع يبقى بدون تغيير أو يكتفي باستبدال سيد بأخر جديد أو أن المتحكمين بمصائر النظام الجديد يخضعون السادة السابقين لحكمهم وسيطرتهم وبالتالي يحافظون على استمرارية نظام الاستغلال والقهر. وفي هذه الحالة تتحطم آمال العبيد في اكتساب شخصية مستقلة ويتضح أنها كانت آمالاً خادعة.

يحقق الأفراد، وإن كانوا قادمين من بين حفنة مالكي العبيد، في المجتمع العبودي قدراً كبيراً وهاماً من التطور. كما يجري تطوير واكتشاف قوى الإنتاج التي ستلعب دوراً هاماً في التطور اللاحق للمجمتع إضافة الى جهاز الدولة والعلوم والفنون. أما الذين يقومون بهذه الأعمال منهم حفنة صغيرة من الطبقة الحاكمة. غير أن (طبقة مالكي العبيد التي تهيمن على الإنتاج المادي والثقافي للمجتمع سدت الطريق على تطور الطبقات والفئات المسحوقة ثقافياً. وعلى الرغم من أن المجتمع العبودي وخصوصاً في اليونان وروما قام ببناء حضارة متقدمة في مختلف ميادين الفن والفلك والرياضيات والفلسفة والحقوق و الخ ... التي وصلت الى قمم شامخة، فإنه بقي مقبرة لقابليات ومؤهلات منتسبي الطبقات والفئات المسحوقة وعلى راسها طبقة العبيد)

يحظى جميع الأفراد الذين أبدعوا هذه التطورات بمكانة مرموقة في عملية تقدم المجتمع وبالتالي باحترام الجميع – واحترامهم واجب فعلاً. فخلال التاريخ الذي يلي تلك المرحلة يظل الناس يتحدثون على الشخصيات البارزة والتي حققت شهرة في تلك الفترة؛ ويعتبرون مكتشف ميدان من الميادين أو مخترع أحد الاختراعات معلماً في ميدانه. إن هؤلاء الأفراد الذين نصادفهم بكثرة في المرحلة العبودية هم في الوقت نفسه أولئك الذين سنوا القوانين وصاغوا القواعد والنظم من أجل البشرية. فهؤلاء الدهاة العباقرة الذين أبدعوا القواعد الأولى في ميادين الفلسفة والفن والأخلاق وما إليها يذكرون فيما بعد أيضاً بأسمائهم المقترنة مع مكتشفاتهم؛ كقوانين حمورابي؛ بناء الدولة الافلاطونية؛ الديانة الفرعونية؛ قانون ارخميدس والخ . . في الوقت الذي نواجه فيه مثل هذه الشخصيات الكبيرة على احد وجهي الميدالية نصادف على الوجه المقابل أشخاصاً سقطوا أو أسقطوا إلى ما دون الانتماء إلى المجتمع وامتلاك حق العضوية فيه، هم العبيد كما سبق أن أشرنا. من الواضح أن مثل هذا التطور تطور ينطوي على التناقض الحاد. ومع الزمن لابد لهذا التناقض من أن يتحول الى أزمة أو يمهد الطريق لمثل هذه الأزمة. كما أن ظروف الأزمة بالذات ستحمل معها أسئلة جديدة وحلولاً جديدة بعد أن غدا المجتمع العبودي، منذ هذه اللحظة، قيداً ضاغطاً على إمكانية تطور البشرية.غير أن الانسانية، إذا ما أرادت أن تتابع وجودها في مجتمع أكثر تطوراً وبشكل أكثر تقدماً، مضطرة اضطراراً حتمياً لأن تتجاوز هذه العقبة. كما أن الصراع الطبقي الذي هو محرك التطور بصورة خاصة يجعل تغيير النظام العبودي وظروف حياة العبيد أمراً حتمياً. أما المجتمع الذي سيولد من جديد فيكون قبل كل شيء مكلفاً بمهمة رفع العبيد من الدرك الذي هم فيه ولو بمقدار محدد وتطويرهم على المستوى الشخصي وفي إطار المجتمع وإيصالهم إلى مرتبة أعلى قليلاً ومتطورة أكثر. لابد للفرد الغارق في الأعماق السحيقة من الدرك الأسفل من أن يتمتع بحقوق أكثر من تلك التي كان يتمتع بها في ظل النظام العبودي ويصبح قادراً على امتلاك إمكانية العيش حياة أكثر إنسانية. وبالتالي لابد له من أن تتوفر له فرصة أن يلعب دوراً أكثر

فعالية. إن المجتمع الذي سيحل محل العبودية مضطر لأن يوفر هذه الظروف للعبيد وهو سيحصل على تأييدهم ودعمهم بمقدار مايوفرها. وهكذا ستتوفر له فرصة القدرة على التطور وبلوغ النجاح.

تظهر أزمة عميقة في البينة التحتية والفوقية للمجتمع عندما يبدأ المجتمع العبودي يشكل عقبة أمام مستوى تطور الإنسانية وعندما يغدو هذا المجتمع قيداً يضيق الخناق على الفرد. ومثل هذا الوضع نستطيع أن نراه بوضوح كامل في انهيار الامبراطورية الرومانية. ففي هذه الفترة يجري اقتراف أبشع الجرائم وتنظيم أسوأ المذابح التي لاتقل وحشية عما كان يجري في العهود الوحشية القديمة من قبل مالكي العبيد. وقد جاء وصف هذه الوحشية في مقال بعنوان (ذكرى الرفيق مظلوم مشعل دائم ينير لنا الطريق) نشر بتوقيع أ . دجلة بمناسبة تأبين الرفيق مظلوم، حيث يقول الكاتب:(في المراحل الأخيرة من روما العبودية بصورة خاصة، أي في الوقت الذي أصبح فيه النظام العبودي موشكاً على التصفية النهائية على المستوى العالمي لاستبداله بنظام إنتاج أكثر تطوراً بدأ يتطور، قام نيرون أشد ممثلي النظام العبودي سعاراً وأمثاله بإحراق الناس وهم أحياء في الساحات العامة كما قدمت الأجساد البشرية الحية بصورة واسعة الى الحيوانات المفترسة. إن الأساس الطبقي لمثل هذه التصرفات هو مايلي: نظراً لأن طبقة مالكي العبيد ما عادت قادرة على أن تقدم أي شيء للمجتمع، ولأنها، على النقيض تماماً، أصبحت عقبة كأداء في طريق تطور هذا المجتمع، فقد حاولت ان تكبت وتخنق تطور الانسانية بوسائل التعذيب والمذابح وغيرها من الأساليب الوحشية من خلال إيقاف عجلة التطور الاجتماعي. إن البشرية تواجه في شخص هذه الطبقة مرة أخرى خطر أن يدفع بها الى عصر الوحشية .)

كما اكدنا من قبل أيضاً يتعرض الناس في ظل النظام العبودي لخطر الاستعباد الدائم، فمع أن الجنس البشري يكون قد قطع مراحل كثيرة من التطور، يجري إقحام العبيد، على النقيض

من ذلك، في مستويات بالغة التدني والحقارة تحت ظروف لاتليق بأي شكل من الأشكال بالعديد من مواصفات وخصائص الجنس البشري. يكون العبيد تحت وطأة الدكتاتورية المطلقة لحفنة من مالكي العبيد مضطرين لأن يعيشوا في ظل اشكال الإذلال والمهانة. إضافة الى عدم اعتبار العبيد مواطنين ليست هناك أية قوانين او أنظمة تحمي أياً من حقوقهم الأساسية. فالسادة يستطيعون أن يمارسوا ضد عبيدهم كل ما يخطر ببالهم من ظلم واضطهاد وقهر واستغلال شرط ألا يصل الى حد القتل لا رأفة بهم بل لأن موت العبد يشكل خسارة بالنسبة للسادة أنفسهم. وبالمقابل يكون العبيد محرومين من مختلف الحقوق وليسوا إلا أدوات أو وسائل للانتاج فقط.

من الواضح أن استمرار الوضع بهذا الشكل سيؤدي مع الزمن الى خلق تناقض مع التطور السائر نحو المجتمع الجديد وبالتالي الى إيجاد بيئة للصراع والتناحر، ولهذا السبب فإن هذه المرحلة تكون مرحلة دموية مفعمة بالأزمات. والامبراطورية الرومانية العبودية بشكل خاص تعتبر مثالاً بالغ الوضوح في هذا المجال. فانهيار امبراطورية روما العبودية يتزامن مع وصول النظام العبودي على المستوى العالمي الى نقطة التصفية النهائية ومع مرحلة بدأ فيها شكل إنتاجي أكثر تقدماً يحتل مكان النظام العبودي القديم . وقد أدى كون هذه الامبراطورية آخر ممثلي النظام العبودي على مسرح التاريخ وتعرضها بالتالي لإمكانية الزوال المحتومة مع زوال النظام الى أن تتصف بأشد أنواع السعار والجنون. فتباشر ممارسة الاعمال الوحشية التي سبق لنا أن أتينا على ذكرها. ولهذا السبب فإن مرحلة انهيار النظام العبودي وزواله اتصفت بالنسبة للجنس البشري بأبشع ألوان الميل الى التخريب والتدمير.

ومن المعروف جيداً أن البشرية لم تتحرر من روابطها العشائرية والقبلية. طواعية لتقبل على العبودية وتتبناها. بمعنى أن الشعوب والأفراد لم يقبلوا بالعبودية بمحض اختيارهم، ولم يضعوا هذا النير على كواهلهم حباً به. لم تحقق العبودية النجاح الذي حققته إلا لأنها كانت تمثل

نظاماً يشكل مرحلة متقدمة من حيث تمهيد الطريق أمام مجتمع جديد أكثر تطوراً على الرغم من أن العبودية هذه فرضت في البداية من خلال أعظم وأكبر أيات الظلم والقهر والوحشية. اما العنف العبودي الذي لعب دوراً تقدمياً لدى نشوء النظام العبودي فقد تحول في طور انهيار هذا النظام الى عنف رجعي لا يفتح الطريق امام أي تطور، بل وعلى النقيض من ذلك، يدمركل شيء ولايخلق أية قيم مما جعله يغدو شيئا لامعنى له ولابد من التخلي عنه. وهذه الضرورة تتوضح أكثر فأكثر عندما تغدو طبقة مالكي العبيد عاجزة عن تلبية متطلبات التطور المادي الذي تهيمن عليه وتبادر الى القيام بدور يعيق مثل هذا التطور ويعطله وعندما يكون مجتمع جديد قد بدأ يتطور. ذلك لأن المجتمع يكون في هذه الأثناء منطلقاً في مسيرة يستحيل إيقافها باتجاه نظام اجتماعي جديد في حين أن العنف العبودي يكون متركزاً على تحقيق هدف إيقاف تلك الاندفاعة العارمة. وفي مثل هذا الوضع يتنامى العنف الثوري الذي هو خالق المجتمع الجديد وينتصب كالطود ليضع حداً نهائياً لوجود ذلك العنف الرجعي البائد. تلك هي مهمة العنف الثوري المقدسة.

وهذه الضرورة تصبح أوضح ومفهومة أكثر إذا تذكرنا الظروف التي تحيط بالعبيد في المراحل الأخيرة من المجتمع العبودي. إن العبيد الذين يشكلون العنصر الأساسي للانتاج وللقيم المنتجة قد صاروا عاجزين عن الانتاج ولا مبالين بعملية الانتاج كلها. لأنهم لايفيدون مما يصنعونه ولا يحصلون على أية حصة مما ينتجونه.

ومثل هذا الوضع يؤدي الى انعدام الاهتمام لديهم بثمار الانتاج وإلى انخفاض هذا الانتاج الى الحدود الدنيا. إن العبيد الذين كانوا يرضون بالعمل لدى هذا السيد او ذاك دفعاً للموت على الأقل صاروا مع حلول الظروف السلبية المترافقة مع الأزمة يرفضون مثل هذا الوضع. لقد اهترأ النظام العبودي من كثرة الاستعمال ولم يعد مؤهلاً لأن يستمر أكثر. فالنظام القائم صار عقبة أمام تطور القوى المنتجة مما أوصله الى مستوى لايستطيع معه البقاء إلا بأساليب الظلم

والقهر. ولذا تنصب الجهود على إيقاف عملية ولادة المجتمع الجديد بالقوة والقسر، على إعاقة سير وتطور الولادة بالضغط والاكراه. ولقمع انتفاضات العبيد يتم اللجوء الى الاعدامات والتعذيب والمذابح.

(غير ان الفرد الذي حرم من حرياته التي حققها عبر تاريخه الطويل لتحويله الى وضع أشبه بوضع الحيوان وتقييده بالسلاسل في الحظائر لامتصاص فضل القيمة منه، والذي مع ذلك مازال يعيش ذكريات الحرية القريبة، رغم جميع تلك الصعوبات، لم يكن بوسعه إلا أن يفكر بالعودة من جديد الى ذلك ذلك الفردوس الذي أضاعه بعد التحررمن هذه الأوضاع . كان لابد له من أن يعمل في سبيل ذلك. وهكذا فإن الدين الذي ظهر في تلك المراحل التاريخية لفهم وغدا املاً لهم في الخلاص . ومن المعروف كيف استطاع العبيد أن يتوحدوا تحت راية الدين وكيف تلاحموا فيما بينهم بفضل العواطف والافكار البدائية البسيطة المشتركة وكيف نجح العبيد في ان يقفوا كالطود الشامخ في وجه الامبراطورية الرومانية.

(فقيام الأديان بدعوتهم الى المساواة والى عالم أقرب الى العالم الذي جاؤوا منه ولو بطريقة مختلفة، أدى الى شحنهم بالاندفاع والحماس الذين كاناس للأسف يساهمان في تحويلهم الى عبيد من نوع جديد، الى عبيد للدين الذي دأب على تضليلهم بالفردوس الذي فقدوه منذ زمن.)

لدى تفسخ المجتمع العبودي وانحلاله ولدى ظهور المجتمع الجديد أي المجتمع الاقطاعي يبادر العبيد الذين يجري إغراق انتفاضاتهم في بحور من الدماء الى التمسك بالدين الذي صار يجسد أمل الخلاص بالنسبة لهم. والديانة المسيحية التي وعدت حياة أفضل ومستقبلاً أكثر بريقاً من أجل العبيد بصورة خاصة انتشرت كالنار في الهشيم بين الجماهير الواسعة للعبيد. أما ظهور الدين بوصفه ايديولوجية المجتمع الجديد بدلاً من الأفكار العلمية اوالفلسفية فأمر طبيعي جداً في تلك المرحلة. ذلك لأن الدين او الفلسفة لم يكن قادراً بعد على التأثير على الفئات

الواسعة من الجماهير، إذ لايزال محتكراً بأيدي حفنة من السادة والحكام، في حين أن الأفكار الدينية كانت بالمقابل أقوى تأثيراً وبكثير من السهولة على فئات المسحوقين الذين ظلوا خارج جميع الأطر الكفيلة بتطوير الشخصية، كما كانت تتحدث عن تطلعات هؤلاء المسحوقين بالذات. فلأن ايديولوجيات النظام العبودي كانت تصور مالكي العبيد بوصفهم قوى حاكمة ذات سلطة ونفوذ كبيرين جداً، وبوصفهم ألهة او أنصاف آلهة بادرت ايديولوجية الديانة الاقطاعية التي استهدفت الاطاحة بأولئك وبنظامهم الى طرح فكرة أن الاله الأوحد الذي لايرى لتطهره من المادة هو صاحب الكون الذي يسمو فوق كل الاشياء . وهكذا فإن الأديان التي تشكلت في هذه المرحلة كانت تخاطب البشرية كلها وبالتالي تكتسب صفة كونية شاملة وتضم في عضويتها حتى العبيد الذي هم في أدنى المراتب مما يجعلها قادرة على تنفيذ مهماتها الدينية. وهذا الوضع يمهد الطريق الى أن يتمسك العبيد جميعاً بالدين بوصفه مخلصاً جديداً. ولعل السبب الكامن وراء اعتبار المسحوقين لكل من المسيح وتلاميذه الأثني عشر أهم الشخصيات وأكبرها هو كون العبيد قد عثروا في الديانة المسيحية على ذلك العنصر المنقذ او المخلص.

ينتشر دين المجتمع الجديد الذين يخاطب هذه القطاعات الواسعة كالنار في الهشيم ويشكل اساساً لعملية التطورات اللاحقة. ومع الزمن تظهر ساحة صراع ونضال واضحة، كما أن الصراع الطبقي يتابع عمله تحت قناع الدين. لذا فإن العشائر والشعوب التي تبنت هذا الدين اولاً هي نفسها العشائر والشعوب الأكثر تمرداً والأشد مقاومة للنظام العبودي القائم. ومع مرور الأيام يتم الوصول الى زمن تتمكن فيه الديانات التي تبناها المسحوقون في البداية من احتواء مالكي العبيد والسادة الحكام أنفسهم مما يؤدي الى تعجيل عملية انعطاف المجتمع أكثر فأكثر. أما النضال الذي يتجسد على شكل صراع بين مؤيدي الديانة القديمة من جهة ومؤيدي الديانة الجديدة من الجهة الثانية فهو في الحقيقة صراع بين الذين يريدون الحفاظ على القديم وبين الذين يرغبون في خلق الجديد في أثناء المراحل المشحونة بالأزمات. وعند

هذا المنعطف تظهر في المجتمع سلسلة طويلة من العلاقات الجديدة. إن الدور الذي لعبته المسيحية في أوربا يلعبه كل من الاسلام والبوذية في الشرقين الأوسط والأقصى على التوالي. ولدى تحول الأديان الى أديان عالمية كونية يتحول الآلهة ايضاً الى آلهة مشتركة وعامة ثم يتوحدون في إله مجرد ووحيد. أما الاقطاعيون والملوك، خلافاً لما فعله سادة العبيد، فلا يعلنون انهم آلهة غير أنهم يبقون أصحاب أكبر سلطة وأكبر نفوذ في ظل الاله. ففي عهد الاقطاع ينحدر البشر درجة واحدة عن مستوى الآلهة ولايعودون يرون ذواتهم آلهة. وكما أكدنا قبل قليل يكون الاقطاعيون الذين حولوا العبيد الى أقنان في ظل أوضاع اجتماعية صارت أفضل قليلاً ونمط انتاج غدا أنعم قليلاً بفضل إضافة صورة الاله إليه، أصحاب النفوذ الأكبر والسلطة الأعلى في المجتمع.

ليست سنوات ميلاد النظام الاقطاعي سنوات ميلاد نظام اجتماعي جديد فقط بل هي في الوقت نفسه سنوات تشهد ظهور الأبطال والشخصيات الجديدة. ونظراً لأن دعاة المرحلة الجديدة هم رجال الدين في معظم الأحيان فإن الأبطال هؤلاء يبرزون على المسرح بوصفهم أنبياء في الاسلام وقديسين في المسيحية ورهبان في البوذية. وهؤلاء أنفسهم او من جاؤوا بعدهم هم الذين يبذلون أكبر الجهود في الدفاع عن المجتمع وفي تطوير المجتمع الجديد وازدهاره كما فعل الخلفاء الراشدون في الاسلام، والقديسون مع الكرادلة والقسس في المسيحية، والرهبان في الديانة البوذية. إن هؤلاء هم في الوقت نفسه النخبة والمنظمون الذين يبحث المجتمع عنهم ويرتبط بهم ويبادر الى الحركة من خلال الالتفاف والانتظام حولهم. وهؤلاء الأبطال الذين يقومون بدور الطليعة في طريق الثورة لابد لهم من ان يدخلوا في صراع عنيف ودؤوب مع النظام القديم. فطالما ان معايير القيم الأساسية للنظام القديم ومقاييس تفكيره محددة بالدين فلابد من الانقضاض إذن على الديانة القديمة وتمزيق الديانات التي تؤله البشر او تقول بتعدد الآلهة لاحلال الأديان الشاملة والكونية العامة محلها. إن عيسى المسيح ينزل من المساء ولكنه يظل مع ذلك محتفظاً بموقع سماوي الى حد ما. غير أن الصفة البشرية

الانسانية للمسيح أكثر وضوحاً مهما كانت العلاقات بينه وبين الرب وثيقة . وبالشكل نفسه ليس محمد هو الآخر إلهاً بل انسان، بشر، غير أنه رسول الاله وممثله او سفيره على الأرض. وبسبب كونه نبياً يستطيع أن يتحدث مع الاله بدون واسطة بين وقت وآخر. هذا كله ليس الا تعبيراً عن مصارعة المفاهيم الدينية القديمة. فالصراع بين القديم والجديد ينعكس بصورة رمزية في الصراع بين الدين القديم والدين الجديد، بين ملوك وأصنام القديم وإله الجديد الذي انسحب الى السماء. غير ان هذا الصراع لاينتهي عند حدود تحطيم الأصنام الموجودة في الكعبة بل يتجه أساساً الى جذور النظام العبودي وأصوله. فالأديان والأنبياء يصرحون علناً أنهم ضد العبودية ويحاولون التأثير على الجماهير من هذا المنطلق. إن سلوك محمد في هذا المجال بالغ الوضوح على سبيل المثال. هذا وينعكس هذا الصراع المتفاقم في سائر الميادين بين القديم والجديد في الميدان السياسي أيضاً. وفي أثناء هذا النضال يقتل العديد من مبدعي الجديد وصناعه بالذات، كما يجري صلبهم او إجبارهم على الهجرة. غير أن الجديد، لأنه جديد ولأنه يمثل هذا الجديد ويعمل على تطوير المجتمع، يستطيع رغم ذلك كله ، أن يتابع النضال حتى يلحق الهزيمة بالقديم. وبعد ذلك يتم تجاوز النظم البالية والشخصيات المتحجرة للقديم ليظهر المجتمع الجديد على مسرح التاريخ بكل بهائه وعظمته مع خلفائه الراشدين وحوارييه. لقد غدا تياراً عنيفاً يستحيل الوقوف في وجهه ما يجعله قادراً على احتواء العديد من حكام النظام القديم وملوكه وضمهم الى جيوشه المندفعة بقوة. وهكذا تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ البشرية هي تلك المعروفة بالمرحلة الاقطاعية.

إن مرحلة النظام الاقطاعي هي المرحلة التي شهدت ترسخ قواعد الديانة الكونية أكثر من أي وقت آخر، وارتباط الانسان، على هذا الأساس، بالعوالم الأخرى بشكل لم يسبق له مثيل. وفي هذه المرحلة يمكن الحديث عن قدر معين من التطور في شخصية الانسان وان لم يكن هذا التطور جذرياً تماماً. ففي المجتمع الاقطاعي ولاسيما خلال فترات الأزمة تتم الاطاحة بالعديد من الرموز التي تمثل العبودية وتعيق تطور الشخصية الانسانية غير ان المجتمع الطبقي

يبقى هو هو ولايتغير إلا في المستويات العليا. ولدى التخلي عن الآلهة البشر والوصول الى الاله الذي لايشبه الانسان، والذي يمثل قوة فوق انسانية وفوق طبيعية، يبدأ الناس هذه المرة يعيشون في ظل الأسر العام لهذه القوة غير المرئية والتي رفعت وعظمت الى أقصى درجات الرفعة والعظمة. ومثل هذا الوضع يؤدي بالضرورة الى ضمور وتراجع شخصيات هؤلاء الناس. فالمؤمن ليس إلا قناً، أي عبداً عاماً رغم اختلافه الكبير من حيث المكانة عن العبد القديم. إنه مرتبط بقدره دونما اعتراض، وراض بالنظام الجديد كما هو. وبوضعه هذا يكون عضواً نموذجياً في الية النظام. وهذا العضو النموذجي يظل، طوال قرون عديدة في الاسلام مثلاً، يتعبد ويصلي ويرى النظام الاقطاعي نظاماً مشروعاً. ويؤمن بأن الخلاص النهائي لن يكون في هذا العالم بل في الدنيا الآخر. يتحاشى الاقتراب من أموال الأغنياء لأنه يعتبر ذلك حراماً. وهكذا تحت صياغة مثل هذه القواعد الصارمة والحازمة مما مكن النظام الاقطاعي من ان يضمن بقاءه واستمراره مع خلق نماذجه الخاصة من الشخصيات والقوى الدافعة. ان المجتمع في ظل النظام يكون قد بدأ هذه المرة مسيرة تطور أخرى خاضعة لهذا النوع من الاطار او الشكل .

هناك أنبياء وخلفاء وقادة وفنانون ومفكرون كبار وعظماء هم صانعوا المرحلة الجديدة. وهم يقولون المجتمع من خلال احكام القيم التي يطرحونها باستمرار أكثر فأكثر حتى تغدو العظمة كامنة في تبني واتباع تلك الأحكام وتطبيقها بأفضل الأشكال. ان عظمة المجتمع الاقطاعي تنمي ايضاً امكانية التطور لدى الشخصيات. لم يعد المؤمن او القن شبيهاً بالعبد. فقد غدا دينوناً أكثر، غير ان دينونته هذه تظل محدودة. فالقن مرتبط بالأمير الاقطاعي وبالمزرعة الاقطاعية، وحين يتغير الأمير يغير هو ايضاً متبوعه. من الواضح ان الشخصية في هذه المرحلة ايضاً تابعة وخاضعة الى حد كبير. فالقن يبقى مسوقاً بأحكام الدين وقوانينه المنتشرة بشكل واسع في ميدان الفكر، وبسوط الأمير الاقطاعي الحاضر والجاهز دوماً في مجال الممارسة

والسلوك العمليين. يلعب السيف والسوط من جهة ورجل الدين من الجهة الثانية دوراً أساسياً في تكون الشخصية. فالنظام يتابع بقاءه بالاستناد الى هاتين قوتين.

في إحدى نقاط تطوره يصبح المجتمع الاقطاعي، تبعاً للقانون الذي يحكم العلاقات القائمة بين القوى الانتاج وعلاقات الانتاج، حجر عثرة في طريق التطور الاجتماعي. وعندما يصبح عائقاً بهذه الصورة تتفجر أزمة جديدة في المجتمع. أما المرحلة اللاحقة لهذا التطور الاجتماعي نتيجة حل الأزمة بما يخدم مصلحة القوى التقدمية فستكون مرحلة الرأسمالية التي نعرفها عن كثب. إن تعرض المجتمع الاقطاعي للأزمة، وخصوصاً بالشكل الذي تحقق في أوربا، معروف لدى الجميع بشكل ملموس ومشخص. فمن زاوية كونها تمهد الطريق الى آخر المجتمعات الطبقية تتسم أزمة المجتمع الاقطاعي التي ستؤدي الى ظهور هذا المجتمع الطبقي بالعديد من السمات الخاصة بها. فمع انهيار النظام الاقطاعي تولد الطبقة الحاكمة الأخيرة للمجتمع الطبقي الأخير، وبالتالي فإن هذه الطبقة ستصر على اقناع الناس بأنها أبدية. وكما ان عظماء وأبطال بداية النظام العبودي يعتبرون أنفسهم أزليين وأبديين ويزعمون بأن:(هذا هو نظام التطور الوحيد)، كذلك يبادر منتسبو هذه الطبقة الحاكمة الأخيرة، الرأسمالية، الى الزعم بأن طبقتهم خالدة. وكما ان الأبطال الأوائل كانوا يتحدثون باسم المجتمع الطبقي الأول، كذلك سيظهرأولئك الذي سيتحدثون للمرة الأخيرة باسم المجتمع الأخير. ومن الطبيعي ان هؤلاء سيكونون، بهذا المعنى، عظماء يتحدثون باسم الانسانية ككل زاعمين أنهم جاؤوا بقوانين ثابتة وبآراء خالدة وبمبادئ راسخة وأبدية.

إذا أمعنا النظر في هذا التطورات التي تتم في احشاء المجتمع الاقطاعي فإننا نستطيع ان نفهم شخصيات آخر المجتمعات الطبقية بشكل أعمق. وقد تجلت هذه التطورات بأفضل صورها في أوربا في القرن الخامس عشر وما بعده. ففي أوربا تلك الفترة الزمنية يكون المجتمع الاقطاعي في مأزق عميق متعرضاً لسلاسل طويلة من الأزمات الكبرى. أما النظام الاقطاعي

فيكون قد تم تجاوزه من نواح متعددة مما جعله عاجزاً عن إدامة المجتمع وتطويره. وبعبارة أوضح تكون أوربا مضطرة لأن تعيش مرحلة لايسمع فيها الا قرقعة السيوف في المعارك العقيمة بين الفرسان، حيث الجميع يريدون أن يؤمنوا متطلبات حياتهم عن طريق النهب واللصوصية. ان هذه المرحلة هي مرحلة الصراعات العنيفة جداً بين الفرسان والنبلاء بالاستناد الى مستوى انتاجي معين تحقق بشكل محدود. وكما هو واضح فإن الأزمة تشتد وتتفاقم في أوربا أكثرمن أي مكان آخر. وذلك يبين سبب ظهور أكبر الجهود والمحاولات الرامية الى خلق المجتمع الجديد في هذه البقعة الجغرافية ايضاً. وفي تلك الأثناء تكون بلدان الشرق وآسيا مازالت تعيش مرحلة نضج النظام الاقطاعي الذي يفرض نمط انتاجه على المزيد من الساحات ويتوسع هنا وهناك بدلاً من التعرض للأزمات كما في بلدان أوربا. غير أن الفوضى، مقابل ذلك، هي السائدة في أوربا كما أشرنا سابقاً؛ فالمجتمع يتفسخ ويتحلل ويتمزق بكثير من الشدة والعمق. وكواحدة من نتائج تلك الفوضى او الأزمة تندلع حروب الفرسان المعروفة ويغرق المجتمع كله في بحر من العنف والصراعات الدموية الرهيبة.

من الواضح أن أجواء الفوضى التي تهز المجتمع من أعماقه لايمكنها أن تدوم الى ما لا نهاية. فالأزمة التي ظهرت نتيجة التطورات والتحولات العميقة في البنية التحتية اذ تجر المجتمع الاقطاعي الى الشلل، الى المأزق الذي لامخرج له تجعل الطبقة الاقطاعية في الوقت نفسه عديمة الفائدة. ان النظام الاقطاعي الذي ولى زمانه وصار حجر عثرة في طريق تطور المجتمع والطبقة التي تدافع عنه وتحميه يضطران لأن يخليا مكانهما لطبقة جديدة صاعدة. ذلك لأن وسائل الانتاج الموجودة في مثل هذا الوضع تكون بعيدة عن إمكانية تأمين تطور الانتاج وتقدمه مما يفرض حدوث تطورات جديدة في التكنيك. وفي الوقت نفسه يغدو الدين وحده عاجزاً عن إخضاع المجتمع مما يجعل أمر تطوير الافكار الجديد ولاسيما الفلسفة قضية ملحة بقوة. وهذا بدروه يستلزم تقديم تفسير العالم والكون تفسيراً علمياً. باختصار نقول ان التمزق

والانحلال والفوضى التي يتعرض لها المجتمع الاقطاعي قد أوصلت المجتمع الى عتبة ثورات البرجوازية.

بادئ ذي بدء تجد عملية الانتقال من الاقطاع الى الرأسمالية تعبيرها في عصر النهضة الذي يشهد تطوراً عاصفاً في مختلف مجالات الفلسفة والعلوم والفنون والثقافة والآداب. وتتجسد معارك النضال ضد الاقطاع في الأفكار الجديدة المطروحة في ساحة الفكر قبل كل شيء، وخصوصاً في الهجوم على الدين المهيمن على عالم الفكر – وعلى الدين المسيحي تحديداً. ويظهر هذا النضال على المسرح إما بوصفه إلحاداً مكشوفاً وانكاراً للدين ودوره أو على شكل احداث الاصلاحات في الديانة المسيحية والانحراف الى مذاهب مختلفة معارضة للكنيسة الاصلية كاللوثرية والكالفنية. وقد جرى إيضاح السبب في كراس :(ماهي الايدولوجيا والسياسية، وكيف ظهرت الى الوجود؟) على النحو التالي : (... نظراً لأن التعصب الديني والبنى الاقتصادية الجامدة والتكنولوجيا المتخلفة سدت الطريق على ولادة الايديولوجيات المغايرة فقد تجلى الصراع بين الظالمين والمظلومين بين المستغلين والمستغلين (بكسر الغين وفتحها) في العصر الوسيط على شكل صراعات مذهبية وطائفية فقط. (فحتى البرجوازية التي بدأت تنمو وتتطور بعد ظهورها كطبقة جديدة اضطرت في البداية أن تخوض نضالها ضد النظام الاقطاعي على شكل طائفي أو مذهبي . إن مختلف المذاهب الطائفية كالبروتستانتية في ألمانيا والانجليكانية في انجلترا والكالفنية في فرنسا لم تكن إلا مذاهب مسيحية معدلة بما يتفق مع مصالح البرجوازية .) ومع استمرار النضال ضد النظام الاقطاعي الذي بقي واقفاً بالاستناد الى الدين استناداً كلياً تتطور التيارات الفلسفية خارج الدين بزخم أكبر وتبدأ بتعزيز مواقعها. هناك فترة تشهد انتقالاً نشيطاً من الدين الى الفلسفة، مع زيادة تأثير الفلسفة باستمرار. ومثل هذا التطور يعتبر تطوراً طبيعياً تماماً. ذلك لأن البرجوازية مضطرة لأن توجد ايديولوجيتها الخاصة مقابل الدين الذي هو الناطق الايديولوجي باسم الاقطاع. وتشهد هذه المرحلة أيضاً تطوراً كبيراً وسريعاً في سائر العلوم وميلاد التيارات الفلسفية الجديدة والمختلفة

على الرغم من رجعية الاقطاع ومحافظته الشديدة. نظراً لأن البرجوازية معادية للنظام القائم فإنها تستند الى هذه التيارات الفكرية العلمية وتسجل نجاحات كبيرة وحاسمة في هذا الميدان. وفي الوقت نفسه تبدأ عملية تجاوز سريعة لسائر المعايير القديمة في ميادين الفن والادب والموسيقا والهندسة المعمارية كما أن كل اختراع او تطور في أي من هذه المجالات يدخل التاريخ مع اسم صاحبه الذي يحتل مكاناً مرموقاً على صفحات التاريخ؛ مثل ليوناردو دافينشي في الرسم؛ بيتهوفن وموزرات في موسيقا؛ لوثر وكالفن في الدين؛ ديكارت وكانت وسبينوزا في الفلسفة على سبيل المثال لا الحصر. وقد ظهرت هذه الأمثلة بأعداد كبيرة في كل المجالات حتى أن المجتمع الطبقي الأخير هو من صنع هؤلاء الأبطال الذين ساهموا بابداعهم واختراعاتهم العظيمة بمقدار ماكان هو نفسه مساهماً في خلق الأجواء التي ساعدت أولئك في عملهم الابداعي. وفيما كان العلم ينتشر ويتطور أكثر فأكثر وتظهر سلسلة من الاختراعات والاكتشافات العظيمة عند نقطة ميلاد النظام الرأسمالي التي كانت نقطة انعطاف حادة، ظهر بالمقابل وبالشكل نفسه عدد كبير من الدهاة والعباقرة الذين لعبوا أدواراً هامة في تطور تقنيات الانتاج .

إن هذه الشخصيات جميعاً هي شخصيات ذات شأن في تدشين عصر جديد وطبعت هذا العصر بطابعها. ومما يجب التأكيد عليه أن البشرية واجهت مرة أخرى، في هذه المرحلة بالذات، زمناً يلعب فيه الأفراد دوراً كبيراً في صنع التاريخ وفي سائر الميادين . فأشكال العظمة والشهرة التي لوحظت في ميادين الفكر والفن في البداية تجسدت مع مرور الزمن في تأسيس مختلف المدارس الاقتصادية والفلسفية والأدبية والهندسية المعمارية. ويتحدث انجلز عن عظمة الابطال الذين ظهروا في هذه المرحلة على نحو التالي:

(كانت تلك أعظم ثورة تقدمية شهدتها البشرية الى ذلك التاريخ؛ يالها من حقبة زمنية تطلبت العمالقة وأوجدتهم! لقد كان هؤلاءعمالقة حقيقيين من حيث الحماس وقوة الشخصية، من

حيث الشمولية والاطلاع العلمي الموسوعي. ان الذين أسسوا لهيمنة البرجوازية الحديثة لم يكونوا يعترفون بأية حدود عدا الحدود التي رسمتها البرجوازية. بل وعلى النقيض تماماً فإن الطبيعة المغامرة للمرحلة كانت تؤثر عليهم بقدر أكبر او أقل. يندر أن نجد بين رجالات تلك الأيام من لم يقم بسياحة واسعة، من لايتقن أربع لغات على الأقل، من لم يشتهر في عدد من المجالات. فليوناردو دافنشي لم يكن رساماً فقط بل عالم رياضيات وميكانيكياً ومهندسا كبيراً في الوقت نفسه. فالعديد من فروع الفيزياء مدينة له بسلسلة من اختراعاته الهامة. أما البرخت دورز فكان رساماً ونقاشاً ونحاتاً ومهندساً معمارياً، فضلاً عن أنه توصل الى نظام خاص به من حيث معظم الأفكار التي استند إليها في موضوع بناء التحصينات والأستحكامات. فقد تم تبني أفكاره من قبل مونتالمبرت وعدد من المهندسين الألمان الحديثين المختصين في بناء التحصينات بعد وقت غير قصير. كما أن مكيافيلي كان رجل الدولة، مؤرخاً وشاعراً إضافة الى كونه كاتباً عسكرياً بارزاً وملفتاً للنظر في زمانه في الوقت نفسه. أما لوثر فلم يقف عند حدود تطهير حظائر أوغياس في الكنيسة، بل قام ايضاً بتطهير حظائر أوغياس أخرى في اللغة الألمانية ايضاً، وأوجد النثر الألماني الحديث، كما كتب كلمات النشيد الذي كان بمثابة مارسييز القرن السادس عشر والمفعم ايماناً وثقة بالنصر. كما كان وضع ألحانه. لم يكن أبطال تلك الأيام قد صاروا بعد أسرى تقسيم العمل الذي نشهده كثيراً في زماننا والذي أفرز آثاراً فتحت الطريق الى أحادية الجانب والمحدودية لدى الذين جاؤوا بعدهم. ولكن الصفة المميزة لهؤلاء تبقى متركزة بشكل خاص في أن الأكثرية الساحقة تابعت نشاطها في المرحلة التي كانوا يعيشون فيها داخل الحركات العصرية في إطار معارك النضال العملي؛ فقد حددوا مواقعهم بوضوح، كلاماً وكتابة حيناً، وبالسيف حيناً آخر، ومن خلال الجمع بين الأثنين والاندفاع بهما الى ساحات النضال في أكثر الأحيان. إن السبب الذي جعلهم رجالاً كاملين هو الشمولية وقوة الشخصية. إن العلماء المقطوعين عن الحياة الفعلية نادرون. فالذين

ينقطعون عن الحياة لن يكونوا إلا اشخاصاً من الدرجة الثانية بل والثالثة، أو اناساً ضيقي الأفق بالغي الحذر يترددون إزاء الاقدام على أبسط الاعمال.)

إن الشخصيات وآيات العظمة التي ظهرت في عصر ميلاد البراجوزية هي ذات أبعاد لامثيل لها بالفعل. غير ان هذا وحده ليس كافياً للخروج من الأزمة ولتوفير إمكانية إنهاء المجتمع الاقطاعي المتعفن الذي غدا رجعياً بالياً. ولهذا السبب فإن البرجوازية بوصفها الطبقة التي تمثل المجتمع الجديد تكون مضطرة لأن تنقل ساحة الصراع إلى الميدان السياسي مع مرورالزمن. فمع تنامي قوة البرجوازية وخصوصاً في المجال الاقتصادي المعادية للنظام الاقطاعي في إطار المجتمع ومع تحول المجتمع الاقطاعي وطبقته الحاكمة الى أشياء لاضرورة لها، يجري نقل النضال من الساحة الايديولوجية الفكرية والفنية الى الساحة السياسية، مما يؤدي الى بروز الأفكار السياسية على السطح. وفي البدء تجري مناقشة موضوع الدولة: ماهي الدولة؟ أي شكل من أشكال الدولة تلائم البرجوازية أكثر من غيرها؟ كيف السبيل الى تغيير الدولة القائمة؟ ومع مرور الزمن تؤدي الافكار السياسية إلى نشوء التنظيمات السياسية الجديدة التي يجري خوض النضالات السياسية المكثفة من خلالها.(خلافاً لحال الطبقات الحاكمة الأخرى تبادر البرجوازية الى تطوير نضالها السياسي على شكل نضال حزبي. ما كانت البرجوازية قادرة على تحقيق نضالها هي من خلال انتفاضة مباشرة ضد الحكام الاقطاعيين الذين كانوا يجسدون سائر تفاصيل ودقائق الادارة المتوفرة لدى الطبقات الحاكمة. لذا كان لابد لها من أن تعيش مرحلة تمهيدية طويلة استعداداً للسلطة على قاعدة راسخة من العمل الايديولوجي والتنظيمي. وبمقدار ما استطاعت البرجوازية أن تحول قوة الفكر الى قوة ايديولوجية وهذه الأخيرة الى قوة سياسية عبر تطوير نضالها الحزبي خلال سنوات طويلة، وأن تقنع حلفاءها بضرورة الثورة، نجحت في الاطاحة بالنظام الاقطاعي .)

إن أدوات النضال السياسي لدى البرجوازية هي الأحزاب البرجوازية. ومن خلال إقامة هذه الاحزاب توجت البرجوازية نظرتها المختلفة الى العالم بتنظيمها المختلف. إن البرجوازية طبقة تثق بنفسها ثقة لا حدود لها، تجد ذاتها ذات شخصية وتمثل قوة الشخصية في كل الميادين. ما عادت تقف عند حدود مطالبة الملك الاقطاعي بحقوقها، عند حدود المطالبة بمجالات أوسع لها بل صارت تريد تحقيق النصر وان تصبح مسيطرة بعد تصفية النظام الاقطاعي وإزالته من الوجود. ولهذا فإن البرجوازية مضطرة لأن تتوج الثورة السياسية بالنصر.

من الواضح أن انتصار الثورة السياسية يعني انقطاعاً نهائياً وكاملاً عن المجتمع الاقطاعي وتمكين المجتمع البرجوازي من فرض سيطرته الكاملة . لا شك أن الثورة السياسية تكتسب مزيداً من الزخم وتنتشر بشكل أوسع في مرحلة الأزمة غير أن الانتصار يبقى حدثاً ينطوي على العنف. ذلك لأن ماهو مطروح في جدول الأعمال يتضمن هدم الماضي بشكل لا يعرف الرحمة وبناء المستقبل بأسلوب ينطوي على الكثير من العذاب وبالشكل الذي تم به هدم الماضي تماماً. تظهر في مرحلة الثورة وفي مجال النضال السياسي شخصيات كبيرة وهامة. وقد ظهر في كل من فرنسا وانجلترا بشكل خاص عدد من الرموز السياسية الكبيرة التي طبعت مسيرة الثورة بطابعها. فأيديولوجيو الثورة البرجوازية الديمقراطية الفرنسية مثل فولتير، دانتون وجان جاك روسو مازالوا حتى يومنا هذا على كل لسان وقد ارتبطت أسماؤهم بالثورة بوصفهم رموزاً بارزة. لقد لعب المبدعون في سائر ميادين الفكر والفن والسياسة دوراً حاسماً فعلاً في تكون المجتمع الجديد، أي المجتمع البرجوازي. وفي أشخاص هؤلاء نجد كلاً من المثالية البرجوازية والاطلاع الفني وإتقان العمل السياسي مجتمعة.

إضافة الى الشخصيات العظيمة التي توجدها البرجوازية في سائر الميادين، تبرز الى الوجود رجالات دولة كبار قادرون على متابعة السلطة البرجوازية. ففي فرنسا التي عاشت أبهى صور الثورة البرجوازية الديمقراطية ظهر العديد من المنظرين والمحرضين الكبار الذين تركوا بصماتهم

على مجرى الثورة واستنهضوا الجماهير وجروها وراءهم. إن هؤلاء الرجال الذين مارسوا الارهاب ضد كل مايمت بصلة الى الماضي، وأطاحوا بالملوك لارسالهم الى المقصلة، وعاشوا حرباً ضروساً ضد كل ما هو قديم، هم الأشخاص الذين احتلوا على القمم في الثورة البرجوازية الفرنسية. وفي انجلترا ايضاً هناك أبطال بلغوا أعلى المراتب في أثناء الصراع بين الجديد والقديم بشكل لايعرف الرحمة وعلى أساس تدمير كل ما هو قديم وماله صلة به.

أما بعد ان تتكلل الثورة بالنجاح فإن البرجوازية تبادر الى ضمان النظام الاقتصادي الذي لايشكل صعوبة كبيرة. وهكذا فإن الثورة بأيدي البرجوازية تتجه نحو مثل هذا النظام. غير أن الثورة تبقى مملوءة بالتناقضات. فمجتمع المستقبل ينطوي هذه المرة على تناقض من نوعية اخرى؛ إن التناقض القائم بين البرجوازية وحفارة قبرها البروليتارية يتجلى للمرة الأولى في أثناء الثورات البرجوازية . فمطالب البروليتاريا التي تتجاوز مصالح البرجوازية تطرح خلال هذه الثورات كما تجري محاولات لمتابعة الثورة رغم أنف البرجوازية. ان الممثلين الأوائل للتحرير النهائي للبروليتاريا يظهرون، ولو بشكل جنيني وضعيف، في أثناء هذه الثورات كما ان بشائر النضال التحرري لسائر المسحوقين والمظلومين تظهر هي الأخرى في اثناء هذه الثورات.

وفي مواجهة هذه الأخطار تسارع البرجوازية الى إطلاق الشعارات الداعية الى (النظام) وتخضع الثورات التي لاتعرف القيود والقواعد لجملة من الضوابط والنظم محاولة بذلك ضمان الاستقرار لنظامها هي. وعلى هذا الأساس يتم بناء الجمهوريات البرجوازية الدستورية التي تضمن الديمقراطية البرجوازية المعروفة أي دكتاتورية الطبقة البرجوازية. ففيما توفر الجمهوريات البرجوازية كل اشكال الديمقراطية للبرجوازيين، تمارس الدكتاتورية على الشعب بأسره. من خلال هذه التدابير مجتمعة يتم تقليم سائر أشكال التطرف في النظام القائم. وفيما يجري القضاء على اشكال الفوضى وللامبالاة النابعة من النبلاء والأمراء وأمثالهم في الأعلى، وصولاً الى تصفية تخريب أولئك وعدم انضباطهم وعقمهم ؛ اي فيما تجري عملية تحويلهم

الى برجوازيين من جهة؛ يتم من جهة ثانية إنزال الضربات القوية مع اتباع أعنف أساليب القمع بالانتفاضات والمطالب التي لاتعرف الحدود الآتية من تحت، اي من المسحوقين والبروليتاريا وصولاً الى إخضاعهم للنظام الصارم. وبالشكل نفسه تتعرض روح التمرد والعصيان التي ظهرت في أثناء انهيار المجتمع القديم والتي تريد ان تتابع وجودها في المجتمع الجديد ايضاً للقمع الشديد وللهزيمة الكاملة. وبعد ذلك تكون البرجوازية قد ضمنت النظام البرجوازي بالقوانين التي وضعتها موضع التطبيق في الحياة ورسخت هيمنتها على المجتمع. يتحول البرجوازيون القياديون الدهاة لمرحلة الثورة الى أعضاء منضبطين في الية النظام من جراء إنتهاء عملية فرض الهيمنة البرجوازية على البنى التحتية والفوقية للمجتمع. أما حقوق الانسان الأساسية التي كانت في السابق تطرح على أنها أبدية وخالدة فيجري قلبها الى قواعد ونظم لاتخدم إلا المصالح الضيقة والأنانية للبرجوازية، كما تنقلب المؤسسات التي كان يكثر الحديث عن خلودها ايضاً الى مؤسسات لاتفيد إلا في ضمان المصالح اليومية والملموسة للبرجوازية إياها.

إن إحدى السمات التي تميز المجتمع الرأسمالي عن سائر المجتمعات الطبقية هي أنه المجتمع الطبقي الأخير. وهي لهذا تعتبر نهايتها نهاية للعالم، وتفكر بالطريقة نفسها في مختلف ميادين الفلسفة والفن والاقتصاد السياسي والخ. وفيما تقدم البرجوازية جمهوريتها البرجوازية بوصفها الشكل الأكثر تطوراً والنهائي للدولة، ترى، في الوقت نفسه وبالطريقة ذاتها، الأشكال التي توصلت إليها في الفلسفة والفن والاقتصاد السياسي اشكالاً نهائية وخالدة. من الواضح أن هذه الموقف نابع من رغبة البرجوازية في أن يكون المجتمع الرأسمالي أي المجتمع البرجوازي وحيداً وأبدياً على وجه الأرض، فضلاً عن أنها لا تريد أن ترى أية شخصيات أو قيم جديدة او عظمة أخرى تفوقها هي وتعلو عليها. غير أن الراغبين في دفع الثورة الى مواقع أكثر تقدماً يبرزون كما سبق ان أكدنا حتى في أثناء الثورات البرجوازية مما يوضح بشكل جلي تماماً ومنذ البداية ان التطورات لن تكون بالاتجاه الذي تريده البرجوازية. ومما لا ريب فيه أن على المجتمع

ان يتابع تطوره وأن يستمر في البقاء بعد البرجوازية بدونها. فضلاً عن أن أولئك الذين يريدون دفع الثورة الى الأمام لم يتوقفوا. لقد صار واضحاً تمام الوضوح أن المجتمع الطبقي لم يعد ضرورياً بل ولا بد من اقتلاعه من جذوره ككل وانهائه بالنسبة لمختلف أعضاء المجتمع . فكما استطاعت البشرية ان ترى إمكانية إيجاد نظام أفضل بالاستغناء عن الاقطاعيين والبيكوات وتبرهن عليها بالممارسة العملية كذلك بالتحديد شكلت الكومونات التي أقيمت في أماكن مختلفة والأفكار التي نضجت البراهين الأولى على إمكانية استمرارالحياة بالاستغناء عن البرجوازيين.

وفي ضوء هذه الأفكار بدأت الجماهير المسحوقة تدرك إمكانية بقاء المجتمع بدون البرجوازيين. فبدأت عملية صياغة الايديوجيات وإقامة المؤسسات الرامية الى بناء مثل هذا المجتمع. وهذا الوضع يمهد الطريق أمام البرجوازية لتصبح أكثر محافظة وبصورة أسرع من أية طبقة أخرى. ذلك لأن البرجوازية تجد نفسها، قبل ان تقطف ثمار ثورتها هي، في مواجهة الثورة البروليتارية التي باتت على جدول الأعمال بفضل تطور النضالات البروليتارية. ونظراً لأن البرجوازية هي أكثر الطبقات استغلالاً فإنها تبدأ بأن تعيش أزمات المجتمع الطبقي بصور أبكر. ومن أجل الاطاحة بآخر المجتمعات الطبقية في التاريخ، اي من أجل القضاء على الرأسمالية والبرجوازية، من اجل استعادة الفردوس الذي اقحم في (العوالم الأخرى) من قبل الى الأرض، تبدأ البروليتاريا مع ظهور مرحلة تتصف بالحركة والسرعة بالتململ والتحرك. وفي العديد من المجالات تصبح البرجوازية مهددة بخطر البروليتارية التي تباشر باظهار مدى زيف وعدم كفاية وعدم خلود الشخصيات والمؤسسات التي أوجدتها البرجوازية في العديد من الميادين. فلا تتأخر في إبداع ماديتها الديالكتيكية مقابل الفلسفة المثالية الميتافيزيقية للبرجوازية. وبالطريقة ذاتها تطرح في الساحة ماديتها التاريخية بديلاً لفهم التاريخ والمجتمع لدى البرجوازية، بديلاً للكثير من المفاهيم والأفكار السياسية لهذه البرجوازية. ومقابل مؤسسة الدولة البرجوازية تبدع البروليتاريا مؤسستها الخاصة للدولة والثورة. ومقابل الأحزاب السياسية للبرجوازية تؤسس

البروليتاريا حزبها الطبقي كما تطرح ممارستها العملية السياسية الخاصة في سوق التداول مقابل الممارسة العملية السياسية للبرجوازية. كل هذه التطورات والأحداث تجري بالنسبة لكل من البرجوازية والبروليتاريا في القرن نفسه. هذا وتنضج الظروف الموضوعية لازالة النظام الرأسمالي الذي هو آخر المجتمعات الطبقية من الوجود مع الزمن. من الواضح ايضاً ان المهمة التاريخية لانهاء وجود هذا المجتمع الذي بات بالياً ستقع على عاتق آخر الطبقات المسحوقة التي هي البروليتاريا. ان البروليتاريا التي تتبنى رسالتها التاريخية بهذه الصورة تباشر، كي تتمكن من ان تلعب الدور المنوط بها، عملاً بالغ الصعوبة والتعقيد وتبدأ بعملية صنع النصر خطوة فخطوة بأيدي مفكرين وقادتها السياسين.

ومع حلول عام ١٨٥٠ تزداد الأزمات انتشاراً يوماً بعد يوم في المجتمع البرجوازي. ويتضح أن تلك المؤسسات والنظم التي قدمتها البرجوازية في العديد من المجالات بدءاً بالايديولوجيا وانتهاءً بالاقتصاد السياسي بوصفها مؤسسات ونظم خالدة لا تتغير ليست أبدية قط، بل على العكس تماماً؛ إذ بدأت تهتز وصارت تواجه احتمال نسفها خلال الأزمات. ومقابل ذلك تبدأ حقيقة ان مستقبل البشرية سيكون من صنع البروليتاريا لامن صنع البرجوازية بالترسخ في الأذهان. ومع تطور الأزمة واتساع نطاقتها تفرض الحاجة الى ثورة جديدة نفسها كما تتفجر المعارك الأولى في ميدان الفكر.

وقبل الوصول الى هذا المنعطف يظهر على مسرح التاريخ مختلف التيارات والقيادات البروليتارية التي تهيء على المستوى الذاتي الشروط الأولى لبناء الايديولوجية البروليتارية. فمنذ المراحل الأولى لميلاد الرأسمالية والطبقة العاملة تنمو النوى المستقلة الأولى للبروليتاريا في احشاء الحركات البرجوازية الكبرى. ففي أثناء الاصلاحات والثورة الفلاحية الألمانية يظهر توماس مونتزر، كما يظهر دعاة المساواة ال(ليفلرز) في الثورة الانكليزية، وبابوف في الثورة الفرنسية الكبرى على سبيل المثال؛ ليست هذه الا غيضاً من فيض الحركات والانتفاضات الكثيرة. ان

الانتفاضات البروليتارية التي تتنامى في ميدان الممارسة العملية تكون في الوقت نفسه مصحوبة بتجديداتها النظرية. فالافكار الطوباوية الخيالية تبدأ بالتكون منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر. هذه الشيوعية الطوباوية التي بدأت مع كل من توماس مور وتوماسو كامبلانيلا، والنظريات الشيوعية التي تطورت مع كل من موريللي ومابلي ازدادت قوة ورسوخاً في القرن التاسع عشر عبر أعمال الطوباويين الثلاثة الكبار : سان سيمون (١٧٦٠- ١٨٢٥) ؛ شارل فورييه

(١٧٧٢- ١٨٣٧) ، وروبرت اوين (١٧٧١ - ١٨٥٨).

غير أن البرجوازية تغدو مع حلول القرن التاسع عشر عقبة في طريق تقدم المجتمع لدى انتهاء المرحلة التقدمية للرأسمالية. ومقابل ذلك تنشأ الظروف الموضوعية لوصول البروليتاريا إلى وعيها الطبقي والقاء بمثليها وتفرض ضرورة ان تلعب البروليتاريا دورها التاريخي نفسها على الواقع. وفي هذه الاثناء تهتدي البروليتاريا الى افضل قادتها الطليعيين في شخص كل من كارل ماركس وفريدريك انجلز. ويقوم هذان الانسانان اللذان يندر وجود أمثالهما بخلق الآلية الايديولوجية الخاصة للبروليتاريا بدءاً بعامي ١٨٤٤و ١٨٤٥ من خلال استكمال الاشتراكية الفرنسية المندمجة بالتعاليم الثورية الفرنسية العامة وذلك باضافة الفلسفة الالمانية الكلاسيكية والاقتصاد السياسي الانجليزي إليها.

((توصل ممثلا البروليتاريا إلى الاشتراكية العملية عبر نقد الاشتراكية الطوباوية، إلى الاقتصاد السياسي العلمي عبر نقد الاقتصاد السياسي البرجوازي، ومن خلال نقد الفلسفة المثالية الميتافيزيقية والمنسوجة بالمادية الفجة إلى الفلسفة الديالكتيكية المادية ومنها إلى الفلسفة المادية التاريخية. وصار محتماً أن يقدما المنجزات التي حققاها في سائر هذه الميادين لخدمة البروليتاريا وبالتالي البشرية التقدمية. فارساء الأسس الايديولوجية والسياسية والاقتصادية للمصالح الطبقية للبروليتاريا، وإعداد الشروط الأولى لنضال الطبقة الواعي لاحقاً، وإيجاد

المؤسسات الرئيسية اللازمة لذلك في البنية الفوقية، وإصدار المؤلفات العملاقة في أثناء ذلك كان من نصيب هذين المعلمين منذ ١٨٤٠ وحتى وفاتهما .))

وهكذا تصبح مسألة تطوير الممارسة السياسية للبروليتاريا التي باتت تمتلك ايديولوجيتها على أساس فضح البرجوازية في مجالات الفلسفة والأقتصاد السياسي مسألة حتمية. ومع مرور الزمن تحول البروليتاريا نضالها الاقتصادي الذي طورته في محاربة الرأسماليين المنفردين في البداية، إلى نضال من أجل السلطة يستهدف البرجوازية كلها كطبقة مع نظامها الرأسمالي. وبالانطلاق من التنظيمات الاقتصادية أولاً توجد منظماتها السياسية فيما بعد وتجد هذه البدايات تعبيرها في الرابطة الشيوعية. ومن ثم يتم نشر البيان الشيوعي وتأسيس الأممية الشيوعية. أما قيادة هذه العمليات جميعاً فتكون من نصيب مؤسسي علم البروليتاريا ماركس وانجلز جنباً إلى جنب مع أعداد كبيرة من أبطال البروليتاريا. إن البروليتاريا التي تكمل الضربات التي أنزلتها بالبرجوازية في ميدان الفكر عن طريق تأسيس تنظيماتها السياسية تباشر عملية الاعداد للضربة الاخيرة تمهيداً لدفن البرجوازية في مقبرة التاريخ.

إن البروليتاريا التي تطورت حركتها السياسية بسرعة كبيرة تظهر واحدة من أيات البطولة الخارقة وتصنع كومونة باريس ولم يمض قرن واحد من الزمن على إقامة البرجوازية لسلطتها بشكل حاسم. إن للكومونة مكانة هامة في تاريخ البروليتاريا بسبب كونها مخطط الدولة البروليتاريا الأولى والمبادرة الأولى لاستلام السلطة من جانب البروليتارية بمقدار ماهي ذات أهمية في إظهار صورة البطولة البروليتاريا.

ففي أثناء تجربة الكومونة التي مزقت حدود الديمقراطية البرجوازية أظهرت البروليتاريا أساليب نضالها الخاصة بشكل بالغ الوضوح في معارك المتاريس التي خاضتها وأوجدت نظرية العنف الخاصة بها. ومقابل هذا تفقد البرجوازية عقلها. إن البرجوازيين دعاة الحرية في الأمس القريب ومبدعو البيان العالمي لحقوق الإنسان يظهرون على حقيقتهم في مواجهة هذه التطورات

ويبادرون إلى كشف النقاب عن أن ما دعي بالحقوق العالمية لاتختلف في شيء عن الدين العالمي، وما هذه الحقوق المزعومة إلا تعبيراً عن تدويل مصالح الطبقة البرجوازية وجعلها عالمية. لقد بات واضحاً أن الشخصيات والأفكار التي أبرزتها البرجوازية سواء في الاقتصاد أم في الدولة أم في أي مجال أخر ليست خالدة وأبدية.

وبعد هذا يتركز السؤال الأساسي على قضية الخلاص من الرأسمالية، قضية إدارة المجتمع الخالي من الطبقات، وقضية بناء الاشتراكية وتطويرها. ومع وصول أزمة الرأسمالية مع مرور الزمن إلى مرحلة جديدة أعلى، إلى الامبريالية تكتسب هذه الأزمة أبعاداً أكثر عمقاً مما يؤدي إلى دخول البشرية في عصر الثورات الاشتراكية. تكون الرأسمالية في هذه النقطة قد بلغت أوج تطورها الأقصى ولم يبق لديها أي شيء تعطيه. وفي هذه المرحلة يكون فيها النظام البرجوازي قد وصل إلى حافة الأنهيار والسقوط بفعل الثورة وتتحول البرجوازية إلى طبقة مغرقة في الرجعية. ومن جهة ثانية تكشف البرجوازية – الصغيرة التي ظنت أنها مركز الكون النقاب عن وجهها وتبين حقيقة شخصيتها وطبيعتها الطبقية عبر تولي دور الحَكَم مع قيام البروليتاريا برفع مستوى نضالها ضد البرجوازية.

مع زيادة تفاقم أزمة الرأسمالية الأمبريالية تتعزز إمكانيات إسقاط قلاع البرجوازية الواحد بعد الأخر اثر كل من هذه الأزمات. ومن جهة أخرى يتم وضع نظرية الثورة في عصر الأمبريالية بقلم لينين معلم البروليتاريا العظيم كثمرة من ثمار عبقريته. وتغدو اللينينية دليل عمل لسائر شعوب العالم وللبروليتاريا العالمية بوصفها ماركسية عصر الامبريالية والثورات البروليتارية. وبعبارة أخرى تجد البروليتاريا والشعوب المؤهلة لتحقيق الأنتصار على الرأسمالية الامبريالية حلولاً لسائر المسائل والقضايا النظرية والتنظيمية والتكتيكية والاستراتيجية للثورات البروليتارية بصورة عامة ولدكتاتورية البروليتارية بصورة خاصة في اللينينية. إن القوة القادرة على تنظيم البروليتاريا التي تجسد في شخصيتها الطبقية التحررالنهائي للإنسانية وإفهامها دورها التاريخي

ضد البرجوازية الامبريالية التي زادت محافظة ورجعية هي قوة الحزب البروليتاري المنظم والمسلح بالاشتراكية العلمية. والبروليتاريا التي ترفع من مستوى نضالها بقيادة حزبها تستطيع مع مرور الزمن أن تجعل البرجوازية أضعف بفضل قوتها المنظمة وديسبلينها الفولاذي وعزيمتها النضالية التي لا تحدها حدود. هذا ويغدو الصراع بين البرجوازية وطلائع البروليتاريا حيث الأزمة والتناقضات أكثر تفاقماً، سبباً للانفصال عن الامبريالية في روسيا. وهذا يؤدي بدوره إلى انتصار الثورة البروليتاريا اثر تحطم الحلقة الأضعف في سلسلة الامبريالية وخصوصاً في فترة سادتها الحروب والانحلال. ومع الانتصار الأول للثورة يتم تدشين عصر الثورات كما يكون الطريق المؤدي إلى الاشتراكية، إلى المجتمع الجديد قد فتح بالثورة التي أحدثت الثغرة الأولى في صرح الامبريالية. من الواضح أن هذا الحدث يحمل سلسلة من المعاني في مختلف المجالات. فمع الثورة البروليتارية تظهر ايديولوجية البروليتاريا بشكل نقي وصاف كما تتكشف الشخصية البروليتارية بكل بهائها وعظمتها أمام الأعين . تبدأ البروليتاريا من ثم بعملية فرض هيمنة معاييرها هي في مجالات الحياة الاجتماعية وفي الفنون والأداب وغيرها. أما القيم الأكثر تطوراً وسمواً والتي طرحتها البشرية إلى ذلك التاريخ فتبادر البروليتاريا إلى تطويرها أكثر فأكثر، كما تتجلى الشخصية النضالية بكل جوانبها المختلفة. وهكذا فإن المجتمع الجديد يبرز ممثليه لا في ميدان النظرية فقط بل وفي سائر ميادين الحياة الأخرى أيضاً. إن سلسلة من الشخصيات الكبيرة الجديدة تظهر على المسرح في مختلف مجالات الفكر والسياسية، وفي الشؤون العسكرية، والثقافية، وفي إعادة تنظيم العمل والخ . ففي هذه المرحلة التي تشكل الخطوة الأولى من الطريق الذي يؤدي إلى المجتمع الخالي من الطبقات بعد الاجهاز على المجتمع الطبقي يظهر العديد والعديد من الأبطال البروليتاريين على مسرح التاريخ. قبيل الثورة البروليتارية وبعدها. وفي روسيا أنجبت البروليتاريا مناضلين كباراً وعظماء. إن الانسان العبقري لينين زعيم البروليتاريا العالمية والشعوب المسحوقة وقائدها جميعاً هو مفكر كبير ورجل دولة وسياسة عظيم في الوقت نفسه. بالشكل ذاته تبادر الثورة إلى خلق منظمتها ورجالاتها

العمليين . إن رجالاً من أمثال سفردولوف وستالين يبلغون القمم في مجال التنظيم وأخرين من أمثال بابوشكين يصلون إلى المستوى نفسه في ميدان الممارسة العملية. ومن جهة أخرى تبرز شخصيات كبيرة وعظيمة في ميادين الفن والموسيقا والأدب. ليس غوركي بأعماله الأدبية الخالدة إلا واحداً من هؤلاء العظماء.

نستطيع أن نقول بدون أي خوف من الوقوع في المبالغة إن الثورة البروليتارية أبدعت خلال عملية الانتقال من المجتمع الطبقي إلى المجتمع اللاطبقي عصراً يمكن أن نصفه بعصر الأبطال والبطولات الأخيرة. أن عصراً يتولى فيه الأفراد انجاز مهمات بالغة الصعوبة والتعقيد، عصراً يلعب فيه الأفراد دوراً يؤدونه ويتولون قيادته ويبادرون فيه الى انجاز مهماتهم التاريخية للمرة الأخيرة في الانتقال من المجتمع الطبقي الى المجتمع اللاطبقي؛ ان عصراً كهذا يكون قد حل. ان هذه الشخصيات هي شخصيات تجسد في ذواتها العديد من مظاهر ومؤشرات عملية إعادة بناء المستقبل من جديد. وهذه الشخصيات التي أطلقنا عليها اسم الأبطال البروليتاريين ايضاً تشكل بأفكارها وممارساتها وقدراتها التنظيمية وفنها مرايا تعكس المستقبل كما أنها تلعب دوراً حاسماً بشكل خاص فتترك بصماتها على المرحلة.

إن البروليتاريا تبرز ايضاً عباقرتها ودهاتها في النضال من أجل تطوير العنف الثوري في مواجهة العنف الامبريالي المسعور. ففي مواجهة القسوة اللامحدودة للامبرالية يجري إبداع الفن العسكري او النظرية العسكرية المستندة الى العنف الثوري لدى البروليتاريا والشعوب المضطهدة مما يؤدي الى تصليب وفولذة الطلائع الأولى في هذا المجال في غمرة النضال الثوري. أما نظريات حرب الشعب وبناء الجيش الشعبي والدفاع عن النظام الاشتراكي فتتم صياغتها في النار الملتهبة للنضال. وباختصار فإن البروليتاريا تظهر الى الوجود مطبقيها العمليين الأوائل بمقدار ما تظهر الى الوجود مفكريها الأوائل. ومن جهة أخرى يجري التأكيد من جانب قادة البروليتاريا على الضرورة تطوير العنف الثوري من أجل اقتلاع الحرب من حياة

الانسان أي من أجل ألا يبقى أي مجال للجوء الى القسوة والعنف في المجتمع مرة أخرى، من أجل خلق مؤسسات العنف القادرة على إزالة جهاز الدولة الذي ورثته البرجوازية من الطبقات الحاكمة السابقة. وما من أحد إلا ويعرف ان قائدي البروليتاريا العظيمين ماركس وانجلز بالذات هما اللذان قاما بصياغة عملية انطفاء الدولة وزوالها. ما هذه النظريات جميعها والخطوات العملية التي قطعت إلا خطوات تعبر بوضوح شديد مدى الاحترام التي تكنه البروليتاريا في شخص قادتها للانسانية وللشخصية الانسانية بصورة عامة.

مقابل ذلك نرى أن النظام الرأسمالي – الامبريالي الذي بات محافظاً وصار يشكل عقبة كأداء على طريق تطور المجتمع يزداد رجعية وجموداً مع كل يوم جديد. ليست البرجوازية طبقة مستغلة لا على التعيين بل هي الطبقة المستغلة الاخيرة؛ ولأنها الطبقة المستغلة الظالمة الأخيرة في التاريخ فإن طبيعتها الرجعية والمحافظة هذه تزداد اضعافاً مضاعفة. ولهذا فإن المجتمع الطبقي الذي يظهر الى الوجود متجسداً في شخص هذه الطبقة هي الأكثر رجعية والأشد محافظة بين سائر المجتمعات الطبقية. ونتيجة لهذه السمة التي تميز البرجوازية فإن نظامها الأكثر سعاراً ذلك النظام الذي تقيمه في المراحل الأخيرة من سلطتها البالية هو النظام الفاشي الذي ينظم أكبر المذابح ضد الجنس البشري في التاريخ. لان اللحظة التي ستشهد عملية إلقاء الطبقات الحاكمة في سلة مهملات التاريخ تقترب خطوة فخطوة. ففي مثل هذه اللحظات تتضح عملية تحول البرجوازية الى طبقة مغرقة في بحر مرعب من الرجعية السوداء. وبهذا المفهوم تشكل الفاشية آخر آنماط الحكم الذي توصلت اليه الهيمنة الطبقية الأكثر رجعية.

تزيد البرجوازية الرأسمالية الامبريالية جهودها المعادية للانسانية وتكسبها أبعاداً جديدة مع كل يوم يمر نتيجة السعار الناجم عن مواجهة الانهيار. وكما لو كان عشرات الملايين من القتلى الذين فقدوا حياتهم في أثناء الحروب العالمية التي أقحمت البشرية فيها لم يكفوا، تندفع هذه البرجوازية الرأسمالية – الامبريالية الآن وبجنون واضح في الاتجاه الخطر الذي يمكن أن يؤدي الى

حرب نووية تبيد الجنس البشري، وفي هذا المجال لا تقف عند حدود التنظير لتبرير مثل هذه الحماقة بل تباشر ممارستها العملية ايضاً. ذلك يعني أنها وصلت الى نقطة تهديد البشرية كلها بخطر الفناء التام. إنها تتبع سياسة الابتزاز الدائمة عبر التهديد باثارة حرب عالمية جديدة ضد الشعوب من خلال جهودها المتركزة على ايجاد ودعم النظم الفاشية هنا وهناك. من المؤكد أن الحرب التي تهدد البشرية بها ماهي الا وسيلة لاغراق الشعوب في بحار من الدم وأداة بربرية لتدشين عصر مملوء بالآلام والعذاب ضد الاشتراكية، وضد نضال الشعوب والأمم في سبيل التحرر. مقابل الشخصية الثورية الثابتة والبناءة التي تجسد في كيانها سائر العناصر التقدمية والثورية المتناسبة مع مستوى القوة التي تمثلها، وقضيتها التي برزت على السطح واكتسبت أهمية كبيرة مع ظهور الثورة الاجتماعية، هناك شخصية نقيضة تجسد الروح التدميرية والوحشية للطبقة الحاكمة الرجعية التي بات وجودها مهدداً بالثورة.

وكما أن الشخصيات الثورية تطبع المسيرة بطابعها من خلال ما يتحملون به من مميزات تمثيل المستقبل الاجتماعي وما يقومون به من أعمال في هذا الاتجاه، كذلك هناك شخصية مقابلة هي شخصية دعاة الثورة المضادة وممثلي هذه الشخصية التي تحاول ان تدافع عن بقاء البنية الاجتماعية القومية التي تمثلها وتستطيع أن توفر أكبر الامكانيات لخنق الثورة و ان تستخدم التجارب بأفضل الصور وتركز جهودها أفضل تركيز كما تستطيع اخيراً ان تحقق بعض الانتصارات للثورة المضادة ولو مقابل التسبب في تعجيل سقوطها انهيارها التام.

وهذه الشخصيات القادرة على تمثيل قوة التدمير والافناء لدى الثورة المضادة وصياغتها على أعلى المستويات من السياسة الى الشؤون العسكرية، ومن الفن الى التكنولوجيا تترك بصماتها هي الأخرى على المرحلة نتيجة لمواصفاتها المذكورة.

مثلها مثل الشخصيات الثورية فإن هذه الشخصيات ايضاً هي من الشخصيات التي تبرزها الظروف غير العادية والتي تترك آثاراً عميقة على حياة المجتمع بسبب سلبياتها الواضحة. ان

المجتمع الانساني، منذ المجتمع العبودي وحتى الآن، أوجد مقابل الشخصيات العظيمة التي قامت باعمال بطولية وقدمت مساهمات عملاقة في سبيل تطوره، شخصيات قامت بجهود كبيرة واتبعت أساليب لا تخطر بالبال من أجل اطالة أعمار الطبقات المنحدرة الى هوة الانهيار. هناك العديد من هذه الشخصيات التي وصلت شهرتها الى يومنا الراهن . فسلسلة الشخصيات الممتدة من نيرون وقياصرة روسيا الى هتلر وامثاله كانت شخصيات تجسد كل قوة مجتمع او طبقة محكومة بالانهيار والموت وكل ضعفه وتظهر بصورة عامة عشية الثورات الاجتماعية. غير ان هذه الشخصيات، مهما بلغ مستوى القدرة على التدمير والتخريب لديها، تبقى، بسبب كون القوى التي تمثلها بالية ومهترئة تجاوزها الزمن، عاجزة عن ايقاف او حرف اتجاه تطور البشرية. أضف الى ذلك ان المعارضة الاجتماعية والثورة تحققان قفزة أكبر في مواجهة الثورة المضادة المفضوحة هذه والمتمثلة في تلك الشخصيات المسعورة.

ان الصراع المحتدم بين البروليتاريا والبرجوازية الامبريالية يؤثر ايضاً على مواقع ومواقف الطبقات الوسطى في المجتمع. وهذه الأوضاع غير المستقرة لدى الطبقات الوسطى التي تنحدر أكثريتها الى مواقع البروليتاريا وأن تمكنت أقلية صغيرة منها من أن تتبرجز نتيجة للتدهور المضطرد الذي تتعرض له اوضاعهم الاقتصادية في عصر الامبرالية، تنعكس ايضاً في ايديولوجيات هذه الطبقات الوسطى. إذ تبقى متأرجحة باستمرار بين البرجوازية والبروليتاريا في أثناء الثورة، متنقلة من معسكر الى المعسكر المقابل بغية الخروج من الأزمة بأقل الخسائر. وقد حدد انجلز موقف مثل هذه الشخصية التي تتجلى بأوضح صورها في شخص البرجوازية الصغيرة على النحو التالي:

(إنهم يعلقون آمالاً على الارتفاع الى مستوى طبقة البرجوازية الكبيرة ويخشون السقوط الى حيث البروليتاريا. بين الأمل والخوف يريدون انقاذ جلودهم في اثناء المعارك والاتحاد بعدها مع المنتصر؛ هذه هي سمتهم المميزة).

فيما تكون أكبر قطاعات هذه الطبقات في اثناء الأزمة الاجتماعية متحالفة تحالفاً وثيقاً مع البرجوازية مما يجعلها تلعب دوراً مضاداً للثورة ورجعياً، تبادر القطاعات التي تزداد فقراً الى ان تسير خطوات تقرب بها من البروليتاريا وتأخذ مكانها في صفوف الثورة على الرغم من استمرار ترددها إزاء الدور الطليعي والقيادي للبروليتاريا. غير أن ثورة هذه الفئات تبقى بعيدة عن ان تكون ثورية ثابتة ومستندة الى الايمان العميق. وقد عبر لينين عن الطبيعة المترددة والتي لا تبعث على الثقة الثورية للبرجوازية الصغيرة على النحو التالي :

((.... لقد تقرر عند الماركسيين نظرياً بصورة تامة، وتجارب جميع الثورات والحركات الثورية في أوربا قد أكدت هذا الأمر بصورة تامة، وهو ان المالك الصغير (هذا النموذج الاجتماعي الذي يمثل في كثير من البلدان الاوربية جمهوراً غفيراً للغاية) ، إذ يعاني في ظل الرأسمالية ظلماً دائماً، وغالباً ما تسوء حياته بشدة وسرعة خارقة ويصيبه الدمار، يصاب، من جراء ذلك بسهولة، بالافراط في الثورية، الا أنه غير قادر أن يبدي الثبات والصمود، والتقيد بالطاعة. والبرجوازي الصغير الذي (يتهيج)من فظائع الرأسمالية، هو، كالفوضوية، ظاهرة اجتماعية خاصة بجميع البلدان الرأسمالية. إن عدم ثبات هذه الثورية وعقمها، وقابليتها للتحول سريعاً الى اذعان وخمول وتخيل، وحتى الى شغف (محموم) بهذا او ذاك التيار البرجوازي الذي غدا (موضة) إن كل ذلك معروف للجميع))

مهما ظلت الطبقات الوسطى متأرجحة بين البرجوازية والبروليتاريا في أثناء الثورة فإنها تبقى مهووسة بشق طريق ثالث بينهما رغبة منها في دوام حياة النظام رغماً عن أنف الطرفين. غير أن ذلك جهد لايمكن منها ان يجدي نفعاً. ذلك لان البرجوازية الصغيرة التي تشكل نموذج تلك الفئات الوسطى محرومة قبل كل شيء من القدرة على تسيير السلطة وادارتها. فكما تجلى في مثال روسيا بكثير من الوضوح باءت مثل هذه الجهود بالفشل الكامل. انها جهود رأينا مثلها في العديد من أماكن العالم وقد ظلت جهوداً عقيمة لم تستطيع ان تدوم سوى

عشر سنوات في أحسن الحالات. ان هذه الطبقة العاجزة عن تسيير السلطة وادارتها تبادر بسرعة الى التخلي عنها لصالح البروليتاريا او البرجوازية. وبالتالي يوضع حد نهائي لدورها كمركز للعالم. لأن عصرنا هو عصر صراع بين الأفكار البروليتارية والبراجوزية لابد له من أن ينتهي بالحاق الهزيمة الكاملة بهذه او تلك. ولذلك فإن هذه المرحلة هي مرحلة تتصف بأن الشخصية المتوسطة فيها لاتنفع في شيء وتبقى عاجزة عن أن تحقق أية انجازات ذات شأن. لقد تم الوصول الى عصر يضع حداً نهائياً للشخصية المتأرجحة بين النظاميين والمجسدة للتناقضين كليهما، والراغبة في بقاء الطبقتين معاً، مثلها مثل الشخصية الاعتيادية الممسوخة.

إن العجز الذي تقع فيه الامبريالية لكونها آخر مراحل الرأسمالية اضافة الى التفسخ والاحتضار الذي يتفاقم أكثر فأكثر ينعكس بشكل أقوى وأوضح على الشخصيات. ففيما تساعد ظروف الأزمة على ميلاد الثورة البروليتارية بصورة حتمية من جهة، يؤدي التطور اللا متكافئ واللامتساوي للثورة من الجهة الثانية، الى دوام الأزمة لفترة زمنية طويلة، وبالتالي الى تعمق الانحلال والتفسخ والتمزق الاجتماعي. واضافة الى البرجوازيين الرجعيين نرى ان العناصر التي بقيت خارج المجتمع وعلى هوامشه تبدأ بالتكاثر بسرعة كبيرة. فالنظام البرجوازي ينتج باستمرار جيوشاً من العاطلين عن العمل والسائبين المشردين. والتكنولوجيا الصاعدة، هي الأخرى، تساهم في دفع هذه العملية أكثر فأكثر. صحيح ان البرجوازية تضاعف من سمتها الطفيلية مع مرور الزمن ولكنها مع ذلك تبقى مصرة بعناد على عدم التخلي عن السلطة والحكم. بل وتحاول عند الضرورة ان تطيل عمرها من خلال اللجوء الى الفاشية التي هي الدكتاتورية الأكثر رجعية والأشد ارهاباً والأعنف شوفينية. ان النظام الرأسمالي الامبريالي يغرق في بحر من الصراعات العقيمة وفي أجواء من الفوضى والتشوش. فقبل كل شي ء يتطور ظلام دامس في ميدان الفكر وتشوش هائل في ميدان الفن. كثيرة هي الايديولوجيات المنحرفة الغريبة المختلطة. التي تظهر الى الوجود والتي تبتدى في أشكال العودة الى الدين وفي التيارات الفلسفية الشوهاء والعجيبة والمضللة بشكل لايمكن تصديقه. اما في ميادين الفن

والاخلاق فتصل التشوهات واشكال التعفن الى حدودها القصوى. نستطيع ان نرى الأمثلة الحية على هذه التشوهات واشكال التعفن وبشكل واضح تماماً في سائر ميادين الرياضة والقيم الأخلاقية والموسيقا والخ ..ان العدمية القومية (الكوسموبوليتية) هي التي تفرضها البرجوازية على مختلف هذه المجالات. أما المؤشرات انعدام الشخصية الناجم عن الأزمة فنجدها متجسدة في الهيبة او الانتماء الى هذه الطريقة او تلك. ان واقع انعدام الشخصية والخواء الكامل بالنسبة للمجتمع والفرد في ظل النظام الرأسمالي الامبريالي يغدو منتشراً كانتشار الرجعية التي يتعايش معها ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً. كلما تعايش هذا النموذجان في شخص ممثلي الطبقة الرجعية بشكل خاص اكثر ينموان ويتفاقمان حتى يصلا في النهاية الى مستوى من الجنون بحيث يبدءان بتهديد البشرية بحرب نووية مدمرة.

وباختصار نقول ان الصورة العامة للبنى الاجتماعية في يومنا الراهن هي كما يلي: هناك في صف الأنماط الرجعية الفاشية أعداد كبيرة من الناس المتفسخين المتحللين من الروابط الاجتماعية والمشوهين بلا أهداف، بلا تنظيم، بلا شخصيات من جهة؛ ورجال الفكر عظماء وأبطال ممارسة عملية كبار، وعسكريون دهاة، وفنانون ممتازون، وكادحون أبطال في الانتاج يمهدون لعملية اعادة بناء المستقبل بشكل ناجح في العديد من المجالات، اناس يناضلون في سبيل بناء المستقبل من جديد وفي سبيل تدمير الماضي بعزيمة وقوة كبريتين من جهة ثانية ...

أما الحقيقة الأخرى من حقائق عصرنا فهي حقيقة بروزاليقظة الواسعة جداً لدى شعوب المستعمرات الخاضعة لتحكم الامبريالية ومظالمها. ان هذه الشعوب تهتدي الى هويتها الوطنية والقومية من خلال تحررها من ظلام العصر الوسيط وتحالفها الوثيق مع البروليتاريا واكتسابها الكثير من الوعي في ظل قيادتها السياسية وعبر الاطلاع على الاشتراكية التي انجزتها البروليتاريا اياها. ان مرحلة التي نعيشها هي المرحلة التي تشهد الاستيقاظ الوطني الوطني والقومي

للشعوب وانتفاضتها المتسارعة في سبيل التحرر القومي والاجتماعي وانتصاراتها المتلاحقة. ان عملية المبادرة الى التحرك والسير نحو النصر هي في الوقت نفسه تتزامن مع مرحلة ظهور القيادات الوطنية للشعوب. وفي اثناء هذه العملية يبرز على مسرح التاريخ رجال قياديون في النضال التحرري القومي والوطني من المفكرين والمثقفين والمناضلين العمليين والمنظمين البارزين والخ ... ان الشعوب المسحوقة والمضطهدة اليوم، مثلها مثل الطبقات المسحوقة، قد توصلت الى الايديولوجية القادرة على ايصالها الى التحرر وقد تبنت هذه الايديولوجية بحماس وقوة. كما انها بادرت الى التنظيم في صفوف المنظمات التي تعبر عن مصالحها وتلاحمت فيما بينها بشكل لم يسبق له مثيل وتخوض سلسلة طويلة من حروب المقاومة الاكثر دواماً والأعنف في عصرنا ضد الامبريالية. وفي الوقت نفسه برز العديد من طليعي الحروب التحررية الوطنية والقومية والعبقريات السياسية والعسكرية الشهيرة في اثناء هذه الحروب. ان الشعوب تستعيد، في واقع عصرنا، هويتها وتحتل أمكنتها الخاصة تحت الشمس. ولايتحقق هذا الأمر العظيم للشعوب إلا على أساس الخروج من النظام الرأسمالي الامبريالي والتحالف الوثيق مع البروليتاريا. ان القيادة والبطولة البروليتاريتين تبرزان ايضاً، كما أكدنا من قبل، في نضال الشعوب المسحوقة والمضطهدة. فما اكثر الشخصيات الكبيرة وآيات البطولة التي تبرز في سائر ميادين الفكر والفن والسياسة والشؤون العسكرية واعادة تنظيم العمل!

يمكننا ان نوجز ونقول ان الشعوب استطاعت في هذا العصر بالذات ان تحقق أكبر وأوسع قدر من اليقظة والتحرر في تاريخها كله، كما تمكنت من الولوج في هذا العصر بالذات أيضا في أوسع عملية تشكيل للأمم بعيداً عن التمزق بالاتفاق التام مع متطلبات مصالحها الخاصة ووصولاً الى هويتها القومية عندما أصبحت قضية تحررها قضية نهائية وحاسمة. اضف الى ذلك ان هذه العملية لم تتوقف عند حدود التحرر الوطني والقومي بل سارت قدماً الى التحرر الطبقي حيث صارت قضيتا التحرر كليهما متداخلتين. ولهذا السبب فإن البطولة القومية والبطولة الطبقية متداخلتان. وفي مثل هذه المرحلة التاريخية لا بد من ظهور الشخصيات

الكبيرة التي تلعب أدوراها التاريخية عبر قيادتها للشعوب المضطهدة والطبقات المسحوقة. لقد كان شهود عيان على بروز الشخصيات الكبيرة والبطولات الخارقة في اطار الشعوب الضعيفة والمتخلفة والصغيرة جداً في أثناء معارك النضال وبأعداد كبيرة في كل من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. ان كلاً من هوشي مينه وكابرال وكاسترو وأمثالهم يشكلون نماذج ساطعة وخالدة فرضت احترامها على البشرية بأسرها.

تبادر الشعوب أيضاً في اثناء نضالاتها التحررية الوطنية والطبقية الى خلق أقوى أشكال التنظيم. فالتنظيمات العسكرية والجيوش الشعبية التي يتم ابداعها تسطيع ان تركع الجيوش الامبريالية الأكثر عدوانية ومنظمات العنف الأشد قسوة ولاتعرف الحدود، والحكومات الأكثر رجعية والأشد بربرية وتهزمها وتتجلى معارك نضال المقاومة المجيدة التي تتطور بفضل التضحيات الكبرى التي تقدمها الشعوب في هذا المجال وبفضل البطولات الخارقة التي تبديها هذه الشعوب. ما زالت فيتنام وكوبا وأنغولا وموزامبيق الخ ... التي شهدت أنبل نماذج هذه النضالات حية في الأذهان. وفي يومنا أيضاً نرى أن هناك العديد من معارك النضال المحتدمة على العديد من الساحات وخاصة في امريكا اللاتينية في سبيل التحرر القومي والطبقي. ان هذه الشعوب التي تناضل ضد الامبريالية بمختلف أشكال عدوانها في أقسى الظروف وأصعبها والبطولات تبدعها هذه الشعوب تطبع عملية ارتقاء المجتمع الى مستوى اعلى بطابعها. مقابل هذه الحقيقة الساطعة التي يعيشها العصر، هناك ايضاً حقيقة كردستان التي مازالت تعاني وتتململ في سبيل الوصول الى العصرخ\خح. وفي ضوء هذه النظرية التاريخية التي طرحناها لا بد لنا من تناول الواقع الكردستاني والشخصية الكردستانية ودراستهما. من الواضح أن إلقاء الضوء على كيفية تكون الشخصية النضالية وعلى السمات التي ينبغي أن تتجسد فيها كردستان التي تمر بمرحلة تقوم فيها الشخصية التاريخية بدور حاسم، سيؤدي من جهة الى فهم المهمات التاريخية لهذه اللحظة بشكل أفضل، وسيساعد من جهة أخرى على

تمكين المناضلين الثوريين من تقييم أنفسهم في ضوء هذه المؤشرات ومن رؤية أماكنهم الفعلية كما سيخلق لديهم رغبة قوية في بلوغ المواصفات التي تتطلبها المرحلة.

الفصل الثاني

مسألة الشخصية في كردستان

يعيش المجتمع الكردستاني اليوم واحدة من أسوأ مراحل تاريخه؛ إنه يعيش مرحلة مثقلة بقضايا ومشاكل قومية واجتماعية خطرة لايمكن حلها بأية وسيلة أخرى غير الثورة وبالتالي تطورات يمكن للفرد فيها أن يلعب دوراً حاسماً. نستطيع ان نقول ان الوطن الكردستاني والشعب الكردي هما أكثر الأوطان والشعوب تخلفاً عن وقائع عصرنا وتطوراته ومازالا يعيشان خارج هذه التطورات. وعلى الرغم من هذه الحقيقة فإن فهم القضية بشكل صحيح لم يتحقق بعد ناهيك عن حلها حلاً ثورياً. فضلاً عن أن هناك الكثير من الجهود التي تبذل باستمرار من أجل تشويه انجاز هذه المهمة واعاقتها بأشكال الضغط والقمع. يكاد كل من الوطن الكردستاني والشعب الكردي يكونان من أجزاء العالم وشعوبه المنسية. يراد للشعب الكردي الذي يواجه خطر الذوبان واضاعة الهوية والشخصية، الا يطور شخصيته القومية ليصبح مجتمعاً حراً بالعنف وان يبقى في هذا المجال متخلفاً عن العصر من خلال مختلف

أساليب القهر والظلم. أما الحياة التي تعاش في كردستان على مثل هذا الأساس فهي حياة متخلفة ومتخلفة وبدائية.

هناك اليوم مواقف مختلفة إزاء القضية الكردستانية. فهذه القضية، من وجهة نظر القوى الحاكمة الظالمة، تعتبر غير موجودة ويراد للواقع القومي والاجتماعي الكردستاني أن يذوب في بوتقة بنية تلك القوى الحاكمة القومية والاجتماعية. والسياسات التي تسير بهذا الاتجاه مستمرة بأشكال مختلفة وكثيرة وفي مجالات عديدة وذات تأثير كبير على المجتمع الكردي. أما موقف الطبقات المسيطرة الكردية من القضية فليس مختلفاً كثيراً عن موقف القوى الاستعمارية التركية فضلاً عن كونه بعيداً عن تقديم اي حل لهذه القضية. فهذه القوى مثلها مثل المستعمرين ترفض حتى الاعتراف بوجود مسألة كردستانية وترى الحلول التي يفرضونها والذوبان في اطارها هو الطريق الحل الوحيد. أما من وجهة نظر الفئات المسحوقة والرازحة تحت نير الاستغلال فإن نوعاً من الضيق والتخلف واللامبالاة هو السائد في كل من الفكر والسياسة. فوطأة الضغط والاذابة وشدتهما تركتا آثاراً سلبية عميقة على الأفراد والطبقات والفئات التي ينبغي لها ان تتبنى قضايا الوطن مما جعل من الصعب جداً عليها ان تتوصل الى أي فكر او سياسة مستقلين. إن الموقف الذي كانت هذه الفئات تقفه الى عهد قريب قد تجسد في عدد من المزق الفكرية وبضع حركات سلبية ومستسلمة الى أبعد الحدود من حيث العمل السياسي.

على الرغم من ان كردستان وطناً وشعباً تعيش من الأساس سلسلة طويلة من التناقضات فإن هناك صعوبات كبيرة تقف في طريق ايصال هذا الوضع الى الوعي. لدى النظر الى الواقع الكردستاني من خلال المعايير الرأسمالية او الاشتراكية يتضح ان كردستان هذه تعيش حياة متخلفة جداً عن هذه المعايير؛ ان هناك وضعاً شديد التأخر عن هذه المؤشرات ومن هذا المنطلق فإن هناك تناقضاً صارخاً مع العصر. فمع عدم وضوح حكم العصر بحق هذا الوضع،

مسألة الشخصية في كردستان

هناك موضوعياً استحالة ظهور تيارات العصر القوية بهويتها ونتائجها الفعلية في كردستان، كما ان البنية الاجتماعية الكردستانية المغربة عن واقعها الاجتماعي لا تستطيع ان تندمج بهذه التيارات القوية العصرية، ويغدو من الصعب عليها ان توفق بينها وبين هذه التيارات وصولاً الى تحريكها. وباختصار هناك عجز عن الاستجابة المناسبة للتيار الثوري المتنامي في العصر. فتيارات التحرر الوطني والاجتماعي القوية ظلت الى الأمس القريب عاجزة عن تطبيق محتواها الثوري الحقيقي على الحياة، وهذا الوضع، ادى الى ظهور الأزمة المتفاقمة كثيراً بهويتها الخاصة. ولدى عجز ديناميكيتها الخاصة عن اظهار القدرة الكافية في هذا المجال، فبقيت المقاومة الطبقية والوطنية ضعيفة، لم تنعكس القضية بشكلها السليم حتى على المستوى الفكري فكادت تختفي من الوجود وصارت هذه الحياة المتخلفة كثيراً عن حياة شعوب العالم تبدو وكأنها صارت مقبولة.

من المؤكد ان هذا الوضع لم ينشأ تلقائياً، بل على العكس، هناك أسباب تاريخية وأخرى نابعة من ظروف أيامنا الحالية لظهوره. إن أسباب عدم طرح المسألة بأبعادها الحقيقية وبصورة بناءة بالغة التعقيد والتنوع. ادت عملية تشكل الظروف التاريخية والاجتماعية في ظل استعمار شديد، والتطور الطبقي تحت التأثير الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي لهذا الاستعمار مما أثر بالتالي على تشكل الوعي الطبقي، اضافة الى التبعية المتطرفة ايديولوجياً وسياسياً لكل من الهوية والوعي القوميين الوطنيين؛ أدى ذلك كله الى ظهور نمط بالغ السلبية. ويتضح لدى دراسة الظروف الكردستانية بعمق ان هذا المستوى من الخضوع والتبعية قد أدى الى تكون بنية بالغة التخلف وممسوحة وعاجزة حتى التفكير بمصالح الطبقية والقومية بل والعائلية.

مما لاريب فيه أن الدور الأهم ازاء هذا الواقع القومي والاجتماعي الكردستاني الذي مايزال في مثل هذا الوضع السلبي سيجري لعبة، في البداية، على المستوى الشخصي. فبدون ظهور

شخصيات قوية من حيث وعي المشاكل الصعبة والمعقدة من جهة ومن حيث الانتقال الى الممارسة العملية، الى التحرك الفعال من جهة ثانية يكون من الصعب جداً بالنسبة للأفراد ان يصلوا الى وضع يمكنهم من أن يلعبوا أدواراً حاسمة. أما اذا كان الواقع القومي والاجتماعي للوطن معقداً بصورة استثنائية ولايمكن التعامل معه إلا عن طريق الثورة، فيغدو من الواضح تماماً أن على الشخصية الموجودة ان تظهر على المسرح بوصفها شخصية ثورية قوية. بعبارة أخرى نقول أن تعقد الظروف القومية والاجتماعية الراهنة التي تعيشها كردستان وسلبيتها يستلزمان ان يكون الدور الذي ستلعبه الشخصية التي ستقف في وجه تلك الظروف دوراً أكثر تعقيداً وصعوبة. غير أننا، كما سبق لنا ان أشرنا، مازلنا غير قادرين على الحديث عن الشخصية التي تمكنت من فهم الأزمة بعمق والمبادرة الى الحركة وفق هذا الفهم حتى الآن. فعلى الرغم من وجود ملايين البشر، ومختلف الفئات والطبقات، والعديد من المثقفين بل والثوريين العاديين في هذه البلاد، مازال هناك نقص في ايصال المسألة الى الوعي بشكل كاف، ومازال التناقض مع العصر قائماً.

تكون الشخصيات ذات بنية مستقرة بصورة عامة في المجتمعات والأقوام المستقلة والمتطورة؛ تكون الشخصية الطبقية والقومية ذات أبعاد متطورة. فعلي اساسي بنيوي يعرف الجميع ما يقومون به من عمل وفي خدمة مصالح من يلعبون أدوراهم بما ينسجم مع مصالحهم الاجتماعية والقومية. وبالتالي فان ضرورة ان تتولى الشخصية دوراً قوياً لاتفرض نفسها بكثير من الالحاح في مراحل التطور الاعتيادية لهذه المجتمعات والأقوام. أما في واقعنا نحن فإن الاغتراب والتشويش القوميين الاجتماعيين، وانحدار الشخصية الطبقية والقومية الى أوحال العمالة والتنكر والانحلال أكثر فأكثر بدلاً من تطويرها لأي فكر ايجابي يخصها، قد جعل دور الشخصية يحتل المواقع الأمامية والوضعات الحاسمة في الواقع الكردستاني الملموس أكثر مما هو بكثير في اي من البلدان الأخرى. طالما أن البنية المادية والوقائع الحياتية، اي الشروط القومية والاجتماعية والاقتصادية التي ترتكز إليها الشخصية غير ملائمة الى هذا الحد، فإن

ضرورة التعايش مع هذا الواقع غير الملائم في القطب المقابل، بشخصية قوية، ستفرض نفسها هي أيضاً. ما من وسيلة لتجاوز التخلف على مختلف المستويات الايديولوجية والسياسية والثقافية والقومية وغيرها الا ظهور الشخصيات العظيمة والكبيرة على الساحة. وبهذا المعنى تغذو مسألة الشخصية في كردستان أكثر الحاحاً في كردستان منها في أي بلد آخر.

وفي هذه الحال لابد من الاهتداء الى الدور الثوري الحقيقي للشخصية في كردستان وابرازه الى الوجود كما هو. لابد لنا من كشف النقاب عن المعايير الواجب توفرها في الشخصية الثورية الخاصة بهذه الأرض وبالواقع القومي الاجتماعي المعاش والقادرة على تغيير هذا الواقع بالثورة. إن الضرورة تفرض ظهور شخصية ثورية ذات سمات خاصة بها ونابعة من الواقع الوطني، شخصية تتجاوز بعدد من جوانبها المختلفة سمات الشخصية الثورية التي تظهر في البنية الاجتماعية والقومية لهذا البلد او ذاك من بلدان العالم؛ ان الضرورة تفرض أيضاً تطوير مثل هذه الشخصية المتميزة.

إن نمط الشخصية السائدة الآن في المجتمع الكردستاني هو في وضع يتصف بضعف المشاعر الوطنية ضعفاً حقيقياً. غير أننا مع ذلك نستطيع ان نتحدث عن بعض المشاعر الوطنية المشوهة والمتخلفة او البدائية. وهذه المشاعر لا تتحلى بالوعي وتعاني من تشوهها الشديد من هذه الناحية، إن مختلف أشكال التأثير الإيديولوجي والسياسي للعدو هي الفاعلة الى حد كبير في سائر الميادين الاجتماعية والتنظيمية والعسكرية، مثلا، كما في الميدان الوطني اي ميدان حب الوطن والتعلق به. وبالتالي فإن الشخصية التي تظهر على السطح هي شخصية تابعة، سلبية، مستسلمة وبعيدة عن الابداع والخلق. إنها متغربة حتى عن نفسها بالذات وبشكل مثير؛ تتسم بصفات الجبن والامعية والتصنع والبعد عن المرونة، ليست هذه كلها، بطبيعة الحال، إلا سمات أوجدها الاستعمار الذي دامت هيمنته على المجتمع سنوات طويلة. ان هناك عدداً قليلاً من العناصر الايجابية بين الشخصيات الموجودة عندنا؛ وهذه العناصر

هي بعض السمات الايجابية التي استطاعت ان تتكون في ظل الظروف الطبيعية والاجتماعية الصعبة. غير ان هذه ايضاً أغرقت في الاغتراب الى درجة كبيرة مما أدى الى استخدامها على اساس المصالح المتناقضة فيما بينها.

مقابل هذا النمط السلبي من الشخصية الشائعة في كردستان هناك شخصيات ظهرت كرد فعل على ذلك النمط وتمردت ضده وراحت تطرح نفسها عبر شكليين من التمرد هما التمرد البرجوازي الصغير والتمرد الثوري المؤهل لأن يقدم حلاً للمسألة. إن الرد البرجوازي الصغير يكون من خلال شخصية بوعي منقوص، بوطنية منقوصة، بحساسية ناقصة أي من خلال شخصية غير متطورة من مختلف النواحي؛ يراد ان تجري صياغة شخصية برجوازية – صغيرة نموذجية في مختلف مجالات الايديولوجياوالسياسة والتنظيم والممارسة وموضوعات الابداع والشجاعة والتضحية وما إليها. إنها شخصية لا تختلف كثيراً عن سابقتها التي كانت شخصية خائفة وعميلة،غيرأن الشخصية نصف البرجوازية، البرجوازية الصغيرة التي يراد خلقها في السنوات العشرين او الثلاثين الأخيرة أوصلت هي الأخرى كلاً من العمالة والاستسلامية والتبعية والتوفيقية الى أبعاد جديدة بأساليب ذكية وخبيثة وبشكل أشد سلبية مما هي في النمط القديم. إنها تحمل في أحشائها الكثير من مخلفات العصور الوسطى رغم ظهورها بالأزياء الحديثة. إنها تظهر على خشبة المسرح متخفية وراء قناع ايديولوجي – سياسي حديث رغم كونها غريبة وعاجزة عن التوجه الى الواقع لتناوله وتغييره بأسلوب ثوري. وبسبب سعيها لأن تظهر على غير حقيقتها، تلعب دوراً بالغ الخطورة في النضال التحرري القومي والاجتماعي. غير ان خطرها هذا لايلفت النظر لأنها تغطى وجهها الحقيقي بالأقنعة الحديثة مما يزيد الخطر اضعافاً مضاعفة. إن النمط الذي لابد من تجاوزه بشكل كامل بشكل في كردستان، هذا النمط الحقير والتافه جداً. الذي يقف في طريق النقد الثوري. في طريق الممارسة والشخصية الثوريتين، هو هذا النمط من انعدام الشخصية البرجوازي الصغير في الظروف الحديثة وتحت اقنعة جديدة تغطي الاستسلام والخنوع والعمالة. وكما هو معروف

فإن هذا النمط يراد له ان ينتشر ويتطور مثل مرض حقيقي بهذا الشكل او ذاك في سائر أجزاء كردستان تقريباً. ومعروف ايضاً ان هذا النمط يسعى بالتدريج لتنظيم نفسه وصياغة برنامجه الخاص ووضع سياسة تتلاءم مع سماته الخاصة. لابد من نقد مساعي هذه الأنماط التي تتجه اتجاهات خطرة جداً في موضوع القيادة بشكل خاص وتريد أن ترسخ القيادة الرجعية ليقظة الانسان الكردستاني العصري ولنضاله التحرري القومي على أسس ثورية، لاحلال الممثلين الأنقياء والمنتجين للفهم والممارسة الثوريين محلها. ان هذه واحدة من المهمات التي يكتسب انجازها أهمية كبيرة. غير أن هناك حقيقة لابد من الاشارة اليها هي أن جعل الاستعمار أخف قليلاً باتباع الاساليب العصرية المتطورة وجعله مقبولاً الى هذا الحد او ذاك فضلاً عن امكانية تجاوز بقايا العصور الوسطى بطريقة التطور البطيء والاصلاحات بعيداً عن أسلوب الثورة، باتت مستحيلة التحقيق لأنها فقدت الأساس المادي. لقد صارت الاصلاحية عاجزة تماماً في كردستان اليوم. ونتيجة لوصول الجهود الاصلاحية الى طريق المسدود في الظروف الراهنة للعصر وفي الواقع الكردستاني بعد أن أصبحت محرومة من جميع فرص النجاح فإنها لاتشكل خطراً كبيراً، ولكنها، مع ذلك، تستطيع ان تؤدي الى محاذير جدية وأخطار ماثلة وخصوصا من جراء اصرارها على موضوع القيادة لأنها بعيدة كل البعد عن المواقع القيادية والشروط التي تؤهلها لمثل هذه القيادة.

إن الشخصية الثورية مضطرة لأن تلعب دورها بشكل افضل لابسبب الشخصية التابعة التي تكونت تحت وطأة الظلم والاضطهاد فقط، بل وبسبب الشخصية البرجوازية – الصغيرة التوفيقية، تلك الشخصية التي تتظاهر بالعصرية والثورية المزعومتين ولكنها مستعدة في كل لحظة لعقد المساومات والاستسلام. وحتى تتمكن الشخصية الثورية من القيام بدورها التاريخي لابد لها من النضال الحازم ضد هذين النمطين من الشخصيات في وقت واحد فتلك الشخصيات تسعى دوماً لخلق المخاطر والمهالك الجدية بغية منع الشخصية الثورية من ان تقوم بدورها التاريخي الحقيقي. وهي تعمل دوماً لتطوير التبعية والعمالة بالاستناد الى القوة التي

تستمدها من القاعدة المادية التي أوجدتها الأجواء الايديولوجية والسياسية والثقافية الاستعمارية بالدرجة الأولى. وبهذا المعنى ايضاً يصبح النمط السلبي المستسلم والخامل الخنوع والجاهل الذي ينبع من نبع تاريخي طويل ومن الظروف الاجتماعية المتخلفة قيداً على التطور الثوري. وهذا النمط ينعكس في العلاقات العشائرية والعائلية والدينية وغيرها ويسعى باستمرار لاعاقة تطور الشخصية الثورية. لابد من معرفة هذه العوامل السلبية اضافة الى التأثيرات البرجوازية الصغيرة المعقدة والقوية جداً معرفة جيدة والحذر منها.

هذه الأمور كلها تبين مدى ضرورة ان يكون دور الشخصية الثورية دوراً بالغ القوة. فهذه الأجواء الخطرة والعوامل التي تعمل ضد الشخصية الثورية تؤكد مدى كبر هذه الشخصية كما تبين في الوقت نفسه استحالة الوصول اليها عبر الجهود الهائلة والمكثفة. ذلك يعني ان هذه العملية لايمكن تعويضها وصولاً الى ازالة الفرق إلا من خلال رد قوي توفره فئة ثورية متميزة ومتوفقة وفاعلة لأن الأدوار عندنا غير مفهومه بشكل كامل ولا مطروحة بوضوح على المستوى الطبقي. وعلى هذا الاساس فإن من الضروري خلق شخصية ثورية قوية ومنتقاة تتقدم الصفوف في كل الميادين وتكبر باستمرار ضد سائر السلبيات المنتشرة عندنا بدلاً من ذلك الذي يسير دوماً خلف القضية من بعيد، ويريد ان يتناولها باستمرار على اساس توفيقي من الزاوية الاقتصادية؛ ذلك الذي يحمي نفسه من (الأخطار)، ويمنع العدو من (إزالته)، كما يمنعه من أن(يلقي القبض عليه) فيظل هارباً الى الأبد. ولهذا السبب لابد للأفراد من ان يعترفوا بأدوارهم اللامحدودة ويبذلوا مختلف الجهود للوصول الى تلك المستويات في الممارسات العملية بعد تبني مثل هذه القناعات والمفاهيم وتمثيلها. وباختصار نقول: نتيجة للأسباب التي أتينا على ذكرها قبل قليل فإن دور الأفراد عندنا يفرض نفسه بشكل قوي جداً وحاسم ايضاً أكثر من أي بلد آخر بل وأكثر من أية مرحلة تاريخية أخرى.

مسألة الشخصية في كردستان

نلاحظ ان الشخصية الثورية لاتؤدي دورها الكامل في كردستان على الرغم من امكانية الحديث عن وجود العديد من الثوريين حسب المقاييس العادية فوق أرض كردستان كما سبق لنا ان أكدنا. لايعني هذا بالطبع انعدام الناس الطيبين والصادقين في المجتمع القائم او غياب القاعدة المادية للبنى الاجتماعية المطالبة بالثورة. ما أردنا تأكيده هو ان المقاييس الثورية العادية ليست كافية في الظروف الموضوعية القائمة في كردستان لايصال الواقع القومي والاجتماعي الى الوعي وحل قضيته بالتالي. وما كون المسافات التي قطعها العديد من الاشخاص والتنظيمات قصيرة جداً تكاد لاتذكر على الرغم من الجهود التي بذلوها في هذا المجال الا واحدة من ثمار هذه الحقيقة. فبدون تبني الواقع الملموس والشخص وايصاله الى الوعي، وبدون خلق حركة صحيحة من جميع النواحي على هذا الأساس ومتابعتها، لايمكن الحديث عن الدور الحاسم للفرد. ليستطيع الأفراد ان يلعبوا أدوارهم التاريخية في كردستان حيث تتضاعف عملية الغربة اضعافاً مضاعفة، حيث يسود التشويه ذو الأبعاد المتعددة، حيث يجري تطوير الوضع الذي يجعل القاعدة القومية والاجتماعية تعمل ضد ذاتها الى الحدود القصوى، أي حيث يسود التنكر الفظ مما يؤدي الى ممارسة التأثير العميق على تشكل الطبقات الظالمة والمظلومة وعلى وعيها وحركتها؛ وحيث تمارس الغربة تأثيراً فعالاً في الساحة الايديولوجية – السياسية التي تنبغي ان تكون ذات حساسية بالغة، حيث تجري اعاقة دائمة لخلق منطلق ايديولوجي سياسي مستقل؛ وحيث يجري فرض الضعف ويستمر تأثير العوامل السلبية؛ لابد لهم من الابتعاد عن المقارنات والمقايسات البسيطة ليكونوا أكثر تمحيصاً وأميل الى الروح النقدية وليعكسوا الواقع القومي والاجتماعي للأرض التي يقفون فوقها بكل وضوح مع القيام بالمراجعة الدائمة لذواتهم وصولاً الى تجديدها المستمر. لن يستطيع الفرد ان يلعب الدور المنتظر منه الا بمقدار ما يبذل مثل هذا الجهد وبمقدار سيطرته على عالمه. ذلك لأن أي جهد اعتيادي وكفاءة فكرية اعتيادية وفعالية سياسية عادية ليست كافية من أجل تجاوز الواقع السلبي القائم في كردستان.

من الواضح أن مثل هذا الواقع يستحيل أن ينعكس وأن يجد تعبيره إلا في الأشخاص الذين يعيشون فوق هذه الأرض وهذه الممارسة العملية. بدون تجاوز الواقع المأزوم والمشوه والمغرب عن ذاته الى أبعد الحدود في كردستان، لن يؤدي الاكتفاء بتمثيل دروس الممارسة الثورية في هذه البقعة او تلك من العالم الى تحقيق فهم الواقع الموجود هنا؛ فمثل هذا الواقع لايمكن ان ينتج وعياً إلا بمقدار ما يعاش بعمق. أما مسألة عيش مثل هذا الواقع وإيصاله الى الوعي فمستحيلة في إطار المعايير العادية النافذة في الوقت الراهن، ولن يعني التمسك بمثل هذه المعايير بعناد الا الغرق في الاغتراب من بداية الطريق والسعي الى تحصيل وعي بعيد جداً عن الواقع الملموس. إذا كان بلد ما يعيش ظروفاً من القهر والاستغلال لم يسبق لها مثيل وإذا كانت هذه الظروف مستمرة من خلال اتباع أذكى وأخبث الأساليب وأكثرها بربرية، فإن فهم واقع ذلك البلد فهماً كاملاً يتطلب بالضرورة العيش في ظل تلك المظالم والممارسات بكل أبعادها. وبدون هذا لايمكن الحديث عن العيش في ظل الفعلي في ظروف البلد الملموسة. أما العيش في مستوى الجماعات والفئات والطبقات التي جعلتها الآلية الاستعمارية شبيهة بها بدرجات مختلفة فلا يعني عيش الواقع الفعلي بشكل كامل. ولا يمكن الحديث عن إمكانية تحقيق مثل ذلك العيش الا من خلال رفض العيش على ذلك المستوى. والا فيتم السقوط في واحدة من الفئات التي صاغها نظام القهر والاستغلال القائم وجعلها شبيهة به، والمبادرة الى التفكير بدماغ تلك الفئة بشكل كاذب وخادع وغارق في الغربة عن الذات، والى الكلام بلسانها؛ وهذا يعني في الحقيقة ان يسقط المرء في وحل التفكير بدماغ الاستعمار والتكلم بلسانه.

لقد تكرر هذا الواقع كثيراً في كردستان. يمكن أن ترى بوضوح أن النشاطات التي يطلق عليها اسم (الحركات الثورية) لدى العديد ليست في جوهرها الا شكلاً من أشكال اكساب المشروعية للممارسات الاستعمارية على مستويات مختلفة. فإذا ما ألقينا نظرة خاطفة على الساحة في بلادنا فأننا نرى عدداً كبيراً من الأفراد، بل والتنظيمات التي لاتعي شخصيتها

القومية ومع ذلك تزعم أنها (ماركسية)؛ وعدداً كبيراً اخر من الأفراد والتنظيمات التي تزعم انها (قومية) ولكنها في الوقت نفسه لاتلبي حتى الحدود الدنيا من متطلبات القومية، إضافة الى وجود الفئات الكثيرة التي تخلفت كثيراً عن العصر في هذا الميدان. ما أكثر (الماركسيات) و (التيارات القومية) المزعومة التي تبدو عصرية من حيث المظهر الخارجي ولكنها لاتقوم بأي دور في مجال فهم الواقع المعاش وتغييره! لايعبر إلا عن محاولة اكساب المشروعية لعملية الاغتراب تحت ستار من (اليسار) و (الثورية). وبهذا الشكل تجري زيادة تعقيد المشكلة، إذ ان الاستعصاء وانعدام الحل هو الذي يفرض نفسه كلما قال اولئك : (سنقدم الحل؛ إنه الحل الأكثر جذرية!).. (سنفعل!.. سنعمل.. !)

إن الواقع الملموس الذي نعيشه يكشف بكثير من السهولة والوضوح حقيقة العديد من التنظيمات التي تزعم انها تتابع النشاط الثوري وقد خلق أجواء تساعد كثيراً على مثل هذا الكشف. إن العديد من التنظيمات والمجموعات التي تتظاهر بممارسة النشاط الثوري ليست قريبة حتى من هوامش هذا النشاط من حيث الجوهر. في ظروف استحالة حل القضية القومية والاجتماعية بأية وسائل أخرى عدا الثورة، وفي ظل بنية ملموسة لايمكن فيها تلبية أية متطلبات تنموية او اقتصادية عادية بمعزل عن الثورة، وإذا كان الأفراد يريدون أن يلعبوا أدوارهم كاملة، فلا بد لهم من أن يعرفوا منذ البداية أن الشخصية الثورية تأتي في المرتبة الأولى والا يتركوا أي مجال للوقوع في الخطأ في هذا المجال ويقضوا على الزيف قضاءً كاملاً. أما بالنسبة للأطروحات التي تقدم تحت شعار (الطريق الأوسط) او (الحل الوسط) فيجب النظر إليها من البداية بارتياب واتخاذ موقف نقدي ومتمعن ازاءها. ومن جهة ثانية يجب على الشخصية الثورية أن تنتقد ذاتها باستمرار وان تعيد النظر في سلوكها وان تحاكم تصرفاتها من وقت لآخر. كما يتوجب عليها ان توجه هذه الأسحلة النقدية بشكل صارم وبلا رحمة الى كل من الواقع الاجتماعي والاستعمار كما الى حلفائه المباشرين وغير المباشرين.

مسألة الشخصية في كردستان

لابد من إدراك حقيقة ان ما هو حديث وما هو متخلف وعتيق متداخلان ويحملان معاً جملة من السلبيات وذلك في إطار بنيتهما الخاصة. ذلك لأن أي تحليل طبقي لأي بلد آخر لن يكون كافياً، وهذا يجب ان ندركه من البداية، لفهم الواقع الذي ظهر الى الوجود فوق هذه الأرضية. فالأنوال عندنا تعمل بشكل مختلف، والأمور تحاك في بلادنا بصورة مغايرة وبالتالي فإن الصور والخطوط التي تظهر تكون مختلفة. وكما سنرى فيما بعد فإن بعض أشباه المثقفين سيحاولون ان يتناولو الواقع الموضوعي من خلال وجهات النظر ذات اليسار وذات اليمين ولكن محاولاتهم تلك ستجلب الأضرار بدلاً من الفوائد. فالعمل المبذول لايعدو كونه قياماً بدور مغلوط بجهل او نتيجة الوقوع ضحية للنوايا الحسنة أن لم يكن لعبة من الأعيب الاستعمار بدلاً من فهم الواقع القائم وتغييره. وبهذه الطريق يتم تعميق الاغتراب ولأن هذه القوى تظهر بمظهر (اليسار) وفي اطار الحركة (الثورية) فإنها تكتسب طبيعة ممسوحة ومزيفة ومصطنعة الى أبعد الحدود. من الواضح انه لدى الانطلاق من مثل هذه الموقف لتحديد الواقع الاجتماعي والوصول إلى منعطف وضع هدف تغيير واقع البلاد والامة والمجتمع وصياغة البرنامج الخاص بذلك فإن الصورة تتكشف بوضوح أكبر. ومن المحتم أيضاً أن الأخطاء ذاتها ستؤثر على النشاط السياسي والتنظيمي والعملي مما يؤدي الى بقاء الكثير من الجهود في دائرة شيطانية مفرغة وعقيمة. كما أن هذا من جهة ثانية سيعني بكل تأكيد وقوعاً في الأخطاء سواء في مجال دراسة الواقع ام في الانطلاق من مثل هذه الدراسة لبرمجته ومعالجته ضمن افق سياسي وتطبيقه بصورة عملية. من هنا فإن وضع الآفاق الصحيحية للمستقبل ينطوي على أهمية كبيرة. وعلى الشخصية في هذا الموضوع ايضاً يجب ان تتسم بسمة ثورية حقيقية بمعنى القدرة على تحديد المستقبل وصنعه.

حين النظر الى المسألة بأبعادها هذه، يتم بأن الشخصيات الثورية والأفراد مايزالون حتى الآن بعيدين عن لعب الأدوار التاريخية المسندة إليهم في كردستان اليوم. إذ لاتزال المسألة تفرض نفسها من هذه الزاوية بالشكل الأكثر إلحاحاً وإصراراً. فنحن أمام قضية ضرورة إظهار وإبراز

الشخصية الثورية على اساس الفهم الكامل والصحيح لواقع البلاد القومي والاجتماعي. إن هناك حاجة ماسة وملحة لشخصية قادرة على تغيير الواقع القومي والاجتماعي الذي يعاني منه أشد المعاناة شعب كردستان الذي فرض عليه أن يعيش أسوأ من حياة سائر شعوب العالم، حياة بعيدة عن العصر غارقة في البدائية، وإيصال هذا الواقع إلى العصر وجعله يندمج مع العصر. نستطيع ان نرى على الساحة عدداً كبيراً من الشخصيات مع مختلف الطبقات والتشكيلات السياسية – الايديولوجية التي تستند إليها ولكن إصدار الحكم بزيف أكثرية هذه الشخصيات ليس صعباً. ذلك لأن كثيرين لدى قياسهم بالمعايير العالمية مازالوا بعيدين عن الانطلاق في خطواتهم الأولى على الرغم من انهم عاشوا مرحلة كان يجب ان يخرجوا منها منتصرين منذ أمد بعيد. إن هؤلاء الأفراد مع تشكيلاتهم الايدولوجية – السياسية القائمة مازالوا غارقين في أوحال الضياع والاغتراب، او في بحار الاصلاحية في أحسن الأحوال. ان الأجواء العملية القائمة تبين بوضوح مابعده وضوح أمام الجميع بأن أكثرية هؤلاء عجزوا عن أن يعيشوا واقعهم القومي والاجتماعي بصورة من الصور. ولدى إمعان النظر في واقع البلد وفي ظروفه القومية والاجتماعية لابد من التسليم بهذه الحقيقة على الفور.

لابد من فرض الشخصية رغم هذه الأجواء السلبية. لذا يجب على الأفراد ان يبادروا الى أن يقوموا بأدوراهم التاريخية بأكثر أشكالها حسماً. يجب عليهم ان يعترفوا بأنهم ما زالوا في بداية الطريق، ويظلوا بعيدين عن غفلة الغرق في الحديث قائلين: (فعلنا !) (صنعنا) (حققنا الانتصار تلو الانتصار)، (تقدمنا !). يجب ان يكون هذا كله كما قلنا إذا لم نكن نريد لكل الجهود المبذولة أن تذهب بلا جدوى. لابد للشخصية الثورية من ان تقاوم سياسات الإبادة الاستغلالية الظالمة والدافعة الى متاهات الغربة والاغتراب. فكما ان مثل هذه الشخصية يستحيل عليها ان تحمي نفسها من الأخطار الناجمة عن الزيف والتصنع القائمين بدون الاهتداء الى مرتكزاتها الفكرية والتنظيمية والاجتماعية بكل ابعادها وبدون اكتشاف القوى الصديقة على المستويين الداخلي والخارجي، كذلك فان النقطة التي ستصل اليها هي نقطة

التفسخ والانحلال والتمزق بأبشع صورها. لذا لابد من النظر الى القضية نظرة موضوعية وفي ضوء الظروف الملموسة للماضي التاريخي القريب واليوم الراهن وطرحها مكشوفة بكل تفاصيلها. لابد من التمتع بالقاعدة الموضوعية للشخصية والأفكار والمنظمة القادرة على حل المسألة، كما لابد من القيام بتحليل صحيح وصولاً الى كشف الجوانب السلبية للقاعدة جنباً الى جنب مع نواحيها الإيجابية. وبعد القيام بمثل هذا التحليل لابد من إيضاح مدى التحول الى واقع ثوري، ومدى التطور الذي تم تحقيقه في الميادين الشخصية والتنظيمية والعملية ذات المستويات المختلفة، مع بيان أبعاد المواقف الطبقية المختلفة في هذه المجالات. من الواضح أنه إذا كان هناك تطور ثوري عندنا انطلق في الطريق بالاستناد الى التحليلات الصحيحية الضرورية لإنارة الطريق في إطار التطورات الراهنة، فإنه قد تم بلوغ نقطة هامة ومنعطف أساسي لبروز الشخصية الحاسمة في العملية. نستطيع ان نقول، ولو ضمن حدود، إنه إذا كان هناك تطور ذاتي،أي تطور ثوري، يعكس التطور الموضوعي فذلك يعني أن هناك قوة حاسمة خرجت من أعماق الأزمات وباتت تتطلع الى حل تلك الأزمات بأبعادها المختلفة وتريد ان ترد على الأزمة بانتفاضة ثورية؛ وعندئذ فإننا نستطيع ان نقول بأن الشخصية والمنظمة والممارسة الثورية المنتظرة باتت وقائع ملموسة. وفي هذا الوضع لن يكون تناول السمات المميزة للشخصيات القادرة على تغيير الواقع الموضوعي بالثورة مع مواصفات التنظيم الذي تؤسسه تلك الشخصيات ودراستها اموراً صعبة، إضافة الى كون هذه المهمة مهمة ضرورية وملحة.

إذن كيف سنفسر انعدام الشكل والسديم الذي يفرض ثقله علينا في الوقت الراهن؟ وبماذا سنبرر واقع ان ملايين الناس لايقتربون ولو مجرد اقتراب من نشاط سياسي هو على هذا المستوى من السمو والنبل كالسياسية الثورية وواقع عدم الاقتراب حتى من الواقع التي تركتها شعوب الارض وراءها؟ ان طريق تغيير الواقع القائم بالثورة لابد له من ان يمر عبر تقديم الجواب على هذه الاسئلة.

كما أوضحنا في كتابات سابقة لقد بدأت مسيرة معكوسة في تاريخ كردستان منذ القرن السادس عشر. وسبق لنا ان فصلنا الأسباب الكامنة وراء ذلك في كتاباتنا الأخرى. ففي هذه القرون هناك صراع ذو جذور عميقة في التاريخ حول كردستان بين نظامين مستبدين من النظم الاقطاعية المركزية هما الامبراطورية العثمانية والامبراطورية الفارسية. وقد ادى تحول الصراع الى حروب دائمة فوق الأراضي الكردستانية الى تمزيق الشعب الكردي شر تمزق كما ان الشعب اضطر ان يختار العيش في أماكن بعيدة جداً عن المراكز الحضارية ولو بثمن خسارته للحضارة ليبتعد عن أجواء الاستباحة والاحتلال. وبالشكل ذاته أدت الصراعات المستمرة بين البكوات الاقطاعيين والقوى العشائرية داخل المجتمع؛ وعجز المجتمع عن تأمين تطوره السياسي والاجتماعي الداخلي او بقاء هذا التطور محدوداً؛ وخصوصاً عدم قيام أي كيان سياسي مستقل مما أدى الى استمرار التبعية والعمالة؛ وعدم قدرة التناقضات الداخلية للمجتمع على تطوير المجتمع ودفعه الى الأمام؛ وبقاء التناقضات الداخلية ضعيفة وتوقفها عن العمل بسبب الضغوط الخارجية وعدم إسهامها في تقدم المجتمع بالتالي غياب الصراع الطبقي العنيف والقوي نتيجة لذلك؛ واضافة الى هذا كله قيام القوى الخارجية المسيطرة بإعاقة التطور القومي بشكل مستمر وتداخل كل ذلك؛ وزيادة الضمور في التطور القومي والاجتماعي مع مرور القرون على هذه الحالة؛ ومبادرة القوى المركزية الخارجية الحاكمة الى عزل البلاد عن مؤثرات التطور الرأسمالي الذي كان يتطور ويزداد قوة؛ إضافة الى تحول هذه القوى بالذات، بشكل خاص الى عقبات في طريق التطور الرأسمالي ونقلها لتأثيرها السلبي هذا بشكل مضاعف الى كردستان؛ ذلك كله أدى الى احكام سيطرة الصراعات العقيمة بين القوى العشائرية والاقطاعية على المجتمع بأسره. وسوف يتضح لدى الدراسة ان غياب الصراع الطبقي و الحركة القومية المتوازنين مع متطلبات المرحلة، بل وسيادة الصراعات الدائمة بين سائر المجموعات القبلية والعشائرية والعائلية، قد أثر تأثيراً بالغ السلبية على التطور القومي والاجتماعي وادى الى إضعافه.

ومع حلول القرنين التاسع عشر والعشرين زادت السلبيات أكثر فأكثر وتركت التطورات النسبية في البنية القبلية الاقطاعية مكانها للركود والجمود التام. صارت الضغوط الخارجية هي التي تلعب الدور الحاسم بالنسبة للمجتمع؛ كما أخذت الصراعات بين البكوات والعشائر والقبائل والأسر اشكالاً أكثر إثارة وادهاشاً. زادت تناقضات المجتمع مع العصر وأوضاعه البعيدة عن التطور عمقاً واتساعاً. ظل المجتمع راسغاً في اغلال البنية العشائرية – الاقطاعية التي لابد من تجاوزها والموروثة عن القرون الطويلة بسبب عجز الحلول الاصلاحية عن تقديم اية ثمار وعدم طرح الحلول الجذرية على جدول الأعمال. أما البيكويات التي تشكلت على اساس الاحتلال الأجنبي وبطبيعة أجنبية فقد ظلت عاجزة تماماً عن ان تصبح قوة سياسية حاكمة ومهيمنة على المجتمع بل ظلت تزيد من صفات العمالة والتبعية التي تتصف بها اكثر فأكثر. وفيما كانت عملية تشكل الدولة القومية والأمم بالتوازي مع التطور الرأسمالي تزداد زخماً في سائر انحاء العالم كانت كردستان تعيش أوضاعا مناقضة تماماً اذ كانت عمليات الانحلال والانقسام والتجزئة، نتيجة للصراعات الداخلية، هي السائدة. وفي هذه المرحلة يمكن الحديث عن ابتعاد الحل أكثر فأكثر مع الزمن ناهيك عن التوصل الى أي حل للقضايا المطروحة في ظل مثل هذه البنية. ومثل هذه البينة كانت بالنسبة للقوى الأجنبية المحتلة مناسبة لتطور أساليب القمع والضغط بشكل أسهل مما مكنها من أن تستخدم هذه البلاد لخدمة مصالحها القومية والاجتماعية الخاصة؛ أما كون هذه القوى هي نفسها تابعة للامبريالية وغارقة في التخلف الشديد رغم رغبتها في فرض السيطرة على الآخرين، فقد انعكس في كردستان بصورة أشد ايلاماً. وعبر انحلال واغتراب الواقع القومي والاجتماعي أكثر فأكثر تحت وطأة القمع والظلم صار الأكراد غير معنيين بقضية التحرر القومي والاجتماعي التي باتت تيار العصر الأساسي حتى تحولت هذه القضية الملحة بالنسبة لهم الى قضية تكاد لاتكون موجودة. ونتيجة لذلك نرى عندنا ما يشير الى المزيد من الاغتراب عن الذات والابتعاد عن العصر. ومما يزيد الأوضاع تعقيداً أن كل ذلك كان يترافق مع أساليب القمع

والاستغلال الفظة منها والخبيثة الرامية الى الإبادة التي كانت القوى المعادية تتبعها بصورة مخططة؛ مع دخول النظام الامبريالي واحدة من مراحلها الأشد تخلفاً؛ مع مبادرة عملاء النظام الى الإفادة من العديد من تجارب الثورة المضادة في العالم والى الاندماج بالامبريالية والتوجه بالاستناد الى هذه الخبرة الى كردستان. ان البنية القومية والاجتماعية التي تكونت في كردستان تنتصب أمامنا كبنية عجيبة غريبة لدى سوق النظام الى مواجهة وضع محاط بشروط قومية واجتماعية لبلد أقحم في وضع فقد معه هويته التاريخية.

هناك اليوم إنكار لوجود مثل هذا الوطن ورفض لحقيقة وجود وطن باسم كردستان في ظل الضغوط الاستعمارية الشديدة التي تتعرض لها البلاد وخاصة في الوقت الراهن. يبذل الاستعمارالتركي العسكري الفاشي أكثر العملاء سعاراً في الشرق الأوسط لامبريالية الولايات المتحدة الأميركية التي هي القوة الأكثر رجعية والأشد عدوانية في النظام الامبريالي، من خلال أساليب الإبادة البربرية التي ورثها من تاريخه وعبر أخذ الدروس من تجارب الثورة المضادة التي تراكمت لدى الامبريالية على النطاق العالمي، وعن طريق السياسية الاستعمارية التي يتبعها في كردستان، جهوداً كبيرة لإقناع العالم بعدم وجود مثل هذا الوطن. فهو يرفض حتى استخدام اسم كردستان زاعماً: (أن اسماً كهذا، بلداً كهذا، شعباً أو أمة كهذا، ليس موجوداً!) ويريد أن يضيف قائلاً: (إذن ليست هناك أية أزمة او قضية يمكن ان تحمل معنى الثورة والحل الثوري، كما لاتوجد أية شخصية قومية او تنظيم يدافع عنها الآن وفي المستقبل!). إن زيادة الوحشية والبربرية المفروضة على كردستان من قبل المستعمرين الأتراك أكثر فأكثر وتحقيق الغلبة يقدمان للرأي العام بوصفها الحقيقة الوحيدة، ويقال: (ليست هناك أية حقيقة أخرى ومن العبث البحث عن مثلها !). صار النظام الامبريالي موافقاً على مشروعية مثل هذا الوضع بل وقد جرى تصوير الأمور بهذه الأشكال المغلوطة أمام النظم الاشتراكية وحركة التحرر الوطني مما أدى الى إخفاء حقيقة كردستان ولو جزئياً عن تلك القوى ايضاً فضلاً عن

ان جميع التدابير الضرورية قد اتخذت لمنع التيارات الاشتراكية والتحررية من ان تنعكس على كردستان.

أما تحويل فئة المثقفين التي ينبغي ان تكون مرآة المجتمع التي تعكس ثورته، وتشويه عملية تكون الشبيبة التي ينبغي ان تكون الأكثر حساسية والطبقات والفئات العصرية المؤهلة لأن تكون طليعة التطورات الجديدة، الى فئات وطبقات عميلة متنكرة لهويتها بعد إقحامها في أوحال الاغتراب عن الواقع القومي والاجتماعي عبر سياسات القمع والإذابة القسرية، فقد أدى في كردستان الى وضع بالغ السلبية لم يسبق له مثيل. ولدى الوصول الى عقد السبعينيات من هذا القرن تنتشر فوق هذه الأرضية السلبية المناقشات المصطنعة والعقيمة مثل: (هل الأكراد موجودون؟ هل يشكلون شعباً ام لا؟ هل هم أمة أم لا؟) (هل يمكن قبول مبدأ حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الكردي أم لا ؟) والخ . كانت المسألة المطروحة للمناقشة، كما هو واضح، ليست مسألة قبول ام رفض حركة التحرر الوطنية والقومية التي هي أقوى تيارات عصرنا، مسألة السير مع هذا التيار ام عدمه بل مسألة وجود او عدم وجود شعب! من المؤكد ان مثل هذه المناقشة هي مناقشة مصطنعة الى أبعد الحدود وعقيمة. أما ان ينتقل النقاش حول مثل هذه الحقيقة التي لاتقبل النقاش في الواقع العملي، الى أولئك الذين ينبغي ان يكونوا أصحاب القضية بالذات فيبين مدى نفوذ وقوة الموقف من القضية الذي فرضه العدو وصولاً الى التحدث بلغة هذا العدو ومنطقه بالذات فضلاً عن إظهار مدى الأبعاد الرهيبة التي اتخذها الاغتراب. إن غرق شعب من الشعوب في مناقشات حول :(هل أنا موجود أم لا؟ هل يحق لي أن أتحرر قومياً ووطنياً أم لا؟) يعني، بوضوح كامل، أن هذا الشعب قد غرق في مناقشات متخلفة جداً ورجعية الى أبعد الحدود. والشعب الذي ما يزال يقبل بهذه المناقشات يكون في الحقيقة بعيداً جداً عن مناقشة أزمته. إذا كان شعب من الشعوب مضطراً أولاً لأن يثبت وجوده فإن هذا الشعب لن يصل بسهولة الى مناقشة الأزمة التي يعيشها ومسألة الثورة النابعة منها. علماً ان معالجة المشكلة من قبل سائر شعوب العالم

التي تواجه قضية التحرر الوطني والقومي وتعيش ظروفاً وقضايا مماثلة الى حد كبير، معالجة مختلفة تماماً. فتلك الشعوب بدأت العمل بمناقشة مسألة الثورة مباشرة دون الدخول في مناقشة مسائل الوجود او عدمه. أما عندنا نحن فقد جرى العكس تماماً. وأدى مثل هذا الوضع بالتأكيد الى ضياع العديد من السنين بلا جدوى كما جلب معه ويجلب العديد من اشكال التشوه والتفسخ كما يتابع تطويرها وانماءها.

من الواضح أن مفاهيم الثورة مع التيارات الاشتراكية والتحررية القومية، ومفاهيم الوطنية والقومية لم تصبح مفهومة فهماً كاملاً من قبل أناسنا نحن حتى الآن. وفي هذا لايمكن الاستخفاف بالمعايير والمقاييس التي فرضها الاستعمار على المجتمع بالقوة وصولاً الى إقناعه بها. وكما سنرى فيما بعد فإن الإصلاحيين – هؤلاء الذين لايصح أن يوصفوا حتى بهذه الصفة – كانوا الأطراف الأكثر بروزاً وشهرة في هذا النقاش. ان هذه الأنماط، التي كانت تتحدث باللغة التي فرضها العدو خلال الفترة التي عيشت في السبعينات، قد تسببت في أضرار كبيرة وكبيرة جداً.

خلال تلك السنوات كان هناك حديث عن (حركة كردية) ما في الأجزاء الكردستانية الأخرى. ولكن الوقائع الحية أوضحت فيما بعد مدى هزال هذه (الحركة الكردية) بشكل جلي. وبالصورة نفسها نستطيع ان نرى، من خلال النتائج التي حققتها تلك الحركات، أنها لم تقترب ولو مجرد اقتراب من ان تصبح حركات تحرر وطنية عصرية، ناهيك عن ان تصبح كذلك بالفعل. غير أننا لانستغرب ان يستمر بعضهم في التحدث باسم هذه الحركة. ان تطور هذه (الحركات الكردية) التي كان من المفروض ان تتطور على أساس العداء للامبريالية، بوصفها امتدادات للامبريالية بما يتناقض تناقضاً صارخاً مع العصر، واتفاقها مع هذه الامبريالية من بداية الطريق؛ هذه (الحركات) التي كثر الحديث عن انها (كردية)

واستمرت حتى يومنا هذا، اتضحت انها حركات مسخ وتبين انها زادت المشاكل تعقيداً ناهيك عن انها ظلت عاجزة تماماً عن الاهتداء الى حل القضية.

في هذه النقطة نستطيع ان نقول ان طرح القضية بشكل صحيح مسألة بالغة الأهمية. فإذا كانت الرغبة منصبة على خلق واقع ثورية لابد من الاهتداء بشكل صحيح الى القاعدة الموضوعية التي يجب ان تسند ذلك الواقع، لابد من نقد الأفكار والآراء التي تعيق عملية الاهتداء الى تلك القاعدة وتشوشها. ولتحقيق ذلك لابد من الانطلاق من نقد الأفكار الخاطئة والمنتشرة بشكل واسع في واقع اليومي الملموس.

تنعكس فترات الأزمة والاحتلال والاستعباد الشديدين، كما يشهد التاريخ، على العقول والقلوب بشكل قوي. فهي تؤدي إما الى الاستسلام او المقاومة؛ إما الى التفكير الحر المستقل او نمط التفكير العبودي التابع. ان اتباع أساليب النقاش الديمقراطي في إطار المؤسسات والأجهزة التابعة للقوى الاستعمارية، والدخول في أجواء المناقشة الديمقراطية في بلد يعيش في ظل الاحتلال والقهر، في ظل المذابح وأساليب الإبادة الكاملة لسائر القيم التي تشكل الأمة، في ظل الاستغلال الطبقي المتحرر من كل القيود والضوابط، ما هو إلا نوع من الضياع والتهريج المثير للسخرية اذا لم يكن خيانة مؤكدة. ليس هناك أي مخرج من مثل تلك الأجواء المفعمة بالفوضى سوى تمثيل أنبل نماذج الفكر الثوري. ذلك لأن الفكر الثوري هو الذي يعكس الواقع بأفضل الأشكال وهو الذي يرشد الى أفضل وأقصر الطرق المؤدية الى الحقيقة الاجتماعية. لذا فإن النظر الى ما يجري عندنا في ضوء المبادئ التي وجدت قبولاً على النطاق العالمي والتي طبقت وساهمت في تحقيق الإنجازات والنجاحات بالدرجة الأولى ومواجهة واقع الزيف السائد عندنا وواقع السخرية بالذات تحت التأثير النقدي لهذه المبادئ هما من الأمور الضرورية. يكتسب جعل النقاش على قاعدة صحيحة وتسيير نشاط ايديولوجي – نظري سليم، وتدشين منبر مفتوح للنضال الايديولوجي في هذه المرحلة أهمية حيوية جداً. وبالشكل

نفسه يمكن القول ان لأصغر النجاحات في هذا المجال أهمية كبرى. غير ان هذا وحده لايكفي. ويجب ان يكون معلوماً أنه لايشكل الا الخطوة الأولى. أما الخطوة الثانية فتتجسد في جعل الأفكار الصحيحة تتصارع مع الأفكار الخاطئة. وهكذا سيتم الكشف تدريجياً عن الحقائق الدفينة تحت الأرض؛ وكلما تم نقد الزيف والخطأ والتشهير بهما، ستسقط الطاقية وستظهر الجمجمة الصلعاء؛ وكلما أنزلت الأفكار الصحيحة الثورية ضرباتها العنيفة بالأفكار المزيفة الشوهاء، سترتفع حجب الظلام التي تغطي البلاد حجاباً بعد آخر. ونتيجة لهذ كله ستظهر الحقيقة القومية، الاجتماعية، والطبقية وتتضح شيئاً فشيئاً. ان هذا يعني تحقيق الثورة في ميدان الفكر. وبعبارة أخرى يعني هذ الحدث ان الفكر قد بدأ يؤدي دوره. على الرغم من أن هذا ليس نشاطاً نضالياً بالمعنى الدقيق للكلمة، كما أنه لايزال بعيداً عن ان يتحول الى وضع النشاط التنظيمي والعملي فإنه مع ذلك منعطف له أهميته ولا بد من الوقوف عنده للوصول الى الفعاليات التنظيمية والعملية إياها. لايهم ان يكون واسعاً او ضيقاً من حيث النطاق. إنما المهم هو ان يكون صحيحاً ويوفر مشرطاً لتشريح قضايا المرحلة، اي ان يمسك بالجرح من أكثر أماكنه حساسية ويستطيع إعداد القاعدة للتطورات اللاحقة. ومثل هذه المهمة لايمكن ان تؤديها الا الأفكار الثورية، النظرية الثورية. من المؤكد ان إنجاز هذه المهمة لن يتم بدون صراعات او بدون نضال. لابد قبل كل شيء من نقد جميع الأفكار الآتية من النظام الامبريالي — الاستعماري ودراسة سائر النواقص في الأفكار والفرضيات المتعلقة بالقضية القومية وبحقيقة الوطن بشكل خاص وفضح أخطائها.

من الحقائق المعروفة جداً عدم قيام الكثير من الأطراف بتوضيح البنية التاريخية والراهنة لكردستان بالاستناد على مفهوم نظري صحيح. ومقابل هذا تبذل المحاولات النشيطة لتمكين المواقف والمفاهيم الداعية الى إنكار الأمة والآتية من العدو في أجواء الغربة والظلام الدامس من السيطرة على عقول المجتمع كما ان سائر أشكال الأفكار الدينية والمفاهيم العشائرية النابعة من التخلف الاجتماعي مستمرة في قضم المجتمع وتدميره. من المؤكد ان هذه ليست

جديرة بأن تحمل اسم الأفكار والمفاهيم او وجهات النظر. فالنظرية تعني تحليل الواقع التاريخي والاجتماعي بصورة موضوعية. وبالتالي لابد للنظرية من ان تستند الى قاعدة علمية، بعيداً عن كل أشكال الغربة والأفكار المثالية، لتستطيع ان توفر الوضوح الضروري. أضف الى ذلك ان النظرية يجب ألا تقف عند حدود ايضاح ظروف الماضي والحاضر المعاش الآن، بل لابد لها في الوقت نفسه من ان توفر وضوحاً قادراً على القاء الضوء على ظروف المستقبل وشروطه ايضاً. أي يجب عليها ان تطرح بشكل موجز ومركز مواصفات المستقبل الذي يجري العمل لخلقه، وكيفية التخطيط لذلك، والطريقة التي لابد من اتباعها في رسم أبعاد النضال القومي والطبقي.

على النظرية ايضاً ان تتضمن الوضوح الذي توصل إليه في هذه الموضوعات ضد المفاهيم التحريفية، وعليها خصوصاً ان تطرح الفهم البروليتاري الصحيح لمواجهة وجهات النظر الإصلاحية والتحريفية التي تشوش النظرية الثورية وتحرفها في سائر المجالات وصولاً الى تبديد الفوضى والضباب الناجمين عن الانحرافات. ان القاعدة المادية لوجهات النظر تلك هي الأجواء التي تعيش فيها البرجوازية الصغيرة كما هو معروف. ولدى النظر الى الفو ضى والسلبية التي تتصف بهما هذه الطبقة عندنا، يتضح مدى الخطورة الجدية التي ستظهر بها كل من الاصلاحية والتحريفية على الساحة. فهذه الطبقة الدائبة على تطوير العمالة والتنازلات في النضال التحرري الوطني والقومي، تشجع الانحرافات داخل الحركة البروليتارية ايضاً. غير ان الاصلاحية البرجوازية الصغيرة ليست وجهة النظر الوحيدة التي تتطور الحركة البروليتارية في أجواء النضال ضدها. ففيما تبدي اليقظة والحذر إزاء هذه المفاهيم من جهة تجد نفسها مضطرة من جهة ثانية ان تبدي المستوى نفسه من اليقظة والحذر تجاه النزعات القومية — الاجتماعية — الشوفينية القادمة من الأمة الحاكمة. مهم ايضاً أهمية قصوى إيضاح ان من الضروري معالجة هذه النزعات بوصفها قضية اغتراب ايضاً، وبيان عدم وجود أية علاقة بينها وبين الفكر الثوري، وأنها ظاهرة يجب الوقوف في وجهها في ميدان نشوء وتطور الشخصية

القومية والاجتماعية، وضرورة رفضها رفضاً باتاً رغم ظهورها بقناع يساري. وبغير هذا الأسلوب يستحيل دحض الأفكار والنزعات المختلفة الصادرة عن الناطقين المباشرين وغير المباشرين باسم الأجهزة الاستعمارية الحاكمة؛ بغير هذا الطريقة لايمكن تمزيق الأقنعة التي تتستر وراءها التيارات السياسية التي اختبرت في التاريخ ولكنها لم تعط أية ثمار إيجابية.

ومن خلال جعل الأفكار على هذه القاعدة تتصارع مع الأفكار الجامدة والتي غدت قوالب ثابتة يتم التوصل الى ايديولوجية ثورية، الى صياغة نظرية ثورية ملائمة لواقع البلاد الملموس. ليس بروز هذا الأمر عندنا على شكل صياغة فكرية مجردة في حين يتشكل في العديد من البلدان الأخرى كثمرة للممارسات العملية بصورة عامة، مجرد مصادفة. ذلك لأن المجتمع منذ قرون عديدة في وضع لايستطيع معه ان يتحدث ولو كلاماً عن التناقض القومي والوطني، ناهيك عن القيام بأية ممارسة مستقلة والوصول الى النتائج عبر صراع المتناقضات التي يعيش فيها. لقد ظل المجتمع محروماً من الطبقة القادرة على طرح هذا التناقض بجرأة ومن الناطقين باسمها ومن تنظيماتها بل وحتى من أفكاره، ما كان المجتمع يوماً ممتلكاً لهذه الأدوات. وفي موضوع البرنامج ايضاً نجد الوضع ذاته مطروحاً بشكل بارز وقوي. لذا يكون من الضروري الانطلاق من الأطروحات النظرية الثورية الأكثر صحة والأسلم وخوض النضال الايديولوجي على هذا الأساس وصولاً الى الممارسة العملية. اي ليس من خلال شعار (الممارسة أولاً والفكر ثانياً !) بل، بالعكس من ذلك تماماً، من خلال خلق الصيغة الفكرية النظرية أولاً والانتقال منها الى الممارسة العملية، إن عملية بلوغ الممارسة القوية وتنظيمها والانتقال التدريجي الى حركة شعبية واسعة وقوية ومن ثم الى حرب الشعب وجيشه، تمر قبل كل شيء عبر التوصل الى الحل المنشود فوق هذا المنبر. من المؤكد أنه لايجوز الكلام حتى عن اسم الممارسة الثورية طالما بقيت مجالات تطور المجتمع مغلقة بأكثريتها وفي ظل أوضاع يوصف فيها من يتبنى القيم القومية بالجنون. لاشك ان النضال الذي يجري خوضه في مجتمع يعيش أوضاعاً بالغ السلبية بالنسبة للفكر في سبيل زرع الفكر الصحيح هو نضال ذو أهمية كبيرة.

مسألة الشخصية في كردستان

والمسألة المهمة في هذا المجال هي القدرة على طرح ما هو صحيح. في البداية لا يشكل ضيق الدائرة وعدم كون الأشخاص الذي يتولون إنجاز هذه المهمة متصفين بصفات المهارة في التنظيم والممارسة العملية قضية ذات شأن، بل يكفي ان يكون هؤلاء جريئين بحيث يتحدثون بصراحة عما هو صحيح ومستقيمين صادقين بحيث يدافعون عما يقولونه بثبات وان ظلوا جماعة صغيرة من الباحثين والدارسين. شريطة ان تكون الأطروحات التي يناضلون في سبيلها كافية لتفسير الواقع فإن عدداً قليلاً من الناس، مهما كانت كفاءاتهم محدودة في البداية، سيتطورون تدريجياً وسيتحولون الى جماعة كبيرة تستطيع ان تلعب دورها التاريخي. ذلك لأن الأفكار الصحيحة التي يدافع عنها هؤلاء الناس تحمل المستقبل ولو على شكل بذور وأجنة، وهذا المستقبل سينمو ويتطور من هذه الأفكار. لذا فإن من الواضح ان ما سيكبر في المستقبل سيكون نابعاً من هذه الأفكار.

إن كردستان بلد يجعل من الضروري للمرء ان يحمل رأسه تحت إبطه منذ لحظة البدء بمجرد التفكير بالأهداف المجيدة والكبيرة حول المواضيع القومية والاجتماعية التي هي أهداف لن يجري العمل الفعلي لتحقيقها الا بعد أمد طويل. فحتى اقتحام هذا الميدان الذي أغلق بالقوة وفتحه ولو عن طريق الفكر سيجد نفسه في مواجهة قوة الاستعمار المجنونة جنباً الى جنب مع عملائها. ان اضطرار مجموعتنا الفكرية الصغيرة التي ظهرت عام ١٩٧٣وبدأت البذور الأولى لفكرة التحرر الوطني لأن تجد نفسها في قلب النضال السياسي وللشروع بالمقاومة وهي ماتزال تمارس الصراع الفكري فقط خير تعبير عن هذه الحقيقة. فالذين يعرفون الحقيقة الكردستانية عن كثب ويعرفون الى حد ما طبيعة القوة الاستعمارية وسماتها يستطيعون ان يفهموا لماذا يكون حملة الفكر الأوائل مضطرين لأن يظهروا على المسرح أمامنا بوصفهم رجال مقاومة. على الرغم من عدم بلوغ مستوى صياغة برنامج للنضال السياسي والإمكانيات المطلوبة لذلك ومن البعد عن امتلاك خط استراتيجي وتكتيكي فإن طرح واقع مجتمع حرم من الفكر، طرح حقيقة الأمة بشكل صحيح يكفي لأن ينظر النظام الحاكم اليه بوصفه حرباً

ولأن يبادر مباشرة الى اللجوء الى استخدام العنف. لهذا السبب اضطرت مجموعتنا الفكرية الأولى التي ظهرت على الساحة ان تدافع عن نفسها وتباشر المقاومة ضد العنف الذي وجدته أمامها. وفي هذا المنعطف يكون الاختيار بين أمرين محددين: إما التخلي عن كل شيء والاستسلام؛ او المقاومة فامتلاك كل شيء. واختيار المقاومة بدلاً من الاستسلام أدى في وقت مبكر، الى اتخاذ مواقع سياسية. وهكذا اضطرت أولى المجموعات الفكرية لأن تغرق في بحر النضال السياسي في مرحلة لم تكن فيها تمتلك بعد الإمكانيات الكافية لذلك.

في هذه النقطة صارت المسألة أشد إلحاحاً وصعوبة لأن النضال السياسي نضال بالغ الجدية ينطوي على الكثير من الصعوبات ويتطلب تقديم التضحيات الكبيرة. فممارسة السياسة تكاد تكون مثل اللعب بالنار؛ فإما ان تمارسها بشكل صحيح وتطورها بما يتفق مع معاييرها، او تعجز عن ذلك فتباد. من الواضح أنه كان من الضروري وضع النضال السياسي وفقاً لمعاييره الخاصة موضع التنفيذ وتطوير المقاومة اكثر فأكثر لا من أجل حماية الذات فقط بل ومن أجل تبني مصالح الشعب والثورة والدفاع عنها ضد العنف الذي لجأ العدو الى استخدامه بهدف إحداث الرعب وفرض الاستسلام. وعند هذا المنعطف تغدو المسألة متركزة على كيفية التحول الى قوة سياسية، كيفية الانتقال من وضع جماعة دعائية بحتة الى منظمة نضالية سياسية. ان ما يجب إنجازه قبل كل شيء هو البرنامج السياسي الصحيح. وفي الوقت نفسه تفرض الحاجة الماسة الى حل قضايا تحديد الاستراتجية والتكتيك والسياسيتين، خلق الإمكانيات، تنشئة الكوادر وتدريبها، إعداد القوى الاحتياطية والخ ... نفسها بحدة. فتحول التيار الايديولوجي، عبر اكتساب طبيعة سياسية أكثر تحديداً مع مرور الزمن، الى تيار سياسي، اي الى مسألة بناء الحزب بطريقة حكيمة وصحيحة في إطار المعايير العصرية الحديثة يصل الى نقطة بالغة الحساسية. لابد من التحول الى قوة سياسية تجد تعبيرها الملموس في حزب سياسي محدد والا فإن المواقع التي تم احتلالها ستضيع وسيجري الضياع في متاهات الانتهازية. وبما أن دليل العمل او الايديولوجية الهادية هي ايديولوجية بروليتارية، فإن الحزب

الذي سيتشكل سيكون هو أيضاً حزباً بروليتاريا؛ إن تأسيس الحزب، مثله مثل تكوين الايديولوجية، سيتم في أجواء صعبة من العنف والعدوان. هكذا كانت مسيرة نشوء وتطور عملية تأسيس الحزب التي وجدت تعبيرها الملموس في ال :ب .ك :كPKK (حزب العمال الكردستاني) ، باختصار.

يمكن القول إنه مع خلق حزب يستند الى برنامج محدد واستراتيجية وتكتيك واضحين صارت الشروط الضرورية التي تجعل الثورة ممكنة موجودة، وبرز الى الوجود الانعكاس الذاتي للقاعدة المادية. وبالتالي يتحقق تفسير الظروف الموضوعية للبلاد بما يتفق مع مصلحة البروليتاريا، تفسيرها بما يتفق مع ايدولوجية طبقة البروليتاريا، وسياستها، اي تطبيق الماركسية – اللينينة على هذه الظروف. وهذا يعني أن نجاحاً قد تحقق في الممارسة وإن كانت تحمل بعض النواقص والعيوب، وقد تم ذلك من خلال أكثر القواعد حساسية في قلب المجتمع. وفي هذه الأثناء يشن الاستعمار مستفيداً من سائر روابطه الداخلية والخارجية هجماته العنيفة من جهة، في حين يحاول ممثلو التيارات نصف الاقطاعية – نصف البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في الوقت نفسه تعكير الأجواء ويباشرون عملية تمكين شخصياتهم من أن يقولوا كلمتهم من جهة ثانية. وعند هذا المنعطف تتركز المسألة على ما اذا كانت الماركسية – اللينينية قادرة على توفير الحل في كردستان؛ أم أن الأفكار البرجوازية الصغيرة هي المؤهلة لأن تشكل دليل العمل المطلوب!

رغم أن هذا هو السؤال في المستوى الاول فإن القضية المطروحة على المستوى الثاني هي قضية النضال السياسي. إن الصراع سيبقى مستمراً بالاستناد الى القاعدة الطبقية التي يستند إليها كل من التيارين. وبعبارة أخرى فإن ما سيعكسه أي من التيارين متفقاً تماماً مع القاعدة الطبقية التي يستند إليها سواء على المستوى العالمي أم على نطاق البلاد. إن الصراع العنيف بين التيارات البرجوازية الصغيرة الكردية التي تتكون أساساً في كردستان الخاضعة للهيمنة

الاستعمارية التركية وبين التيار البروليتاري الناشئ والمتطور سيكون حتمياً. أما السبب الذي يجعلنا ومن البداية نولي موقع البرجوازية الصغيرة هذه الأهمية فواضح وضوح الشمس.

إن سحق الانتفاضات التي كانت بقيادات عشائرية اقطاعية والتي نشبت في القرن التاسع عشر من تاريخ كردستان او في الفترة الممتدة بين ١٩٢٥– ١٩٤٠ أخيراً، أدى الى ظهور تربة خصبة لنمو النزعات والتيارات الاستسلامية العميلة الواسعة والقوية. أما الدولة التركية الاستعمارية فقد بادرت الى إعادة تطوير العمالة عبر إعادة ربط الإقطاعيين الذين قضت على قوتهم على أسس جديدة. فبدأت تتشكل وخصوصاً في المدن والبلدان جماهير برجوازية صغيرة واسعة بالارتباط مع تطور الرأسمالية الإستعمارية في كردستان استناداً إلى بقايا البنى الإقطاعية والعشائرية التابعة للدولة الاستعمارية ولتوفير الخدمات العادية البسيطة لها. إن مجيء البرجوازية الصغيرة عندنا من البنى القرن وسطية من جهة وارتباطها بالدولة المستعمرة التي نشأت في أحشائها من جهة ثانية أديا الى أن تكون مشوهة من البداية. فهذه السمات التي طبعت البرجوازية – الصغيرة بطابعها تجعل من الضروري إيلاء مواقعها اهتماماً أكبر.

لاتتوفر القاعدة المادية الضرورية لنشوء برجوازية وطنية في ظل الظروف السائدة في كردستان. فالبرجوازية الوطنية لاتستطيع ان تنشأ وتتطور إلا بالإفادة من الصراعات التي تتفجر بين القوى الامبريالية المختلفة. أما تحت وطأة قهر هذه القوى وفي ظل سياساتها الرامية الى الإبادة فلا تتوفر لها فرصة للتطور، وان وجدت فلن تكون الا فرصة لا تضمن الا نوعاً محدوداً جداً من مثل هذا التطور. هناك ايضاً نمط آخر من تطور البرجوازية الوطنية هو نمط التطور عبر النضال ضد الاقطاع. فهي تستطيع ان تطور نفسها مع تآكل النظام الاقطاعي واهترائه. ولدى النظر الى كردستان نرى غياب النمطين كليهما. فقبل تجاوز البنية العشائرية الاقطاعية الموروثة من العصرالوسيط تحت مواجهة ضغط وقهر استعماري شديد. ونظراً لأن الاستعمار، لا حركة البرجوازية الوطنية، هو الذي ألحق الهزيمة بالبنية الإقطاعية في كردستان فإن التحولات

التي ادخلت على القاعدة المادية كانت هي الأخرى في خدمة مصالح الأمة الحاكمة من حيث النتيجة. وبهذا المعنى لم تتشكل في كردستان حتى القاعدة المادية لنشوء البرجوازية الوطنية وتطورها. فعلى الرغم من وجود حالات فردية استثنائية استفادت من الثغرات هنا وهناك لم تتوفر أية إمكانية لتطور البرجوازية الوطنية كطبقة من الناحية الاقتصادية ولا مجال لأن تتوفر مستقبلاً. فضلاً عن ان وصول هذه الطبقة الى تبني خط ايديولوجي – سياسي أمر مستحيل تماماً.

مع وصول الرأسمالية الى مرحلة العمالة – الاحتكارية في تركيا، بدأت عملية صراع معينة في إطار تركيا. إن البرجوازية الصغيرة التركية أوصلت نضالها الذي تحدد بالدستور الذي فرضته عام ١٩٢٤ الى مستويات اعلى من خلال دستور ١٩٦١ الذي ساعد على تعزيز هذا النضال كي لاتخسر مواقعها في الدولة والمجتمع منذ تاريخ تأسيس الجمهورية. وقد انعكست أصداء هذا النضال الى كردستان ايضاً؛ إلا أنها كانت أصداء باهتة ومشوهة الى أبعد الحدود. فهذه الحركة التي نشأت في تركيا وجدت أصداءها في القطاعات والفئات التي ظهرت في أجواء القهر والاستسلام المفروضة على كردستان من خلال أقذر أعمال الرأسمالية الاستعمارية وانعكاس بقايا القرون الوسطى على المدن والبلدان. أما المثقفون الذين تطوعوا لتمثيل تلك الفئات، هؤلاء المثقفون المشوهون الضائعون في متاهات الاغتراب فقد تهربوا من الحديث عن اوضاعهم هروبهم من الأوبئة وحاولوا ان يظهروا كما لو كانوا نسخة بسيطة عن النضال الطبقي المحتدم في تركيا. أدت مواقف الانكار والشوفينية المتطرفة إزاء المسألة القومية لدى البرجوازية الصغيرة التركية الى ظهور اتجاه لانستطيع ان نطلق عليه اسم الاتجاه الاصلاحي المزيف لأنه أكثر تخلفاً منه. وقد أغرقت هذه الفئات نفسها في بحر من المناقشات المصطنعة حول (المسالة الشرقية) (والشعب الشرقي) ، (تأمين الطرق والمعامل والمدارس للشرق) والخ .. وراحت من خلال ذلك، تبحث، من حيث الجوهر، عن بعض الفئات على موائد البرجوازية التركية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وقد بادرت الى تأسيس

الجمعيات من قبيل (د.د.ك أو .DDKO) ، (د.د.ك.د DDKD) ، و (د.ه.ك.د DHKD) تحت شعارات (القومية الشرقية) و (الاشتراكية الشرقية) والخ .. توهمت هذه الجماعات بأنها قادرة على أن تصبح (اشتراكية) و(قومية) او (ديمقراطية وطنية) من خلال ترديد الايديولوجيات العصرية الحديثة كلاماً، شأنها في ذلك شأن أولئك الذين يظنون أنهم صاروا عصريين لأنهم بدأوا يرتدون الملابس العصرية الزاهية. لقد ضلل ممثلو تلك الفئات انفسهم اذ اعتقدوا بأنهم باتوا ابطالاً لمجرد أنهم أطلقوا على انفسهم اسم الأبطال. لاشك ان مثل هذا الظهور على المسرح لم يكن الا انعكاساً لعملية التشكل الطبقي للبرجوازية الصغيرة على المستوى الذاتي. كما ان هؤلاء، نتيجة طبيعية لتكوينهم الطبقي، لم يشنوا هجوماً ثورياً على الاستعمار وعلى بقايا العصر الوسيط وظلامه، بل، على النقيض من ذلك، سعوا، من منطلق اختيار أهون الشرين، وبشكل ينسجم مع واقعهم المرتكز الى بقايا القرون الوسطى والى الاستعمار، الى جعل الاستعمار (أكثر ديمقراطية) . وقد ناضلوا كثيراً في سبيل الدخول الى(المؤسسات الديمقراطية) التي يكثر الجدل حولها ل (ديمقراطية) البرجوازية التركية ومن أجل الانتظام في صفوفها. إن هؤلاء لم يكونوا يتخلفون عن إطلاق أكثر المزاعم والادعاءات طنيناً من جهة، في حين كانوا من الجهة الأخرى يمارسون النشاط على أساس اعتبار كل من الوطن والأمة غير موجودين. لم يكن مافعله هؤلاء بوصفهم مثقفين مختلفاً في شيء عن هذا.

وفي أثناء قيامهم بهذا كله كان أشباه المثقفين أولئك يتصرفون، كما تشهد وقائع تلك الأيام، كما لو كانوا بيروقراطيين رسميين نموذجيين من حيث الملبس والمظهر والسلوك اليومي، ويحاولون أن يدخلوا البرلمان او يحتلوا المناصب الرفيعة في أجهزة الدولة. كانوا يحاولون أن يظهروا بأنهم ليس مختلفين عن أولئك الذين يحتلون تلك المناصب من خلال تقليدهم في الملبس والسلوك ويسعون للحصول على شهادات حسن السلوك بهذه الأساليب الزائفة. ومن المؤكد ان مثل هذه الجهود والمحاولات لم تؤد إلا الى بروز ممثلين برجوازيين صغار على أساس

العمالة والتبعية لا على أساس العمل. ان هؤلاء البرجوازين الصغار الذين سقطوا في بحر من السلبيات التي لاتتفق مع متطلبات العصر باسم الحركة الكردية واتخذوا لأنفسهم دوراً بالغ التشويه ظهروا على المسرح بشخصية غريبة جداً بعد ان استمدوا غذاءهم من المشاعر القومية البدائية التي نشأت وتطورت في جزء آخر من أجزاء كردستان. ان هذه الشخصية السلبية الغريبة جداً والتي ظهرت بشكل بارز في الجزء الخاضع للهيمنة التركية من كردستان تجلت ايضاً، بوصفها انعكاساً زائفاً للقاعدة الاجتماعية الشوهاء، في الميادين الفكرية والسياسية تحت أسماء مختلفة مثل (ك.د.ب. KDP) (الحزب الديمقراطي الكردستاني)،و (د.د.ك.أو.DDKO) و (د.د.ك.د. DDKO) و(يو.د.غ.UDG) (الحزب الاشتراكي) فيما بعد، بوصفها تياراً غريباً عجيباً بالغ التشوه يستحيل وصفه حتى بالاصلاحية.

إن ممثلي هذه الطبقة عديمة العمل والمقاومة والبعيدة جداً عن أي فهم نظري صحيح للعصر والتاريخ والمجتمع كانوا أمثلة نموذجية عن التزييف والتضليل. وكانت أفكارهم كلها متركزة على النقاط التالية : ((كيف السبيل إلى مواقع أفضل؟ كيف العمل للإفادة من الإمكانيات التي توفرها هذه الدولة لخدمة مصالحنا الذاتية؟ علينا أن نتخلى عن ألبستنا وأزيائنا القرن وسطية وأن نصبح عصريين بالتالي، ولكن كيف نحقق ذلك بدون ثورة وبدون اللجوء إلى استخدام أي شكل من أشكال العنف؟ وغيرها..)) وفيما كانت الشوفينية الاجتماعية التي ظهرت منذ القدم متخفية وراء قناع(يساري) تشوه وتخفي الحقيقة القومية والاجتماعية وتشن عليها الهجمات من جهة، ظلت هذه الكائنات المسخ دائبة على مهاجمة الأفكار والنظريات الثورية الصحيحة وإعاقة تطورها.

بعد الظهور على مسرح الأحداث بصورة حركة تتحدث عن التحرر القومي والاجتماعي الكامل لطبقة أكثر تنظيماً وأوسع لامن زاوية إظهار موقف هذا التيار الصغير أو ذاك؛ بعد

الظهور على المسرح لا بشكل شخصيات بل من خلال منظمة ثورية متماسكة في الوقت نفسه؛ وبعد التوجه بشكل خاص إلى خلق الفعل الثوري والشخصية الثورية، وبعد الحديث بشكل صحيح عن الأزمة المعاشة، بات من الضروري بالنسبة للجميع أن يكثفوا جهودهم وأن يسندوا إمكانياتهم إلى شكل ايديولوجي – سياسي معين لتحريك الواقع الطبقي الذي يعيشه بما ينسجم مع الامكانات المتوفرة للطبقة التي ينتمي اليها كل منهم على المستويات العالمية والاقليمية والمحلية. وعند هذا المنعطف بالذات يبادر الاستعمار إلى تبني اسلوب العنف كأساس له متخلياً عن سائر الأساليب السياسية لتشغيل ألية العنف العسكرية المكشوفة. ومن الطبيعي أن هذا العنف الذي يبدأ العدو بممارسته لا بد له من أن يتم الوقوف في وجهه بمقاومة قوية وأصيلة. والقضية الأساسية في هذه النقطة تتركز على ماهية الاستراتيجية والتكتيك اللذين يجب اتباعهما في هذه الحرب النضالية، وماهية البرنامج السياسي الثوري للنضال ضد الاستعمار والخط السياسي الثوري الذي يجب اتباعه، والأهم من هذا وذاك، كيفية ابراز الكوادر القادرة على ممارسة كل ذلك في الحياة والواقع، وماهية السمات الخاصة التي يجب أن تتوفر في هذه الكوادر. إن الصراع، بمعنى من معانيه، لا يعود صراعاً بين الأفكار وحول الخط السياسي فقط، بل يغدو صراعاً حول شكل النضال الأساسي الذي يجب اتباعه ضد العدو الأساسي من قبل سائر الطبقات بما يشتمل عليه ذلك الشكل من الأفكار والخط السياسي أيضاً، أي ما هو أسلوب النضال السياسي الكفيل باقتلاع القائمة والأستعمار وما يمارسه هذا من مظالم وسياسات توسيعة عدوانية من جذورها، فضلاً عن هوية الكوادر المؤهلة لمتابعة مثل هذا النضال، وتحديد أساليب تنظيمها إضافة إلى أشكال الممارسات السياسية في سائر هذه المجالات. إن هذه القضايا جميعاً تتجلى على المستوى الخاص بوصفها قضية كوادر.

لقد أصبحت كل واحدة من الطبقات مضطرة لأن تقاتل بطريقتها الطبقية الخاصة. وبعد بلوغ هذا المستوى لم يعد ممكناً أن تسود بعضها صفحات البعض والتسبب في فرص التأخر

والتخلف. فكما أن لكل بطل طريقته الخاصة في تناول اللعبة كما يقول المثل، كذلك تمتلك كل طبقة طرازاً خاصاً بها من أشكال القتال والكفاح. كما أن لكل طبقة أمكانيات محدودة تساعدها على تحرير الأمة والمجتمع بهذا القدر أو ذاك. فهناك طبقات لا تستطيع أن تتطور إلا في إطار حدود الاصلاح. إذا أرادت البرجوازية الصغيرة عندنا أن تطور حركة مستقلة مثلاً فانها تستطيع فقط أن تتحول من العمالة إلى الاصلاحية، ولن تجد في نفسها القوة التي تمكنها من السير قدماً بعد ذلك. غير أن هنالك البروليتاريا في الجهة المقابلة، ولهذه البروليتاريا حلفاء على النطاقين الداخلي والخارجي واسلوب ثوري للوصول إلى التحرر القومي والاجتماعي ينطوي على قدرات تكفي لايصال المجتمع إلى الاشتراكية. ليس من الصعب على ممثلي العديد من الطبقات أن يزعموا تبنيهم للأفكار الصحيحة إذا كانت الألوان مازالت مختلفة ومازال النضال يجري على المستوى الايديولوجي، وإذا كانت المسؤولية السياسية الجادة ما تزال غائبة إلى هذا الحد أو ذاك، بل ومن الممكن أن يبادر العديد من ممثلي مختلف الطبقات بما فيها البرجوازية الصغيرة بشكل خاص، إلى تبني الكثير من الأفكار الصحيحة ذات العلاقة بالمسألة القومية وبالروح الوطنية وما اليها. أنهم يستطيعون أيضاً أن يتجاوزوا ذلك إلى وضع تواقيعهم على البرامج المكتوبة والمطبوعة أيضاً. ذلك لأن البرنامج، في حال غياب الممارسة العملية الموازية له، ماهو إلا حبر على ورق. ولكن الواقع تكتسب المزيد من الوضوح والتحديد لدى الشروع في إلقاء الضوء على قضايا هوية التنظيم الذي يراد تأسيسه وماهية الأسس التي يستند إليها والمسائل الهامة حول الاسلوب النضالي الذي سيتم اتباعه للوصول الى نتائج المرجوة. ان ما هو مطروح للمناقشة بعد الآن هو التطبيق العملي. إن الجرأة الثورية والاستعداد للتضحية ومدى الارتباط بالقيم الشعبية الأصلية هي التي ستمتحن في الممارسة، وصولاً الى الكشف عن مدى الصدق في الالتزام بالشعارات اللفظية. باختصار يغدو كل شيء مرتبطاً بالمناضلين والممارسات العملية التي سيقوم هؤلاء بتأسيسها وتسييرها.

وبصورة عامة تكون المسألة قد انتقلت من الفكر الى الممارسة؛ من مستوى جملة الاشخاص الى مستوى جمهور المناضلين الذين يشكلون القوة الدافعة للحركة.

وبعد هذه النقطة ستدخل كل طبقة ساحة القتال بمناضليها في سبيل تغيير الواقع القومي والاجتماعي بالثورة وستدبر حرباً من طرازها هي. وهنا ستبدأ الشخصيات أي السمات الثورية بالصراع فيما بينها. حيث سيتقابل المناضل البروليتاري الذي يجسد الخط الايديولوجي. السياسي البروليتاري المطبق على واقع البلاد من جهة، و (المناضل) الآخر الذي هو أكثر ميلاً بمواصفاته الى تجسيد وجهة النظر والحلول البرجوازية الصغيرة للقضية من الجهة المقابلة، وفي هذا المنعطف بالذات يتم التوصل الى النتيجة. هل يكون الحل بالثورة ام من خلال الأساليب الاصلاحية العملية التافهة؟ وهنا بالذات يرتبط الانتصار ارتباطاً وثيقاً بنشاطات المناضلين العملية. وسيتضح مدى التزام سائر الأطراف بالكلام الصحيح الذي رددته طويلاً من خلال الأفعال التي تقوم بها. هذه هي النقطة التي تم الوصول اليها في كردستان اليوم.

خلال السنوات العشر الأخيرة ساد نشاط ايديولوجي مكثف وجرت مناقشات حامية على مستوى المفاهيم والإطروحات مما أدى الى تحقيق بعض التطورات السياسية الهامة. أما الآن فان الشعب الذي يجد نفسه وجهاً لوجه مع ارهاب الثورة المضادة والعنف المكشوف الأشد من أي وقت مضى، بحاجة ماسة وملحة الى التحرر من ارهاب الثورة المضادة التي لاترحم. وهو دائب على البحث عن طريق واسلوب مثل هذا التحرر، عن التنظيم الذي يستطيع أن يثق به من أعماق قلبه ويخصه بكل دعمه، وعن مناضلي هذا التنظيم. لم يعد الشعب يكتفي بالكلام وحده بل يريد أن يرى اضافة الى الكلام تحركات صحيحة وأعمالاً سليمة. وفي مثل هذه المراحل تبادر البرجوازية بسرعة الى فضح نفسها، لأنها تهرب من الممارسة الثورية، من المقاومة والنضال كما لو كانت تهرب من الوباء. إنها لاتبدي أية مقاومة لارهاب الثورة المضادة المسعورة فضلاً عن تخليها اليوم عن سائر المزاعم والشعارات التي كانت تطلقها

بالأمس بكثير من (البطولة) في أجواء من التحلل والتفسخ والزوال بعد التمزق. ولدى ظهور اخفاق ممثلي هذه الطبقة في متابعة النضال الثوري بشكل واضح راحوا يحاولون تأمين حياتهم الشخصية ومصالحهم الأنانية عن طريق الارتباط بهذه القوة الامبريالية او تلك او اللجوء الى هذه الحركة الانتهازية او تلك، لقد تخلوا عن قيم الاستقلال والمقاومة النبيلة تماماً وسقطوا في وحل الجري وراء المصالح الأنانية، غارقين في هموم كيفية الخلاص الذاتي، وكيفية تصحيح الأخطاء التي ارتكبوها في الماضي، وكيفية استعادة النظام الذي اهتز من اساسه، ومع كيفية الحصول على كميات أكبر من فتات الموائد. من المؤكد ان المطروح في مثل هذه الحالة هو انعدام الشخصية بشكل مخيف لاموضوع الشخصية. سبق لنا ان أشرنا في مقالة سابقة الى مثال دوهرنغ القميء في موضوع مماثل. واذا تمت دراسة سائر تطورات هذا السيد (المحترم) الذي هو افضل من نطق باسم البرجوازية الصغيرة دراسة معمقة فان من الممكن الوقوف بسهولة على سائر صفات وسمات هذه الطبقة كلها في الوقت نفسه. ولذا لاتبقى اية حاجة للانشغال بالكتابة عن مختلف الفئات الأخرى المنضوية تحت لواء هذه الطبقة.

فيما تتابع مختلف الفئات البرجوازية وضعها المنحط لأقصى الحدود، نرى في الجهة المقابلة البروليتاريا التي تسترشد بالماركسية اللينينية، بالاضافة الى الذين يخوضون مقاومة مستمرة وواضحة بدءاً من الفكر وحتى الممارسة العملية دون الأخذ بعين الاعتبار قلة العدد وصعوبة الظروف. وباختصار فاننا نجد النموذج الحي الذي يجسد هذا النمط من الشخصية الثورية والمناضل الثوري اللذين نتحدث عنهما في شخص حزب العمال الكردستاني ال(ب.ك.ك. pkk). ان هذا التعبيرالحي، مملوء سواء في الخارج أم في الداخل، سواء في القمم الجبال أم بين صفوف الشعب، بالعديد من الشخصيات النموذجية، والهبات البطولية المتجهة نحو مستقبل حر ومستقل والمبشرة من الآن بمثل هذا المستقبل، اضافة الى أنهار غزيرة من دماء الشهداء ونماذج لامثيل لها من المقاومة. ان هذه هي الشخصيات العظيمة والمجيدة التي تجسد من الآن في ذواتها سائر سمات المجتمع المستقبلي. ان القافلة المجيدة هذه قد بدأت باستشهاد

حقي، وتابعت مسيرتها من خلال الشهداء خليل وصالح وجمعة، ولتصل الى ذروتها بالشهداء مظلوم وخيري وكمال. ان الحركة التي قدمت مثل هذه النماذج المختارة من الشخصيات وبطولات المقاومة، والتي تتابع اليوم مقاومتها في ظل ظروف أكثر صعوبة؛ هذه الحركة التي لاتتوقف عن النشاط والعمل في سبيل مراكمة الطاقة والامكانيات، هذه الحركة التي تقدم رد الشعب على ارهاب الثورة المضادة وتوفر له الامكانية والقيادة؛ هي حركة استطاعت ان تزاوج بين غضبها الواعي وبين الحقد اللاوعي للشعب وان تحول ذلك الى انفجار؛ هي حركة قادرة على خلق وتربية أفضل المناضلين. وان هناك شخصيات نضالية نشأت بالصورة المطلوبة واستطاعت ان تظهر سماتها الأساسية، وهذه السمات لم تكن كلاماً مجرداً بل سمات تمت البرهنة على صحتها في الممارسة العملية.

وهكذا، فيما يظهر ممثلو الطبقة العاجزة العاجزون، ممثلو الطبقة عديمة الشخصية ذوو الشخصيات الممسوحة بكل صفاتهم وزيفهم ونزعاتهم الهروبية وتخريبهم من جهة، يبرز من الجهة المقابل النمط النضالي الممتاز الذي يجسد العديد من الفضائل الانسانية بحق؛ من الفكر الى المقاومة؛ من الجرأة الى الاستعداد للتضحية، من الفلسفة الى الأخلاق، منذ الأن غير ان هذه العملية ليست مستكملة بعد. ليست الشخصية الثورية المقاومة إلا في بداياتها الأولى. فعلى هذه الشخصيات أن تتطور أكثر فأكثر وأن تفرض نفسها من خلال النضال العملي. ومن المؤكد أيضاً أن البرجوازية الصغيرة هي الأخرى لن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا النمط من الشخصية، بل ستحاول أن تفرض شخصيتها هي وحياتها. غير أنه من الواضح أن الشخصية النضالية للبروليتاريا ستبادر إلى تطور نفسها أكثر فأكثر لمواجهتها. ولا سيما لأنها ستتصلب أكثر فأكثر لتغدو كالفولاذ في المعارك النضالية القادمة في المرحلة المقبلة وستبرهن أنها سوف تلعب دوراً حاسماً في عملية تغيير الواقع الملموس عن طريق الثورة،، أما المهمة التي تواجهنا نحن الآن فهي القدرة على تجسيد مميزات وخصائص هذه الحقيقة التي

مسألة الشخصية في كردستان

بدأت تتجلى؛ ولا سيما سمات المناضل الذي يعبر في الواقع الكردستاني الملموس شخصية المناضل الثوري للبروليتاريا بشكل أكثر وضوحاً.

إذا أخذنا المؤشرات الأولى التي بدأت تظهر اليوم واستعراضناها بشيء من التدقيق في ضوء النظرية و الممارسة الثوريتين فأننا نرى بوضوح أن المناضل سيتمكن خلال حرب المقاومة الثورية التي ستزداد زخماً حيث سيتضاعف مستوى العنف المكثف الذي سيمارسه الشعب في المرحلة القادمة، من أن يزيد من تطوره، وبالتالي من تمثل العناصر الأيجابية بشكل افضل وصولاً إلى توفير إمكانية تحقيق النضال بشكل أفضل وبصورة أسهل. ومن هذه الزاوية فأننا نتناول قضية ما هي السمات الأساسية للنموذج النضالي الثوري الكردستاني في حرب المقاومة الثورية التي سيخوضها في المرحلة المقبلة. فكيف يجب أن يكون نمط المناضل الثوري في كردستان ليتمكن من تجاوز الأخطاء والنواقص وصولاً إلى القضاء عليها، وما هي المواصفات والمميزات التي ينبغي أن يجسدها في شخصه؟ إن النظر إلى مثل هذا السؤال من وجهة نظر صحيحة ودراسة المشكلة دراسة معمقة وإلقاء الضوء عليها واجب بل وضروري ضرورة حتمية.

الفصل الثالث

سمات المناضل الثوري الخاصة

مدخل:

نستطيع أن نقول ان الدور الذي تستطيع الشخصية أن تلعبه صار اليوم بمعنى من المعاني متطابقاً مع الدور الذي يمكن للشخصية الثورية أن تلعبه. وبهذا المعنى تبرز مسألة الشخصية في ظروف كردستان أمامنا على شكل قضية التحول إلى مناضلين فهموا العديد من سمات النضال الثورية بعمق وتمثلوها وبلغوا مستوى تطبيقها في الحياة. ومن هذه الزاوية نرى أن القضية الحاسمة الأن هي الأجوبة التي ستعطى لأسئلة من هو الذي يمكن أن يطلق عليه اسم المناضل الثوري الجدير بهذا الأسم من نظرته إلى العالم حتى سلوكه العملي؟ وماهي السمات التي ينبغي له أن يتحلى بها؟ حيث يكمن المفتاح الرئيسي لحل مسألة الشخصية. وذلك لأن المناضل يمتلك سمات خاصة تميزه عن رجل الفكر، عن المنظر، عن المنفذ العادي

لخط ما، وعن العضو العادي البسيط في هذه المنظمة أو تلك. ولهذا السبب فأن كل نضال ثوري خاص ببلد معين مضطر لأن يخلق نمطه النضالي الخاص به ويؤمن الكوادر التي تلائم ظروفه. وبدون تأمين ذلك وتطويره لا يمكن لذلك النضال، مهما كانت صحة نظريته وخطه السياسي، أن يحقق النجاح في الممارسة العملية.

وإذا كانت مسألة الشخصية تعالج اليوم، فأن ذلك لا يعني تناول أية شخصية بدون تحديد أو دراسة شخصية مثقف قادر على تطوير التفكير في هذا الموضوع أو ذاك ويستطيع أن يكتب بعض المقالات الجيدة. ذلك لان دور قيام حفنة من الشبيبة المثقفة بتمثل النظرية والتوصل بالانطلاق من ذلك إلى الأفكار الثورية قد تم اليوم تجاوزه. فالتطورات التي تحققت في هذا الموضوع في الماضي، أطلقت سراح دور الفرد من هذا الإطار الضيق والمتخلف، فوصلت مسألة تطبيق الخط النظري والسياسي الصحيح الذي تم وضعه على الحياة، إلى نقطة تنظيمها والتحرك العملي بموجبها تفرض نفسها بكل قوة. وبإختصار نقول ان ما يعنيه دور الأفراد هو دورهم في تطبيق الخط السياسي على الحياة، وما تعنيه عبارة الشخصيات الكبيرة هي الشخصيات التي تنفذ هذا الخط وتطبقه بالشكل اللائق والصحيح.

إن المسألة الملحة والحاسمة واليومية الراهنة تماماً في أيامنا هي قضية ما إذا كانت الكوادر الغارقة في غمرة النشاط الثوري قادرين على امتلاك الكفاءات والمميزات التي تمكنها من تلبية متطلبات المرحلة أم لا. غير أن مسألة سمات المناضل الثوري لم تنعكس بشكل قوي على ساحة الواقع حتى يومنا الراهن لتعرض الأدوار التاريخية للأفراد في الواقع الكردستاني للاختزال الشديد بصورة عامة والتغاضي عنها بالتالي. وقد أدى كون البرجوازية الصغيرة في كردستان مشوهة كثيراً بصورة استثنائية، إضافة إلى الفوضى التي أوجدها صغار البرجوازيين – بدءاً بالعمالة وانتهاءاً بالاصلاحية – وتقديمهم كل أشكال السلبيات والنواقص على أنها قيم (ثورية)، ووقوفهم حجر عثرة أمام امكانية الكشف عن دور الأفكار الثورية بشكل صحيح

وكامل إضافة إلى إعاقة امكانية قيام الشخصيات التي تمثل الأفكار بأدوارها على أكمل وجه؛ أدى ذلك كله إلى اختزال دور الأفكار والشخصيات الثورية إلى الحدود القصوى وإلى جعله دوراً سلبياً. ومثل هذا الوضع يجعل من الضروري والملح ابراز دور الفرد بشكل قوي بما يتفق مع وجهة نظر البروليتاريا التي هي أقوى طبقة ثورية في عصرنا وفي ضوء الأيديولوجية البروليتارية وبيان دور القوى التي تستوعب النظرية الثورية، أي دور الحزب البروليتاري بشكل واضح وضوح الشمس.

تحقق فيما سبق تطور هام في ميدان الفكر فيما يتعلق بالنضال الايديولوجي المرتبط سواء بمسائل النضال في سبيل التحرر الوطني والقومي أم بما يجب أن يكون عليه السلوك الثوري الفعلي للبروليتاريا. وقد تم عكس دور الأفكار الثورية الصحيحة على الواقع بنسبة كبيرة. ولكن عدم كفاية الأفكار وحدها لحل القضية وحتمية توفير الكوادر والرجال العمليين المؤهلين لأن يطبقوا تلك الأفكار في الحياة واضحان تماماً. لذا كان لا بد للأفكار الثورية الصحيحة من أن تجد تعبيرها في الأفراد. وقد بدأت هذه الحاجة بأن تحل نفسها تدريجياً وصار يتشكل نمط ثوري تتوفر فيه المعايير الاعتيادية لتلك الفترة. غير أن سمات النمط النضالي لم تكن قد ظهرت بعد بوضوح تام في أجواء الفوضى القديمة تلك حيث كان الحابل مختلطاً بالنابل، والأسود متداخلاً مع الأبيض، وحيث كان الجميع يزعمون تبنيهم للعديد من الأفكار الصحيحة ولكن مدى ارتباطهم بها ارتباطاً تاماً لم يكن معروفاً. أما اليوم فان النمط الثوري غدا أكثر قدرة على فرض نفسه في الأجواء النضالية الملتهبة وفي ظل الظروف الصعبة. لقد صار الجواب الملح والقوي على سؤال ماهية السلوك الثوري وكيف ينبغي للمناضل الثوري أن يتصرف في ظل الإرهاب الاستعماري الفاشي وخصوصاً في أعماق الزنزانات. ويمكن القول ان تكشف هذا النمط وظهوره بوضوح هما من أهم التطورات التي حصلت في الوقت الراهن.

مسألة الشخصية في كردستان

إن ابراز المقاييس الضرورية لبلوغ مستوى النضال بشكل واضح والتوصل إلى حل مسألة التحول إلى مناضل على أساس تلك المقاييس في ضوء المعطيات التي ظهرت هو من أهم المهمات وأكثرها الحاحاً اليوم. ان ظهور سلوك المقاومة الثورية في أعماق الزنازين حيث ستثمر الحياة في أصعب الظروف، وتجلي هذا السلوك بشكل ساطع لدى الأشخاص الذين يقاومون ويحققون النجاحات إلى النهاية رافضين الهزيمة في النضال المستمر في ظل أصعب الظروف في جميع الساحات الداخلية والخارجية بالطريقة ذاتها، قد ساعدا كثيراً على تحديد أبعاد الاجابة عن سؤال: كيف ينبغي أن تكون السمات الواجب توفرها في المناضل الثوري. وفيما تضع الحركة البروليتاريا أمامها حل هذه المسألة بوصفها مهمة ملحة، ترفض تيارات الماضي المنحرفة والمنكرة لوجود مثل هذه القضية والملآى بالنواقص والأخطاء حتى التوجه إلى هذا الجانب من المسألة. ذلك لأن تدقيق هذه القضية كفيل باسقاط أقنعتهم واظهار وجوههم على حقيقتها. ونظراً لأنهم يواجهون خطر سقوط الأقنعة عن وجوههم فانهم يهربون من هذه القضية كما يفعلون إزاء القضايا الأخرى.

لقد برزت في الماضي القريب وفي أيامنا الراهنة أسطع الأمثلة وأقواها على الالتزام بالثورة الكردستانية، وبالنضال في سبيل الاستقلال والحرية على أساس الماركسية اللينينية في شخص حزب العمال الكردستاني. في شخص حركة : ب . ك. ك. Pkk . لقد اتضح بشكل ساطع كيف يجب أن يكون المؤمنون الحقيقيون وكيف ينبغي لهم أن يتصرفوا. غير أن نماذج سلبية ظهرت أيضاً بالمقابل في الوقت نفسه. فمن الممكن أن نرى الكثير من نماذج أولئك الذين خانوا قيم الاستقلال وبادروا إلى تصفية ايديولوجيتهم وتنظيمهم لأتفه الأسباب. وقد غدا ذلك اليوم معياراً أساسيا لفصل القمح عن الزيوان، للتفريق بين الصحيح الخطأ، وللتمييز بين الموقف الثوري الصحيح وبين الموقف الإصلاحي الذي ليس له أية علاقة بالموقف الأول. وبعبارة أخرى نقول، إن مدى مقاومة هذا المناضل الثوري أو ذاك صار في الوقت نفسه معياراً لكشف الهوية الحقيقة للتيار الذي ينتسب إليه. لقد أصبح الجميع ينظرون لا إلى الكلام

الطويل الذي كانوا يقولونه في الأجواء السلمية وإلى المنظمات التي كانوا يؤسسونها، بل إلى إيمان وإيديولوجية وتنظيم الأشخاص والتنظيمات التي تقول بأنها ثورية وإلى مدى ارتباطهم بالشعب. فهذا الشعب لا يصدر أحكامه العادلة إلا من خلال النظر إلى ممثلي النضال الذي يجري خوضه في بحر من المقاومة في الزنزانات والجبال وغيرهما من الساحات في ظل أصعب الظروف وأعقدها. وهذا كله يؤكد واحدة من الحقائق تأكيداً واضحاً؛ وهذه الحقيقة هي أن الدور التاريخي في يومنا هذا لا يقوم به إلا المناضلون الثوريون وأن الإمساك بالخط الموصل للنصر لن يكون إلا من نصيب التيار الايديولوجي – السياسي الذي يمتلك وفرة من الكوادر الثورية. إذن لا بد من تناول المسألة بدون مبالغة ولكن بدون استخفاف أيضاً في الوقت نفسه ومن تبيان الدور الذي يستطيع كادر ثوري أن يلعبه بكل واقعيته في أجواء التطورات الراهنة بشكل واضح تماماً.

إن للكوادر الثورية في تأمين التطور وتوفير إمكانية النصر في النضال الثوري دوراً أكبر مما قد يظن. ومن هذه الزاوية فإن المسألة ليست مسألة عدد من الاشخاص، مسألة هذا المنظر أو ذاك، مسألة جماعة نضالية دعائية ايديولوجية. كما أنها في الوقت نفسه ليست قضايا حزب من الأحزاب أنجز بناء مؤسساته وغدا حزباً جماهيرياً. فعلى الرغم من أن مرحلة النضال الايديولوجي والدعاية التي هي المرحلة الأولى قد تم تجاوزها لم يتم بعد الوصول إلى المرحلة الثانية أي إلى مرحلة استكمال بناء الحزب النضالي الذي يمتلك مؤسساته بشكل كامل وصار جماهيرياً. إن تشكيل مجموعات الدعاية الخاصة صار اليوم قضية فقدت أهميتها لأن مئات الدوائر الدعائية سوف تنشأ وسوف تتطور تلقائياً على أساس تطور النضال . لقد تطور التراث الفكري والعملي الثوري إلى مستوى يتمكن معه من تحقيق ذلك. إلا أنه صحيح أيضاً أن التنظيم الحزبي للخط الايديولوجي السياسي لم يستكمل بعد، كما لم يستطع أن يقيم علاقاته الجماهيرية وينشيء منظماته الجماهيرية. إن العملية تمر بمرحلة انتقالية متوسطة. وهذه

النقطة التي وصل النضال إليها تعبر عن مرحلة توفر للمناضل الثوري فرصة القيام بدور حاسم.

لا بد من حل مسألة تكوين الكوادر بما ينسجم مع المهمات الملحة التي تطرحها المرحلة نظراً للأهمية التي تتصف بها هذه المرحلة. من الواضح أنه لا يجوز، في هذا المجال، التحرك مثل رجل دعاية بسيط أو كعضو عادي وصرف الجهود على مهمة مرسومة الأفاق والحدود سلفاً. فالكتب والكراريس أنجزت وما زالت تنجز مهمة تبيان ما هو صحيح نظرياً بشكل عام بصورة ناجحة تماماً. وفي هذا الميدان قد لا تقع مسؤوليات كبيرة على الدعاية الشفهية المنطوقة. وإن ظهرت حاجة كهذه في هذه الساحة أو تلك فإنها ستكون ذات أهمية ثانوية. وبالشكل نفسه لن يكون نشاط عضو بسيط في واحدة من الخلايا هو النشاط الحاسم في يومنا هذا. إن القضية التي تفرض نفسها بشكل يومي والتي تنتظر عمل الكثير من المناضلين هي قضية لا يستطيع هذا النوع من العمل العادي البسيط أو ذاك أن يحلها. وبهذا المعنى نقول إن النشاط الذي يجب بذله في هذه المرحلة هو نشاط نضالي حقيقي. إنها ليست مرحلة يقوم فيها بضعة أشخاص في القمة بدور حاسم أو تبادر الألاف ومئات الألاف من الأعضاء العاديين إلى القيام بمثل ذلك الدور. إنها، على النقيض تماماً، بداية لمرحلة تقوم فيها وفرة معينة من الكوادر بتلبية متطلبات الواقع الملموس في البلاد وتلعب دوراً حاسماً في عملية تكوين الحركة العملية المندمجة بهذا الواقع الملموس. والقضية ذات الاهمية القصوى في هذا المجال هي قضية الكشف التام عن السمات الواجب توفرها لدى الأشخاص المرشحين لمثل هذا الدور. وبنفس الطريقة لا بد أيضاً من تبيان ماهية الواجبات ذات الأوجه المتعددة التي تقع على عاتق المناضل وطبيعة الاساليب التي يجب اتباعها. وكل هذا الذي قيل إنما قيل لأنه مفروض من المرحلة التي يجب تجاوزها تاريخياً، لا مجرد كلام يستهدف التعليم فقط. إن الحديث متركز على عدم إمكانية حل المسائل التالية بدون إنجاز هذه المهمة التاريخية التي تفرضها المرحلة، وعلى استحالة الشروع بالعمليات القوية بعد بناء الجيوش الكبيرة بدون

تحقيق تكون مجموعة من الكوادر الثابتة والحازمة وتنظيمها، وعلى ضرورة تدشين مرحلة جديدة من هذا النوع. نكرر مرة أخرى أن من الضروري عدم المبالغة بتصوير القضية كما يجب عدم الاستخفاف بأهميتها. لا بد من تناول المسألة بالشكل الذي يمكن من حل سائر قضايا المرحلة مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا الأمر مطروح في بلد مثل كردستان بالذات، لا في أي بلد آخر بدون تحديد.

سيكون من المفيد لفهم قضيتنا أن نعود إلى تحديدات لينين حول مثل هذا الوضع في روسيا التي كانت تمر بمرحلة مشابهة، بمرحلة استلزمت أن تقوم مجموعة منظمة من الكوادر الثابتة والمؤمنة بدورها التاريخي. ففي مرحلة عانت فيها الاشتراكية – الديمقراطية الروسية أزمة ناجمة عن عدم توفر القادة المتطورين ذوي الخبرة والتدريب الكافيين لقيادة الجماهير المندفعة أكثر فأكثر للانضواء تحت راية النضال، يقول لينين الذي يبرز مثال الألمان، للاقتصاد بين الذين يتجاهلون أهمية مثل هذه المجموعة من الكوادر المؤمنة والراسخة:

((لقد تطور الفكر السياسي لدى الألمان تطوراً كافياً، وصار الألمان يمتلكون خبرة سياسية تؤهلهم لأن يدركوا استحالة خوض أية طبقة في المجتمع الحديث نضالاً ثابتاً وراسخاً بدون قيادة محترفة ومدربة، بدون مجموعة صغيرة تضم عشرات القادة الأكفاء ذوي الخبرة الطويلة والذين يعملون بانسجام كامل فيما بينهم(فالأشخاص الأكفاء لايولدون بالمئات).)) وفيما بعد يضيف لينين النقاط التالية حول الموضوعي نفسه:

((أقول: ١ – لا تستطيع أية حركة ثورية أن تستمر بدون منظمة قادة مستقرة تضمن الاستمرارية.. ٣ – مثل هذه المنظمة يجب أن تكون مؤلفة من أشخاص احترفوا العمل الثوري بشكل أساسي... ٥ – سينمو عدد الأعضاء الذين يلتحقون بالحركة من العمال الذين يستطيعون أن يعملوا بشكل أكثر فاعلية والذين يأتون من الطبقات الاجتماعية الأخرى بشكل يتناسب مع ذلك.)) إن هذه التحديدات هي بهدف حل مسألة خلق منظمة ثورية،

بهدف حل مسألة الكادر التي تبرز لدى توجه الثورات البروليتارية في عصر الثورات البروليتارية إلى النصر، لا بهدف حل أية مسألة عادية أخرى بدون تحديد. وهي من هذه الزاوية ذات أهمية كونية شاملة، فالحقائق المحددة فيها، أي الحقائق الثابتة التي يجري تحديدها بشأن منظمة محترفة، ذات صفة شمولية من حيث الجوهر. إن القول باستحالة العمل الثوري بدون وجود منظمة للثوريين ذو صفة شمولية عامة كالقول ب (استحالة الممارسة العملية الثورية بدون النظرية الثورية)

على الأقل. فبدون تشكيل منظمة مناضلين ارتفعوا إلى مستوى هذه المعايير، لا يمكن تسجيل أي قدر من النجاح في عصر الثورات البروليتارية. ونحن هنا لسنا بحاجة إلى تحديد السمات العامة التي تكون مشتركة إلى حد بعيد بين سائر البلدان. غير أن إيضاح الخصائص التي ستجسدها القضية في وطننا خارج إطار تلك السمات العامة والطريقة التي ستنعكس بها تلك السمات العامة على الواقع الموضوعي للوطن يكتسبان أهمية أكبر.

أما السبب الذي يجعلنا نتوقف عند هذا الموضوع بإصرار فهو إيصال الكثير من السلبيات إلى الوعي العميق أكثر من كونه جر القوى الأخرى إلى الخط الصحيح والموقف السليم – فأولئك حولوا سلبياتهم في هذا المجال إلى مسلك دائم –، بالنسبة لأولئك الذين ما زالوا متخلفين عن إدراك أدوارهم الخاصة في صفوفنا نحن، مع التركيز على ماسيترتب على عدم قيامهم بهذه الأدوار في المرحلة التاريخية التي يعيشونها من أضرار كبرى وسلبيات كثيرة لا تخطر ببالهم. وهذا الوضع يحتم تناول الموضوع عندنا بجدية قصوى وأمراً ضرورياً. فعلى الكوادر والمرشحين لأن يصبحوا كوادر أن يدركوا مدى الدرك المؤهل لأن يؤدي إلى الكثير من الأضرار الذي سيسقطون فيه في حال عدم قيامهم بأدوارهم كما يجب بل وبشكل أفضل مما يجب، بدلاً من أن يكونوا ذوي فائدة للشعب. وكما سنبين فيما بعد، تؤدي المقاييس الناقصة والفجة غير الناضجة إلى إلحاق الأذى بنضالنا أكثر من أن تقدم له أية فوائد.

هناك جانب آخر للمسألة لا بد من فهمه؛ إن مجرد امتلاك النية الحسنة، والاستعداد للتضحية بالذات، والاطلاع على أعداد كبيرة من الكتب، والنجاح في القيام بالعمل الدعائي وما إلى ذلك، ليس كافياً، فالقضية ليست قضية امتلاك هذه المعايير؛ إنها قضية بلوغ أو عدم بلوغ المعايير المطلوبة بالنسبة للمناضل. يجب على الكادر أن يعرف ويدرك بعمق أنه سيتمكن من أن يلعب دوراً تاريخياً، سيحقق النجاح في العديد من الأعمال، وسينجز العديد من المهمات الصحيحة ذات المضمون والحاسمة في حال بلوغه مستوى المعايير النضالية، وإلا فسيتسبب بحدوث الكثير من الأضرار الكبرى. ليست المرحلة المعاشة، كما سبق لنا أن قلنا، مرحلة يستطيع فيها عدد قليل من الدعاة أو الجماعات الدعائية أن يتابعوا النضال. فلو كنا نمر عبر مرحلة كهذه لكان مرشحو الكوادر عندنا قادرين على الكثير من العطاء. وبالشكل نفسه لو كانت عندنا بنية تنظيمية قوية ومتينة لاستطاع مرشحو الكادر عندنا بوصفهم أعضاء في التنظيم أن ينجزوا مهمة بالغة السمو والرفعة. غير أن المسألة التي نواجهها اليوم ليست هذه أو تلك. ومن الدلائل التي تشير إلى عدم إدراك المسألة بما يكفي من العمق وجود أشخاص ما زالوا يستطيعون أن يقولوا عبارات من قبيل:

((أنا أعمل بشكل أفضل من عضو التنظيم الفلاني أضعافاً مضاعفة؛ وكيف يمكن توجيه الانتقال إلى شخص مثلي؟!)) أنا أقوم بهذا القدر من الدعاية في اليوم وأحقق نجاحات لا يمكن أن تقارن بما كان يتحقق في السابق. ومع ذلك كيف يتم التغاضي عن جهودي هذه حتى الآن وكيف يمكن أن أتعرض للنقد؟! وظهور أفراد يتجاهلون أهمية المناضلين العمليين الكبار ويكتفون بعدد قليل من العمليات العادية. من المؤكد أن هذه جميعاً مفاهيم ضيقة وفجة، وناجمة عن وجهات النظر و أولئك الذين لا يدركون معنى الدور التاريخي الذي يتوجب أن يلعبه الكادر.

هناك محاولات تقويمية تجري بدون أخذ مهمات المرحلة والكادر المؤهل لتولي إنجازها والسمات الواجب توفرها في هذا الكادر بنظر الاعتبار، غير أن من الضرورة معرفة أن مثل هذا الموقف ينطوي على الكثير من المحاذير. لأن المسألة الملحة في الوقت الحالي، كما اتضح جيداً، هي مسألة تشكيل منظمة المناضلين، أي تنظيم المناضلين. وعملية التنظيم هذه ليست عملية تنظيم لا على التعيين؛ إنها عملية التنظيم التي لا بد من تحقيقها في مرحلة معينة. أما الكادر الذي يدخل في هذا التنظيم فيجب أن يكون مناضلاً بارزاً يجسد في شخصه سائر سمات المرحلة ومهماتهم لا ثورياً عادياً كسائر الثوريين. ولهذا السبب فإن القضية التي تفرض نفسها هي قضية إزالة المفاهيم الخاطئة؛ وإنهاء وجهات النظر والمواقف الخاطئة والمشوهة التي تظهر ولو بسبب النوايا الحسنة. إن تحقيق مثل هذه المهمة أمر ذو أهمية مصيرية وحياتية إلى أقصى الحدود سواء من حيث تطور النضال أم من حيث تمكين الحزب من تطوير نفسه وتعزيز قوته. فبدون حل هذه المسألة التي تشكل جانباً حاسماً من جوانب العمل الذي يجب اعتباره في إطار نشاطات الكادر بشكل خاص، لا يمكن تصور إمكانية أن تعطي هذه النشاطات الثمار المرجوة منها وأن تسير بشكل سليم.

لما كانت قضية إيصال الكوادر إلى البنية والصيغة التنظيمية المتناسبة مع سمو المهمات التي هم مضطرون لأن يتولوا إنجازها على هذه الدرجة العالية من الأهمية نرى من الجهة الأخرى أن مسألة ما إذا كان الكادر المثقف يعد نفسه إعداداً جاداً أم لا، وإذا كان يفعل فكيف؟ وكيف يتدرب من جميع النواحي، تكاد تكون مسألة معقدة كالألغاز. ذلك لأن التدريب ليس شيئاً يمكن تقديمه من الخارج فقط. صحيح أن نصف العملية هو ما يقدم من الخارج، غير أن النصف الآخر لا يمكن توفيره إلا في داخل الفرد ذاته، إلا عبر نضاله مع نفسه. غير أن الشخصية الموجودة في بلادنا مشوهة ومغرية عن ذاتها كثيراً بفعل عوامل سبق ذكرها مما أبقاها شخصية ضيقة نظرياً، بلا نظرية؛ شخصية بعيدة عن امتلاك برنامج سياسي ثوري وعن تركيز هدفها على هذا البرنامج، شخصية غير متطورة بل متخلفة إلى حد كبير. فالوطنية

والديمقراطية والاشتراكية ليست من المفاهيم التي استوعبتها هذه الشخصية. إن الكفاءات المطلوبة لتكون شخصية تنظيمية قادرة على تشغيل العديد من المنظمات، ولتكون شخصية عملية قادرة على تطويرالعديد من الممارسات العملية بعيدة عنها بعد السماء عن الأرض. من المعروف أن مجتمعنا يعيش من هذه النواحي في إطار جو من الفوضى العامة التي لم يسبق لها مثيل. ليست هناك تجارب متراكمة أو تطورات تخدم عملية حدوث مثل هذا التراكم. إن كل الأمور تكاد تكون مشجعة ودافعة لانعدام المسؤولية ولانعدام العمل فضلاً عن أن الواقع الموجود يزيد من مفاقمة التعقيدات ويساعد على تمزيق المجتمع وتحلله أكثر فأكثر. لقد غدت هذه الصفة شكلاً يكاد يكون رئيسياً للحياة. إن الأفراد الذين يخرجون من هذا الواقع ويأتون ليلتحقوا بصفوف الثورة ينسون أنهم جاؤوا حاملين معهم نقاط ضعف كبيرة وكثيرة من داخل المجتمع؛ ويستخفون بعض الشيء بحقيقة كونهم متأثرين بالاستعمار والرجعية المحلية.

إن شخصية الإنسان الكردستاني الذي لم يشهد تربية وممارسة وطنية جدية وبالتالي لم يعش حياة تنظيمية وعملية قوية، نظراً لافتقارها إلى المعايير الراسخة، بل على النقيض من ذلك، لكونها شخصية مشوهة كثيراً خرجت عن سكتها، تكاد تسخر من الخط الايديولوجي – السياسي المطروح مهما كان صحيحاً وسليماً بسبب هذه البنية. فكيفما نظرنا إلى الأمر ومهما تغيرت زاوية النظر يبقى الواقع الموضوعي هو هو مهما كانت النية حسنة إزاء تناول الموضوع. إن المرشح ليصبح كادراً يكاد لا يكون مهتماً بنوعية السمات التي يجب عليه أن يتحلى بها، وبأنماط التنظيم والممارسة المطلوبة بإلحاح، وبموضوع كيفية الوصول إليها، سواء من حيث استيعاب مواصفات هذا الخط بشكل جيد وعميق أم من حيث وضع ذلك موضع التطبيق العملي في الحياة. إن المرشح ليصبح كادراً عندنا يعاني، من هذه الناحية، من نقاط ضعف ونواقص جدية تماماً.

مسألة الشخصية في كردستان

أثمرت الجهود المركزة التي بذلت في الماضي والدراسات التي تناولت موضوع الخط السياسي الواجب اتباعه في واقع البلاد الملموس ثماراً هامة مما أدى إلى حل مسألة النظرية الصحيحة ومنها قضية الخط السياسي الصحيح. من المؤكد أن هناك اليوم أيضاً خطوات يجب أن تتم في هذا المجال كما أن مهمة الدفاع عن النظرية الثورية الصحيحة والخط السياسي الصحيح ستبقى بدون شك ماثلة في النضال ضد جميع أشكال الانحرافات والأخطاء والنواقص. غير أن ذلك يكون بعيداً عن تشكيل إحدى القضايا الملحة والحاسمة في المرحلة الراهنة. فالمسألة التي تفرض نفسها في هذه المرحلة هي مسألة اكساب هذا الخط السياسي الذي تم التوصل إليه حياة، أي إكساؤه باللحم والدم في الواقع العملي. ومن الواضح أن عملية إكساب النظرية والخط السياسي حياة تستلزم عدم الاكتفاء بالدفاع عنهما كيفما اتفق بل ومعرفة تطبيقها على الواقع الحي، مثلما أن هذا هو أكبر خدمة يمكن تقديمها فأنه في الوقت نفسه، في حال الإخفاق في تأديته، يشكل أكبر إساءة يمكن التسبب بها في هذا المجال. لذا فإن ما يحدد حياة الموضوع هو الإنحصار في إطار مرحلة حتمية من مراحل الفترة التاريخية. وفي حال اخفاق المرحلة في توفير المناضل الثوري المتناسب مع خصائصها لابد من أن تخفق ككل وبالتالي تقود إلى هزيمة مؤثرة وكبيرة.

هذا ويجب التوقف عند المسألة من خلال تناول السلبيات التي تكون مترافقة مع الإساءة إلى الاعمال التنظيمية والتي تحرك الاجواء الساكنة من جوانب عديدة. ان التيارات الاخرى لا تولي أهمية كبيرة لهذه النقطة. ليس عندنا ما نقوله لأولئك الذين يدافعون عن الشوفينية الاجتماعية المستمرة بأشكال مختلفة وألحان متباينة، لأولئك الذين يطرحون ومنذ أمد بعيد أفكاراً وممارسات لا تنزل في الميزان أو في القبان كما يقول المثل في موضوع الثورة التركية بل وحتى الثورة الكردية المزعومة التي يدعون انهم سيحققونها، لأنهم لا يواجهون قضية إمكانية خلق مقاومة ما ضد الاستعمار الفاشي المسعور باسم التحرر الوطني والقومي في كردستان وبالتالي لن يواجهوا مسألة الكادر. ومن الواضح أيضاً أن ممثلي البرجوازية الصغيرة المشوهين

المشغولين بأنفسهم وبحياتهم الخاصة هنا وهناك لن يكونوا مهتمين أهتماماً جدياً بقضايا خلق الكوادر وتدريبهم بما يتفق مع سمات المرحلة بشكل مؤكد، على النقيض تماماً من ذلك فجميع أولئك منشغلون بالسعي لإبعاد المناضلين الثوريين عن النضال ولتفسيخهم إضافة إلى البحث الخسيس عن السبل الكفيلة بتأمين حياة أكثر ترفيهاً ورخاء ولهذا السبب فإن هؤلاء ايضاً ليسوا قادرين على أن يسهموا في عملية دفع عجلة حل هذه القضية إلى الأمام.

غير أن الذين يتبنون النضال قولاً وفعلاً ليسوا في وضع من وصل إلى هذا المستوى من السمة النضالية. والسبب في ذلك لا يكمن في أي من انعدام النية الحسنة، أو التقصير في التضحية أو المبادرة إلى بذل الجهود التي يمكن أن يبذلها المناضل العادي. هذه جميعاً متوفرة ولكن عدم الكفاية في الروح النضالية كان ناتجاً في الماضي عن البنية الأجتماعية في البلاد، عن الفهم الضيق البدائي الشبيه بفهم الهواة للعمل والنشاط . غير أننا اليوم نواجه قضية تطرح نفسها بصيغة العجز عن التحول إلى مناضلين ذوي سمات تؤهلهم لأن يطبقوا سياسة الحزب في موضوعات كثيرة على الحياة، وبصيغة عدم الأستعداد الكافي لإنجاز المهمات التي تطرحها المرحلة. فكما برزت أمثلة كثيرة في ساحة النضال العملي، ظل حتى أولئك الذين يزعمون بأنهم من أفضل الكوادر عاجزين حتى عن إنقاذ ذواتهم ناهيك عن تنظيم الشعب أو تسيير الفعاليات المختلفة بين صفوفه، أو تنفيذ هذه المهمة الحزبية أو تلك. من المؤكد أن هذا الوضع يدفع إلى التفكير المعمق. إننا أمام مسألة بالغة الأهمية: فمرشح الكادر يستطيع أن يتحول في الكثير من النواحي وخلال فترة قصيرة إلى مخلوق يتعذر التعرف عليه. ألم نر أولئك الذين غسلت أدمغتهم؟ ألم تشهد حالات جرى فيها الأبتعاد عن الخط السياسي؟ ألم نر أولئك الذين تأزموا؟ وأولئك الذين وقفوا في مواجهة الجماهير؟ ألم نراهم في صراع مع أقرب رفاق العمل والنضال حول مسائل شخصية وذاتية؟ ألم نراهم يعيشون حالة الأخفاق بعد الإخفاق بصورة متكررة ومتلاحقة؟ ...الخ. حتى أن أحدهم يصل إلى وضع الإنسان الذي هو بحاجة إلى من ينقذه بدلاً من أن يكون هو المنقذ. مهما كانت نوايا وتضحيات وشجاعة

كادر سقط في مثل هذا الوضع فإنه ليس إلا هاو عادي بسيط ومسكين. لا يمكن لمثل هذا المعيار أن يكون معياراً للكادر النضالي. فالكادر لا يستطيع أن يمتلك حق حمل أسم المناضل الثوري إلا بمقدار ما يناضل ضد هذا الواقع، وبمقدار ما يتجاوز مثل ذلك الوضع المزري.

ظهرت بعض مؤشرات سمات المناضل الثوري ولو في ظل ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد. ولكن هذا لا يشكل إلا البداية، إلا المستوى الاختباري. وفي هذه الظروف يستحيل أن نعيد الحياة من جديد إلى العديد من الكوادر التي يمكن أن نصفها بأنها (ماتت). فالقضية هي قضية تمكن الكوادر الحية والنشيطة من أمتلاك السمات النضالية. فالممارسة العملية المعاشة، كما ذكرنا من قبل أيضاً، تبين أننا لسنا في مستوى يجعلنا قادرين على المبالغة في الأعتزاز. ما أكثر القواعد الثورية العامة التي يجري تجاهلها ببساطة! ما أكثر ما تنجح مناورات العدو حتى البسيطة منها! وما أكثر ما يستطيع هذا الشكل التحريضي أو ذاك أن يمارس تأثيره! فقبل كل شيء يظل الكوادر عاجزين عن الانتظام في منظمة؛ أنهم لا يستطيعون أن يعملوا بشكل جماعي مع أقرب رفاقهم في إطار عمل تنظيمي صحيح، ناهيك عن المبادرة إلى تنظيم من هم حولهم! إن إي حزب ثوري يتصف بالجدية والمسؤولية لا يستطيع أن يغمض عينه عن مثل هذه الحقيقة. إن الحزب الذي يعرف جيداً أنه غير قادر على أن يتقدم خطوة إلى الأمام بدون قواه الفعالة الأساسية لا يستطيع أن يكون خيالياً يتوهم إمكانية السير إلى الأمام إذا كانت تلك القوى في مثل ذلك الوضع السيء. ولهذا السبب يكون هذا الحزب مضطراً لأن يركز جهوده على ذاته، أي على كوادره الأساسية الموجودة، على تدريب هؤلاء وتطويرهم، لرفع مستواهم بما يجعلهم في وضع يستطيعون معه القيام بالعمل وتنفيذ مهمات المرحلة. إن تحقيق مثل هذه المهمة ليس أمراً يمكن القيام به من الخارج. لا بد للمرشحين في أثناء هذه العملية من أن يتصلبوا عبر ممارسة النقد الذاتي حتى يتحرروا من بناهم الأولية وصولاً إلى النضج. فلكي يصبحوا مناضلين محترفين وكوادر، حسب تعبير لينين، يجب عليهم أن يوجدوا

في أنفسهم حماساً قوياً وأندفاعاً كبيراً وكفاية عالية، كما لا بد لهم من أن يوظفوا الكفاءات المتوفرة لديهم بأفضل الأشكال.

أوجدت اللينينية نمط المناضل الذي يناسب الثورة البروليتارية كما أوجدت نمط التنظيم المناسب لها. وقد تأكدت صحة المقولات اللينينية في هذا المجال في الكثير من الأماكن في العالم وفي مقدمتها روسيا من خلال الممارسة العملية بالذات. ويجب الآن تأكيدها عندنا نحن أيضاً . من الواضح وضوح الشمس أن نسج الأوهام حول أمكانية دفع الثورة الكردستانية إلى الأمام بدون إيجاد كوادر يجسدون في أشخاصهم العديد من السمات التي تجعلهم في مستوى يقدرون معه حل مسائل المرحلة لن يكون إلا استغراقاً في الخيالات والأحلام . وبالطريقة ذاتها لا يجوز لأي فرد أن يظن أنه يستطيع أن يصبح كادراً جيداً من كوادر الحزب إلا أذا ضمن لنفسه تدريباً متعدد الوجوه. ومثل هذا الأمل لن يكون إلا دليلاً على عدم إحاطة مرشح الكادر إحاطة جيدة بالبنية التي يعيش فيها.

تكاد مسألة ما إذا كان مرشحو الكوادر عندنا قد خلقوا في أنفسهم رغبة كافية في أن يرتفعوا إلى المعايير المطلوبة أم لا، تكون مسألة سرية، نوعاً من اللغز. فمن غير الواضح مدى اقتراب بعضهم من المعايير ومدى التزامهم بالمهمات والوجبات. كما أن مدى إيمان العديد بأن النضال النبيل هو نمط الحياة الذي لا يمكن الأستغناء عنه غير واضح. ومن جهة أخرى فإن مدى تطور الفهم النظري العميق للبلاد، ومدى تمثل الخط السياسي للتنظيم الذي ينتمي إليه، وما يتطلبه منه تطبيق ذلك على الحياة وتنظيمه وترجمته في الحياة، ومدى إدراكه لكيفية تحقيق النجاح في تنفيذ هذه المهمات؛ هذه الأمور جميعاً مازالت غامضة. يبادر العديد إلى ترك الأمور كلها للآخرين وكأن هذه المهمات لا تقع على عواتقهم. وما أن يخفق أحدهم في مهمته حتى يتحول إلى توجيه اللوم للآخرين. وبالتالي يظهر إلى الوجود نموذج ساطع من نماذج اللا مسؤولية بطبيعة الحال. إن من الممكن العثور على الكثير من الأمثلة في حياة

الحزب. لعل أبرز صفات الشخصيات الضعيفة هي القاء اللوم دائماً على من هم حولهم. وأمثال هؤلاء لا يستطيعون ضمان تطورهم بالانطلاق من الأخطاء والنواقص وتصحيحها ليصلوا إلى أكتساب السمات النضالية غير أنهم يصرون دوماً على أبعاد الأخطاء والنواقص عن ذواتهم. وهم لا يفعلون ذلك بالطبع للخلاص منها، بل لإلقائها على الآخرين ولتوزيع التهم ذات اليمين وذات الشمال. وإذا ما غضبوا يبادرون إلى توجيه اللوم لسياسة الكادر في التنظيم ويحاولون إظهارها كما لو كانت منبع الأخطاء والنواقص. وفي حال أستغراقهم في الغضب أكثر فأكثر، يتمادون أكثر ويهتدون إلى ثغرة يهربون عبرها من ساحة النضال ولا يلتقطون أنفاسهم إلا خارجها. إن هذه هي صورة تشوه وتفسخ الكوادر، بطبيعة الحال، وليست صورة قيام هذا الكادر أو ذاك بتطوير نفسه عبر التدريب والتمرين.

هناك نمط أخر هو نمط العتال أو الحمال. إذا كان مكلفاً بالدعاية فإنه يبقى محصوراً بالدعاية فقط ويتابع عمله بدءاً بدون الخروج خارج دائرة الدعاية. غير أن الزمن يطرح مهمات تتطلب الإبداع ولا بد من المبادرة إلى إنجازها. ولكن النمط الذي نتحدث عنه يظل مصراً على عدم المرور ولو مجرد مرور بجانب تلك المهمات اليومية الملموسة التي يجب حلها. إنه يتحرك كما لو كان إنساناً عادياً ويلحق الضرر بالنضال وبالحركة جميعاً بموقفه هذا مهما حسنت نواياه لأنه لا يستطيع أن يقوم بوظيفة الكادر النضالي بصورة كاملة. تظل المهمات مفهومة بل ومنفذة إلى نقطة معينة، ولكن ما أن تطرح مسألة فهم سمات الكادر النضالي والتحرك بما ينسجم مع المرحلة نفسها، حتى تبدأ النواقص والعيوب بالظهور وبشكل واضح. ولدى الاخفاق في تجاوز تلك النواقص يبرز على السطح عجز الحزب ككل عن القيام بأية قفزة إلى الأمام.

ما هو الجانب المؤلم والمثير للغضب في هذا الأمر؟ إنه عدم الرغبة، أو عدم المبالاة التي تظهر إزاء التجدد وإزاء إزالة النواقص بعد التنبه إلى النقص، مثلما إزاء محاولة الكشف عنه. ما أكثر ما يخلق الانطباع بأن هذا الشخص أو ذاك لا يمكن أن يخضع للنقد والتدريب فهو منذ

الولادة مؤهل تماماً لأن يقوم بهذه المهام الثورية! علماً أن الشخص نفسه يكون من النوع الذي سيحتاج إلى الانقاذ من جانبنا في اليوم التالي لبقائه وحده. فهل هذا هو النموذج الذي يمكن أن يحقق حدثاً عظيماً مثل الثورة؟ لا، وألف لا! غير أنه، مع الأسف، هو النموذج الأكثر شيوعاً كما بيّنا مع الاتيان على ذكر الأسباب. لذا فإن من الضروري القيام بالأعمال المطلوبة مهما كان الثمن، والارتفاع إلى مستوى المناضلين القادرين على تنفيذ المهمات التي تفرضها المرحلة التي نعيش فيها. أي لا بد لنا من أن نصبح مناضلين ذوي سمات ومميزات قادرة على تطوير الثورة الكردستانية في هذه المرحلة الصعبة. وبمقدار ما يتم التحول إلى مناضلين في هذه المرحلة يمكن تحقيق بشائر الانتصار النهائي والتطور الزاهي للمستقبل من الأن. فمن يستطيع أن يقدم الحلول لمسائل المرحلة الملحة والمعقدة، إن هذا المناضل الذي يستطيع أن يفعل ذلك ويدفع بالقضية إلى الأمام حتى في ظل أشد أشكال إرهاب العدو سعاراً، هو أكبر مبشر بالمستقبل.

إذا كنا نريد أن نضمن النصر، وأن نتحرر من سيل الأخطاء والنواقص والانحرافات التي يحملها المستقبل معه منذ الآن، وأن نستبدل ذلك بمستقبل زاخر بالانتصارات، فلا بد لنا من التركيز الشديد على قضية خلق المناضل الذي يكون مبشراً بمثل هذا المستقبل. وللوصول إلى مناضل من هذا النوع لا بد من القيام بكل ما هو مطلوب من عمل سواء على المستوى التنظيمي، أو في الاطارات المختلفة، أو في البنية الذاتية للشخص نفسه مع التأكيد خصوصاً على إزالة عدم الكفاية التدريبية والنقص في التجربة عبر استنفار جميع الإمكانيات وتسخيرها إلى حدودها القصوى. إن المكسب الذي يتحقق نتيجة لمثل هذا العمل لا يقف عند حدود كسب بضع مئات من الرجال، بل يتجاوزها إلى قيام مئات الوحدات والخلايا النضالية بتنظيم الملايين وضمان تحريكها باتجاه الممارسة الثورية العملية بالتالي. إن هذا يعني ضمان خلق مجتمع المستقبل المستقل والحر، مجتمع الاشتراكية عبر أشخاص كوكبة صغيرة من المناضلين. في المراحل الأولى من النضال كان من الممكن الحديث عن إمكانيات تجسيد

المستقبل في أشخاص عدد من الأفراد. أما الآن وبعد أن تم الوصول إلى النقطة التي نحن فيها فإن المطروح ليس قيام بضعة أشخاص، بل بضع مئات من الاشخاص بتجسيد مصائر الملايين في ذواتهم ومنذ الآن. إن هؤلاء هم الذين يجسدون في ذواتهم حرية الملايين وتحررهم، تحرر جميع المسحوقين والكادحين، أي شعب كردستان بأسره.

أن يلعب المئات دوراً حاسماً في تحديد مصائر الملايين أمر وارد عملياً وتأكد صحته وعمليته على المستوى العالمي. أما عندنا نحن فإن هذه القاعدة تعمل بشكل أقوى وأكثر إلحاحاً. ذلك لأن كلاً من غياب التنظيم والممارسة العملية من جهة وقيام الإرهاب الفاشي المضاد للثورة بتقدم نموذج لم يسبق له مثيل من البربرية من جهة ثانية يجعلان منظمة المناضلين الثوريين عندنا مضطرة لأن تلعب أدواراً أكثر تميزاً وأشد خطورة كما يفرضان رفع مستوى هذه المنظمة إلى درجات أعلى وأسمى. وهذه الضرورة ليست ناجمة عن الرغبة المجردة بل ناجمة عن كونها أفضل الردود على السلبيات الكثيرة المترتبة على التمزق القومي والاجتماعي الذي تعاني منه الجماهير عبر تاريخ طويل تحت وطأة ضغط واضطهاد العدو الذي لا يعرف الرحمة. إن الدور الأساسي سيلعبه التنظيم ويتوجب على المناضل أن يكون منظماً رائعاً. شخصاً ملتزماً بالتنظيم التزاماً كاملاً، لا شخصاً عادياً بسيطاً. إن امتلاك منظمة مناضلين من هذه النوعية هو الذي يشكل الضمانة الاساسية للتحرر والعامل الذي سيلعب دوراً حاسماً. وفي هذه الحالة لا بد لكل من هو في صف الثورة من أن يبذل ما يتوجب عليه من جهد في سبيل إيجاد مثل هذه المنظمة. فكما أن إنقاذ المستقبل مستحيل بدون اتباع هذا الاسلوب والقيام بهذا الدور المحدد كذلك يكون الانسحاق تحت المشاكل المعقدة التي ورثناها من الماضي، بدون ذلك، أمراً محتوماً. نستطيع أن نقول إننا مضطرون ضرورة قصوى، حسب متطلبات الثورية المسؤولة التي لا يمكن الاستغناء عنها، أن نركز اهتمامنا على وحدة مناضلين من هذه النوعية وعلى السمات التي يجب أن تتوفر في أعضاء هذه الوحدة.

مسألة الشخصية في كردستان

إن الإسهام في عملية كشف النقاب عن المسألة بجميع جوانبها من خلال تناولها عبر زاوية السمات التي لا بد من توفرها في المناضل الثوري، هو أحد الواجبات. ولهذا فإننا مضطرون لأن نتناول هذه السمات واحدة واحدة وتحليلها بتفصيل واف في ضوء القيم الغنية التي ظهرت عبر النضالات الثورية في العالم ومن خلال عملية نضال المقاومة الثورية عندنا في كردستان.

١ – يجب أن تكون نظرته إلى العالم نظرة صحيحة

ليس من الخطأ وضع نظرة المناضل إلى الكون في رأس قائمة السمات التي يجب توفرها في المناضل الثوري، فلن يستطيع امتلاك وجهة نظر سليمة وعلمية إلى الطبيعة والمجتمع وإلى موضوع أحداث الثورة ووقائعها إلا إذا امتلك نظرة صحيحة إلى الكون بأسره. وبدون وجهة النظر هذه يستحيل تسجيل أي تقدم في أي من ميادين التطور، كما تستحيل القدرة على حل المشاكل ذات الوجوه المتعددة التي تطرحها الحياة أمامنا. ولهذا السبب بالذات لا بد لنظرة المناضل إلى الكون من أن تكون نظرة صحيحة وسليمة لنتمكن من التوجه إلى توفير الحلول الشاملة للقضايا المتشعبة وذات الأوجه الكثيرة التي نجد أنفسنا في مواجهتنا من تنظيم المجتمع اقتصادياً إلى تنظيمه سياسياً، ومن عملية الثورة نفسها إلى قضية التكنولوجيا وما إليها.

من الواضح أن المقصود بوجهة النظر الصحيحة هو امتلاك الفكر والإيمان اللازمين لتمكين الفرد من الصمود والمقاومة وتقديم الحلول الصحيحة للمشاكل في ظروف المجتمع والثورة والطبيعة بالغة الصعوبة. صحيح أن النجاح أو الأخفاق وتوفر الروح العملية أو انعدامها لدى الفرد في الحياة مشروط كله بالواقع الطبقي والتاريخ وظروف هذا الواقع. فالقاعدة المادية والتاريخية الموجودة تحدد ظروف حياة الطبقات والأفراد إلى درجة بعيدة، وتلعب الظروف المادية اليومية المحيطة بصورة خاصة دوراً حاسماً في هذا المجال. أما لدى امتلاك وجهة النظر

السليمة فإن تغير الواقع المعاش ودفعه إلى الامام وتطويره – سواء أكان هذا الواقع إيجابياً أم سلبياً – لن يكون صعباً.

ليس موضوع الحديث هنا هو مجرد امتلاك ناصية فلسفة صحيحة. فالمسألة تنطوي على معنى أوسع بكثير في ظروفنا القومية والاجتماعية الخاصة بنا. إن التأخر في ولوج عملية التطور الاجتماعي العصري، إضافة إلى تحقق ذلك بشكل مشوه في ظل ظروف التجزئة والتمزيق والإبادة المفروضة من الخارج ، أدى إلى تضييق مستوى تفكير شعبنا إلى الحدود القصوى وتشويهه واغترابه عن نفسه.

إننا نستطيع أن نصفه أيضاً بأنه شعب لا يعرف واقعه في مختلف المجالات والميادين من الاقتصاد إلى السياسة، ومن الموضوعات القومية إلى الموضوعات الثقافية. إن الشعب الكردستاني شعب يكاد يكون قد أقحم في وضعية من لا يفكر، شعب معدوم التفكير. والمستعمرون يعرفون جيداً أن كسر قوة التفكير لدى الشعب يعني جعل مقاومته بدون تفكير بالغة الصعوبة. كما أن حرمان الشعب من التفكير العلمي، من الأفكار التي تستطيع أن تصوغ مصالحه الخاصة، وإبعاده عن وجهة النظر الصحيحة إلى العالم والكون، يؤديان بالضرورة إلى جعل استغلاله وحكمه من الأمور السهلة. أما بعد فرض وجهات النظر الشوهاء مثل الأفكار الدينية والطائفية ونمط تفكير الأمة الحاكمة على هذا الشعب فإن جعله يقف ضد مصالحه هو بالذات يغدو سهلاً جداً ناهيك عن جعل حكمه وإدارته أسهل . لا بد لنا من الاعتراف بأن لدينا إرثاً سلبياً في سائر هذه الميادين.

إن الأفكار الدينية والعشائرية الموروثة من العصر الوسيط والقيم الأساسية لدى الأمة الحاكمة هي السائدة والمهيمنة على وجهة نظر قطاع واسع من شعبنا، على وجهات نظر أفراد ينتمون إلى العديد من الطبقات والفئات. وهذه الأفكار الرجعية كلها تفرض على عقول وأدمغة أبناء شعبنا من خلال التعليم والتربية. إن هذا التعليم الديني، والتعليم(العصري) الذي تمارسه الأمة

الحاكمة، ليس إلا التعليم الرجعي نفسه الذي يتلقاه أبناء العشائر والقبائل يومياً، بل ساعة فساعة، من الكبار من أفراد العائلة ورئيسها. ما زال المجتمع محروماً من مركز مرجعي على المستوى القومي؛ مركز مرجعي يقدم المعرفة العلمية والوعي بضرورة الوصول إلى الوطنية والمستوى الاجتماعي العصري. وعلى الرغم من أن هناك مرجعية حزبية معينة في الوقت الحالي فإن هذه المرجعية ليست بعد على درجة كافية من القوة. ومقابل ذلك هناك السلطات الرجعية الزائفة الموروثة من العصر الوسيط والسلطات الاستعمارية المسعورة التي تشوهه البنية الفكرية للمجتمع تشويهاً كبيراً وتسممها عبر استخدام أخبث الطرق والأساليب المنحطة المختلفة إضافة إلى أساليب الإكراه والقسر. من المؤكد أن هذا الوضع يشكل أيضاً سبباً من أسباب بقاء الاستعمار بسهولة في وطننا واستمرار الوجود القوي والكثيف لبقايا الإقطاع التي كان يجب اقتلاعها من جذورها من تربة المجتمع. إن شعباً يعيش كل يوم بل وكل ساعة مبعداً عن ذاته ، واقعاً ليس واقعه هو، بل الواقع الذي يتوجه نحو إبادته بالذات، يمكن أن يستغل ويحكم بكثير من السهولة. كما أن الاستعمار وبقايا الاقطاع التي حكم عليها عصرنا عليها بالزوال منذ زمن بعيد سوف تستطيع أن تبقى مستمرة.

ومن هذه الزاوية ليست المسألة مسألة توصل المناضلين إلى وجهة نظر سليمة وصحيحة فقط بل هي قضية تمكين الشعب الذي يتولى أولئك المناضلون قيادته من اكتساب وجهة نظر صحيحة. وهذه قضية بالغة الجدية والخطورة. مما لا شك فيه أن من المستحيل وصول الشعب كله إلى اعتناق الفلسفة المادية — الديالكتيكية، أي إلى وجهة نظر البروليتاريا وموقفها من العالم والكون. لأن القاعدة المادية الطبقية التي يستند إليها لن توفر مثل هذه الإمكانية غير أنه من الواضح مع ذلك أن من الضروري تدريب أكثر قطاعات الشعب وعياً بما ينسجم مع وجهة النظرة هذه على الأقل.

ما زال شعبنا يفسر العالم بمعظم جوانبه في ضوء العقائد الخاطئة والدينية بمعظمها. فالعديد من النزعات الخاطئة التي تجعل امتلاك وجهة نظر صحيحة أمراً مستحيلاً مثل المصالح العائلية والعشائرية والعقائدية الدينية الجامدة تبدو مهيمنة بشكل شبه كامل على المجتمع. وهذه بطبيعة الحال لا تؤدي إلى أية نتائج سوى توسيع التمزق وانعدام التنظيم ومضاعفة السلبيات. لذا فإن قيام المناضل بتطوير وجهة نظر سليمة إلى العالم ومضاعفة القدرة على التفكير من خلال تجاوز تلك الأفكار المتخلفة من جهة ومساهمته في عملية تمكين الشعب من تبني وجهة نظر سليمة من جهة ثانية هما من القضايا ذات الأهمية الكبيرة في مجتمعنا. وهذا يتطلب نضالاً عنيفاً ضد المفاهيم العدمية (الداعية إلى التنكر للشعب) والبعيدة عن مقاييس العصر. غير أن النضال الذي يجب خوضه على المستوى الإيديولوجي ضد العقائد الدينية الجامدة والأفكار العشائرية والعائلية ينبغي له أن يكون نضالاً يجري خوضه من خلال التعليم والتدريب على أساس الإقناع لا عن طريق الفرض بقوة السلاح؛ ومثل هذا النضال يتطلب، كما هو واضح، التحلي بالصبر. إن تطور وجهة نظر المناضل الذي يحتل موقعاً هاماً في مركز النضال هو الآخر يمر عبر إعاقة تأثره بالبيئة الخالية من الفكر التي لها جذور عميقة في مادة المجتمع، إضافة إلى ضمان وصوله إلى فلسفة سليمة ووجهة نظر صحيحة هي خلاصة الفكر العلمي. إن المناضل الذي يستطيع أن يجسد في ذاته هذه السمات هو وحده القادر على أن يصبح رجلاً قوياً في الممارسة العملية ذلك لأن كبار رجالات الممارسة العملية هم في الوقت نفسه أشخاص يمتلكون وجهة نظر قوية وصحيحة إلى الكون والعالم . فالتفسير وسيلة قوية من وسائل التغير. إن عبارة ماركس التي تقول: (اكتفى الفلاسفة حتى الآن بتفسير العالم، غير أن المطلوب هو معرفة كيفية تغيير العالم أيضاً.) تعبر عن الحاجة لا إلى تغيير بدون تفسير، بل على العكس تماماً، إلى أن التفسير هو الذي يقود إلى التغيير الصحيح، وإلى ضرورة استناد عملية التغيير القوية إلى التفسير الصحيح. أما ما يسمى بعنصر التحليل(أي التفسير) فيعني وجهة النظر إلى العالم.

لم يكن من الممكن تطوير أية ممارسة قوية للبروليتاريا أو خلق تنظيمها الطليعي قبل اكتشاف المادية التاريخية الديالكتيكية. وبهذا المعنى ليس مجرد مصادفة أن يكون أكبر معلمي البروليتاريا قد انطلقوا في عملهم من الفلسفة وطرحوا وجهة نظر البروليتاريا الصحيحة عبر توجيه النقد إلى العقائد الدينية الجامدة والفلسفة البرجوازية. وبما أن نظرة البروليتاريا إلى الكون هي معيار بناء عالم جديد طليعي من الأساس لاستنهاض الطبقات والشعوب المسحوقة إلى الثورة فإن من المستحيل أن تكون وجهة النظر هذه متطابقة مع الايديولوجية الدينية السائدة في المجتمع الاقطاعي وأشكال الفلسفات المثالية المختلفة التي تشكل أساس وجهة النظر في المجتمع البرجوازي. ناهيك أن من غير الممكن بناء مجتمع مستقل ينعم بالحرية في ظل وجهات النظر آنفة الذكر. ولهذه الأسباب كان لا بد من اكتشاف وتبني الفكر المادي التاريخي والديالكتيكي ليظهر بالاستناد إليه حزب البروليتاريا الثوري المستقل وممارستها المتميزة. صحيح أن من غير الممكن تمثل الفلسفة النضالية الثورية بمقدار ما يتمثلها الفلاسفة غير أن البروليتاريا ومناضليها يستطيعون أن يجسدوا هذا الفكر في أشخاصهم ولو بحدوده الدنيا. بمعنى أنهم يستطيعون أن يصبحوا أشخاصاً يفكرون، لا بطريقة عادية غير محددة، بل في ضوء المادية التاريخية الديالكتيكية التي هي الفلسفة العلمية للبروليتاريا. إن أي مناضل مضطر لأن يمتلك وجهة نظر فلسفية كهذه ولأن يتمثلها جيداً.

يستخف بعضهم بأهمية امتلاك وجهة النظر البروليتاريا وينظرون إلى الفلسفة كما لو كانت عملية حفظ حملة من التعميمات عن ظهر قلب. وهذا الموقف موقف خاطئ تماماً. إن المسألة الهامة هي مسألة تمثل هذه الفلسفة وتحويل صيغها ومقولاتها الفكرية الأساسية إلى معايير رئيسة في الحكم على الطبيعة وعلى المجتمع. بمعنى أنه لايجوز تجاوز الأمر من خلال الحديث عن بعض الخطوط الديالكتيكية وعن بعض سمات المادية. لا بد من تمثلهما وتحويلهما إلى قواعد أساسية ناظمة للفكر والممارسة. هذا ويتوجب على المناضل أن يدرك أن لمثل هذا التمثل تأثيراً كبيراً وهاماً على إزالة انعدام التنظيم وفقدان الممارسة العملية، وعلى

خلق عنصر الجرآة والشجاعة. من المعروف جيداً أن الفرد كان في البداية، نتيجة الضعف الشديد في التطور المادي، يعبد قوى الطبيعة والألهة، وفيما أدت ظروف الطبيعة التي لا ترحم إلى جعله يؤمن بالأديان الطبيعة، أدت كثافة الاستغلال، أي التطور الكبير والقوى للمجتمع الطبقي، إلى جعله يؤمن بالآلهة المتعددة ومن ثم بالإله الواحد الأحد. أما التطورات التي تمت في الإنتاج فقد انعكست على المستوى الفكري أيضاً وصولاً إلى إعداد الأرضية المناسبة لظهور الأفكار المتطورة أكثر فأكثر. ومع مرور الزمن أدى وصول المجتمع إلى مراحل أعلى بالارتباط مع تطورات الظروف المادية للانتاج إلى تشكل الأفكار المؤهلة لأن تغير المجتمع، إلى ظهور الفلسفة المادية الديالكتيكية. إن ظهور هذه الفلسفة كان بمثابة إيجاد وسيلة قوية لتحرير الفرد من نقاط ضعفه بعد أن أقلع عن انتظار النجدة من الآلهة والركوع أمام قوى الطبيعة خوفاً منها، وعن النظر بعين الاحترام إلى المواقف الميتافيزيكية – المثالية المختلفة للبرجوازية. فقد أصبح يعرف أن تلك المفاهيم هي لتغطية الاستغلال وللتشجيع على الخوف والاغتراب لدى الناس. بوصفه ثمرة من ثمار قوى الإنتاج المتطورة وتركيباً إجمالياً للمعارف العلمية فإن علم الثورات يبين للفرد أن العالم ممكن التفسير والتغيير ويظهر له دوره في هذه العملية والقوة الحقيقية التي تمتلكها الجماهير. إنه يمكن الفرد من إدراك عدم وجود أية كائنات أو أي عالم يبحث على الخوف وراء هذا العالم وإمكانية الكشف عن الأشياء المجهولة من خلال العلم والممارسة، ويبين له أن كل شيء يمكن تغييره وعن هذا الطريق يضمن للفرد أن يكتشف ذاته بشكل جيد وأن يتحرر بالتالي من اغترابه. إن الفرد الذي يتمكن من حسم وضعه وموقفه إزاء الطبيعة والمجتمع، والذي يصل إلى اكتشاف حقيقته متسلحاً بمثل هذه الفلسفة يقتحم العديد من المجالات بالاستناد إلى الفوائد المترتبة على الوصول إلى وجهة نظر سليمة وصحيحة ويخرج فيها منتصراً. لأن فلسفة صحيحة هي التي تحكم تصرفاته وسلوكه. ويكون بهذا المعنى أيضاً صاحب امتيازات عديدة وهامة في تناول المسائل والمشاكل التي تظهر وفي حلها.

باختصار نقول إن نظرة المناضل البروليتاري إلى العالم من وجهة نظر صحيحة أي من وجهة النظر المادية الديالكتيكية وتفسيره للمجتمع بالانطلاق من المادية التاريخية، هما من الشروط التي لا بد من توفرها لديه كي يقوم بممارسة العملية الثورية. كما يجب عليه أن يعرف جيداً أنه يستطيع أن يضمن دعماً وإسهاماً كبيرين لنفسه لدى تناوله لقضية الممارسة الثورية وإيصالها إلى نهايتها المظفرة متسلحاً بالمعرفة العميقة للمادية التاريخية بشكل خاص. إنه لا يعود يصاب بالرعب والخوف الشديد وضياع العقل إزاء مواجهة الانقلابات وحوادث الفوضى الكبيرة في التاريخ بعد أن امتلك إمكانية قوية للحركة في مواجهة الموت كما في أثناء مسيرة الحياة المفعمة بالمقاومة. وبالشكل نفسه لا يتعرض للانسحاق إزاء المشاكل الاجتماعية التي تبرز أمامه. تلك أيضاً علاقة قوة وطاقة كبيرتين باعثتين من وجهة النظر الصحيحة والسليمة. إن المناضل يستطيع، من خلال توصله إلى وجهة النظر هذه وتعميقها في ذاته، أن يجدد قواه باستمرار، وأن يطور فعاليات التفسير والتغيير عنده.

وما نقوله نحن هو أن على المناضل عندنا أن يكون قادراً على هذا الأساس، ويبادر إلى العمل النشيط لنشر هذه الأفكار، بغية جعل هذه الفلسفة سائدة في المجتمع، عن طريق الإقناع وحسب الإمكانيات المادية المتوفرة داخل التنظيم أولاً وعلى مستوى الأصدقاء والجماهير بصورة متدرجة.

٢– يجب عليه أن يمتلك فهماً نظرياً صحيحاً

تستلزم وجهة النظر الصحيحة إلى العالم أن تكون مترافقة مع امتلاك نظرية ثورية صحيحة وسليمة. إن معرفة الفلسفة لا تعني تطور القوة الفكرية إلى النهاية، وهي ليست إلا بداية الطريق. أما ما يجب عمله بعد ذلك فهو التوصل إلى فهم نظري سليم في موضوع الوقائع والحقائق الأساسية للعصر. ونحن حين نتحدث عن النظرية لا نريد الكلام عن هذه النظرية الفيزيائية أو الرياضية أو تلك. صحيح أن من الواجب معرفة هذه أيضاً بخطوطها العريضة

والعامة، غير أن ما هو مطلوب بإلحاح أكبر بالنسبة للمناضل فهو امتلاك نظرية ثورية. إن تفسير الطبيعة تفسيراً مادياً ديالكتيكياً وتفسير المجتمع تفسيراً مادياً تاريخياً يخدمان مثل هذه النظرية. وعلى المناضل أن يستكمل هذه الموضوعات بامتلاك وجهة نظر ونظرية صحيحتين حول القضايا الأساسية التي يواجهها العصر.

تنطوي النظرية الثورية على موضوعات تفسير عصرنا وتغييره بشكل صحيح. لابد من الانطلاق قبل كل شيء من تقديم التحليل العلمي العميق لعصرنا الراهن الذي نستطيع أن نطلق عليه أيضاً اسم عصر الامبريالية والثورات البروليتارية. بالانطلاق من مثل هذا التحليل تستطيع الحركة البروليتارية أن تتوصل إلى وضع برنامج صحيح، إلى صياغة خط تكتيكي واستراتيجي صحيح مع خط تنظيمي ونضالي سليم. فقد قام كل من ماركس وانجلز ولينين بتفسير العصر إلى حد بعيد وبالكشف عن سمات العصر بشكل صحيح. فالأجزاء الثلاثة للكتاب المعروف باسم (رأس المال) والذي كتبه ماركس يحتوي على تحليل شامل للمجتمع الرأسمالي. وفيما بعد أظهر لينين بطريقة رائعة سمات عصرنا عبر تحليله للامبريالية وتوج الخطوات التي خطاها ماركس بمؤلفاته هو. وبالانطلاق من ذلك تم وضع برنامج التنظيم المستقل للبروليتاريا، أي برنامج حزب البروليتاريا، كما تم طرح خط التنظيم والممارسة العملية مما أحدث ثورة في هذا المجال. أضف إلى ذلك أنه لم يكتف بطرح القضايا على المستوى النظري فقط، بل تم تجاوز ذلك إلى تحقيق الاشتراكية من خلال عمل ثوري بالغ القوة. تمت في أجزاء كبيرة من العالم خطوات لا يمكن الاستهانة بها إلى يومنا هذا. ليست النظرية إلا انعكاس تفسير هذه التطورات المادية، والحقائق والسمات الأساسية للمجتمع الرأسمالي والاشتراكي على ساحة الفكر.

من الواضح أن النظرية الثورية لم تظهر تلقائياً أو بصورة عفوية، بل تكونت وصلب عودها عبر أجواء النضال العنيف ضد مختلف الأفكار البرجوازية، ونتيجة للنضال الدؤوب والثابت

ضد مختلف الانحرافات الانتهازية التي ظلت البرجوازية الصغيرة التي نمت في صفوف حركة البروليتاريا بشكل خاص تسعى لأن تنشرها باسم البرجوازية في بنية البروليتاريا. إن النظرية الثورية الصحيحة هي النظرية المتظهرة من الانحرافات والتي برزت من خلال النضال الثابت والدؤوب ضد هذه التحريفات. فكل نظرية برجوازية، كما تعلم، حاولت أن تندس بين صفوف حركة البروليتاريا تحت مختلف الأقنعة بغية تشويه وتسويد وجهة النظر البروليتارية. إن الانتهازية التي تزعم إمكانية تغيير الرأسمالية عن طريق الإصلاحات بصورة تدريجية وترفض بل تدين النضال الثوري للبروليتاريا، تظهر إلى الوجود على أساس مراجعة الماركسية، أي تحريفها. وقد ظهرت الأفكار الانتهازية في إطار الحركة البروليتارية على شكل برنشتاينية للمرة الأولى.

((... كانت البرنشتاينية التي ظهرت بالاستناد إلى قاعدة إعادة النظر في الماركسية، بأطروحتها التي زعمت أن زمن الحروب الأهلية العنيفة قد ولى وحلت محله مرحلة، سلمية، تشكل المنبر الايديولوجي القائل بأن نظرية الصراع الطبقي الماركسية قد شاخت ولم تعد مناسبة وقادرة على النفاذ، وبالتالي لابد من استبدالها ب (السلام الاجتماعي).)) أما الانحراف الثاني في داخل الحركة البروليتارية فيكون في صف تغيير المجتمع بطريقة فوضوية. وهذا الانحرافات الذي نستطيع أن نوجز شعاراته بالعبارات التالية:((عارض كل شيء! دمر! حطم! ومزق! إياك ان تبني! هدم ولكن لا تبن!)) ما هو إلا مفهوم نابع من البرجوازية الصغيرة أيضاً .)) فيما كان الفوضويون والبلانكيين يزعمون إمكانية إيصال الطبقة العاملة إلى التحرر عبر تبني المفاهيم التآمرية، كانت البرنشتانية تريد إلحاق الهزيمة بالإيديولوجية والحركة المستقلتين للطبقة العاملة وهي ما تزال في طور النشوء عبر تحويلها إلى حركة ذيلية تابعة للبرجوازية من خلال دفعها إلى الاتفاق مع البرجوازية واليونكر. غير أن نضالاً لا هوادة فيه قد تم خوضه ضد كل من الجهود الفوضوية(اليسارية) المتطرفة والمفاهيم اليمينية الموصلة إلى الذيلية البرجوازية لدى البرجوازية الصغيرة .))

تحاول البرجوازية تغطية الوجه الحقيقي للرأسمالية ونفي صفات الاستغلال والعدوان عن الامبريالية وتشجيع سائر أشكال الرجعية وتصورها كما لو كانت تقدمية. وتسعى لتظهر واقعها هي على غير ماهي بفهم ينبع عن حقيقتها الطبقية بالذات ويعيق تطور المجتمع. والانتهازية هي التي تعمل على نشر نفس الأوهام بين صفوف الطبقة العاملة وحركتها. وهذه الانتهازية ترغب في تحقيق هذه الأهداف بوسائل أكثر خبثاً وبطرق غير مكشوفة، ومقابل ذلك لا بد للبروليتاريا من أن تقدم تقويمها الصحيح للعصر، كما لابد لها من امتلاك نظرية صحيحة حول موضوعات الامبريالية والاشتراكية وبالشكل نفسه لابد لها أن تتوصل إلى تكوين فكرة صحيحة عن موضوعات الحزب البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا.

ذلك هو ما يجب أن نفهمه من قولنا النظرية هي ثمرة تطورات عصرنا وتجاربه من جهة ومن الجهة الثانية الحصيلة الايجابية للتراكم الفكري السابق. بمعنى أنها محصلة التقاطع بين الممارسة الثورية في عصرنا بصورة عامة وبين التطور الفكري الحاصل في الماضي. ونظرية الثورة في الماركسية اللينينية تأخذ شكلها على هذا الأساس. واذا مانظرنا إلى عصرنا في ضوء هذه النظرية التي تزداد غنى مع كل يوم جديد عبر المرور بالتجارب في مختلف أرجاء المعمورة فلن يكون من الصعب رصد الحقائق الاساسية لعالمنا الراهن. إن عصرنا هو العصر الذي يعيش فيه النظامان الرأسمالي –الإمبريالي والاشتراكي في آن واحد، عصر الانتقال السريع لحركات التحرر الوطنية بشكل قوي من نصر إلى نصر. وعصر بتصاعد وتنامي النضال الثوري ضد الاحتكارات الإمبريالية وضد سيطرتها على أجهزة الدولة من جانب الطبقة العاملة في البلدان الامبريالية. وما يجب التوقف عنده في هذه المسألة بشكل أساسي ليس ايضاح وتحديد اللوحة العالمية. صحيح أن تمثل ذلك بشكل عميق أمر واجب وضروري. وكون عالمنا اليوم على هذه الصورة حقيقة لايمكن انكارها. لاحاجة لإطالة الحديث عن تلك التقويمات وأشكال الهراء والعبث التي تتحدث عن عوالم جديدة جادت بها النظر البرجوازية الصغيرة، هذه العوالم المختلفة البرجوازية الصغيرة بصورة خاصة ،(العوالم الثانية والثالثة) و ((عن العالم الاشتراكي،

أو عن (سير جميع الأمور بشكل سلبي وتحول الثورات إلى نقائضها)) كما تقول وجهة النظر البائسة تلك. ان ما هو مطلوب معرفته بالحاح أكبر هو كيفية حسم النضال الثوري الذي يشكل المناضل طليعته في عصر كهذا وفي إطار مرحلة المواصفات. وبعبارة أخرى إنها قضية كيفية حسم حركة الشعب. إن الموضوع الملح بالنسبة لنا هو هذا. غير أن ذلك لا ينفي ضرورة اقبالنا على فهم التشويهات التي يتعرض لها العصر أيضاً.

هناك في هذه الأيام مفاهيم واجتهادات برجوازية صغيرة تنطلق من مواقع ومواقف هذه الطبقة وتقترح ثمة طريق ثالث على أساس التوفيق بين النظامين بحجة أن الامبريالية قد تغيرت. لابد من رؤية مدى زيف تلك المفاهيم التي تزعم أن من الممكن بناء (نظام يقضي على المؤيدين المتطرفين لكلا النظامين؛ نظام لاهو رأسمالي ولاهو اشتراكي!) . ما من مرة أمكن تغيير العالم، سواء في الماضي أم في الحاضر، بالانطلاق من مثل هذا المنطلق. فعلى النقيض من أوهام البعض وأهوائهم، لا عدوانية الامبريالية المتطرفة تتراجع بل بالعكس تتطور وتصل إلى مستويات تصبح معها في وضع لا يمكن القضاء عليها وازالتها إلا بالثورة – ولا الشيوعية تنسحب من الوجود – بل هي تتطور وتتقدم لتغدو واقعاً يتجه الجميع نحوه. أما الذي يتبدد ويزول بشكل واضح فليس إلا الأحكام الكاذبة والأوهام الخادعة للبرجوازية الصغيرة والقطاعات المتوسطة. والبرجوازية الصغيرة لم تستطع يوماً أن تنخرط في معارك النضال من أجل تغيير العالم على أسس صحيحة إلى النهاية. وفي حال مشاركتها في مثل هذا النضال كانت دوماً تحاول أن تحرفه نحوها هي. غير أنها ظلت عاجزة، رغم كل جهودها، عن تغيير طبيعة الامبريالية كما عجزت عن قلب الاشتراكية إلى شيء آخر غير الاشتراكية. وهي لم تنجح إلا في التخريب وإلحاق الأذى بالتطور الاشتراكي عن طريق تسهيل عمل الامبريالية.

إن المحاور الامبريالية دائبة بعناد واصرار على متابعة نشاطاتها وفعاليتها المكشوفة ذات الطبيعة الرأسمالية الرجعية، المحافظة والفاشية، بهدف فرض الهيمنة الرجعية والفاشية في سائر المجالات

والميادين من الفن وحتى السياسة. إن هذه القطاعات التي نطلق عليها صفة الرجعية والمحافظة تظهر عادة في فترات الفوضى التي تتعرض لها مسيرة التاريخ ونحن نصادفها في أيامنا بشكل واضح. وهذه القطاعات تطلق على نفسها اليوم أسماء(المحافظين)، (المسيحيين الديمقراطيين) و (الفاشيين). ليس هناك كلام كثير يمكن أن يقال بحق هذه الفئات والقطاعات من حيث مواقعها الفعلية. وهي ليست إلا قطاعات وفئات محكومة بأن تزول من الوجود مع تطور الاشتراكية وحركة التحرر الوطنية ونضال الطبقة العاملة.

أما ما يجب أن نتعرف عليه أكثر وأن نتوقف عن دراسته وتحليله فهو التيار الذي يشكله أولئك الذين يطلقون على أنفسهم اسم(الاشتراكية الدولية)، انه ذلك التيار البرجوازي الصغير أو المتوسط الذي يتستر وراء قناع الاشتراكية الديمقراطية ويكبر ممثلوه سواء في المتروبولات الامبريالية أم في البلدان التابعة للامبريالية، أم حتى في بعض البلدان الاشتراكية. وهؤلاء إذ يقومون بدور العمالة للبرجوازية الصغيرة من خلال نشر الاشتراكية البرجوازية – الصغيرة بين صفوف الطبقة العاملة من جهة، يمثلون في الوقت نفسه القوى الضاربة للامبريالية أي (الليبرالية) المزعومة لرأسمالية الدولة الاحتكارية. وفيما هم يطرحون بديلاً باسم البرجوازية الصغيرة يطورون في الوقت نفسه ومن خلال طرحهم هذا على شكل عمالة للامبريالية في إطار حركة الطبقة العاملة. وهذه القطاعات التي تفرد مكاناً بارزاَ في خططها لمصالح البرجوازية المتوسطة والصغيرة وتتوهم أنها تشكل مركز الكون، وتشوه التفسير الثوري للعالم باستمرار وتزعم أن بالامكان الحد من رجعية الامبريالية وعدوانيتها وأنها تملك الطريق الأسلم الذي يسد الطريق أمام الشيوعية، تظهر بوضعها تياراً في كل من المتروبولات وبعض البلدان الاشتراكية. وبالشكل ذاته تظهر أيضاً في البلدان التابعة والمستعمرات. ومرتكز هذه القطاعات والتيارات من الناحية الطبقية هي البرجوازية المتوسطة والصغيرة وأرستقراطية العمال في معظم الأحيان . أما مناهلها الايديولوجية فتتركز في إعادة النظر بالماركسية – اللينينية أي في تحريف الاشتراكية وتشويهها. وقد تجلى مثل هذا التحريف في الماضي داخل حركة الطبقة

العاملة على شكل انتهازية الأممية الثانية، البرونشتاينية، الكاوتسكية والترتسكية. وهذه التحريضة ذاتها تعود اليوم إلى الظهور مرة أخرى في كل من الصين وبولونيا وغيرهما من البلدان. أما في البلدان التابعة والمستعمرة فيظهر سيل من الأفكار التي هي خليط بين الاصلاحية التحريفية بعد أن تندمج مع ظروف هذه البلدان. إن هذه الأفكار جميعاً تظهر إلى الوجود على أساس تشويه نظرية الثورة الماركسية – اللينينية، أي نظرية الثورة البروليتارية. وهي تزعم أن من الممكن إدارة الأمور بهذا الشكل أو ذاك عن طريق الاصلاحات وتدافع عن الرأي القائل بامكانية ازالة الظلم القومي ومخلفات العصر الوسيط شيئاً فشيئاً من خلال التطورات البطيئة، وبالتالي فأن هذه القطاعات ترفع شعار: (على الطبقة العاملة أن تسعى لتأمين حقوقها من خلال بعض الاصلاحات لاعبر الثورة!). وقد ورد في كتاب(حول التنظيم) مايلي عن المرحلة التي وصلت إليها هذه المفاهيم التحريفية المشوهة:

((يلاحظ في هذه الأيام بشكل خاص أن هناك انحرافات عن اللينينية من حيث نمط الموقف من الامبريالية. وتزعم هذه الاتجاهات التحريفية أن الامبريالية تجدد نفسها وقواها بعلاقاتها الاستعمارية الجديدة في المستعمرات، وعبر سياسات الوفاق والعدوان والتخريب التي تتبعها ضد البلدان الاشتراكية وفي قلب حركة الطبقة العاملة في المتروبولات بأساليبها السياسية المغرقة في الرجعية. كما تزعم أن جميع التطورات التي تتم في سائر هذه الميادين هي لصالح الامبريالية التي غدت أكثر قوة وصارت في وضع أفضل بكثير مما كانت عليه من قبل، ولهذا السبب يستنتجون بأن النضال ضدها عن الطريق الثورة أصبح أصعب من ذي قبل وبالانطلاق من ذلك تنصح القطاعات باتباع طريق المساومة والاتفاق مع الامبريالية وعملائها بالاستناد إلى الأسس الاصلاحية بدلاً من التمسك بالثورة حسب المفهوم اللينيني. إنها تتوهم أن بالامكان إقناع البرجوازية الامبريالية التي تكثر من التهديدات الدائمة للثورة بالحرب النووية بالتخلي عن مغامرتها المجنونة عن طريق التفاهم والمساومة. وهي تقول بأن الرجعية قوية في الغرب، وبالتالي لا تستطيع الطبقة العاملة أن تفعل الكثير، لذا فان على هذه الطبقة أن تحافظ على حقوقها

الحالية عبر التفاهم مع الرجعية بدون أن تضع الثورة على جدول أعمالها. كما أنها تقول بأن التطورات التي تجري على شكل استعمار جديد من خلال البرجوازية والرأسمالية التي تكونت في ظروف الاستعمار الجديد هي تطورات عادية جداً، وتضيف أن من غير الضروري اقتلاع الامبريالية من هذه المناطق بالثورة، إن تلك المفاهيم التي نستطيع أن نفصل فيها أكثر وبشكل أوضح تريد أن تعكر صفو الجوهر الثوري والممارسة العملية اللينينية. وهذا يؤدي بالضرورة إلى بروز التحريفية بأشكال مختلفة في البلدان المختلفة. يجب أن نعترف أن التحريضية مازالت في أيامنا قوية وإن لم تكن كما كانت أيام الاممية الثانية والثالثة. فقد ظهرت التحريضية في كل من الحركات البروليتارية والتحررية الوطنية من جهة والبلدان الاشتراكية من جهة ثانية. وقد وصلت إلى مستويات خطرة جداً في بعض البلدان. ففي المتروبولات الامبريالية مثلاً تحولت التحريفية في قلب حركة الطبقة العاملة بعد الأممية الثالثة إلى مرض عام وقلبت الأحزاب البروليتارية إلى أحزاب اصلاحية.

((أما في حركات التحرر الوطني وفي البلاد لتي لم تستكمل الثورة الديمقراطية البرجوازية بعد فإن هذه الأحزاب التي عجزت عن متابعة الثورة وتطويرها بالأساليب الثورية اللينينية وبقيادتها تخلت عن الدور القيادي للبرجوازية الصغيرة فصارت امتدادات يسارية للبرجوازية. إن هذه الأحزاب التي نمت فيها علة التحريفية لم تستطع الخلاص من السقوط في أوحال التحول إلى أحزاب اصلاحية عادية في بلدانها.

((إن هناك في البلدان الاشتراكية أيضاً قطاعاً تحريفياً ذا شأن يستند إما إلى الصراع الطبقي في الداخل أو يفيد من أشكال التخريب الامبريالية التي تنشط وتتجلى على شكل ضغوط اقتصادية سياسية أو عسكرية. وتطور التحريفية هذه، كما اتضح في الصين أولاً وفي بولونيا بعد ذلك، يمكن أن يصل إلى نقطة تهديد السلطة الاشتراكية عبر إعادة تنظيم القوى

السياسية بالتعاون مع الامبريالية. ويبدو أن هناك امكانية لظهور مثل هذه الأخطار في أماكن أخرة لتهدد البلدان الاشتراكية والنظام الاشتراكي.))

مهما كان تميز منظرو البرجوازية الوسطى والصغيرة الذين ينهلون من منابع إعادة النظر بالماركسية – اللينينية وتحريفها عبر تفريغها من جوهرها الثوري وأرستقراطيو الطبقة العاملة عن الفئات المحافظة والرجعية للبرجوازية وسادتها من الامبرياليين من حيث الأسلوب فانهم متفقون معها من حيث الهدف. فالهدف المشترك الذي يقوم جميع هؤلاء بخدمته إنما هو ادانة الاشتراكية وإطالة عمر الامبريالية من خلال اخفاء وجهها الدموي الاستغلالي البالي والبشع. من الواضح أن هؤلاء الرجعيين المتقنعين أكثر ضرراً وأشد خطراً بالنسبة للحركة البروليتارية من الفئات والقطاعات المحافظة والفاشية التي تظهر على الساحة بوجهها الحقيقي. فهم يحاولون تفسيخ الحركة البروليتارية وحرفها عن غايتها الحقيقية عبر التسلل الى صفوفها. وهؤلاء الذين تزيد ظروف وجودهم ويتطورون أكثر في المراحل الانتقالية مما يضاعف من أخطارهم، لا يستطيعون أن يصمدوا كثيراً عندما تزداد حدة الصراع بين الثورة والثورة المضادة؛ في ظروف النضال العنيف.

مهما كانت الأشكال والصيغ الوسطية لهؤلاء فإن من الضروري معرفتهم جيداً في الفكر والنظرية والحذر منهم. ومما لها أهمية حيوية فضحهم وعزلهم بالنضال الدؤوب والمستمر لمنعهم من أن يعيشوا في صفوف حركة الطبقة العاملة وحركة التحرر الوطني من خلال التعرف على الأقنعة التي يتقنعون بها داخل صفوف هاتين الحركتين. ومن أجل فضح وعزل القوى التي يمثلها هؤلاء يجب عدم التردد إزاء إقامة العلاقة معها إذا لزم الأمر بل ومن الضروري التوغل إلى صفوفها ومعرفتها جيداً تمهيداً لنسفها من أجل ضمان الانتصار للثورة. ذلك لأن سيادة مبادىء هؤلاء ونظرياتهم في حركتي الطبقة العاملة والتحرر الوطني تؤدي بصورة حتمية إلى تدميرهما. وهناك في الجهة المقابلة بنى ايديولوجية واستبدادية اقطاعية موروثة من العصور

الوسطى لا بد من محاربتها والنضال ضدها. غير أن التيارات المستندة إلى هذه البنى التي ليست إلا بضع كيانات ملكية موروثة من العصر الوسيط وبالية ليست تيارات قوية ذات شأن. إن الموضوع الآخر الذي يتوجب على المناضل أن يفهم جيداً بل وبصورة ممتازة هو موضوع أقوى تيارات عصرنا، موضوع التيارين الاشتراكي والتحرري الوطني والقومي. فتحقيق تمثل عميق جداً للتطورات النظرية في هذا الموضوع، وكيف تطورت هذه النظرية عبر التاريخ، وكيف اغتنت من خلال الممارسات العملية اليومية، وما هي التراكمات الفكرية التي أثمرت تمكينها من اتخاذ شكلها، وصولاً إلى فهم نظري عميق وقوي؛ هذا كله سوف يسهل المهمات العملية للمناضل الثوري إزاء الواقع القومي والاجتماعي الذي يجب تغييره بالثورة؛ سوف يجعل الممارسة الثورية القادمة أكثر يسراً.

لنتطرق الآن بشكل موجز إلى بعض سمات وخصائص الثورة الكردستانية في ضوء النظرية الماركسية . اللينينية. ولدى دراسة وتحليل المجتمع الكردستاني الذي تستند إليه الثورة الكردستانية، لا بد من النظر أيضاً إلى الظروف التاريخية التي تعيشها كردستان اليوم. فالثورة الكردستانية تجري في عقد الثمانينات لا في أية مراحل أخرى قبل كل شيء. وهذه الثورة هي ثورة تحرر وطني. إنها ثورة محكومة بأن تتم في بنية مجتمع عاش عدداً كبيراً من السلبيات العميقة في التاريخ ويعاني من التمزق الجغرافي والأوضاع غير الملائمة. وبما أنها ثورة وطنية وقومية، من الجهة الثانية، فإن عليها أن تضم جملة من الطبقات والفئات الأخرى إضافة للبروليتاريا.

هناك حديث عن أن الثورات البروليتارية التي تطورت بالاستناد إلى ثورة أكتوبر سهلت بصورة عامة عملية استيقاظ الشعوب وانتفاضاتها كما ضمنت ثوراتها. ولدى النظر إلى الثورة الكردستانية في ضوء هذا التقويم نرى أن هناك نوعاً من سوء الحظ أو الطالع. فما هو سوء الحظ هذا؟ لم تستطع القضية الكردستانية التي أرادت أن تصل إلى حل لها في عدد من

المراحل أن تحقق أية قفزات في هذا المجال بسبب عوامل داخلية وخارجية غير ملائمة. على الرغم من أن القضية القومية الكردستانية كادت في العشرينات من أن تتوصل إلى نوع من الحل في إطار النظام الامبريالي بمعنى من المعاني فإنها تركت وجهاً لوجه مع انعدام الحل في إطار المنطق الخاص للنظام الامبريالي إياه. ومن خلال اتفاقية سيفر المعروفة تم إعطاء كردستان مكاناً معيناً في إطار النظام الامبريالي بوصفها تابعة ومرتبطة لهذا النظام. وقد شكل هذا صفحة جديدة من عملية حل القضية وإن ظل يعني استمرارها بصيغة أخرى في إطار النظام الامبريالي. ولكن ميلاد الجمهورية التركية في هذا الوقت بالذات جعل مثل هذا الحل مستحيلاً في الظروف العالمية السائدة آنذاك. فالحركة الكمالية المتحالفة مع الاتحاد السوفييتي التي نشأت عقب ثورة أكتوبر استطاعت بالأفادة من هذا التحالف أن تعزز قيادتها للحركة الوطنية والقومية التركية من جهة وتمكنت من جهة ثانية من أن تخضع القضية الكردستانية التي كانت تسير إلى نوع من (الحل) . وإن كان حلاً سلبياً لا يمكن تفضيله على الحلول الصحيحة . في إطار النظام الامبريالي في تلك المرحلة، ل (حل) يتم في ظل هيمنتها هي. فلو تم التوصل إلى ذلك (الحل) الذي نصت عليه اتفاقيات سيفر الامبريالية لانتقلت القضية من أيدي الطبقات الحاكمة التركية التي كانت تمارس نظاماً قمعياً شديداً إلى أيدي الامبرياليين. وبهذا الشكل كانت ستتوفر إمكانية مزيد من التطور للثورة على قاعدة من الظروف المختلفة. في حين أن ظهور الكمالية كان حجر عثرة أمام التوصل إلى مثل هذا (الحل).

كان دعم الاتحاد السوفييتي في ظروف تلك الأيام لحركة التحرر الوطنية التركية المتنامية والمتطورة بقيادة الكماليين من وجهة نظر المصالح الأشتراكية ضرورياً. وبالمقابل كان وضع الحركة الكردية في تلك الأيام أميل إلى ترجيح كفة المصالح الامبريالية. من المؤكد أن الكمالية هي التي استفادت من هذه الأوضاع بمهارة فائقة. إن الكمالية التي استمدت القوة من تحالفها مع الأتحاد السوفييتي من ناحية كانت تحاور من الناحية الأخرى أن تساوم الامبريالية

البريطانية التي كانت القوة الامبريالية الرئيسة في ذلك الحين. فالكماليون الذين انقضوا على كردستان بالرغم من الذي حصلوا عليه من خلال اتفاقاتهم ومساوماتهم مع القوى الاشتراكية والامبريالية استطاعوا أن يسحقوا التمردات التي حصلت في كردستان عن طريق المذابح التي نفذوها في الفترة الممتدة من ١٩٢٥ إلى ١٩٤٠في كل من بالو. غينج . هاني . آغري ، ودرسيم. لا شك أن ظهور مثل هذا الوضع نتيجة لسحق تلك التمردات ما هو إلا سوء حظ حقيقي بالنسبة لكردستان. علماً أن حلاً ما كان قد أصبح قريباً في كردستان في تلك الفترة سواء من وجهة نظر القوى الامبريالية أو من وجهة نظر القوى الاشتراكية. كان من الممكن تطوير الثورة الكردستانية بالاستناد إلى ثورة أكتوبر وبدعم منها غير أن الكمالية أولاً والقيادات والظروف البدائية المتخلفة في كردستان فيما بعد، سدت الطريق أمام هذه الإمكانية كما أسلفنا. وبالشكل نفسه أمكن الوصول إلى عتبة انتزاع نوع من الاعتراف بموقع جديد لكردستان من خلال اتفاقيات سيفر ولكن توصيل الكمالية إلى التشويه المبكر مع كل من الامبرياليتين البريطانية والفرنسية سد الطريق مثل هذه التطورات القادرة على توفير الشروط المناسبة للثورة الكردستانية. استطاعت الكمالية، بهذه الطريقة، أن تعزل كردستان عن كل من الاشتراكية والرأسمالية . الامبريالية. اما البديل الذي أحلته في البلاد فهو نظام الحكم القمعي الدكتاتوري الذي فرضته بأبشع الأساليب البربرية والاحتلال والمذابح؛ نظام حكمها البرجوازي التوسعي. وقد أدى تطور الأمور بهذا الشكل إلى منع الثورة القومية الكردستانية من تحقيق أية قفزة ذات شأن إلى الأمام.

وقد عيشت مرارة الخيبة ذاتها في الأربعينات والسبعينات في كل من كردستان الشرقية الخاضعة لإيران وكردستان الجنوبية الخاضعة للهيمنة العراقية على التوالي. إن أهم الأسباب الكامنة وراء هذه الآلام والخيبات هي المؤسسة العشائرية . الإقطاعية التقليدية للبنية السائدة في كردستان وعناصرها. ففي كردستان حيث كانت القيادة بأيدي هذه القوى، بسبب هذه القيادة بالذات، استحال نشوء بنية استعمارية خاضعة للتأثيرات الامبريالية القوية مع ما تولده

تلك البنية من تمرد كما استحال نشوء وضع يضمن قدراً من التطور والنمو من خلال الانفتاح على التأثيرات القوية للاشتراكية وبالاستناد إليها. ومقابل ذلك بذلت الجهود الهادفة إلى فرض تطور رأسمالي بالغ التخلف بشكل ثقيل وبطيء في ظل الدكتاتوريات الرجعية التي دأبت على زيادة ضيق المجتمع وتمزيق الوحدة القومية عبر عزل الأمة عن العالم وبعض أجزائها عن البعض الآخر، وعلى إبعاد سائر النسج الاجتماعية بعضها عن البعض الآخر. ففيما كان النظام الرأسمالي يترسخ أكثر فأكثر من جهة وكانت الاشتراكية من الجهة الثانية تزداد قوة مع كل يوم جديد كما كانت يقظات شعوب المستعمرات وحركاتها التحررية تتحقق فيما بين الحربين العالميتين وبعدهما؛ ظلت كردستان مضطرة لأن تعيش في ظل حكم استعماري تمت تصفيته على النطاق العالمي، حكم بربري لا يتلاءم مع عصرنا بعد أن حكمت بأن تبقى معزولة وغارقة في وحل الركود ومعرضة للتفسخ والتحلل. أما القوى الرجعية العميلة المحلية التي ظهرت على شكل حصان (طروادة) في البنية الاجتماعية لكردستان فقد استخدمت هي أيضاً كوسيلة إضافية لفرض السياسات الاستعمارية على كردستان من قبل المستعمرين وقد تم ضمان استمرار هذه القوى عنوة.

إن هذا الواقع السلبي المعاش في كردستان قد أعاق تطور حركة التحرر الوطني والقومي الكردستانية بوصفها أحد أجزاء الحركات الاشتراكية والتحررية الوطنية. ومن جهة أخرى أخرت عملية ظهور أية بنية اجتماعية عصرية بالارتباط مع عملية بلترة قوية كانت ستترتب عل حدوث تطور رأسمالي ـ امبريالي قوي. إنها ظاهرة خاصة ناجمة عن التطور التاريخي لكردستان. وهذا التطور التاريخي الكردستاني غير الملائم هوالعنصرالأساسي الذي يحدد شكل التشوه السياسي ـ الايديولوجي السائد اليوم.

فلدى النظر إلى الواقع الملموس لوطننا عبر التحديدات النظرية الناجمة عن تعميم التجارب الثورية في العالم، نرى أن هناك بنية بالغة التشوه مازالت مستمرة. إن واقع التخلف عن عربة

التيارات الاشتراكية والتحررية الوطنية المتنامية في عموم العالم وخصوصاً بعد الانتقال الى عصر الثورات البروليتارية يتجلى بوضوح كامل. إن هذا الواقع الذي يشكل عائقاً مادياً أمام تحقيق الفهم الصحيح لأوضاع البلاد الملموسة يؤدي إلى العجز عن التوصل إلى موقف نظري ثوري صحيح، وعن تطبيقه على البلاد، كما يؤدي في الوقت نفسه إلى ظهور التحليلات الخاطئة في الجهة المقابلة. وباختصار لا تستطيع الحياة التاريخية والمادية أن تنعكس عل المستوى الذاتي إلا على شكل نظرية مشوهة.

استطاعت حركة حزب العمال الكردستاني، لدى قيامها برسم برنامجها الملموس، أن توصل أطروحاتها النظرية بخصوص تحليلها للبنية التاريخية والاجتماعية إلى مستوى معين. لا شك أن الإنجازات التي تمت في هذا الميدان إنجازات لا يمكن الاستخفاف بها، غير أن هذه المهمة لم تنته بعد. فما زالت الحاجة تدعو إلى بذل قدر كبير من الجهود الصحيحة بهدف القيام بتحليل موضوعي للواقع التاريخي والاجتماعي يشمل الأوضاع الملموسة للوطن. فتطوير مرشدية النظرية الثورية الصحيحة باضطراد وتطبيق الأطروحات التي أثبتت الممارسة الثورية صحتها على أوضاع البلاد هما من الواجبات الهامة التي تنتصب أمام الكوادر.

إن المكاسب النظرية التي تعتبرها حركة حزب العمال الكردستاني أساساً لعملها جديرة حقاً بالتمثل والدراسة. فالمؤلفات والوثائق المكتوبة الأخرى مثل ((دور العنف في كردستان (سياسة التحرر الوطني، وحرب التحرر الوطني))، (قضية التحرر الوطني وطريقة حلها) و(وحول التنظيم)، تشكل أساساً للوصول إلى مستويات أعلى مثلما تعبر عن تطور كبير في هذا المجال. إن من الممكن الإمساك بأطراف الخيوط الضرورية لدفع النشاطات النظرية خطوات جديدة إلى الأمام. فهذه التحديدات النظرية تشكل ضمانات قوية ضد الانحراف إلى خط العمالة والإصلاحية والتنكر لكيان الأمة، ضد الوقوع في الأخطاء الكبيرة مثلما تنير الطريق أمام الثورة الكردستانية وتوضيح الممارسة العملية الثورية.

إن الخط النظري الصحيح الذي تم رسمه هو الضمان الذي يكفل سير الممارسة العملية الثورية بأسلم الأشكال. وأهمية مستوانا النظري الذي هو إنجازنا الذي ما زال بين الطريق أمام ممارستنا الثورية ويمد بأكبر قدر من القوة، ستبقى، في حال الدفاع عنه بثبات ضد أي تحريف أو تشويه، مستمرة. بل ويمكن أن نقول إن هناك مقابل هذا المستوى المتطور لنظريتنا، تخلفاً عنه من حيث ممارستنا العملية الثورية، عجزاً معيناً عن وصول هذه الممارسة إلى مستوى النظرية الثورية بشكل كامل. ومن جهة أخرى ما زال الكوادر بعيدين عن تمثل هذه الطاقة النظرية تمثلاً كافياً. فمهما كانت حدود الاطلاع العام واسعة فإن عملية التمثيل الكامل ما زالت محدودة.

لا شك أن الآفاق النظرية للثورة الكردستانية هي تطبيق نظرية الثورة الماركسية . اللينينية على البلاد. غير أن المطلوب هو أن ينعكس الأمر على الوضع الملموس للبلاد بشكل خلاق ومبدع وبوصف النظرية دليل عمل، لا على شكل مذهب جامد. لا بد لنظرية الثورة من أن تتطور وهي تتطهر من الانحرافات اليمينية واليسارية. ولا بد بشكل خاص من الوقوف في وجه تفسير التاريخ بمنطق مغرق في اليمين، وضد تقديم تاريخ العمالة والخيانة بعد تشويهه باسم الماركسية اللينينية على أنه تاريخ كردستان؛ لا بد من معارضة ومكافحة هذه المحاولات بقوة وشدة لأنها تشكل خطراً جدياً. ذلك لأن من المستحيل الوصول إلى وجهة نظر صحيحة بالنسبة للمستقبل إلا بعد امتلاك وجهة نظر سليمة إزاء الماضي. في هذا المجال أيضاً هناك جهود ملأى بالأخطار تبذلها القومية البرجوازية الصغيرة والشوفينية الاجتماعية. وبالشكل نفسه تتخذ البرجوازية – الصغيرة الكردية الإصلاحية والفئات الإصلاحية في الأمة الحاكمة على حد سواء مواقف إما منكرة تماماً، عدمية تماماً أو مشوهة إلى أبعد الحدود إزاء الظروف الاجتماعية الملموسة في يومنا الراهن وإزاء مصادر النضالات الطبقية وحركات التحرر الوطني واتجاهاتها وطبيعتها. إن هذه الفئات التي تحيل النظرية إلى شكل مشوه غير قابل للتعرف عليها دائبة على تطوير خط عميل أساساً تحت شعار الاشتراكية.

لا يجوز التزام الصمت إزاء فرض مثل هذه المفاهيم النظرية على الكوادر والشعب. لا بد من دحض أطروحات هذه القوى حول التاريخ وحول تحليل الظروف التاريخية الملموسة بشكل مكشوف والتشهير بها. وفي هذه الأيام التي تسعى فيها القومية البرجوازية والإصلاحية البرجوازية الصغيرة إلا تظهر إلا بقناع ماركسي وألا تتعامل إلا بالألفاظ اليسارية، لا بد من تناول سائر الموضوعات التاريخية والراهنة التي تشوهها في ضوء النظرية الثورية الصحيحة وإظهار بطلان النظريات الخاطئة. يجب طرح الفهم النظري الصحيح للبروليتاريا إزاء جميع المواضيع بشكل واضح وضوح الشمس لفضح تلك التيارات والفئات التي تعكر أجواء النظرية الثورية. ومهما كانت المسافة التي تم قطعها في هذا المجال سابقاً ما زالت هذه المهمة بعيدة عن أن تكون قد أنجزت إنجازاً كاملاً. هناك العديد من وجهات النظر الخاطئة التي ستحاول أن تسيطر عل الساحة النظرية وتعكرها في المستقبل كما تفعل اليوم. لذا فإن تطوير اليقظة النظرية إلى أقصى الحدود وإظهار حقيقة المفاهيم الخاطئة مهما اختفت وراء الأقنعة الاشتراكية وفضحها تنطوي جميعاً على أهمية بالغة جداً.

ولدى تحقيق ذلك كله يمكن نسف مفعول الآراء التي يحاول العدو وعملاؤه تطويرها والتي تسعى الإصلاحية البرجوازية الصغيرة والشوفينية الاجتماعية لفرضها مع السير قدماً في تطوير النظرية الثورية مقامها. لا بد للمناضل الثوري أيضاً من أن يصل إلى أفق نظري سليم في سائر هذه المجالات والميادين، علماً أن تجاوز النقص في النظرية ليس ممكناً بمجرد اكتساب المعرفة في تلك المجالات وحدها. إن تجاوز النقص في هذا الميدان ممكن فقط عبر تحويل وجهات النظر التي يتم امتلاكها إلى سمات ثابتة لدى الطليعي. لا يمكن أن يصل المجتمع إلى مثل هذا الوضوح المتزايد في ميدان التحرر الوطني إلا عن هذا الطريق. يجب اعتبار تطوير النظرية والحفاظ على نقائها وصفائها مهمة لا يمكن التغاضي عنها أو التساهل بشأنها في كل الأوقات. لا بد للأفكار الصحيحة من أن تكون سائدة بين الكوادر وبين سائر الجماهير الشعبية الواسعة تدريجياً حتى تغدو مهيمنة.

يجب أن نعلم أن النشاط النظري لن يفقد أهميته في أي وقت من الأوقات بل وسيضاعف من أهميته أكثر فأكثر بشكل خاص مع تطور وتنامي الممارسة العملية الثورية وسيفرض نفسه بوصفه حاجة ملحة لا يمكن التغاضي عنها. لذا فإن عملية إعداد المستويات اللائقة للمناضلين بعناية وتطويرهم نظرياً ستبقى محتفظة براهنيتها.

لدى تناولنا للسمة النظرية نبقى مرتبطين بأطروحة (لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية!) إننا نتحدث عن اعتماد النظرية في إيضاح وتفسير سائر نشاطاتنا العملية جميعاً وحركتنا كلها. إن أمام حركتنا مهمات خطيرة لا بد لها من تنفيذها في الموضوعات النظرية لأنها حركة تنطلق من واقع بلدنا الذي ظل مجهولاً إلى حد كبير من حيث أوضاعه التاريخية والاجتماعية، وقبل كل شيء؛ لا بد من إدراك حتمية النظرية الثورية وإيصال هذه النظرية إلى الكوادر وإلى جماهير الشعب من أجل ضمان التطور النظري، ومن جهة ثانية؛ لا بد من تمثل التجارب والعبر التي أنضجتها سائر النضالات الطبقية في العالم تمثلاً جيداً واستخلاص الدروس المفيدة منها بالنسبة لثورة البلاد . ومثل هذا العمل سيلزم عملاً نظرياً دؤوباً ومكثفاً. إن الممارسة العملية للثورة المضادة متطورة اليوم بمقدار ما تطورت الممارسة العملية الثورية. ينبغي لثورة بلادنا أن تتابع تطورها وأن تتجدد باستمرار وفق الممارسة العملية الثورية العالمية التي تتطور بدون توقف حتى تصل إلى مستوى معاييرها.

لا يمكن وضع نظرية الثورة الخاصة بالوطن بدون فهم نظرية الثورة في العالم بصورة عامة. أما تجاهل النظرية العامة والزعم بإمكانية اعتماد خط آخر مغاير فمنهج ينطوي على الكثير من المخاطر. ومن هذه الزاوية يجب أن نتذكر دوماً أن نظريتنا الثورية هي واحدة من ثمار الممارسة الثورية العالمية ومن انعكاساتها كما يجب تكثيف الجهود الهادفة إلى تطوير نظريتنا بما ينسجم مع الممارسة الثورية العالمية. ومن جهة ثانية لا بد من امتلاك معرفة نظرية عميقة من أجل الكشف عن المفاهيم المغلوطة المقنعة بالأقنعة الماركسية اللينينية التي سبقت الإشارة إليها

وإعاقة إلحاقها للأذى بالنضال الاشتراكي والتحرري الوطني. إن أشكال الفوضى والغموض التي تنشأ عن الانحرافات التي ظهرت في قلب الحركة الشيوعية اليوم معروفة تماماً. والنضال الصحيح والسليم ضد هذه التحريفات لا يمكن أن يمر إلا عبر أمتلاك معرفة نظرية عميقة. وإلا فلن يكون تحاشي الأخطار المتوقعة ممكناً.

تنطوي عمليات فهم وتطوير النشاطات النظرية على خطر ظهور بعض الأخطاء أيضاً. وفي هذا المجال نستطيع أن نبين إحدى النقاط الهامة على النحو التالي: لا يجوز أن نفهم من عبارة امتلاك النظرية الجيدة معنى التوصل إلى كل المعايير الثورية كلها. فبعض المناضلين يتوهمون بأنهم نجحوا في إنجاز مهماتهم الثورية عبر توصلهم إلى حلول نظرية جيدة للقضايا المطروحة. ومثل هذا الوهم خطأ شنيع ومرعب. لا يشكل امتلاك النظرية الجيدة إلا جزءاً من العملية وتبقى أشياء كثيرة أخرى لا بد من القيام بها. فحل قضية ما على المستوى النظري لا يعني حلها على مستوى الممارسة العملية. غير أن هذا هو أكثر الأخطاء شيوعاً عندنا. فما أكثر أولئك الذين يتوهمون بأنهم توصلوا إلى كل شيء لمجرد حل القضايا على المستوى النظري! في حين أن النظرية الصحيحة ليست إلا لإنارة الطريق أمام الممارسة العملية. كما يمكن للنظرية الصحيحة أن تكشف الجوانب غير الصحيحة في الممارسة التي أنارت طريقها مما يساعد على تطوير الممارسة وتحسينها أكثر فأكثر. غير أنها لا تحل قط محل الممارسة. وبهذا المعنى تشكل الممارسة ساحة نشاط مستقلة بذاتها. لذا فإن من الضروري عدم المبالغة بدور النظرية وعدم الوقوع في خطأ أحلالها محل الممارسة.

يكون المناضل الذي تمثل الموضوع بهذا الشكل قوياً إزاء الممارسة أيضاً. والمناضل الذي استطاع أن يحقق مثل هذا التمثل هو وحده القادر على الثقة الراسخة بالنفس في مجال السير نحو الأهداف، وعلى الاطمئنان الكامل إلى ممارسته. من الواضح أن النظرية هي إحدى أقوى أسلحة المناضل. وشعور المناضل بالقوة والثقة بالنفس إزاء الممارسة العملية التي تواجهه يشكل

امتيازاً لا يستهان به في أثناء تحقيق تلك الممارسة العملية. فالنظرية، إذن، مصدر قوة تكسب المناضل مثل هذه السمات الثمينة.

٣. يجب على المناضل أن يكون ممتلكاً لفهم برنامجي صحيح!

بالارتباط مع الفهم النظري الصحيح هناك ميزة أخرى يجب أن تتوفر بوضوح لدى أي مناضل هي ميزة امتلاك القدرة على طرح الأهداف الصحيحة للبروليتاريا بالاستناد إلى أساس نظري صحيح .

ونحن حين نقول أهداف الحركة البروليتارية فإن ما يجب أن نفهمه هو برنامج الحركة البروليتارية. ومن الواضح أن هذا البرنامج يكون مستنداً إلى نظرية ثورية صحيحة، وستشكل الأطروحات والتحليلات النظرية أساسه.

غير أن الحركة الثورية لا تكتفي بالتحليلات النظرية. فالحركة التي لا تضع أهدافاً محددة وواضحة أمامها ولا تعرف كيفية الوصول إليها يمكن أن تجد نفسها في موجهة جملة من المحاذير الكبيرة والخطيرة جداً. إن الذي بقي من مثل تلك المحاذير هو امتلاك البرنامج السياسي الثوري. وهذا البرنامج السياسي الثوري إنما يعني إيضاح ما يجب هدمه وكيف وما يجب بناؤه ليحل محل ما جرى هدمه وكيف. إن الحركة المنطلقة إلى الممارسة بفهم نظري صحيح تضع قضايا كيفية تغيير المجتمع ومواصفات المجتمع الذي تريد إقامته بدلاً منه كأساس لبرنامجه. باختصار نقول: إن البرنامج هو طرحاً لأهداف محددة للحركة البروليتارية في مرحلة محددة. لا بد للمناضل من أن يمتلك منهجية تمكنه من اختيار الأهداف بشكل صحيح. فإذا لم يكن يعرف ما يناضل من أجله إلى النهاية، ما يريد هدمه وما يرغب في بناءه بديلاً للذي هدمه، يبقى محصوراً في إطار الممارسة والعمل ويظل غير مدرك للغرض الذي تخدمه تلك الممارسة غارقاً في النشاطات العملية الدائمة التي لا يعرف بوضوح الغاية التي ترمي إليها تلك

النشاطات. قد يكون عمله غير المخطط الذي لم يجر رسم اتجاهه انجراراً وراء برامج طبقات أخرى. من الواضح أن الحركة البروليتارية التي لا تميز برنامجها هي عن برامج الطبقات الأخرى معرضة دوماً لأن تكون طعماً لحركات تلك الطبقات ومضطرة لأن تعمل بما يخدم أغراض برامجها؛ فتسقط، ولو بلا وعي، في وضع من يقدم الخدمة للبرامج الأخرى الغريبة. هناك أمثلة كثيرة تؤكد ذلك في التاريخ. ولإعاقة الوصول إلى مثل هذه النتيجة يتوجب على الحركة البروليتارية من البداية أن تقوم بمهمة التمييز بين برنامجها هي وبرامج الطبقات والفئات الأخرى، هذه المهمة التي تنطوي على أهمية كبيرة. بهذا المعنى أيضاً يكون امتلاك المناضل الثوري لأهدافه البرنامجية وتمثيله لها من القضايا ذات الأهمية القصوى.

يستحيل أن تكون البروليتاريا طبقة بلا برنامج. فبدون خط رؤية سياسي مستقل ومنظومة أهداف محددة سواء في الثورة الاجتماعية أم في النضال التحرري الوطني لا تستطيع البروليتاريا أن تسير إلى الأمام. وأية حركة تنطلق باسم البروليتاريا يجب إن تكون قادرة على طرح أهدافها البرنامجية وهي في بداية الطريق قبل أن تخطو أية خطوة عملية جدية، وقبل أن تتحول إلى حركة قوية. هذه مسألة ليست مفهومة بشكل كاف من قبل بعض المناضلين الذين يظنون أنه يكفي إعلانهم قائلين:(هدفنا هو الاستقلال)،((هدفنا هو تحقيق البرنامج الديمقراطي !)) ،((هدفنا هو الاشتراكية!)). لا شك أن الوصول إلى هذه المفاهيم وتبنيها ليسا من الأمور القليلة غير أن طرح المسألة بهذه الخطوط العامة ليس كافياً. فعلى البرنامج أن يعبر عن أهداف أكثر ملموسية وأكثر منهجية. ما أكثر التيارات التي تظهر على الساحة تحت هذا الاسم أو ذاك والتي تقول العبارات ذاتها حول الاستقلال والديمقراطية والعداء للامبريالية! غير أن الأمور تتداخل والقضايا تغرق في بحر من الفوضى لحظة دعوة هذه القوى إلى أن يكونوا أكثر تحديداً وملموسية لأهدافها مما يؤدي إلى ظهور العديد من الذين يريدون أن يمروا بالمسائل الملحة مرور الكرام. هذا ويتعقد الموقف أكثر فأكثر لدى طرح النظام الذي يجب نسفه بشكل خاص. لهذا كله يكتسب رسم الأهداف السياسية للبروليتاريا وبيان

الفروق بينها وبين الطبقات الأخرى أهمية حياتية. وإذا عدنا إلى لينين حول هذا الموضوع فإننا نستطيع أن ندرك مدى أهمية الأمر بشكل أوضح. يقول لينين: (قبل الاتحاد وفي سبيله لا بد لنا أولاً من رسم الخطوط والتخوم التي تفصل بيننا وتبيان الفروق القائمة !) ذلك هو الفهم الصحيح لقضية التحالفات التي تشكل أحد مبادئ البرنامج البروليتاري. فبدون تحديد التخوم والحدود لا يمكن تحديد من ينبغي التحالف معهم وبأية أهداف برنامجية. وكما يتضح من المثال أيضاً، لن تبقى للبروليتاريا فرصة تطوير النضال وإيصاله إلى النصر ما لم تكن تمتلك برنامجاً قادراً على إنارة طريق النضال أمامها.

من هذه الزاوية بالذات كانت مبادرة حركتنا الثورية منذ السنوات الأولى لانطلاقها إلى وضع برنامج ثوري تمتدي به خطوة صائبة إلى أبعد الحدود. إن طرح برنامج ثوري، بخطوط جريئة جداً، في بلاد تجهل اسم البرنامج وفي بيئة لا يخطر ببال أحد فيها مناقشة مثل هذا الموضوع، كان حدثاً لا يمكن الاستخفاف به. ليس البرنامج مجرد حبر على الورق وخططاً مرسومة على الخرائط بل هو حدث يفترض في الوقت نفسه تمثل الأهداف وتطبيقها على الحياة. إن جعل البرنامج الذي تمت صياغته ملكاً للحركة والتوجه إلى الممارسة العملية على ضوئه قضيتان مهمتان. وعلى الحركة البروليتارية ألا تفسح المجال أمام الصدف والمفاجآت بالنسبة لموضوع الأهداف منذ البداية، بل يجب عليها أن تكون جذرية حول ما يجب هدمه ونسفه وما ينبغي بناؤه بدلاً من ذلك الذي تم نسفه. من الواضح أن هذا يشكل أحد العوامل التي تضمن نجاحها.

إن المناضل الذي بلغ مستوى يمكنه من أن يثق بنفسه في الميدان النظري يصل بدون شك إلى بنيان أكثر متانة ورسوخاً في حال اكتسابه للثقة بنفسها في موضوع تمثل أهدافه أيضاً. فتمثل الأهداف البرنامجية يعبر عن التطور الحاصل في مستوى القرار السياسي العام لدى المناضل. تكون درجة صحة وصواب الحركة لدى اتخاذ القرار حول الأهداف متناسبة مع مدى فهم

البرنامج وتمثله. وإذا أخذنا مثال كردستان الملموس فإن هذا النوع من المناضلين يكون قد وصل إلى مستوى القدرة على اتخاذ القرار حول نسف الاستعمار وبناء المجتمع المستقل المتمتع بالحرية وتأسيس النظام الاشتراكي تدريجياً. واضح أن تسليح المناضل بنظرية صحيحة وببرنامج سليم وقرارات قوية يؤدي إلى إيصاله إلى امتلاك أسلحة بالغة القوة.

لم يستطيع بعض المناضلين عندنا في حركة حزب العمال الكردستاني أن يدركوا مدى أهمية برنامجنا الثوري، فيبدون قدراً غير كاف من الاهتمام إزاء التوقف عند المعنى الذي يحمله البرنامج وإمعان النظر فيه. فما هو مهم في هذا المجال ليس مجرد التعرف على مواد البرنامج مادة مادة، بل إدراك المضمون بشكل عميق. مثلما يؤدي الاكتفاء بالنظرية العامة إلى حركة شبه مشلولة وإلى المراوحة في المرحلة المعروفة باسم المرحلة الأيديولوجية، كما حصل كثيراً، بدون تجاوز حالة مجموعة البحث النظري؛ يؤدي الاكتفاء بالكلام في موضوع البرنامج أيضاً وبصورة حتمية إلى السقوط في أوضاع بالغة السلبية في النضال السياسي والعملي. لذا فإن الحركة التي وصلت مرحلة البرنامج والمناضل الذي يعيش هذه المرحلة لا يستطيعان أن يتقيدا بحدود مستوى تمثيل النظرية فقط. يجب على مثل هذا المناضل أن يدرك أنه في نقطة تأتي بعد تلك المرحلة وأن يقبل بذلك. فالحركة التي تدعي أنها صارت تمتلك برنامجاً ليست، كما هو واضح، ولا يمكن أن تكون مجرد مجموعة بحث نظري. لأنها بالبرنامج الذي صاغته قد طرحت أهدافاً سياسية جادة تخص الأمة والمجتمع وتوصلت إلى قرارات حاسمة جداً حول موضوع تدمير العدو وبناء المجتمع الجديد على أنقاضه. وذلك يكفي لأن يميزها عن مجرد جماعة أيديولوجية عادية.

إن أحد أسباب تطور حركة حزب العمال الكردستاني ونموها يكمن في أنتقالها إلى تأسيس الحزب المستند إلى برنامج منذ السنوات الأولى بالانطلاق من طرح الأهداف البرنامجية الصحيحة والخلاص التدريجي من حالة الجماعة الأيديولوجية الضيقة. ومقابل هذا فإن امتناع

بعض المجموعات التي تطلق على نفسها اسم (الاشتراكية) عند الاقتراب من وضع البرامج، أو لجوؤهم إلى إخفاء برامجهم بدون إعلانها، أي اتخاذها وضعية التنكر والتصفية بالنسبة لموضوع البرنامج بمعنى من المعاني، هو السبب الهام في عدم قدرتها على التطور والنمو. مقابل أشكال الزيف والسلبية لدى تلك المجموعات، قام حزب العمال الكردستاني، قبل عملية تأسيس الحزب، أي في عام ١٩٧٧، بإعداد مشروع البرنامج، أما قيام حزبنا بطرح برنامجه للمناقشة العامة فقد شكل عاملاً ساعد على دفع عملية تطور الحزب إلى الأمام. والتحام الكوادر من حيث الأهداف بدءاً بتلك المراحل المبكرة مرتبطاً ارتباطاً وثيقا بطرح هذا البرنامج الثوري.

هناك نقطة أخرى يجب إبرازها في موضوع البرنامج هي قوة انتشار فكرة عدم وجود البرنامج في بلادنا. يمكن الحديث عن عجز القوى الاجتماعية في بلادنا عن تطوير برامج خاصة تتفق مع مصالحها وتحررها القومي والاجتماعي الخاص. بعبارة أخرى هناك نوع من انعدام البرامج والبرمجة في هذه المجالات. إن ما هو نافذ في هذا الميدان هو برنامج القوى الحاكمة، أي برنامج الاستعمار وهناك تبعية متطرفة لهذا البرنامج. هذه المسألة تعيش في كردستان حالة بالغة السلبية. فمن أجل توفير القدرة على تجاوز هذه الحالة وإفشال مخططات العدو التي تعيق وصولنا إلى فهم برنامجي صحيح لا بد لنا من تقديم البرنامج الثوري باستمرار وتطويره بدون توقف. ومن جهة أخرى لا بد لنا من رؤية حقيقة أن (البرامج) التسووية العملية التي يسعى ممثلو البرجوازية الصغيرة إلى تطويرها وتعميقها بأشكال أكثر خبثاً من العدمية البرنامجية تحت قناع وضع البرنامج، ورفضها، وصولاً إلى فضحهم أمام الرأي العام. لا بد من أدراك أن الأهداف التي يرددونها بوصفها برنامجية ما هي إلا شكل مختلف من التبعية؛ وأن بعض الاصلاحات اليومية التي يرمون من خلالها إلى ذر الرماد في العيون ليست طريقا إلى التحرير النهائي ولا تؤدي له أية خدمة، وهي لذلك رجعية تماماً. لا بد من رسم البرامج التي تضمن

المصالح القومية والاجتماعية لسائر الطبقات والفئات الثورية بدلاً منها. إن للصياغة البرنامجية لسائر الأهداف القومية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على أساس ثوري أهمية قصوى .

يجب تطوير الفهم البرنامجي للبروليتاريا، لقوى الشعب بصورة مباشرة ولا بد من تمكين هذا البرنامج المفصل تفصيلاً كافياً من تحقيق الهيمنة على سائر طبقات وفئات المجتمع لتحطيم نفوذ الاستعمار وعملائه؛ وبالطريقة نفسها لا بد من فضح زيف ورجعية البرامج الإصلاحية والشوفينية والاجتماعية على الملأ. وفي هذا المجال تشكل عملية إيصال البرنامج بصورة تدريجية إلى أوسع الجماهير، بدون الاكتفاء بإقناع المناضلين به وطرحه بشكل مكتوب فقط، مهمة ضرورية وملحة. وهكذا فإن على المناضل الثورة أن يصبح شخصاً يدرك هذه المهمة بكل أبعادها ويطبق ذلك على الحياة كما يجب. من المؤكد أن البرنامج يكون مقسوماً إلى أجزاء مستقلة وعلى المناضل أن يتمثل سائر تلك الأجزاء تمثلاً كاملاً وأن يبادر بعد ذلك إلى نقلها للآخرين. إن المناضل الذي يعرف موضوعات القومية والديمقراطية، ويعرف في الوقت نفسه مستلزمات العمل على تحقيقها؛ وما معنى العداء للاستعمار وبناء المجتمع الجديد وغيرها من الموضوعات المماثلة، هو مناضل استطاع أن يتمثل مضمون البرامج وأن يمتلك ناصيته.

ونحن حين نقوم بان على المناضل أن يمتلك برنامجاً جيداً، إنما نعني امتلاكه للقدرة على تحديد وجهته وتمييز أهدافه الرامية إلى الهدم والبناء، أضف إلى ذلك أنه لا بد من التأكيد على ضرورة أن يكون صاحب قرار بالنسبة للأهداف، وصريحاً لا مترددا بشأنها. ينطلق برنامج حزب العمال الكردستاني في موضوع الأهداف من التقويم التاريخي والاجتماعي الصحيح لكردستان. إنه يهدف إلى اقتلاع الاستعمار من الأرض الكردستانية وتصفية البقايا الإقطاعية الموروثة من العصر الوسيط. أما البديل الذي يرمي إلى تحقيقه فهو خلق أمة مستقلة ومجتمع ديمقراطي والوصول تدريجياً إلى الاشتراكية. ما زال برنامج حزب العمال الكردستاني الذي تمت صياغته قبل تأسيس الحزب بزمن طويل، أي عام ١٩٧٧، كما هو؛ ما زال هذا البرنامج

ساري المفعول ولم تجاوزه بعد. وبهذا المعنى يتوجب على المناضل الثوري أن يطور ممارسته العملية في ضوء وهدي مثل هذا البرنامج وأن يساهم في نشره على أوسع نطاق. لا يجوز للمناضل أن يقف عند حدود هضم البرنامج وتمثله بل يجب أن يسند سائر نشاطاته السياسية إليه؛ يجب عليه أن يتخذه دليلاً وهادياً في سائر الموقف إزاء الجماهير والقوى الأساسية الأخرى حول موضوعات التحالف والاتفاق، وإزاء العدو أيضاً. باختصار، يجب على المناضل أن يترجم سائر نشاطاته في الحياة على ضوء البرنامج وبما يتفق معه.

٤. يجب على المناضل أن يمتلك استراتيجيات وتكتيكات سياسية . عسكرية صحيحة!

أن السمة التي تأتي مباشرة بعد القدرة على امتلاك الفهم البرنامجي الصحيح بالنسبة للمناضل الثوري هي قدرته على فهم الإستراتيجيات والتكتيكات السياسية والعسكرية للحركة وتطبيقها. ومن المؤكد أن طريق القدرة على تطبيقها بشكل صحيح يمر قبل كل شيء عبر قيامه بتمثلها بشكل جيد. فالحركة التي تستند إلى نظرية معينة وتمتلك خطة مبرمجة لأهدافها ومناضليها يجب عليها أن تتجاوز ذلك وتطرح خطها الاستراتيجي الخاص بها ومسارها التكتيكي النابع من هذا الخط.

يقول ستالين: ((أن موضوع الإستراتيجية يشتمل على تحديد اتجاه الضربة الرئيسة للبروليتاريا بعد التسليم بأن الثورة وصلت إلى مرحلة معينة؛ وإعداد الخطة المناسبة لتنظيم القوى الثورية (الرئيسة والثانوية والاحتياطية)؛ والنضال طول الفترة المعينة للثورة في سبيل تحقيق هذه الخطة.)) وبعبارة أخرى تعني الإستراتيجية تحديد الاتجاه الأساسي الذي يجب أتباعه من قبل الحركة الثورية من أجل بلوغ الأهداف البرنامجية وإنزال الضربة الأساسية بالعدو بشكل يكفل تحقيق النتائج المطلوبة.

((تتعامل الاستراتيجية مع القوى الرئيسة للثورة والقوى الاحتياطية لها.

ولدى وصول الثورة إلى مرحلة جديدة تتغير الإستراتيجية هي الأخرى، غير أنها تبقى من حيث الأساس ثابتة طوال استمرار المرحلة.))

أما ((التكتيك فيعني النضال لتطبيق الخطط القصيرة نسبياً التي تحدد كيفية التعامل مع فترات النهوض والهبوط، فترات اندفاع الثورة السريع وتباطؤها من خلال استبدال أشكال التنظيم والنضال القديمة والشعارات السابقة بأشكال وشعارات جديدة بما يضمن تحقيق الانسجام بين أشكال النضال والصيغ التنظيمية وإلخ... إن التكتيك يشكل جزءاً من الإستراتيجية وهو مرتبط بها ويجب أن يخدمها.))

((يتعامل التكتيك مع أشكال نضال البروليتاريا وأشكال تنظيمها، وبالتسلسل المتناغم لهذه الأشكال. فالتكتيك الذي يسلم بمرحلة معينة من مراحل الثورة قابل لأن يتبدل ويتغير عدداً كبيراً من المرات حسب حالات المد والجذر، حالات الاندفاع السريع والبطء في مسار الثورة.))

إن لتحديد التكتيكات الصحيحة أهمية كبيرة في موضوع الوصول إلى الهدف. يمكن أن نقول أن الذي يميز بين الحركات البروليتارية والبرجوازية ذات الأهداف المتشابهة هو كون الحركة البروليتارية ممتلكة إستراتيجية وتكتيكات ثورية مناسبة للأهداف البرنامجية وقادرة على تمكينها من تحقيق النصر. أما ما يفضح حقيقة العديد من الحركات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة المنطلقة باسم البروليتاريا والمقنعة بالأقنعة الخادعة والتي تزعم بأنها تطرح برنامج الحركة البروليتارية فهو ميلها إلى الإستراتيجيات والتكتيكات الاستسلامية والإصلاحية بل وحتى الرجعية. وكما ظهر في كردستان فإن عدداً من الحركات التي لم تتردد في أن تطلق على نفسها أسماء من قبيل: ((حزب العمال)) و((الحزب الاشتراكي)) ظلت أميل إلى الاعتماد على

بعض قطاعات البرجوازية الاستعمارية أو البرجوازية الامبريالية لدى ترجمة برامجها إلى الحياة الواقعية. وهذه الحركات التي سلكت مثل هذا السلوك في ميدان الإستراتيجية سلكت سلوكاً مماثلاً في موضوع التكتيكات أيضاً. إنها تهرب من العنف الثوري والمقاومة المسلحة التي هي الشكل الأساسي للنضال في بلاد مثل كردستان وتحاول تحقيق أهداف التحرر الوطني والقومي بأشكال نضالية مزعومة شوهاء إلى أقصى الحدود وعقيمة، مثل الاجتماعات والتظاهرات السلمية والانتخابات وما إليها. إن هذه الحركات، وإن كانت تقلد البروليتاريا في تحديد الأهداف، تظل محكومة بالهزيمة المؤكدة لأن الخطط الإستراتيجية والتكتيكية التي هي معيار نقل الأهداف البرنامجية من الورق إلى الحياة تكون خاطئة. هذا هو الواقع بكثير من الاختصار.

إن ما ينبغي فهمه من امتلاك الإستراتيجية العسكرية والسياسية بعمق هو من حيث الجوهر، امتلاك الوعي العميق والواضح والمحدد بدقة للخط الفاصل بين معسكري قوى الأصدقاء وقوى الأعداء على المستوى السياسي. فالإستراتيجية بالنسبة للبلاد والشعب أمر لا غنى عنه. لا يوجد شعب أو منظمة أو حتى فرد بدون إستراتيجية، غير أن المستوى الإستراتيجي للقوى القومية والاجتماعية في كردستان، مقابل ذلك، ليس متطوراً لدرجة كافية. فمنهاجها الحركية بالنسبة لمصالحها الخاصة ليست واضحة. كما ليست معروفة الأهداف التي من أجلها تعيش وتعمل وتتحرك. وإذا نظرنا إلى الأمر على مستوى الأمة فإننا نجد أن الأمة بلا إستراتيجية خاصة بها؛ أما الإستراتيجية النافذة بدلاً من إستراتيجية الأمة الخاصة فهي إستراتيجية الاستعمار وعملائه. وهذه ليست، بكل تأكيد، إلا إستراتيجية مفروضة من جانب الامبريالية والاستعمار.

تزعم الفئات البرجوازية الصغيرة وشبه الإقطاعية وشبه البرجوازية بأنها وضعت جملة من الإستراتيجيات، ولكن هذه الإستراتيجيات ليست في حقيقتها، بعد إمعان النظر فيها، إلا

سياساتها المغرقة في العمالة والتبعية. إنها سياسات تفتقد إلى الثقة بالقوة الأساسية التي لا تعتمد عليها بل تربط التحرر بهذه الطبقة أو تلك في الأمة الحاكمة، أو بهذه الدولة أو تلك. تلك هي المفاهيم الإصلاحية والشوفينية ـ الاجتماعية البرجوازية التي تسعى إلى فرضها على الساحة الإستراتيجية. من المؤكد أن هذه المفاهيم تبقى عاجزة عن تلبية مستلزمات الخط الإستراتيجي الذي يحس المجتمع بحاجة إليه.

ومثل هذه الإستراتيجيات لا تؤدي إلا إلى انعدام الأهداف، بدلاً من الأهداف؛ إلى مصالح العدو وعملائه، لا إلى المصالح الجوهري؛ لا إلى استمرار الاستعمار، لا إلى التحرر. ومن هذه الزاوية فإن وضع إستراتيجية ثورية ينطوي على أهمية حيوية وحاسمة بالنسبة للشعب والأمة ككل وبالنسبة للطبقة والفئات الثورية على حد سواء. لا بد من تطوير ذلك على المستويين السياسية والعسكري كليهما.

ولدى النظر إلى موضوع الثورة الكردستانية فإن الإستراتيجية السياسية والعسكرية وما يرتبط بهما من تكتيكات تكتسب أهمية قصوى بالنسبة لهذه الثورة. فموضوع الإستراتيجية السياسية هو موضوع القوى الرئيسة والاحتياطية التابعة لها في مرحلة معينة من مراحل الثورة. إن الأسئلة التي تحاول هذه الإستراتيجية أن تجيب عليها هي من قبيل: ما هي الطبقة التي تشكل قيادة الثورة في هذه المرحلة؟ أية طبقة أو طبقات تؤلف القوة الأساسية؟ ما هي القوى الاحتياطية الداخلية والخارجية مسلسلة حسب درجة أهمية كل منها؟ والخ... وباختصار نقول إن الإستراتيجية السياسية هي التي تحل مسألة الوضع الطبقي في بلد معين. أما موضوع الإستراتيجية العسكرية التي تتبع الإستراتيجية السياسية فهو مقدار العنف العسكري الذي يمكن استخدامه من خلال القوى المتوفرة ـ الأساسية منها والاحتياطية ـ وكيفية استخدام هذا العنف. بمعنى أن الإستراتيجية العسكرية هي التي تلقي الضوء على ما إذا كان وضع القوى الأساسية والاحتياطية المتوفرة يفرض حرباً طويلة الأمد، أم انتفاضة عابرة؛ أساليب قتال أكثر

تعقيداً أم عمليات عسكرية نظامية أو غير نظامية. لا بد من توضيح الخط السياسي والعسكري للحزب بهذا الشكل، غير أن ذلك ليس كافياً وحده لتحقيق النصر. هناك أسئلة أخرى تظل مطروحة مثل: ما هي أساليب تنفيذ هذا الخط على المستوى التكتيكي؟ ما هي العمليات والأشكال التي من خلالها يتم السير في هذا الاتجاه؟ وكيف سيتم جعل الإستراتيجية نافذة وفعالة؟ هل يتم ذلك كله من خلال تظاهرة جماهيرية معينة؟ أم من خلال دخول البرلمان؟ هل يتم ذلك عن طريق الاستمرار في طرق أبواب القوى الصديقة في الخارج، أم عبر انتظار النجدة من الامبريالية؟ أم من خلال النضالات التي تخوضها الوحدات الصغيرة وأتباع طريق النشاط السياسي والعسكري السري؟ نعم هذه الأسئلة جميعاً يجب أن تجد أجوبتها. بمعنى ما هو مستوى السلوك القادر على توفير فرص النجاح لهذا الخط؟ ما هي أشكال التنظيم والنضال التي تمكننا من السير قدماً في تنفيذ هذا الخط الإستراتيجي؟

كثيراً هي الأطراف التي تتصرف كما لو لم تكن هذه المسائل مسائل تخص الثورة الكردستانية. واضح بشكل خاص أن سائر الأطراف الباقية خارج الحركة البروليتارية سواء تلك الشوفينية ـ الاجتماعية أو الإصلاحية البرجوازية ـ الصغيرة مع القوى الموجودة في الأجزاء الأخرى بل وحتى القوى الثورية في المنطقة والعالم، ليس لديها موقف محدد وملموس أو ممارسة عملية لهذا الموقف في موضوع الخط الإستراتيجي والتكتيكي للثورة الكردستانية. أما الإصلاحيون والاستسلاميون البرجوازيون الصغار الذين يزعمون بأنهم ينطلقون باسم كردستان الشمالية ـ الغربية، فإن من المشكوك فيه ما إذا كان هناك أي تقييم للخواطر المحددة التي خطتها، إضافة إلى تهربها من قضايا الإستراتيجية والتكتيك، أو أشكال النضال والتنظيم الأساسية التي هي من أهم قضايا الثورة. من الواضح أن الإصلاحيين البرجوازيين الصغار ليسوا واثقين بأنفسهم بشأن هذه القضايا أيضاً انسجاماً مع وضع وسلوك الطبقة التي ينتمون إليها. إنهم يظلون عاقدين آمالهم على الدعم الآتي من الخارج نتيجة للعمالة، وعاجزين عن

رسم خط استراتيجي وتكتيكي مستقل بوصفهم قوة احتياطية غير قادرة على أن تصبح قوة قيادية. إنه لوضع مفهوم تماماً بالنسبة للتيارات البرجوازية الصغيرة.

ولكن الحركة البروليتاريا لا تتصرف بهذه الطريقة. فهي مضطرة لأن تعد **طريقها السياسي والعسكري المستقل من البداية كما هي في العالم بصورة عامة.** ولقد أظهرت حركة حزب العمال الكردستاني الثبات الضروري في هذا المجال أيضاً. ومهما كانت تعاني من غياب الخط السياسي والعسكري الكامل في البداية فإن مؤشراته الأولى كانت ظاهرة منذ تاريخ نشوء الحركة. فالثورة الكردستانية، حسب رأي حزب العمال الكردستاني، حليفة راسخة للثورة الاشتراكية العالمية وبالتالي لا بد لها من أن تصب في النهر المتدفق لتيار حركة التحرر الوطني الذي هو الأقوى في عصرنا. إن الحزب يدافع منذ البداية عن إقامة العلاقة مع القوى الاحتياطية على أساس تحالف العمال والفلاحين بقيادة البروليتاريا في الداخل وعن التحالف مع القوى الصديقة المختلفة في الخارج. غير أنه في الوقت نفسه يستند إلى القوة الذاتية للشعب الكردستاني كأساس. وهذه الأفكار التي لم تكن مطورة بشكل واضح تماماً في البداية، صارت مع الممارسة واضحة تماماً ومتكاملة بصورة تدريجية. فقد جاء كتاب ((دور العنف في كردستان (سياسة التحرر الوطني . وحرب التحرر الوطني)) بصورة خاصة متضمناً قدراً كبيراً من المعلومات والأطروحات في هذا المجال. لقد تم إيضاح كل من الإستراتيجية السياسية والإستراتيجية العسكرية بشكل كاف كما تم تفصيلهما على المستوى التكتيكي أيضاً.

كما جرى تناول موضوعات الطبقات الأساسية الداخلية والقوى الاحتياطية الداخلية والخارجية في مختلف المقالات والأبحاث. غير أن التطرق إلى الموضوع بشكل موجز ومركز هنا أيضاً سيكون مفيداً في إلقاء المزيد من الضوء على هذه القضية.

القوة القيادية لثورتنا هي البروليتاريا. اما القوة الأساسية فهي الجماهير الفلاحية وخصوصاً الفقيرة والمتوسطة. وحولها تلتف سائر الفئات الأخرى مثل المثقفين والشبيبة والبرجوازية الصغيرة وسائر الوطنيين (الأغوات والبرجوازيين الوطنيين). ذلك هو التوزع الطبقي الذي يجري العمل على أساسه. أما على النطاق الخارجي فإن القوى الحليفة المباشرة للثورة هي: **القوى الديمقراطية . الثورية في تركيا، القوى الثورية والوطنية في الأجزاء الكردستانية الأخرى، الحركات الثورية والتقدمية في الشرق الأوسط، البلدان الاشتراكية، الحركات البروليتاريا في البلدان الرأسمالية، وسائر حركات التحرر الوطني في العالم.**

وإذا توسعنا في الموضوع قليلاً فإن على الإستراتيجية أن تستهدف كسب الجماهير الفلاحية بوصفها القوة الأساسية. ولا بد من بذل الجهود المركزة والكثيفة لبلوغ هذا الهدف. كما يجب بذل مختلف الجهود من أجل كسب الشبيبة المثقفة، إضافة إلى بذل الجهود الدائمة لكسب القوى الأخرى أيضاً إلى صف الثورة حسب درجة قرب كل منها. لا بد من جر الجماهير العمالية البروليتارية الواسعة إلى ساحات النضال باعتبار أن البروليتاريا هي القوة القائدة للثورة. أما في الخارج فيجب أيلاء المزيد من الاهتمام بقضية تطوير العلاقات وتعزيزها مع الحركة الثورية . الديمقراطية في تركيا (ومع الحركة التي تقودها البروليتاريا إذا ظهرت مثل هذه الحركة). كما يجب كسب صداقة الحركات الموجودة في الأجزاء الكردستانية الأخرى مع تطوير العلاقات أكثر فأكثر. كما يجب بشكل خاص كسب صداقة القوى الاشتراكية والديمقراطية . الثورية في منطقتنا. هذا ولا بد من تطوير العلاقات الوثيقة والصداقات مع القوى الديمقراطية . الثورية في البلدان التي تستعمر الأجزاء الكردستانية الأخرى مع الحرص على عدم التغاضي عن سلبياتها. يجب تقييم وضع المنظومة الاشتراكية وخصوصاً الاتحاد السوفييتي وتطوير سياسة خارجية مستندة إلى هذا التقييم بكثير من العناية والانتباه. لا بد من كسب صداقة المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفييتي في الطليعة لا على المستوى النظري فقط بل وعلى المستوى العملي أيضاً. كما يجب تطوير العلاقات مع حركات التحرر الوطني وكسب صداقتها أيضاً.

ومن المؤكد أن العلاقات التي ينبغي أن تقام مع حركات الطبقة العامة في المتربولات الامبريالية والصداقة التي يجب أن تكون لا بد من أيلائهما اهتماماً كبيراً.

وفي هذا المجال لا بد من تأكيد خصوصية معينة هي: ما الذي تعنيه قضية الاتحاد السوفيتي بالنسبة لكردستان؟ من الضروري طرح العلاقة بين كردستان والاتحاد السوفيتي بوصفها الحلقة الأكثر مركزية في الخارج، والاحتياطي الأهم استراتيجياً في الخارج وفهمها بعمق، والقضية هي قضية أقناع الاتحاد السوفيتي بأن يكون حليفاً للثورة الكردستانية. من الواضح أن هناك شوائب ونواقص موروثة من التاريخ في هذا المجال. فالحركة الكمالية لدى نشوئها استطاعت أن تتحالف مع الاتحاد السوفيتي، أول دولة اشتراكية في الشرق، وأن تطور نفسها على هذا الأساس. وقد لعب التأييد والدعم اللذان قدمهما الاتحاد السوفيتي الذي أنجز ثورة أكتوبر، دوراً حاسماً في إيصاله الحركة الكمالية إلى النصر.

وهذا الدور السوفيتي الذي دام بشكل كثيف حتى الأربعينات مازال موجوداً ولو بشكل نسبي حتى يومنا هذا. وفي السنوات التي لم تكن فيها الدولة التركية على علاقات وثيقة مع الامبرايالية كانت سياسة الصداقة مع السوفيت تجعل الدولة التركية تتخذ مواقف قوية معادية للامبريالية.

وفي الفترة نفسها (١٩٢٥ .١٩٤٠) حصل نقيض الشيء ذاته بالنسبة للحركات الكردستانية. فهذه الحركات مثلما بقيت هي نفسها خارج إستراتيجية الاتحاد السوفيتي ظلت ترفض أن تنظر إلى الاتحاد السوفيتي بوصفه بلداً يجب أن يكون داخل أطار إستراتيجيتها. كما أنها أساساً لم تكن تمتلك إستراتيجية واضحة ومحددة. وهذه الحركة التي لم تتمكن من انجاز تحالفها مع الاتحاد السوفيتي كانت، فيما لو استطاعت أن تتحقق، ستضطر بشكل حتمي في ظروف تلك الأيام لأن تنزلق باتجاه الامبريالية. ولهذا السبب كان على الاتحاد السوفيتي أن يوازن بين الحركة الكمالية وبين كردستان في تلك الفترة. وقد رجحت كفة

الكمالية لأن الظروف التي أحاطت بالحركات الكردية كانت أميل لأن تكون مواتية للامبريالية. وتوفر مثل هذا الخطر لعب دوراً حاسماً في ترجيح الكفة لصالح الكمالية. وإذا أضفنا إلى ذلك جملة النواقص والسلبيات التي كانت الحركات الكردية تعاني منها فأننا نرى أن إقبال الاتحاد السوفيتي على تأييد الحركة الكمالية ودعمها كان أمراً محتماً.

مما لا شك فيه موضوعياً أن الاتحاد السوفيتي بصورة عامة عدو للنظام الرأسمالي الامبريالي وصديق لحركات التحرر الوطني والاجتماعي. رغم أن الوضع هو هذا من النواحي النظرية والعملية والتاريخية. فإن علاقات الصداقة الطبيعية بين حركة التحرر الوطني والقومي الكردستانية والمنظومة الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي لم يجري تطويرها بعد. وهذه القضية مطروحة بهذا الشكل تقريباً من وجهة النظر السوفيتية أيضاً، فالسوفييت لم يخصوا كردستان بعد بمكانة خاصة في خطهم الاستراتيجي.

لقد تغير الظرف الموضوعي لتركيا بالمقارنة مع ما كان من قبل؛ فقد اتخذت تركيا موقفاً لها في المعسكر المعادي للاتحاد السوفيتي من خلال دخولها حلف الناتو الذي يشكل القوة العدوانية الضاربة للامبريالية. ولهذا السبب فإن الخلافات بينها وبين الاتحاد السوفيتي تزيد يوماً بعد يوم آخر. وينبغي للاتحاد السوفيتي الآن موضوعياً أن يتخذ موقفاً ضد هذا الموقف الذي تقفه البرجوازية التركية وأن ينظر إليها نظرة عداء. كما ينبغي في الوقت نفسه أن ينظر إلى حركة التحرر الوطني الكردستانية بوصفها حركة حليفة بصورة طبيعية. وهكذا نستطيع أن نقول أن ظروفاً موضوعية هامة قد نشأت اليوم وهي تساعد على توفير إمكانية تجاوز الأوضاع السلبية التي ظهرت في الماضي. لا بد من انهاء النظرة السلبية التي سادت الموقف السوفيتي فيما يخص العلاقة مع النضال التحرري الوطني والقوى الكردستانية، وصولاً إلى خلق الظروف الكفيلة بتأمين دعمه لهذا النضال عبر خلق الثقة. وبهذا الشكل يمكن تحقيق الصداقة الإستراتيجية

التي استكملت ظروفها الموضوعية بالتطورات الحاصلة على المستوى الذاتي، وتطوير هذه الصداقة على هذا الأساس الموضوعي الراسخ أكثر فأكثر.

هناك مسألة أخرى يجب التطرق إليها بالتحديد هي مسألة مواقف الحركات الاشتراكية والمعادية للامبريالية في الشرق الأوسط ولاسيما الحركات الديمقراطية ـ الثورية في البلدان التي تتقاسم كردستان فيما بينها. يجب النظر إلى هذه التيارات بوصفها قوى تناضل ضد الامبريالية والرجعية المحلية على الأقل، لا شك أن من الضروري أقامة علاقات إستراتيجية مع بعضها وأخرى تكتيكية مع بعضها الآخر. ففيما يتم تطوير علاقات إستراتيجية مع القوى الأكثر جذرية والاشتراكية بصورة أكثر ثباتاً بين هذه القوى، يجب الاهتمام بتطوير علاقات تكتيكية مع القوى الأخرى. غير أننا لا نستطيع أن نترك هذه أيضاً خارج ساحتنا الإستراتيجية. فمن الضروري إقامة العلاقات الرفاقية الوطيدة مع حركات التحرر الوطنية والاجتماعية في المنطقة بوصفها حلقة هامة في سلسلة تحديد المواقع الطبقية على المستويين الإستراتيجي والتكتيكي مثلما هي في المجال النظري. كما أن من الواجب رؤية القوى الاحتياطية في هذا الميدان والعمل على إقامة العلاقات بما يتفق مع الأماكن والظروف الموجبة. وهكذا يجب تحقيق التعاون الإستراتيجي.

إن القدرة على الافادة من أية فرص مناسبة إستراتيجية بل وحتى تكتيكية في المنطقة ذات أهمية كبرى لا يمكن التغاضي عنها. والسبب الذي يجعلنا نبين هذه الحقيقية هو تزايد الامكانات الإستراتيجية زيادة كبيرة في كل من العراق وإيران وسوريا وتركيا وغيرها من بلدان الشرق الأوسط مع تحطيم طوق العزلة الذي كان مضروباً على كردستان بصورة خاصة. لابد من ملاحظة هذه الأمكانيات والتوجه نحو التعاون الإستراتيجي.

هذا يعني أن على المناضل أن يمتلك فهماً إستراتيجياً واسعاً سواء في الداخل أم في الخارج. إذا كانت الجماعة الطليعية النضالية واصلة إلى الفهم الإستراتيجي على المستوى السياسي فإنها

تستطيع مع الزمن إيصال هذا الخط الإستراتيجي إلى المنظمة كلها مما يوصلها إلى مستوى الفهم الإستراتيجي ويمكنها من جعل جميع مناضليها يتمثلون ذلك الخط الإستراتيجي. وهذا يشكل في الوقت نفسه قضية خط سياسي. وبهذا المعنى أيضاً تكون المنظمة قد استطاعت أن تطور خطها السياسي وأن تدفع كوادرها إلى تمثله. ومع الزمن سيغدو أمر تحويل إستراتيجية المنظمة إلى إستراتيجية للمجتمع كله ممكناً. وبهذا الشكل ستتوفر لسائر القوى الوطنية والاجتماعية إستراتيجيتها التي تضمن أهدافها ومصالحها ذات المدى البعيد، وستتبنى أسلوباً في التحرك نحو تحقيق تلك الأهداف بشكل صحيح. على الجميع أن يسيروا ضمن هذا الخط الإستراتيجي بدءاً بسائر القوى الوطنية والأفراد وانتهاء بالفئات والعديد من القوى المنظمة. وهكذا يصبح من الممكن السير نحو الهدف عبر الحصول على دعم سائر القوى الصديقة القريبة والبعيدة من خلال تحريكها مع الافادة من جميع القوى الأساسية والاحتياطية في الداخل وفقاً للخط الإستراتيجي المرسوم.

باختصار نقول. إن تمثيل الإستراتيجية السياسية من قبل الكوادر وعلى مستوى المنظمة ككل والتخطيط لها ومن ثم ترجمة الخطط إلى الحياة العملية من خلال تطبيقها، وجعلها ملكاً للوعي القومي والاجتماعي أمور ضرورية حتمية. إن المستوى المطلوب تحقيقه بالنسبة للإستراتيجية السياسية ضروري بالنسبة للإستراتيجية العسكرية أيضاً بالشكل ذاته. لا نستطيع الحديث عن بلوغ قوانا التحررية القومية والاجتماعية إلى مستوى عسكري إستراتيجي كامل. لا بد للمناضل من فهم الأسلوب الرئيسي لتحريك عنف الشعب الذاتي، أي فهم الإستراتيجية العسكرية. بمعنى أن على المناضل أن يتناول القضية بوصفها الإجابة على سؤال: كيف سيقوم الشعب بتطوير عنفه العسكري الأساسي وبأية وسائل وأهداف؟ إن ظروفنا القومية والاجتماعية تستلزم امتلاك فهم إستراتيجي من الناحية العسكرية، ولا بد للمناضل من أن يوفر إيصال القوى التحررية القومية والاجتماعية إلى إستراتيجية عسكرية واضحة. فطبيعة العنف الذي يفرضه العدو في هذا المجال معروفة. إن الإستراتيجية العسكرية للاستعمار

التركي التي صيغت بالتنسيق مع الامبريالية مستندة إلى تحويل تركيا إلى جزء من حلف الناتو.وهذه الإستراتيجية هي إستراتيجية عدوانية مسعورة موجهة ضد الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى وضد حركات التحرر الوطنية. ويريد الاستعمار التركي أن يوظف شعبنا أيضاً في الاتجاه الذي يخدم هذه الإستراتيجية. ذلك هو الوضع على المستوى العسكري أيضاً، مثله مثل الوضع على المستوى السياسي . أنه يسعى إلى إذابة قوة شعبنا كلها في جيشه وبالتالي إلى تبديدها في خدمة مخططاتها الإستراتيجية.

في هذه الأثناء علينا أن نوضح النقطة التالية: في هذا المجال أيضاً كما في غيره، تكونت إستراتيجية معينة وإن كانت مشوهة وممزقة للتيارات الإصلاحية البرجوازية الصغيرة. وأصحاب هذا الفهم الإستراتيجي المزعوم يرون البلدان الاشتراكية وحركات التحرر الوطني جزءاً لا يتجزأ من إستراتيجيتهم وتكتيكاتهم الخاصة، غير أنهم يزعمون عكس ذلك كلاماً، إلا أنهم في الممارسة العملية لا يتقدمون خطوة واحدة في الاتجاه المطلوب. إنهم أميل إلى (الأممية الاشتراكية . الأممية الثانية) وإلى المرتبطين بها في الداخل. وعلى الرغم من أنهم يأتون على ذكر الموضوع على المستوى السياسي فإنهم يرفضون الانتقال إلى المستوى العسكري. ولن يكون مثل هذا الانتقال إلى المستوى العسكري ممكناً إلا إذا كانت تعبر عن مصالح أوروبا السياسية، أي (الأممية الثانية) ومصالح بعض بلدان المنطقة تتطلبه، أوتتفق معه. فهم يحاولون أن يواظفو قواهم العسكرية لخدمة للأهداف التكتيكية لبعض الإستراتيجيات، لا الأهداف الإستراتيجية. والوضع الذي نشهده اليوم في كردستان الشرقية مثال ساطع لذلك. فالقيادة البرجوازية الصغيرة الموجودة هنا تحرك قواها العسكرية لا من أجل التحرر الوطني الاجتماعي بل بما يتفق مع مصالح قوة رجعية فاشية في المنطقة ودولة امبريالية أوربية على علاقة وثيقة بها. في الماضي أيضاً كانت هناك أمثلة مشابهة. من الواضح أن هذه القوى بعيدة عن القدرة على استخدام عنف الشعب وتطويره في الميدان العسكري.

ومقابل ذلك ترمي إستراتيجية الثوريين الخاصة بهم إلى تحويل قواها السياسية إلى قوى عسكرية. وهذه العملية تتطلب تحريك الشعب بأسره ولاسيما جماهير الفلاحين التي تشكل القوى الأساسية للثورة بما يخدم خطاً إستراتيجياً صحيحا. ونظراً لقيامنا بتفصيل الموضوع في كتاباتنا الأخرى فإننا سنكتفي بتناوله هنا بخطوطه العريضة والعامة. من المعروف أن الإستراتيجية التي ينبغي لها أن تسود بالنسبة لشعبنا تنقسم إلى ثلاث مراحل. هي: الدفاع الإستراتيجي والتوازن الإستراتيجي والهجوم الإستراتيجي، لا بد من النظر إلى الإستراتيجية العسكرية عبر هذه المراحل الثلاث وتحريك عنف الشعب الثوري بما يخدم اتجاه هذا الفهم الإستراتيجي الأساسي. كما يتوجب على الشعب أن يعد نفسه لحرب شعبية طويلة الأمد وفقاً لهذه المراحل الإستراتيجية الأساسية ولابد لسائر القوى الاجتماعية والوطنية والمنظمات وفي مقدمتها المناضلون الثوريون من أن يكونوا قادرين على امتلاك مثل هذا الفهم.

هناك ناحية أخرى يجب تأكيدها في موضوع الإستراتيجية هي معرفة معسكر العدو بشكل جيد والقدرة على الافادة من التناقضات في داخله. وهذه المسألة تتطلب قبل كل شيء وضع أكثر الأعداء شراسة في المقدمة وترتيب الآخرين وفقاً لذلك. يجب اعتبار قوى الاستعمار والرجعية المحلية القوى الأشد عدوانية. ويمكن لهذا أن يتم في تركيا من خلال ترتيب الأعداء على النحو التالي: الاستعمار الفاشي فالقوة الأساسية التي تدعمه وهي الامبريالية، ومن ثم القوى المعادية الأخرى. من الواضح أن هناك تناقضات وخلافات حول العديد من النقاط بين القوى المعادية وإن بدت متحدة ومتفقة حول نقاط معينة. وواجبنا نحن هو توفير القدرة على الافادة من هذه التناقضات وترجمة إستراتيجيتها الخاصة إلى الحياة. وبهدف الافادة من هذه التناقضات يمكن تطوير بعض العلاقات التكتيكية أحياناً. وبالشكل نفسه لا بد من الافادة من التناقضات القائمة بين الامبريالية الأوربية وامبريالية الولايات المتحدة الأمريكية. كما يمكن أن نستفيد، بل ويجب أن نستفيد من التناقضات القائمة بين الدول الرجعية في

المنطقة. غير أن النقطة التي يجب الانتباه شديد إليها هي ضمان أن تكون سائر الخطوات في خدمة الإستراتيجية الثورية.

من الملاحظ أن من الضروري ترتيب القوى الصديقة أيضاً وفق تسلسل معين مثلها مثل القوى المعادية. والوصول إلى مثل هذا الفهم الإستراتيجي الشامل يجب أن يصبح ميزة لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لكل مناضل طليعي ثوري. فعلى المناضل أن يعرف جيداً تلك الإستراتيجيات الغربية التي لا تجدي نفعاً، إستراتيجيات القوى الإصلاحية والقومية الشوفينية المعادية، إضافة إلى معرفته العميقة لإستراتيجيته الخاصة. والمناضل المستوعب للإستراتيجية الثورية يستطيع أن يسير قدماً في طريق تطوير الأستراتيجية السياسية و العسكرية بمقدار ما تتطور نشاطات الشعب وحربه الشعبية، كما يتمكن من توسيع ساحة المناورة وصولاً إلى إظهار الموضوع بكل وضوح.

وبعد الإستراتيجية مباشرة يأتي موضوع التكتيك ليفرض نفسه. لابد للقوى الوطنية والاجتماعية من امتلاك تكتيك معين. وفي هذه النقطة تبرز إلى السطح مسألة ما ينبغي لامتلاك قدرة تكتيكية معينة أن يعبر عنه. فامتلاك القدرة التكتيكية الصحيحة يعني القدرة على تطوير الخط التنظيمي والعملي الذي توجبه المرحلة في إطار الخط العام للسلوك الصحيح. لا بد من تحديد المواقع التنظيمية والعملية لسائر القوى الوطنية والاجتماعية وفقاً للإستراتيجية السياسية والعسكرية التي تمت صياغتها. بمعنى أن هذه القوى يجب تحريكها بشكل يخدم الخط الإستراتيجي بعد تنظيمها ودفعها إلى ساحة العمل.

فيما تحدد الإستراتيجية مواقع القوى الصديقة والمعادية، ينطلق التكتيك من هذا التحديد مستنداً القوى الصديقة الخارجية والداخلية ومستفيداً من تناقضات العدو بأفضل الأشكال الممكنة، ليلقي الضوء على مسائل تحريك الجماهير وتنظيمها ودفعها إلى ساحة العمل. فالتكتيك يعالج باختصار مسائل تحديد أشكال التنظيم والنضال الصحيحة ويعمل على

تطبيق الإستراتيجية في الحياة. لهذا السبب فإن الخط التكتيكي، أي الأشكال التنظيمية والنضالية الصحيحة المتفقة مع المرحلة، يكتسب أهمية حاسمة وحياتية. إن القدرة على تطوير التكتيكات الملائمة للمرحلة كفيلة بتحقيق واقع شعبي قادر على تطوير التنظيم والعمل مع مرور الزمن.

لا يمكن للتكتيك أن يكون ناجحاً إلا إذا تم أخذه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً جداً بالإستراتيجية. إن نتيجة أية محاولة لرسم خط تنظيمي وعملي معقد ومتعارض مع الإستراتيجية دون أن تأخذ هذه المحاولة خصائص الإستراتيجية بعين الاعتبار، سيكون الفشل حتماً. لذلك يجب رسم خط تكتيكي، أي خط سلوكي ومخطط وشكل عمل متناسبة مع خصائص الإستراتيجية ووضعها بعد ذلك موضع التنفيذ. إذاً التكتيك يعني معرفة كيفية تحريك القوى الاجتماعية والقومية ودفعها إلى العمل، غير أن ذلك لن يكون بشكل تلقائي وعفوي، بل بالاسترشاد بخط استراتيجي معين.

إن الأشكال التنظيمية والنضالية التي يتم استخدامها من أجل تطبيق الخط الإستراتيجي على الحياة مختلفة ومتنوعة كثيراً. فحسب المكان والزمان يتم تأسيس المنظمات الاقتصادية أو السياسية اللازمة، وتطوير العلاقات الداخلية والخارجية وتحريك الطبقات والفئات التي يجب تحريكها؛ وباختصار يتم القيام بكل ما يجب القيام به. إلا أن هذا كله يجب أن يتحقق من خلال تحريك شامل للقوى حسب مستلزمات الإستراتيجية وتحت قيادة الحزب وبشكل منسجم مع المرحلة. فالتكتيك قد يتغير هو الآخر بالارتباط مع مراحل الصعود والهبوط في النضال. إن تكتيكات وإستراتيجيات الدفاع والتوازن والهجوم عندنا مثلاً تكون مختلفة بالضرورة. وبالشكل نفسه تكون التكتيكات السياسية والعسكرية مختلفة ومتباينة.

ولدى حديثنا عن التكتيك على المستوى السياسي إن ما نقصد بكلامنا هو كيفية تنظيم النشاطات السياسية والاجتماعية والتظاهرات وما إليها وطريقة الافادة منها. أما التكتيك

العسكري فيعني إيضاح مسائل ماهية التنظيمات العسكرية التي يجب تأسيسها وأشكال العمل التي يجب تبنيها حسب مراحل الدفاع والتوازن والهجوم الإستراتيجية وسيتجلى ذلك عندنا في البداية على شكل **دعاية وعمليات فدائية بل وأعمال فردية، ليتحول تدريجياً إلى الجيش الشعبي** الذي هو تنظيم العنف الأوسع للشعب وإلى الحرب الشعبية التي هي أوسع أشكال ممارسة العنف الثوري. من الواضح أن من المستحيل بلوغ هذا المستوى من الاتساع بصورة آنية وسريعة. كما ينبغي الامتناع عن تطبيق هذه الخطط التكتيكية الحية إلا بالارتباط مع اتساع أو ضيق الإمكانيات الإستراتيجية، مع أخذ مسائل إمكانية وشكل تطبيقها أو تحديد مراحل هذا التطبيق بنظر الاعتبار.

هناك نقطة أخرى يجب إلا ننساها في هذا المجال هي عدم الاكتفاء لدى السعي إلى تجسيد التكتيك في أشكال التنظيم وصبغ النضال المختلفة تقييم مواقف القوى المعادية ومواقعها فقط بل وضرورة أخذ أشكال سلوك الفئات الإصلاحية التسووية بنظر الاعتبار في الوقت نفسه. لا بد مثلاً من تحديد الأشكال التنظيمية والنضالية الكفيلة بدفع القوى الإصلاحية والاستسلامية إلى المؤخرة، القادرة على فضحها وعزلها وبيان الطرق التي تضمن إنهاء وجودها، كما لا بد من تبني تكتيك يضمن ذلك كله. وجنباً إلى جنب مع التكتيكات التي تستهدف الاستعمار والامبريالية يجب توفير تكتيكات توحد النضال وتشمل أيضاً عملاء الاستعمار والامبريالية أيضاً في جبهة واحدة. وباختصار نقول لا بد من تطوير تكتيكات ثورية قادرة على فضح وعزل كل من الإصلاحية والاستسلامية مع مرتكزاتها الداخلية والخارجية على المستويات السياسية والعسكرية.

إن قضية صياغة الشعارات والتوجيهات المتوافقة مع المرحلة وبالارتباط بالتكتيك هي قضية أخرى في هذا الموضوع. ما هي الشعارات والتوجيهات المناسبة لهذه المرحلة أو تلك؟ ينبغي لكل إستراتيجي جيد ولكل تكتيكي ناجح أن يستوعب هذه المسألة استيعاباً كاملاً. فما

الشعارات إلا الصياغة الواضحة والموجزة لأهداف نضال حزب البروليتاريا البعيدة منها والقريبة. وهذه الشعارات هي التي توضح الأغراض المختلفة أو تتضمن الأهداف الكبيرة لمرحلة تاريخية كاملة أو الأهداف المختلفة لفترات أقصر نسبياً. لهذا السبب لا يمكن طرح الشعار نفسه في كل المراحل. لا بد من تحديد الشعار الذي يجب طرحه حسب المرحلة مع الأخذ في الحسبان مسألة ما إذا كان يستهدف الدعاية أم التحريض أم الدعوة إلى التحرك العملي. هذا ويمكن للشعارات أن تتحول إلى توجيهات محددة وفقاً للمراحل الزمنية. أما التوجيهات فهي النداءات الصادرة عن الحزب من أجل تحريك أعضائه جميعاً للقيام بعمل معين في مكان ووقت محددين، ولذلك فإن تطويرها حسب المكان والزمان المناسبين له أهمية قصوى؛ أضف إلى ذلك أنه يجب عدم الخلط بين التوجيهات والشعارات وإبقاء العلاقة بينهما علاقة سليمة وصحيحة. (تكمن مهارة الإستراتيجيو التكتيكي في القدرة على تحويل شعار تحريضي بعيد في الوقت المناسب وبنجاح إلى شعار للعمل والحركة، والقدرة في الوقت نفسه على تحويل شعار العمل وبالنجاح ذاته في الوقت المناسب إلى توجيهات ملموسة وواضحة.)

على المناضل الثوري أن يكون قادراً على فهم الخصوصية التنظيمية والعملية النافذة في مجال التكتيك كما في ميدان الإستراتيجية. فأي شخص لا يمكنه أن يكتسب صفة المناضل الثوري إلا إذا استغرق في الإحساس والوعي العميقين بكيفية تطوير التنظيمات والعمليات في غمرة النضال بالنسبة لجميع الأجهزة بدءاً بالتنظيم الحزبي وانتهاءً بأي من المنظمات الديمقراطية؛ كما أنه بدون هذا لن يتحول إلى مناضل طليعي من النخبة يتحلى بالمواصفات المرجوة في هذا المجال. لهذا السبب على المناضل الثوري أن يتسلح جيداً من الناحيتين الإستراتيجية والتكتيكية. كما ينبغي للخط التكتيكي هذا أن يصبح ملكاً للتنظيم ككل ولسائر الجماهير التي يقودها تدريجياً. إن عدم القدرة على طرح التكتيكات المناسبة للمراحل المختلفة يشكل موقفاً بالغ السلبية بالنسبة لأية حركة ثورية. وما أن نتذكر حالة كردستان الخاصة حيث تسود

التوجيهات البرجوازية الصغيرة عديمة التكتيك، وبالتالي عديمة التنظيم والحركة، حتى ندرك بوضوح كامل مدى أهمية التكتيكات التي هي ذات أهمية تساوي أهمية لاستراتيجية على الأقل. ينبغي لقوى شعبنا الغارقة في بحر من انعدام الحركة والتنظيم بصورة خاصة أن تمتلك تكتيكاً مرناً ومتحركاً مستنداً إلى آفاق إستراتيجية سليمة وصحيحة في هذا المجال، إلى خط تكتيكي حي وثوري، كما ينبغي له أن يصل إلى الفعالية والتنظيم والمبادرة في ظل متطلبات هذا الخط التكتيكي. أن النقطة التي يجب على التكتيكي أن يركز عليها بكل قوة هي مسألة شمل القوى الشعبية المنتمية إلى سائر الطبقات والفئات وملايين الأفراد بعلاقات تنظيمية. نعم إنه مضطر لأن يفكر بهذه المسألة ولأن يحملها على أرض الواقع حتى يغدو معلماً ماهراً بشأنها. وبمقدار تحقيقه لذلك يبلغ النجاح ويغدو مناضلاً ثورياً بالفعل من مستوى رفيع.

على المناضل أن يدرك أن قوة وتأثير العمليات التي يمكن تنفيذها ستكون متناسبة مع مدى فهم وتمثل لخط السياسي. أن حزب العمال الكردستاني قد فعل ما يتوجب عليه في هذا المجال حين طرح الخط السياسي والعسكري بكل وضوح. إذن لقد جاءت المهمة وانتصبت أمام المناضلين المكلفين بتمثل الخط وترجمته إلى الواقع العملي. غير أن أحداً يجب ألا أن يقول: ((الموضوعات كلها مكتوبة في الكتب التي تدلنا على الطريق!)). من الواضح أن من الصعب على المناضلين أن يتجهوا اتجاهاً صحيحاً وأن يؤسسوا منظمة ويطوروا سلسلة من العمليات الصحيحة إلا إذا استوعبوا هذا الخط بشكل عميق. هناك آراء حول الموضوع لقادة البروليتاريا الأوائل، فقد قال ستالين ما يلي: ((الخط السياسي الصحيح ضروري لا كبيان بل كشيء للتنفيذ والتطبيق. ولكننا، إذا ما أردنا تطبيق خط سياسي معين في الحياة، فلا بد لنا من أشخاص يفهمون خط الحزب السياسي، ويتبنونه بوصفه خطهم، مستعدين لتنفيذه وقادرين على ترجمته في الواقع، مسؤولين عنه متأهبين للدفاع عنه والكفاح من أجله. وإذا ما أخفقنا في تحقيق هذا كله، فإننا معرضون لخطر البقاء في حدود الكلام المجرد.)) وفي المرحلة التي وصل إليها النضال عندنا نحن أيضاً لا بد للمناضلين من أن يسلكوا مثل هذا السلوك.

فبعد استيعاب النظرية والبرنامج والخط السياسي والعسكري الصحيح، بعدهما يكون المناضل قوياً وواثقاً بنفسه ثقة تكفي لأن يندفع إلى ساحة التنظيم والعمليات. وبعبارة أخرى يكون معززاً بالأسلحة اللازمة.

إذا كان الكادر متمثلاً فعلاً، لا قولاً، وقادراً على الارتفاع إلى مستوى الفهم الإستراتيجي الضروري فإن من السهل عليه أن يخلق حتى الجيوش الجرارة. ذلك يعني أنه قادر على تسيير عشرات الألوف وقيادتها وإدارة شؤونها. إن طريق ارتفاعها إلى الأدراة السياسية والقيادة العسكرية يمر هو الآخر عبر تمثل واستيعاب هذا الخط. غير أن مدى استيعاب مرشحي الكوادر في حزب العمال الكردستاني لهذه الإستراتيجية وما إذا تصرفوا بما ينسجم معها لم يصبح واضحاً بعد. ولن يتضح هذا الأمر إلا من خلال تطور النضال الذي نحن مقبلون عليه. فجهودهم التنظيمية والعملياتية المقبلة هي التي ستبين ما إذا كانوا مؤهلين لأن يصبحوا إستراتيجيين مهرة أم لا. ومن هذه الزاوية ينبغي النظر إلى المرحلة القادمة بوصفها مرحلة إثبات وجود، مرحلة تأكيد للذات.

إن إمكانية تطبيق الإستراتيجية الصحيحة مشروطة بتوفر الفهم الصحيح. وحركة حزب العمال الكردستاني وصلت إلى نقطة لا يستهان بها في المجال فقد خطت خطوات بالغة الجرأة بوصفها تجسيداً لخط سياسي أوخط عسكري على حد سواء. غير أنه رغم ذلك لم يتم بعد تمكين الكوادر من امتلاك ذلك بشكل كامل وجعلهم قادرين على تطبيقه في الحياة العملية، ومما يجب توضيحه أساساً أن ما يجعل المناضل مناضلاً حقيقياً حقاً يتبلور في هذه النقطة. ههنا بالذات نجد المجال المناسب لأن يقوم المناضل بدوره التاريخي، والنقطة الحاسمة لأن تقوم منظمة المناضلين بدورها التاريخي ايضاً. فالمناضلون هم الذين سيترجمون الخط السياسي إلى الحياة المعاشة. لن تقوم اللجنة المركزية بأي عمل كبير في هذا المجال. ولن تظهر النجاحات أو الإخفاقات كثمار لفعاليات ونشاطات الكوادر.

٥ . يجب على المناضل أن يصل إلى الفهم اللينيني في التنظيم والممارسة

إن المناضل هو الشخص الذي يمتلك وعياً عميقاً بجميع الموضوعات التي يتبناها ويحيط بها بفهم ويطبقها في الحياة بشكل سليم. ومن المؤكد أن امتلاك الطاقة النظرية والعملية الهائلة هو الذي يترتب على ذلك. على المناضل أن يكون كنزاً تنظيمياً. وحياة المناضل يجب أن تكون مشابهة لحياة المنظمة. فعليه أن يكون مثل عضوية تطور ذاتها وتقيها بشكل مستمر؛ كما يجب عليه أن يتحاشى حالة النمط الذي يعزل نفسه ويتحلل بالتدريج. يجب أن تكون مسيرته شبيهة بمسيرة الشعب، بمسيرة أحد الجيوش المنظمة.

بهذه الصورة فقط يستطيع المناضل عندنا نحن أن يؤدي رسالته التاريخية.

إن عمق غياب التنظيم في كردستان لجملة أسباب تاريخية واجتماعية يؤكد ضرورة بذل الكثير من الجهود للوصول إلى حالة حضور الأشكال التنظيمية. ولهذا السبب بالذات يجب على المناضل أن يعمق عنده الشخصية المنظمة إلى الحدود القصوى. لأن الدور الحاسم في تحويل انعدام التنظيم إلى حضوره عندنا هو دور المناضل المنظم. ولهذا فإن على المناضل أن يجسد، بشكل أساسي، الشخصية التنظيمية القوية. وذلك الذي يضع أسس التنظيم في قاعدة سائر الفعاليات، والذي يمتلك القدرة على التنظيم في كل المستويات ويتمثل القضية التنظيمية بكل أبعادها هو المناضل المؤهل لأن يمتلك المواصفات النضالية الحاسمة في كردستان . فأفضل المنظمين عندنا هو في الوقت نفسه أفضل المناضلين والممارسين العمليين. نستطيع أن نؤكد على صحة هذا الكلام في ظل ظروفنا الاجتماعية الخاصة بدون أي قدر من المبالغة. إذن، لا بد من استثارة الرغبة والوعي والميل القوي لدى كل مناضل لأن يصبح قادراً على أن يكون منظماً قوياً. فكما أن التنظيم هو أمضى أسلحة أي مناضل في صفوف حزب العمال الكردستاني ليقدر على تنفيذ المهمات التي يتوجب عليه أن ينفذها مهما كان الثمن لأنها مهمات منتظرة منه في هذا المجال، وليكون ناجحاً في تنفيذ المهمات الصعبة جداً التي يضعها

الحزب أمامه، كذلك فإن أهم سمة يجب عليه أن يطورها وينميها هي أن يصبح منظماً قوياً. إن المناضل الذي أدرك ضرورة العمل المنظم والذي ترجم إدراكه إلى الحياة وفقاً لقوانينه وأصوله، يكون قد وصل إلى مستوى العمل الثوري. على المناضل أن يدرك أن من المستحيل عليه أن يعيش بدون تنظيم كاستحالة عيشه بدون الماء والهواء، كما عليه أن يدرك ضرورة أن يكون منتظماً. يجب أن يكون انعدام التنظيم أشد المنغصات بالنسبة للمناضل الذي يشعر بالضيق الشديد في حال إحساسه بأنه ليس في إطار تنظيمي معين. أما إذا لم يكن يبالي بغياب التنظيم ويظل غارقاً في راحة البال رغم عدم وجوده في الإطار التنظيمي فإن ذلك يعني أن مثل هذا الشخص ليس إلا انتهازياً يتعذر شفاؤه.

يتحدث لينين بوصفه منظماً وأستاذاً ماهراً في موضوع التنظيم عن الممارسات العملية التي قام بها سفردولوف ويبين أن النزعة التنظيمية البروليتارية هي النزعة التنظيمية الحقة من أجل إيضاح السمات التنظيمية المعروفة لسفردولوف. فلينين الذي يوضح أن النشاط التنظيمي في السنوات الأولى بعد انتصار ثورة أكتوبر وخصوصاً في أجواء الفوضى التي خلقتها الامبريالية هو الميزة على ترسيخ انتصار الثورة وتعزيزها أكثر من أي وقت آخر يولي موضوع التنظيم، من هذه الزاوية، أهمية كبيرة جداً. ويخاطب البلاشفة بعد إظهار نموذج سفردولوف المعروف الذي جسد العديد من المميزات في شخصه بوصفه منظماً والذي لم يترك طبقة أو فئة لم يدخل فيها وينظمها، والذي قام بتأسيس العديد من المنظمات على مختلف المستويات من أدناها إلى أعلاها من حيث المستوى، قائلاً:

((أيها الرفاق، إن أولئك الذين يتخذون القرارات بالاستناد إلى ما يرونه على السطح فقط، والذين لا ينتبهون إلا إلى الأعداء الكثيرين لثورتنا، يرون النضال الحاد والعنيف والدؤوب الذي يخوضه الشعب الكادح ضد المستغلين والأعداء بوصفه السمة الصارخة لثورتنا. ولولا ذلك، أي لولا العنف الثوري لما استطاعت البروليتاريا أن تنتصر. غير أن مما لا ريب فيه هو أن

العنف الثوري هذا كان سلاحاً ضرورياً ومشروعاً للثورة في ظروف معينة وخاصة سادت في مراحل التطور.

أما تنظيم الجماهير البروليتارية والشعب الكادح فقد كان سمة أعمق وأكثر دواماً للثورة، وشرطاً أكثر أهمية لانتصارها؛ وهو كذلك اليوم أيضا. إن هذا التنظيم لملايين الكادحين هو الذي أوجد أفضل قوة دافعة للثورة، أعمق منابع وصول الثورة إلى النصر. وميزة الثورة البروليتارية هذه أبرزت القادة الذين أفضل من حقق تنظيم الجماهير في غمرة النضال، أي سمتها الخاصة التي لم نصادف مثيلاً لها في الثورات السابقة لثورتنا . وميزة الثورة البروليتارية هذه أبرزت الدور الكبير لياكوف سفردولوف الذي كان منظماً قبل كل شيء...

إذا أردنا أمعان النظر في حياة طليعة الثورة البروليتارية هذه فأننا نجد أن كفاءتها التنظيمية الخارقة قد نشأت وتطورت في غمرة النضالات الطويلة. ونرى كيف أن هذا القائد العظيم للثورة البروليتارية قد طور بعناية وحرص كفاءاته الخارقة بوصفه قائداً عظيماً اجتاز امتحانات العديد من المراحل في أقسى الظروف وأصعبها بالنسبة للعمل الثوري. فمنذ الخطوات الأولى وهب حياته للثورة. وفي تلك الفترة، في أوائل القرن العشرين، كان الرفيق سفردولوف ينتصب أمامنا بوصفه النموذج المثالي الكامل الثوري المحترف: تخلى عن أسرته وعن راحته وعاداته البرجوازية السابقة تخلياً كلياً ووهب نفسه بكل قلبه وروحه للثورة وعاش السنوات الطويلة بين السجن والمنفى مما مكنه من أن يطور وباستمرار سائر المواصفات التي تكسب الثوريين مزيداً من الصلابة....

ولكن المناضل الثوري المحترف هذا لم يقطع صلته في أي وقت من الأوقات ولو للحظة واحدة بالجماهير. حتى عندما اضطر إلى العمل السري بوصفه شكل النضال الأساسي مثله مثل الثوريين الآخرين في ظل ظروف الحكم القيصري ظل يتابع السير جنباً إلى جنب وكتفاً إلى

كتف مع العمال الطليعيين الذين بدؤوا باحتلال مكان جيل المثقفين الثوريين السابقين مع بدايات القرن العشرين في غمرة النشاطات السرية.

إن اكتساب الصلابة الفولاذية التي وفرت إمكانية النصر للثورة البروليتارية في روسيا مع اندفاع مئات العمال الطليعيين إلى ساحة النضال إضافة إلى أقامة أوثق العلاقات مع الجماهير كان قد تحقق في تلك الفترة. وهذه الفترة الطويلة من العمل السري هي التي حددت أبعاد هذه الشخصية التي كانت تتقن ليس فقط أساليب الممارسة العملية بل وتتقن في الوقت نفسه أفضل أساليب التنظيم البروليتارية، إنها شخصية القائد الطليعي الذي ظل دوماً في غمرة النضال متصلاً باستمرار مع الجماهير، ولم يخرج قط خارج الأراضي الروسية، والذي ظل باستمرار يعمل مع أفضل العمال الطليعيين رغم العزلة التي كانت تفرضها ظروف الإرهاب على الثوريين. يعتقد البعض– وخصوصاً أعداؤنا وأولئك المتأرجحون . أن الاستغراق في العمل السري استغراقاً كاملاً يعني انقطاع المناضل الثوري المحترف عن الجماهير. غير أن أساليب عمل الرفيق ياكوف سفردولوف تبين لنا مدى خطأ هذا الاعتقاد، وتؤكد على النقيض تماماً أن أولئك الذين ظلوا سنوات طويلة في السجون والمنافي السيبيرية هم الذين كانوا نماذج الالتزام بالثورة وقضيتها، وأن تلك الظروف القاسية هي التي أنبتت ورود البروليتاريا وأزهارها المتفتحة. فهذا الارتباط والالتزام اللامحدودين بالثورة هما اللذان أكدا إمكانية ظهور المنظمين الكبار بعد أن أتحدوا مع الكفاءات العالية في معرفة الناس وتنظيمهم. كان الحزب السري والنشاطات الثورية العلنية وسائر التنظيمات السرية الناجحة التي لم يستطع أن يحققها أحد أو يجسدها مثلما فعل ياكوف سفردولوف هو المدرسة العملية التي تعلم فيها وأكتسب الخبرة الضرورية من خلالها. تلك هي المدرسة التي ضمنت له الوصول إلى مكانة الرجل الأول في الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الأولى، والمنظمة الأولى للجماهير البروليتارية. أيها الرفاق، إن كل الذين توفرت لهم فرصة العمل مع الرفيق سفردولوف يومياً مثلي أنا، قد رأوا بشكل واضح تماماً أن الأمر الذي أعطى الرفيق هذه الصفات التي نعتز بها حتى اليوم هو كفاءته

التنظيمية الخارقة للعادة. أن ياكوف سفردولوف هو الذي وفر لنا إمكانية القيام بالإعمال المنظمة والمؤثرة فعلاً والمتلاحمة التي تليق بالجماهير البروليتارية المنظمة والتي تلبي متطلبات ومستلزمات الثورة البروليتارية. ولولا هذه الأعمال المنظمة والموحدة لما استطعنا أن نحقق انتصاراً واحداً ولما استطعنا التغلب على أي من الصعوبات الكثيرة التي واجهتنا ولما استطعنا تجاوز سلسلة المحن الطويلة التي مرت بنا وما زالت...

إننا مدينون لوجود منظمين ذوي كفاءات خارقة للعادة مثل ياكوف سفردولوف في كوننا قد تمكننا من الصمود تحت هذه الأعباء التي لا تصدق والتي تثقل على كواهلنا نحن دائرة الثوريين الضيقة التي كرست حياتها للثورة وقضيتها منذ أكثر من سنة وفي قدرة الطلائع على حل أعقد القضايا وأصعبها بهذه الدرجة من الحسم والسرعة والانسجام. لقد كان نموذجاً فريداً في امتلاك كنز من المعلومات يبعث على الحيرة بشأن طليعة البروليتاريا. لقد كان الوحيد الذي استكمل طوال تلك السنوات الطويلة من النضال والتي لم نتحدث عنها إلا بصورة موجزة الحدس الخارق للعادة لدى الممارس والكفاءة العالية جيداً للمنظمة بشكل لا يتصل الجدل. بفضل هذه الكفاءات مجتمعة استطاع الرفيق سفردولوف أن يتحمل وحده مسؤوليات القيادة المركزية لروسيا كلها، هذه المسؤوليات التي كانت تتطلب مجموعة كاملة من الناس العاديين لتحملها بنجاح. لقد كان وحيداً وفريداً في الوصول الى مكانة جعلته في العديد من المناسبات يضمن التوصل إلى الحلول النهائية والحاسمة بدون حاجة إلى التصويت والمناقشة لعدد كبير من القضايا العملية والتنظيمية الكبرى والهامة إلى أقصى الحدود. فقد كان الجميع يحسون بأن الحلول كانت مستندة إلى الحدس التنظيمي والمعرفة العملية حتى أن الجماهير، لامئات وألاف العمال فقط ،كانت تقبل بها في نهاية المطاف.

لقد أظهر التاريخ منذ زمن طويل أن عظماء الرجال والكفاءات العالية التي تعتبر غير ممكنة تظهر في أثناء المعارك النضالية للثورات الكبرى. لم يكن يخطر ببال أحد أن مدرسة سجن

توروهامسك، مدرسة الخلايا السرية قادرة على خلق مثل هذا المنظم الذي يحظى بتقدير لا بأس حوله، مثل هذا الإنسان الذي نظم السلطة السوفيتية في عموم روسيا والمتمتع بمعرفة لا مثيل لها، هذا الانسان الذي قام بتنظيم سائر النشاطات والفعاليات التي أدت إلى بناء السلطة السوفيتية المنتشرة بنجاح ولو عبر المعارك الصعبة والدامية والتي تلتهم سائر بلدان العالم وشعوبه. هذه السلطة التي رسخت سوفيتات الحزب.

لن يستطيع أحد في أي زمن من الأزمان أن يملأ مكان هذا الإنسان الذي امتلك مثل هذا القدر من الكفاءة التنظيمية الخارقة للعادة؛ إذا كنا بالطبع نعني بذلك ملأ المكان بإنسان واحد، رفيق واحد يمتلك جميع هذه الصفات حين نقول بملء مكانه. لا يستطيع أحد ممن يعرفون الرفيق ياكوف سفردولوف عن كثب والذين عملوا معه أن يشكو لحظة في استحالة قيام أي إنسان آخر بأن يملأ مكانه من هذه الناحية. فالمهمة التي أنجزها بوصفه منظماً، والطريقة التي كان يتبعها في انتقاء الناس وتكيفهم بالمسؤوليات المختلفة في القطاعات المتباينة، لا بد لها من مجموعات كاملة تسير على خطاه بالتزام كامل؛ ونجاح هذه المجموعات والأجهزة سيكون متوقفاً على مدى تمثيلها لما كان الرفيق سفردولوف تحقيقه وحده....

ستبقى ذكرى الرفيق سفردولوف لا رمزاً خالداً لتفاني الثوري من أجل قضيته والتزامه بها، لا رمزاً خالداً للمهارات العملية، لا رمزاً خالداً للارتباط بالجماهير وللكفاءة النادرة لقيادتها، لا رمزاً خالداً لهذه المواصفات كلها فقط، بل عهداً نقطعه جميعاً، يقطعه البروليتاريون الذين يتضاعف عددهم يوماً بعد آخر بالالتزام بتقدم البروليتاريا والحركة الشيوعية العالمية إلى الأمام حتى النصر النهائي تحت قيادة مثل هذا النموذج المثالي العظيم.))

مما لا شك فيه أننا نحن أيضاً في هذه المرحلة التي تمر بها بحاجة ماسة إلى مثل هذا النموذج. فما دمنا بحاجة ماسة إلى التنظيم فإن من المستحيل أن نهنأ ونهدأ للحظة واحدة ناهيك عن أن يرتاح لنا بال. إن عدم الانزعاج من الخسائر التي تحصل في ميدان التنظيم ليس إلا انعداماً

للمسؤولية وغرقاً في فوضوية البرجوازية الصغيرة. ومثل هذا الشخص سيبقى عاجزاً عن تنظيم نفسه ناهيك عن تدريب وتنظيم الملايين لقيادتهم إلى النضال. ويجب أن يكون معلوماً بصورة جيدة أن مثل هذا المفهوم ليس إلا شكلاً من أعطاء الشرعية لمفهوم غياب التنظيم السائد في المجتمع. فكل من لا يرى هذا الوضع نقصاً خطيراً ولا يحس بالقلق الشديد إزاءه بالتالي، هو النموذج الذي يجب أن يتلقى أشد النقد في صفوف الحزب، ولا بد من تطوير كراهية حقيقية وعميقة ضده. لا بد من استبعاد أصحاب المفاهيم الداعية إلى تبرير غياب التنظيم المهووسين بإمكانية العيش بدون تنظيم والذين يعملون على تبديد العناصر التنظيمية المتوفرة بدلاً من السعي لخلق التنظيم، لا بد من استبعاد هؤلاء من صفوف التنظيم الثوري. إن لرفع اليقظة والحساسية في هذه المرحلة التي تتميز بأن التنظيم يشكل فيها حجر الزاوية بالنسبة لكل شيء، هذه المرحلة التي تعيش غياباً كاملاً للتنظيم أهمية قصوى وحاسمة.

على المناضل أن يدرك هذه الحقائق كلها بعمق وأن يطور كفاءاته التنظيمية إلى حدودها القصوى. إنه مضطر للاختلاط بجميع أبناء الوطن وبمواصفات تمكنه من اجتذابهم والاقتراب منهم بغية تنظيمهم. عليه أن يتقرب من العامل والفلاح والشباب والنساء والحرفيين وسائر الفئات البرجوازية الصغيرة بما يتلاءم معهم ومع سائر الوطنيين لاكتسابهم وضمهم إلى التنظيم. يجب أن يكون قادراً على خلق مختلف أشكال التنظيمات من أعقدها وأكثرها سرية إلى أكثر علانية. ولن يكون الشخص جدير بصفة المناضل إلا بعد أن يجسد جميع هذه السمات في شخصه.

أننا محقون مهما بالغنا في زرع الكراهية لانعدام التنظيم. كما أننا بالمقابل ملزمون بإيجاد الحدود القصوى من الرغبة والاندفاع نحو التنظيم. ولا بد لنا من معرفة حقيقة أن المناضل لا يصبح مناضلاً بالمعنى الصحيح للنضال وبما يتناسب مع الظروف الكردستانية إلا بمقدار ما يجسد في شخصه سمات الانتظام والتنظيم. عليه أن يتمسك بذلك بوصفه قانوناً صارماً في

كل خطوة يخطوها. عليه أن يحدد مواصفات التنظيم المناسب في مكان وزمان محددين. أضف إلى ذلك أن قيام مناضل بتنظيم هذه الطبقة أو الفئة أو تلك وإلى أي مدى هو الآخر معيار من المعايير التي تشير إلى مواصفات المناضل. ومما لا شك فيه أن امتلاك القوة في التنظيم يتطلب في الوقت نفسه امتلاكاً للمهارة. ذلك لأن القضية الماثلة أمام المناضلين هي قضية تنظيم الملايين وبناء الجيش. وهذا يتطلب وجود منظمين أقوياء ذوي خبرة ومهارة في العمل قادرين على بناء جميع أشكال التنظيم في الظروف المكانية والزمانية المناسبة.

وبعد هذا فإن المعيار الحاسم في تقويم المناضلين في كردستان هو مدى تجسيدهم لمواصفات المنظمين الناجحين، فإذا استطاع المناضل أن يضع كلاً في مكانه مثل بناء ماهر استطاع أن يضع كل حجر في مكانه المناسب من الجدار، فإن هذا سيكون معياراً يحدد مكانه. فالشخص الذي يبدد الإمكانيات التنظيمية المتوفرة ناهيك عن خلق مثل هذه الإمكانيات فهو(مناضل) من النوع الذي لا قيمة له وانتهازي لا يمكن شفاؤه. لقد أصبح معيار التقويم بالنسبة لأي مناضل في كردستان هو، ما عدد الأشخاص الذين تمكن من تنظيمهم وكيف وعلى أي مستوى، وخلال أية فترة زمنية. لا يمكن القبول بأي معيار آخر عدا هذا المعيار. ذلك لأن المفتاح الأساسي لتطوير نضالنا والذي يشعر شعبنا بحاجة ماسة إليه هو مفتاح التنظيم. فالإرهاب المسعور الذي يمارسه العدو من جهة والضعف الذي يجد شعبنا نفسه غارقاً فيه من جهة ثانية يؤديان إلى تعميق انعدام تنظيم الملايين على المستويين القومي والاجتماعي. إن قضية الوجود إزاء هذه الأوضاع تمر بالضرورة عبر القدرة على أن يتحول المناضلين إلى منظمين أقوياء، أي عبر التنظيم.

من الواضح أن نموذج (الكادر) العاجز عن الاستمرار والثبات ولا يستطيع أن يبقى واقفاً على قدميه في غمرة نضالنا إلا إذا تدخل التنظيم وساعده سيكون نموذجياً موصوفاً بالسوء. أما رمز امتلاك القوة في هذا المجال، مقابل ذلك، فهو النجاح المتحقق في مجال التنظيم الذي

يشمل الأشخاص الذين حرموا من إمكانية التفكير، (والذين لا يعرفون الأعداء والأصدقاء بشكل صحيح ويعيشون في ظروف تنقصها أبسط الإمكانيات مما يجعلهم غير قادرين على فهم معنى الكلام). إن البرهان الأقوى على الكفاءة التنظيمية للشخص يكمن في قدرته على تحقيق النجاح في التنظيم المبكر حيث تسود أصعب الظروف وأعقدها لا في ساحات مناسبة للتنظيم، ساحات تساعد على القيام بالعمل التنظيمي. أما إذا كان لا يحقق العمل الذي يتطلب شهراً واحداً إلا في سنة كاملة فإن ذلك يكون دليلاً على ضعفه وإخفاقه. باختصار نقول إن طبيعة الساحة التي يتم فيها التنظيم والمدة الزمنية التي يستغرقها يشكلان أهم معيارين من المعايير التي يجب اعتمادها لدى تقويم مواصفات المناضل وسماته.

فكما أن مستقبل حركة حزب العمال الكردستاني مرتبط إلى حد كبير بمدى الوعي الذي يحققه المناضلون في موضوع التنظيم ومدى كفاءتهم في تنظيم أنفسهم، كذلك نرى أن مصير الثورة الكردستانية مرتبط هو الآخر بهذا الأمر. والأسئلة الحاسمة التي تقدم الإجابة الواضحة عما إذا كان المناضلون يخطون الخطوات الضرورية أم لا هي الأسئلة التالية: هل يجري تنظيم الثورة التي يجب تنظيمها أم لا؟ وهل تتطور عمليات تنظيم الجماهير من قبل المناضلين على هذا الأساس أم لا؟

لن نتطرق هنا إلى الجانب الإستراتيجي والتكتيكي للتنظيم. فتلك مسائل تم بحثها في كتابات أخرى إذ أن المواقف الخاصة سواء بتنظيم الكوادر أو بتنظيم الجماهير قد فصلت بإسهاب في الكتاب الذي يحمل عنوان: (حول التنظيم). سنكتفي هنا باقتباس بعض المقاطع من هذا الكتاب بهدف التذكير:

((.... حول أية أداة أساسية ووفق أي خط تنظيمي أساسي سيجري تطوير التنظيم الثوري بالارتباط مع مهمات التحرر الوطني والقومي؟

تنطوي عملية تطور أية حركة ثورية على مراحل خلق الطليعة وتنظيمها بما يتفق مع مهماتها الثورية ومن ثم كسب الجماهير من قبل هذه الطليعة. وفي هذه المراحل المختلفة لا بد لأشكال التنظيم الثوري من أن تتبدى بصورة متباينة إلى هذا الحد أو ذاك. أما في كردستان اليوم فيمكن اعتبار مهمة خلق الطليعة للحركة الثورية قد تحققت إلى حدود معينة من خلال أشكال نضالية مختلفة، والقضية المطروحة الآن هي قضية تنظيم هذه الطليعة بما ينسجم مع المهمات التحررية الوطنية التي تنتصب أمامها واكتساب الجماهير إلى صفها. نستطيع أن نوجز صورة الوضع الذي نعيش فيه على النحو التالي: حتى عام ١٩٧٨ ثم التوصل إلى صياغة الإيديولوجية الثورية للبروليتاريا عبر مختلف الجهود الثورية التي بذلت بأشكال متعددة، كما تم كسب أوعى العناصر في الشعب لصالح هذه الإيديولوجية إضافة إلى خلق الحد الأدنى من التنظيم. ومنذ ذلك التاريخ، قامت الطليعة التي ظهرت على مسرح الأحداث بتحقيق انطلاقة سياسية في سبيل تنظيم نفسها بما ينسجم مع مهمات التحرر الوطني والقومي ومن أجل كسب الجماهير كما طورت النضال العملي. غير أنها ووجهت وهي ما تزال في هذه المرحلة بحرب عدوانية مكثفة وشرسة شنتها الدوائر الاستعمارية التركية بهدف منعها من الوصول إلى المستوى الذي رمت إليه وبغية إبادة الطليعة كلها. وفي ظروف الثورة المضادة المسعورة هذه أخفقت الطليعة التي لم تستطيع بسبب كونها حركة وليدة وناشئة، والتي لم تستطع أن تفهم بعمق كافة الأساليب الثورية الكفيلة بتطوير النضال وأن تطبقها في الممارسة العملية، في الوصول إلى المستوى الذي أرادت أن تصل إليه وبالتالي اضطرت لأن تعد نفسها في سائر الميادين والمجالات. وفي أثناء مرحلة الإعداد هذه تعرضت الطليعة إما إلى فقدان العلاقات التي أقامتها في الكثير من المجالات أو انخفاضها إلى أدنى المستويات وإن استطاعت إن تحمي نفسها ووجودها إلى حد يكفي لإحباط مخططات الإبادة التي وضعها العدو. هذا هو الوضع الذي تعيشه الطليعة الآن. فهناك طليعة مستعدة لخوض نضالات أعنف وأقوى من جهة، وجماهير يتضاعف غضبها وحقدها مع مرور الأيام والساعات ضد

الكابوس الاستعماري الفاشي الذي ترزح تحت وطأته من جهة ثانية؛ غير أن العلاقة بين الجانبين تكاد تكون مفقودة، أو هي أضعف مما هو مطلوب. وفي مثل هذا الوضع تكون القضية الأساسية من الناحية التنظيمية متركزة على قيام الطليعة الثورية بتنظيم نفسها بين صفوف الجماهير من خلال الالتزام بمهمات التحرر الوطني والقومي. والمسألة التي نريد تفصيلها وبحثها هنا هي مسألة كيفية تحقيق هذه المهمة وعبر أية خطط تنظيمية ثورية تحشد الجماهير وحول أية أداة قاعدية أساسية. إنها مسألة كيف يجري في الواقع العملي خلق التنظيم الثوري الذي سيتولى قيادة الجماهير الشعبية في نضالها التحرري الوطني والقومي في ظروف الإرهاب الاستعماري المسعور السائدة في كردستان؟ ما هي الإداة الرئيسية للوصول إلى التحريض السياسي الذي يشكل الأسلوب الوحيد لكسب الجماهير إلى صف النضال التحرري الوطني والقومي؟ ماهي أدوات النضال الأساسية التي سيستخدمها ثوريونا الأفراد وتنظيماتنا الثورية المبعثرة للمحافظة على أنفسهم ولاكتساب التدريب وصولاً إلى حالة الصلابة الفولاذية. ما هي الأداة الأساسية التي ستشكل الهيكل الذي يحدد أبعاد البنية والخط التنظيمي الذي هو بمثابة الخيط الذي لا بد منه لإعلاء صرح البناء من خلال الافادة من البناة المهرة الموجودين والحجارة المناسبة المتوفرة حسب تعبير لينين؟

في الظروف الكردستانية يمكن الحديث عن أدوات مختلفة يمكن استخدامها لتنفيذ هذه المهمة. إننا متفقون مع الرأي القائل بوجود عدد من الأدوات المختلفة لتحقيق هذا الهدف بل وسوف لن نتردد في استخدام أي منها. غير أن من الضروري تمييز هذه الأدوات بعضها عن البعض الآخر وإقرار ما هو أساسي منها وما هو ثانوي بشكل دقيق، وحشد البنية الثورية حول الأساسي. لنتناول في هذا المجال الدور الذي يمكن لجريدة سياسية أن تقوم به في الظروف الكردستانية ولنبحث بإيجاز الوضع الراهن لمثل هذه الأداة.

من الواضح قبل كل شيء أن اية جريدة سياسية ثورية من هذا النوع، بصرف النظر عن مختلف الصعوبات الناشئة عن كونها نشاطاً بالغ السرية في ظروف الاستعمار، لن تكون قادرة على أداء مهمتها التحريضية السياسية الثورية المرجوة بين الجماهير التي لا تعرف حتى القراءة والكتابة بلغتها الأم لأنها لن تستطيع أن تخاطب أوسع الجماهير الشعبية وستظل محصورة بين فئات محدودة جداً وغارقة بشكل كامل في بحر الثقافة الاستعمارية. كما أن من الواضح أن من الضروري البحث عن أدوات أخرى غير الجريدة تمكن القوى من الوصول إلى الجماهير الفلاحية التي يجب أن تقوم بتنظيمها بوصفها القوة الأكبر بين قوى النضال الوطني التحرري الأساسية في ظل الظروف الإرهابية الاستعمارية بالغة القسوة التي تكبد القوى الطليعية خسائر كبيرة. ونحن هنا نستطيع أن نضيف مسائل أخرى كثيرة تتعلق بهذا الموضوع. ذلك يعني أن الجريدة السياسية لا تستطيع أن تكون أداة التحريض السياسي والتنظيم الثوري الأساسية وإن كانت أداة تحريض سياسي إلى حدود معينة؛ كما أنها لن تتمكن من تأدية مهمتها الثانوية أيضاً إلا بالارتباط مع الأداة الأساسية وبمقدار ما تتطور هذه الأخيرة. واضح أيضاً أن الوسائل الأخرى مثل التظاهرات والإذاعة وما إليها لن تستطيع أن تكون أدوات أساسية في هذا المجال. فهذه ليست أدوات للتنظيم الثوري، بل هي أشكال النضال التي تخوضها التنظيمات الثورية الموجودة. وبالتالي فإنها لا تستطيع أن تؤدي مهماتها الثانوية الخاصة بتطوير التحريض السياسي إلا بالارتباط مع الأداة الأساسية ومع الإمكانيات التي تتوفر بفضلها.

إن الجواب على السؤال الذي سبق لنا أن طرحناه لن يكون، برأينا، سوى **الكفاح المسلح** بأوسع معانيه وأعمها بوصفه الاسلوب الأساسي لتحقيق المهمات المطلوبة في ظل الظروف الكردستانية. فحول الكفاح المسلح فقط يمكن بناء المنظمات الثورية وحمايتها وتطويرها وتصليبها لتصبح كالفولاذ، وبهذا الأسلوب فقط يمكن استنهاض الجماهير الشعبية ودفعها إلى العمل السياسي من خلال التحريض السياسي المصحوب بمثل هذا الأسلوب الأساسي في

النضال. أما الأساليب الأخرى مثل إصدار الجرائد وتنظيم التظاهرات وما إليهما فلا يمكنهما أن تساهم في عملية تحقيق التحريض السياسي الثوري إلا بمقدار ما تكون مرتبطة بالكفاح المسلح وبمقدار ما تحظى بدعم من هذا الكفاح. يجب أن نبين فوراً في ضوء الجمل السابقة أن قولنا بضرورة تطبيق **الكفاح المسلح بأوسع معانيه** بوصفه الأسلوب الأساسي للتحريض والدعاية والتنظيم في الظروف الكردستانية لا يعني ضرورة البدء بالعمل **بأكثر أشكال الكفاح المسلح تطوراً**. ومثل هذا الوهم عبث من جهة، وابتعاد عن الواقع الملموس من جهة ثانية. فكل من له علاقة قريبة أو بعيدة بالنضال الثوري يعرف أن النضال التحرري الوطني والقومي في الظروف الكردستانية لن يبدأ بحرب عصابات أو حرب نظامية مباشرة. ولهذا السبب فإننا نقول بضرورة الانطلاق من الدعاية المسلحة لايصال النضال التحرري الوطني إلى المستوى مثل هذه الحرب المتطورة، وبأن هذه الدعاية المسلحة هي التي ستشكل الأداة الأساسية للنجاح في تحقيق المهمات التحريضية والدعائية والتنظيمية، ونبين بأن الدعاية المسلحة ستشكل الهيكل الأساسي لخلق البنية الثورية.

ليست الدعاية المسلحة في الظروف الكردستانية أداة التحريض والدعاية فقط بل هي أداة التنظيم أيضاً. فالمنظمات الحزبية على اختلاف مستوياتها لا يمكن تأسيسها إلا بالارتباط مع هذا الأساس ولن تستطيع أن تحمي نفسها إلا من خلاله، ومع انتشار الدعاية المسلحة على نطاق البلاد ستنتشر منظمات الحزب هي الأخرى بالارتباط معها. ومن يفكر بخلق المنظمات الحزبية الثورية في الظروف الكردستانية بالاستناد إلى أي أسلوب آخر إنما يضلل نفسه ويخدعها (أو يريد الهرب من الثورة والتخلي عن الثورية)، أما المنظمات الحزبية التي يتم بناؤها على قاعدة الدعاية المسلحة فتستطيع بالاستناد إلى هذه القاعدة أن تمد فروعها إلى ساحات أخرى كما تستطيع أن تقيم المسؤوليات الحزبية القادرة على انجاز المهمات المختلفة الكفيلة بحمايتها. إن المنظمات الحزبية التي تشن عليه هجمات العدو الموجهة ضدها تستطيع أن تطور نفسها من خلال متابعة العمل السياسي والتنظيمي بين صفوف الجماهير، وأن

تتصلب لتصبح كالفولاذ لتصل إلى منظمات حزبية جديرة باسمها. وواضح من الآن أن المنظمات التي لا تنجح في ذلك والتي تتهرب من مثل هذا الخط ستبقى عاجزة تماماً عن الظهور على الساحة بوصفها قوى لها شأنها ناهيك عن تشكيل حزب ثوري ولجان ثورية وعن تطوير النضال الثوري في ظل الظروف الكردستانية القائمة. إن بناء المنظمات الثورية في الظروف الكردستانية وحمايتها وتطويرها وتصليبها وتوسعها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأتباع أسلوب الدعاية المسلحة بوصفه الأداة الأساسية. ففي عملية حماية الذات ضد الفئات العميلة والخائنة والمخبرة التي تعيق نشاطاتها الثورية ووجودها وفي تحييد وشل القوى التي تعرقل التطور السياسي للشعب، لا يسع المنظمات الثورية إلا أن تلجأ بوصفها طليعة الجماهير إلى تبني واستخدام أسلوب الكفاح المسلح. ذلك هو الوضع بصورة عامة؛ غير أن مهمات المنظمات الحزبية ليست محصورة في هذا الاطار ولابد لها من متابعة سائر النشاطات الحزبية الأخرى جنباً إلى جنب مع تلك المهمات الأساسية. من هنا فإن الدعاية المسلحة ستقوم بتأدية مهمة الهيكل في عملية تنظيم الحزب وفي النشاطات التنظيمية بصورة عامة. ولدى بناء صرح هذا الهيكل على جميع المستويات وتطوير النضال الثوري على أساسه، سيكون قد تم توفير الخلايا الطليعية لمثل هذا النضال والمنظمات الحزبية المنظمة على جميع المستويات. ومن خلال شبكة العلاقات التي يجري توفيرها بين مختلف المنظمات الثورية المجربة سيتم ضمان وحدة الحزب وسيتحقق من مجموع هذا تنظيم حزب قوي في كردستان. كما أن المجموعات المسلحة التي يجري خلقها وتطويرها في سائر الميادين ستكون النواة الطليعية القيادية لجيش الشعب المستقبلي. أما الجماهير التي تكتسب الوعي والجرأة على أساس الدعاية المسلحة فستتوحد في غمرة النضال وحول القوى التحررية لتكون قادرة على المساهمة في مختلف أشكال النضال، وهذا سيؤدي إلى تنظيم الجماهير لصالح التحرر الوطني والقومي. كما سيجري خلق وتطوير مختلف المنظمات التحررية الوطنية والقومية على هذا الأساس.

هذا يعني أن القدرة على تطوير نضال تحرري وطني وقومي صحيح في الظروف الكردستانية يتطلب من البداية استخدام أسلوب الدعاية المسلحة كأداة أساسية في الميادين المناسبة وبمهارة ونجاح في سبيل حماية المنظمات الحزبية وتطويرها وتصليبها ونشرها على نطاق واسع من جهة ومن أجل توعية الجماهير وتنظيمها وجرها إلى ساحات العمليات من جهة ثانية. فالمنظمات الثورية التي تكتسب الخبرة والصلابة في غمرة الدعاية المسلحة ستستطيع أن تشكل المنظمات الطليعية القائدة للنضال التحرري الوطني والقومي، كما أن الجماهير الشعبية التي ستكتسب الوعي وستنضج وتنتظم على هذا الأساس ستتمكن من أن تصبح القوة الدافعة والمحركة للنضال التحرري الوطني والقومي. ولدى ظهور مثل هذا التطور سيتمكن النضال التحرري الوطني والقومي من الوصول إلى مستوى كفاحي متطور كما ستكون الجهود المبذولة في مجال الدعاية المسلحة تمهيداً واستعداداً لمثل هذه الحرب الكفاحية. وقد عرف لينين هذا الوضع في ظروف روسيا بجملة واحدة حين قال:((إن التنظيم الذي يجري بناؤه حول الجريدة، تنظيم المساهمين في هذه العملية (بالمعنى العريض للقوة الحاسمة، أي جميع العاملين من أجل الجريدة) سيكون مستعداً لكل شيء، بدءاً بحماية احترام ومعنويات وشرف الحزب في مراحل (هبوط) المد الثوري، وانتهاءً بالأعداد للانتفاضة المسلحة على مستوى الأمة وتحديد ساعتها المناسبة))

إن هذا الاقتباس الذي أوردناه يبين بوضوح جوهر إستراتيجية وتكتيك حزب العمال الكردستاني في المجال التنظيمي. فكما أن كل مناضل من مناضلي حزب العمال الكردستاني ملزم باكتساب منهج إستراتيجي وتكتيكي سياسي وعسكري كذلك هو ملزم بالشكل نفسه بأن يصل إلى امتلاك الإستراتيجية والتكتيك التنظيميين.

لا بد من الوقوف في وجه المفاهيم الغريبة عن النشاط التنظيمي وخصوصاً تلك التي تساوي بين التنظيم والتصفية ادانتها بقوة وحزم، والعمل مقابل ذلك بتصميم من أجل خلق الرغبة

والحماس القويين المتركزين على ترسيخ آلية النشاط التنظيمي القوية من أجل خلق وتطوير الفعاليات التنظيمية. وكما أكدنا من قبل أيضاً فإن المناضلين يواجهون اليوم في كردستان مهمة أداء الأفراد لأدوارهم التاريخية. وهذا الدور يمكن في الوقت نفسه أن يختزل إلى قدرة المناضلين على أن يصبحوا منظمين كبار يرون مدى أهمية التنظيم في الثورة الكردستانية ويستطيعون إن يلعبوا أدوارهم المحددة في المجال التنظيمي. بمعنى أن الدور التاريخي الذي سيلعبه المناضلون سيتجسد في المجال التنظيمي. ومن هنا فلا بد من أن يصبحوا منظمين من مستوى سفردولوف كما لا بد من أن يظهر أمثال سفردولوف على الأرض الكردستانية.

من الطبيعي أن تؤدي الخطوات التي تتم في مجال التنظيم إلى منعطف القيام بالعمليات. بمعنى أن نمط الكوادر المستعدة للقيام بالعمليات سيظهر لدى تجسد السمات التي حددت من قبل في هذا الفرد أو ذاك. ومن المؤكد أن عمليات امتلاك سلاح النظرية والأهداف البرنامجية والخط السياسي وما يتلاءم معها من التنظيم تتم مجتمعة من أجل المبادرة إلى النشاط العملي والعملياتي. وبعد الوصول إلى هذه النقطة يغدو الانتقال إلى الممارسة العملية أمراً ضرورياً.

من الواضح أننا كحركة لم نستطع بعد الوصول إلى نقطة الممارسة العملية المنظمة وبالتالي لم نبادر بعد إلى القيام بالعمليات. ما أردنا توضيحه بهذا الكلام هو أن حزب العمال الكردستاني ما يزال في غمرة العمل من أجل تنظيم عشرات الألوف من الناس على الساحة الكردستانية. أما هذه الاستعدادات المستمرة منذ سنوات عديدة فما هي إلا من أجل الانتقال إلى الممارسة العملية الصحيحة والقوية. من المؤكد أن هذه الممارسة العملية لن تكون أية ممارسة عادية بلا مواصفات، بل ممارسة عملية تتلاءم مع متطلبات المرحلة، وتتناسب مع الواقع الذي تعيشه الجماهير؛ تلبي مستلزمات الخط النظري الثوري والأهداف البرنامجية السياسية، كما تكون ممكنة التنفيذ من قبل المنظمة الثورية. إن النشاط الذي يجري التركيز عليه اليوم هو التنظيم. غير أن التنظيم هذا ليس وحده مستقلاً عن النشاطات والممارسات

العملية الأخرى، إنه حدث لا يتطور إلا بالارتباط معها ويعني التوصل إلى ممارسة عملية من مستوى أرقى وأعلى .

ما هي الممارسة العملية التي نتحدث عنها وكيف نفسرها؟

إنها تعني المستوى الذي حققه التنظيم أو المناضل الذي يجسد سائر سمات التطوير والنضج آنفة الذكر أي اجتماع مختلف مواصفات النضج والتطور. بمعنى أن مثل ذلك التنظيم قد تحول إلى آلية قادرة على العمل وعلى تطوير العمليات. إنها مثل قطار يتحرك منساباً على السكة تماماً ... من المؤكد أن مثل هذه السمة لا تستطيع أن تبديها إلا منظمة ضيقة مؤلفة من الثوريين المحترفين. من الواضح أن مثل هذه المنظمة هي المؤهلة للإطاحة بأعداء الشعب وإيصال الشعب إلى التحرر وبذل الجهود والنشاط في هذا الميدان. وبعبارة أخرى ستكون هذه منظمة قادرة على ترجمة برنامج الحزب إلى الحياة الواقعية. ومثل هذا التنظيم يكون شكلاً مرناً من التنظيم هداماً بمعنى إنهاء وجود أعداء الشعب وبناءً بمعنى تنظيم الشعب وتعبئته للنضال. لا بد للتنظيم أن يصل إلى نقطة الممارسة العملية حيث يغدو بعد ذلك تنظيماً في غمرة العمل والعمليات. وهذا يعني لدى النظر إليه على مستوى المناضلين نمطاً يعمل كخلية النحل. يعني نموذجاً من المناضلين يعملون مثل بابوشكين على سبيل المثال. سبق للينين أن تحدث عن بابوشكين بوصفه أكبر العمليين الذين انجبتهم الطبقة العاملة وبوصفه مثالاً يحتذي به في ميدان الممارسة العملية.

نص برنامج الحزب بشكل واضح وصريح على قضايا الإطاحة بالاستعمار وإزالة ما هو موروث من العصر الوسيط وصولاً إلى بناء وطن مستقل وديمقراطي. ولكن السؤال هو: أي شكل من أشكال التنظيم والممارسة العملية سيكون قادراً على تحقيق مثل هذا الهدف؟ أو بأي نمط من أنماط التنظيم والعمل سنتمكن من الوصول إلى هذا الهدف؟ تلك هي المسألة التي يتوجب على المناضل أن ينشغل بها وأن يجسدها في الحياة. من المؤكد أن هناك الحزب

بوصفه الأداة الرئيسية ولكن يبقى: هل يمكن الوصول إلى الهدف من خلال هذه الأداة وحدها، أي من خلال تنظيم الثوريين المحترفين وحدهم؟ واضح أن الجواب هو لا. لا بد من التوغل بين الجماهير، لا بد من تنظيم هذه الجماهير جنباً إلى جنب مع الحزب. إن الممارس العملي هو ذلك الذي يندفع باتجاه الهدف لتحقيقه. إن مرحلة تدفق التنظيم باتجاه الجماهير هي مرحلة اندماج الممارسات العملية للمناضلين وتنظيمهم تدريجياً مع تنظيم الجماهير ومبادرتها إلى الممارسات العملية. إنها المرحلة التي تغرز رجالات الممارسة العملية الكبار من أمثال بابوشكين.

ما معنى هيئة الأركان بدون الجيش؟! إذا كان الحزب هو هيئة الأركان فإن الجيش هو الشعب الذي لا يزال بعيداً عن التنظيم. من الواضح أن من غير الممكن الحديث عن إمكانية قيام هيئة الأركان بما هو مطلوب منها في مثل هذا الوضع. إن هيئة الأركان تستلزم وجود جيش منظم. لا يعني الحديث عن هيئة الأركان ووجودها شيئاً في حال عدم وجود جيش منظم.

وشعبنا نحن محروم من التنظيم تماماً ولا يمكن اجتياز هذا الوضع إلا من خلال القيام بالمهمات التي أتينا على ذكرها من قبل. لا بد من القيام بالعمل التنظيمي بين صفوف سائر طبقات المجتمع وفئاته، ولا بد خصوصاً من توحيد العمال والفلاحين في إطار التنظيم. يجب ضم الفلاحين إلى التنظيمات العسكرية بم ينسجم مع متطلبات الإستراتيجية العسكرية المرسومة. ومن جهة ثانية هناك طاقة شبابية هائلة يمكن تحويلها إلى جيش من الكوادر من خلال المبادرة السريعة إلى أشراكهم في النضال تدريجياً في البداية وبأساليب تتفق مع المرحلة التي يعيشها الحزب. يجب التعامل مع هذا القطاع بوعي؛ ففي الوقت الذي يجري فيه تحويل جيش الفلاحين إلى جمهور يتناسب مع الخط العسكري، يجب تحويل جيش الشباب إلى جيش وطني ومنبع لا ينضب من المنابع الأساسية التي ينهل منها الحزب، بمعنى ضرورة تطوير الحركة الشبابية الوطنية في البلاد. يجب أخذ الكوادر من بين العمال. ولابد من تطوير سائر

نشاطات وفعاليات العمال الاقتصادية والديمقراطية وغيرها بما يتفق مع متطلبات النضال التحرري الوطني والقومي. أضف إلى ذلك أن من الضروري أتباع مختلف الأساليب المناسبة لتنظيم الطبقات والفئات الأخرى الموجودة كالحرفيين والنساء والموظفين والخ ... بالاستناد إلى قضاياها ومشاكلها الخاصة وتحريكها على هذا الأساس إلى ميادين العمل والنشاط.

نعم، يجب على المواطنين أن ينشطوا بين صفوف هذه القطاعات جميعاً وأن يجتذبوا إلى دائرة التنظيم. كما ينبغي لسائر هذه التنظيمات أن تلتف حول التنظيم الأساسي للحزب. وهكذا سيستطيع الحزب أن يزداد اتساعاً وعمقاً بالتعامل مع هذه المنظمات والتعاطف معها. من المؤكد أن هذه ليست مهمة سهلة سيتطلب أثماناً باهظة وتحمل الكثير من المشقات والصعوبات، باتت مفهومة بوضوح كامل من خلال تجربتنا القصيرة في ميدان المقاومة الثورية. فقد انقض العدو بشراسة كبيرة على ممثلي هذه الحركة وهي ما تزال بعد مجموعة مستقلة وقبل أن تتحول إلى حركة سياسية ذات شأن. ومن المؤكد أن العدو سوف يستمر في وحشيته بل وسيزيدها في أثناء الفترة اللازمة لانجاز مهمة تنظيم الملايين وسيسعى ليجعل عدوانه مستمراً. وفي مثل هذه الأجواء العدوانية الشرسة والمسعورة يتوجب على المناضلين أن يتابعوا نشاطهم التنظيمي.

ماذا يفعل المناضلون وكيف يتصرفون لمواجهة مثل هذا الإرهاب المسعور الذي تمارسه الثورة المضادة؟ من الواضح أنهم هم أيضاً ومن اللحظات الأولى سيفرضون عنف الجماهير أي العنف الشعبي ضد إرهاب الثورة المضادة. وبدون ذلك من المستحيل توفير أمكانية تطبيق برنامج الحزب في الحياة وإمكانية قطع الخطوات الأولى من طريق ضمان النصر لهذا البرنامج. فقد تمكن العدو من إسكات الجماهير وفرض عملائه عليها من خلال ممارساته الإرهابية المسعورة. ونرى اليوم أن شبكات الجواسيس والعملاء منتشرة في كل مكان وموظفة بشكل كثيف ضد النشاطات المعادية للعدو. أما ما سيضع حداً لهذه الهيمنة المفروضة من العدو وما

سيؤدي إلى تمزيق أدواته العملية فهو التنظيم الثوري. إن العنف الثوري الذي لا يمكن أن يحققه إلا تنظيم ثوري حقاً هو وحده الكفيل بإنهاء هيمنة العدو وسطوته في هذا المجال. من الواضح أن العدو سيسعى دوماً إلى أتباع أساليب متنوعة وإلى تطوير المصائد المختلفة من أجل الوقوف في وجه الحركة. لذا لا بد من الحذر والانتباه إلى هذه الأمور لدى متابعة وتطوير الممارسة العملية الثورية.

لابد للتنظيم من أن يعمل بشكل صحيح وسليم ليتمكن من تنفيذ المهمات المتوقعة منه. ولهذا بالذات لا بد له من استخدام أسلوب العنف الثوري. هذا وسيجرب الاقتراب من الجماهير أيضاً إلى حدود معينة عن هذا الطريق، أي عن طريق ممارسة العنف الثوري. غير أن تحاشي الإخفاق في هذا الميدان يكتسب أهمية حاسمة وحياتية. من الحقائق المعروفة أن النضال الثوري يتقدم من خلال إحباط ألاعيب العدو ومساعيه بشكل مستمر. وما الذي يتطلبه ذلك؟ إنه يتطلب الاستغراق في بحر الحياة التنظيمية والسير قدماً في طريق تنظيم الملايين ودفعهم إلى الحركة والعمل، واستخدام مختلف أشكال التنظيم وصيغه من أبسطها إلى أعقدها ومن التنظيم السري إلى التنظيمات العلنية. إن المناضل هو الذي يجب أن يعيش ذلك كله بعمق كما ينبغي له أن يدير سائر تلك النشاطات والفعاليات.

لا بد للمناضل من امتلاك المواصفات المتطورة إلى الحدود القصوى. إن الجهود التي يجب بذلها في ظل مثل هذه الظروف الصعبة هي جهود لا يمكن انتظارها إلا من أشخاص غير عاديين. فالناس العاديون لا يستطيعون أن يقوموا بأي عمل في مثل هذه الظروف. ولكي يستطيع المناضل أن يقوم بعمله في هذه الأجواء لابد له من التحلي بسمات استمدها من الحياة الواقعية. إن التاريخ الماضي القصير لحزب العمال الكردستاني مملوء بالعبر والدروس التاريخية حول كيفية اكتساب هذه المواصفات. إن السمات التي أظهرها كوادر حزب العمال الكردستاني حتى الآن وفي طليعتهم شهداء المقاومة الذين سخروا جميع كفاءاتهم وأيمانهم في

مسألة الشخصية في كردستان

سبيل تطوير الحركة التحررية الوطنية والقومية هي سمات لا بد من تمثلها ومن قيام سائر الكوادر بامتلاكها من أجل أن يتمكنوا من السير قدماً في طريق التحول إلى مناضلين حقيقيين. إن الشخصية التي أظهرها شهداء ثورتنا الذين خلدوا تقاليد المقاومة النضالية لحزب العمال الكردستاني حتى اليوم قد أوضحت بشكل لا لبس فيه سائر المواصفات التي لا بد لكل المناضلين في كردستان من امتلاكها. وهذه الشخصية التي تكونت وتصلبت في قلب معارك النضال العنيف والنبيل ضد العدو حتى هذا اليوم، يجب تخليدها واغناؤها أكثر فأكثر من خلال الممارسة العملية المستمرة.

الفصل الرابع

تقاليد المقاومة لدى مناضلي حزب العمال الكردستاني والشخصية النضالية

أولاً . الماضي النضالي لحزب العمال الكردستاني

كيف ستتجسد سلسلة السمات التي أوردناها من البداية في شخصية مناضل حزب العمال الكردستاني؟ يتوجب على كل مناضل استوعب هذه السمات الى هذه الدرجة أو تلك من مناضلي حزب العمال الكردستاني، قبل ايضاح مسائل كيفية متابعة حياته في داخل الحزب وبين رفاقه وفي أوساط الجماهير، والموقف الذي سيتخذه من الأعداء والأصدقاء والأشياء التي سيحقد عليها في حين يكن المودة والاقدام لأشياء أخرى، وكيف سيتصرف ازاء الموت في الجبال والبراري، في قاعات المحاكم والمعتقلات والخ ... يجب ان يتناول الماضي

التاريخي النضالي لحزب العمال الكردستاني ويفصل السمات التي يستخلصها من تلك التجارب وصولاً الى تحديد السمات التي يجب أن تكون متوفرة في المستقبل. ذلك لأن فهم ما يتعلق بالمستقبل يبقى مستحيلاً بدون فهم الماضي فهماً عميقاً.

لقد نشأت الإيديولوجية الثورية للبروليتاريا الكردستانية وتطورت في ظروف البنية الاجتماعية الاستعمارية وشبه الإقطاعية حيث بذلت الجهود المكثفة لتغيير هوية المجتمع الكردستاني من خلال أتباع أساليب الإبادة ضد جميع الأفكار الداعية إلى الاستقلال والحرية؛ حيث تم تحويل الطبقة الحاكمة الكردية إلى أداة عملية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالاستعمار، حيث تم فصل البرجوازية الصغيرة الكردية ذات البنية الهزيلة عن سائر القيم الوطنية والقومية في أجواء الإبادة والتشويه الثقافي الاستعماري؛ حيث استطاعت الكمالية السائدة والمهيمنة أن تبعد البرجوازية الصغيرة التركية عن الواقع الملموس، مع ما لهذه البرجوازية الصغيرة من تأثير على الحركة البروليتارية التركية؛ وحيث تسود، باختصار، أجواء هيمنة الشوفينية البرجوازية التركية على اليسار والشوفينية الاجتماعية في الساحة الفكرية.

نعم، هذه هي البيئة التي نشأت فيها الإيديولوجية الثورية للبروليتاريا الكردستانية وتطورت عبر معارك النضال والصراع ضد سائر هذه التيارات. في الظروف السائدة لم يكن هناك أي دماغ يفكر بمقدار ذرة بمصالح الشعب حقاً وفي سبيل التحرر الوطني والقومي. فقد تم ترسيخ الاستعمار في الساحة الفكرية وجرى استعمار الناس في كردستان من الناحية الفكرية أيضاً. وهكذا فإن عملية ابادة وادانة المجتمع الكردستاني كانت على قدم وساق. وإمكانية ظهور أسمى آيات البطولة والتضحية في هذه الأجواء المفعمة بالاغتراب والتي لم تكن تسمح ولو بذكر اسم كردستان، ذات أهمية قصوى وكبيرة في تاريخنا. فقد بدأ بالظهور أناس يفكرون بقضايا الشعب ومصالحه وبمسائل التحرر القومي والوطني والاستقلال كما أمكن أطلاق الكلمة الأولى التي لا بد من أطلاقها والتي كانت تتطلب جرأة ثورية كبيرة. أما ضمان انتشار

وتطوير الأفكار التي ظهرت في هذا المجال، أي تعميق القدرة على التفكير المستقل والحر لدى المجتمع ولدى الأفراد، والنضال الدؤوب والحازم ضد الأفكار العميلة التابعة، الشوفينية القومية والشوفينية ـ الاجتماعية المهيمنة، فلم يكن ممكناً إلا من خلال توفير المقاومة القوية والواسعة.

ولدى الحديث عن ميلاد حركة حزب العمال الكردستاني الذي جبل بالنضال والمقاومة المكثفين ضد التيارات الغريبة والداعية إلى الاغتراب في ميدان الفكر، لا بد من الإشارة إلى أن بداية انتشار بذور الماركسية ـ اللينينية التي تجسد الفكر الأكثر ثورية في عصرنا فوق الأراضي التي يعيش عليها شعبنا بوصفها بذور التحرر كانت في تلك السنوات. فهذه الفترة التي شهدت بدايات ظهور حركتنا هي نفسها بداية تعرف الناس من أبناء شعبنا على الماركسية ـ اللينينية. لقد آمن الكثيرين الذين ما زالوا محتفظين بشرفهم الإنساني بأنه ليس أمامهم سوى طريق نقل هذه الأفكار إلى شعبنا ورسم خط حياة جديدة بالتالي لم يكن بوسعهم أن يقبلوا بأي بديل آخر. كان لا بد من السير في الطريق الواجب اختياره بكل زخم وقوة. وذلك هو ما حصل بالفعل ...

إن الذي يقيد الطبقة أو الأمة التي هبت من أجل تحررها من النواحي السياسية والاجتماعية هو عدم مبادرتها إلى النضال والكفاح الإيديولوجيين ضد القوة التي تضطهدها وتستغلها ومتابعة هذا النضال حتى النصر. إن ظهور النضال السياسي والاجتماعي بشكل قوي مشروط بتوفير هذا الأساس الإيديولوجي. ذلك هو ما قمنا به في تاريخنا النضالي السابق. يجب تقيم المرحلة التي بدأت عام ١٩٧٣ بعد حركة الثاني عشر من آذار على أنها مرحلة تأمين تراكم نظري كبير تحول حتى ١٩٧٨ إلى نضال إيديولوجي واضح. إن ما تحقق في هذه المرحلة هو الجمع الخلاق بين الماركسية ـ اللينينية والواقع الملموس للبلاد وضمان فضح وعزل سائر الانحرافات عن الماركسية من التيارات الشوفينية الاجتماعية والإصلاحية الاستسلامية العميلة، ووضع حد للاغتراب في مجال الفكر وصولاً إلى استكمال النضج الإيديولوجي.

لا بد من التوضيح في هذا المنعطف من أن الضجة التي أثيرت حول الجوهر الثوري للماركسية . اللينينية على المستوى العالمي كانت عامة وشاملة خلال تلك السنوات مما جعل الاهتداء إلى الجوهر الثوري الحقيقي للماركسية اللينينية في مثل تلك الأجواء أمراً صعباً يتطلب توفر الجهد والروح الإبداعية. لقد كان فهم الماركسية . اللينينية بشكل صحيح ونقلها إلى واقع البلاد أمراً بالغ الصعوبة في ظروف انقسام الحركة الشيوعية إلى عدد من الفرق وانقطاع العلاقات بين بعض البلدان الاشتراكية والصعوبات التي اعترضت سير بعضها في الطريق الاشتراكي. كما أن الصعوبات الإضافية التي تعيشها بلادنا كانت تضاعف من هذه الصعوبة في توفير إمكانية اختيار الطريق الصحيح والسير فيه. في هذه الظروف بالذات كانت تنتصب أمامنا مهمة السير في الطريق الصحيح بدون تقديم أية تنازلات فيما يتعلق بالجوهر الثوري للماركسية . اللينينية وبدون التأثر سلباً بالإضرابات التي سادت الحركة الشيوعية العالمية وبين البلدان الاشتراكية. وقد كان لتحقيق هذه المهمة أهمية قصوى.

على الرغم من هذا الوضع غير المناسب من حيث الظروف الدولية والوطنية القومية تمت الخطوات التي لا بد من أن تتم من خلال إظهار الطاقة الفكرية والروحية التي لم يسبق لها مثيل. غير أن اصطدام كل خطوة من هذه الخطوات من بدايتها الأولى بجدار كتيم من عنف الاستعمار المسعور جعل النضال بالغ الصعوبة وعراكاً بالأسنان والأظافر كما يقول المثل. وقد استطاع الثوريون العازمون على عدم تقديم أية تنازلات في مجال ما يؤمنون به والمصممون على تحويل معتقداتهم إلى واقع مادي ملموس أن يوصلوا القضية إلى منعطف لا يمكن الرجوع عنه. لذا فإن من الضروري تناول تاريخ حزبنا منذ لحظة البدء بالنضال وهي التطورات اللاحقة مع حياة شهدائنا الذين أكسبوا هذا التاريخ صفته النضالية الواضحة. هذا ولمكانة شهدائنا الأوائل الذين أعطوا الروح لقضيتنا بدمائهم مغزى أكبر وأهم من وجهة نظر نضالنا. وقد جاء في مقال بعنوان (ذكرى الرفيق مظلوم مشعل خالد ينير لنا الطريق) وقعه آ. دجلة، ما يلي: ((إن للخطوات التي تمت على الرغم من كل هذه السلبيات والأخطار الكبيرة في ميادين الفكر

السياسية والممارسة والتنظيم المستندة إلى أساس المقاومة، وعلى الرغم من هذه البنية الاجتماعية والقومية المنحصرة التي خطاها المقاومون الأوائل الذين قدموا دمائهم بوعي وبطولة وتفان في سبيل السير في طريق النضال الهادف إلى تمكين الشعب الكردستاني من احتلال مكانه بين سائر الشعوب ليصبح عضواً ذا كرامة في الأسرة الدولية، وإلى تتطور هذا النضال؛ إن لتلك الخطوات البطولية أهمية حاسمة وكبيرة. وإلا فقد كان من المستحيل بذر البذور الأولى للعملية الثورية وللأفكار الثورية بدون التضحية بالأرواح والدماء بكثير من البطولة والاستعداد للبذل والعطاء الذي نادراً ما رأى التاريخ مثيلاً له ؛ بدون تقديم الضحايا الأولى الحتمية من قلب الشعب الذي يعيش في هذه الأوضاع التاريخية الملموسة خلافاً لأوهام وثرثرات البرجوازيين الصغار الذين يجهلون ذواتهم ومجتمعهم وشعبهم وظروفهما. فكل من يمتلك المعرفة بموضوع المقاومة لا بد له من أن يعرف أن من المستحيل تنظيم مجتمع ممزق إلى هذا الحد بدون مقاومة وبدون عمليات تنظيماً صحيحاً وقوياً. وهذه القضية واضحة وضوح الشمس من أوضاع ومواقف البرجوازية الصغيرة الكردستانية أيضاً. إن فرسان الثرثرات البرجوازية الصغيرة الذين يزعمون ومنذ سنوات أنهم منظمون يجب أن يطرحوا على أنفسهم الأسئلة التالية: ما الذي استطاعوا تحقيقه في التنظيم؟ وما الذي استطاعوا أن يفعلوه في مجال الممارسة العملية؟ ما هي الأسباب الكامنة وراء عجزهم هنا وهناك؟ لو نظر أولئك ألى واقع الشعوب المجاورة لاتضح لهم مدى تفاهتهم وجهلهم لأنفسهم وبعدهم عن الحياء والخجل.

لا بد للمجتمعات التي حكم عليها التاريخ والعصر مثل هذا الحكم من تقديم القرابين الأولى المحتومة كي تتمكن من استعادة الحياة. ما من حل آخر يملك التأثير المنعش الذي يترافق مع تقديم القرابين. فقطرات الماء الأولى التي يجب أن تروي شجرة الحرية هي الدماء، دماء هؤلاء الشهداء القرابين على مذبح الحرية. هكذا سيخلد التاريخ هؤلاء الشهداء الأوائل الذين واجهوا عذاباً وآلاماً لا تطاق في هذه المرحلة الصعبة جداً. إن تواريخ الشعوب الأخرى أيضاً مرصعة بمثل هذه اللحظات الخالدة. غير أن هذه العملية ما زالت في بدايتها في الوطن

الكردستاني وفي تاريخ شعب كردستان. يستحيل فهم مدى عظمة المقاومين الذين جاؤوا بعد عام ١٩٧٥ في وطننا بدون كشف الأسس التي استندت إليها مقاومات الشعوب.

كان يستند ثوار فيتنام إلى تقاليد المقاومة الغنية في التاريخ الفيتنامي ويجسدونها. تقاليد المقاومة هذه سلحتهم بالكثير من المعنويات العالية والطاقة في نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي الذي لم يكن يهدف إلى أبادتهم وإنهاء وجودهم بل إلى استغلالهم مع قناعته الأكيدة بأنه سيطرد من هناك مهما طال الزمن. أما الثوار الروس فقد استندوا إلى الثقافة الروسية العظيمة وإلى الشعب الروسي الذي كان يتمتع بمثل وقيم بالغة الحيوية وقاتلوا ضد عدو معزول عن العصر مثل النظام القيصري. فالجرأة التي توفرت لدى الثوريين الروس كانت مستندة إلى مثل هذه القاعدة المادية الراسخة. كما أن ثوريي مرحلة الثورة الفرنسية كانوا مستندين إلى رجالات البرجوازية الذين أثبتوا وجودهم في ميادين الاقتصاد والعلوم والثقافة والسياسة وإلى قفزة تاريخية هائلة عرفت باسم النهضة.

ماذا عن ثوار كردستان؟ أين هي الركيزة الثقافية المتطورة؟ وأين هو التراث التاريخي للمقاومة؟ علينا أن نتذكر أن ثوريي فيتنام تلقوا دعم الأممية الثالثة وأن الثوريين الروس نضجوا بجانب الثوريين الأوربيين. هل هناك جهة ما تمد يد المساعدة لمقاومي كردستان الذين انطلقوا باسم الشعوب رافعين راية الاستقلال والحرية؟

لقد كان الثوريون الأكراد يواجهون المناورات المكثفة الرامية إلى ثنيهم عن أهدافهم النبيلة بفعل مؤامرات القومية البدائية الأكثر خسة من جهة والتخريبات الشوفينية الاجتماعية من جهة ثانية. أما حكم العصر بحق الشعب الكردي فكان من قبيل (إعادته إلى الحياة مسألة صعبة!) ناهيك عن تقديم أي دعم له. فإلى ماذا كان أولئك المقاومون الأوائل الذين بدؤوا النضال في سبيل الاستقلال والتحرر يستندون في مثل تلك الظروف الدولية، مع سيادة مثل هذه التركة التاريخية لدى مواجهة سياسة الإبادة المتبعة ضد شعبهم المبدد إمكانياته وطاقاته

بشكل واسع؟ هل كانت مثل هذه المقاومة ممكنة؟ ما الذي كان يتوفر للناس الذين انطلقوا من الإيمان بـ (أن شعبنا شعب جدير بأن يحتل مكانه المرموق بشرف في عصرنا) بدون تقديم أي تنازل في قضايا الاستقلال والحرية وبدون الفرق في الثرثرات حول(هل شعبنا موجود أم لا؟) أية تركة كان هؤلاء سيرثونها لينظموها؟ ومن أين كانوا سيستمدون هذه الجرأة الخارقة؟ هل كانت لديهم أية أسلحة أخرى غير سلاح علم الاستقلال والحرية الذي آمنوا به؟

في مثل هذا المنعطف استطاع عدد قليل من الناس أن يستنهضوا هذا الشعب رغم الظروف الاستعمارية القاسية جداً بعد أن انتشروا في أعماقه مثل البذور وأسالوا دماءهم الزكية في سبيله فضلا عن استنادهم إلى علم الماركسية ـ اللينينية العظيم والمجيد .)

إن التربة الكردستانية عطشى للنضال الثوري إلى درجة كبيرة مما يجعل التحول إلى واقع سياسي معين بعد فترة من النضال الإيديولوجي منطوياً على قدر مخيف من خط الغرق في مستنقع الانتهازية. وما أن يلتقي الواقع الكردستاني بالفكر الثوري، بالماركسية ـ اللينينية حتى يبدأ بتحويل هذه الإيديولوجية إلى قوة سياسية بشكل إجباري. أما عدم توجه بعض الجماعات نحو التحول إلى واقع سياسي ـ اجتماعي ثوري على الرغم من تعبيرها عن بعض الحقائق في البداية وظهورها كجماعات إيديولوجية على هذا الأساس؛ وضمورها السريع بسبب عدم سيرها نحو التنظيم فالقيام بالعمليات؛ وتشوهها؛ وانقلابها إلى مجموعات مثقفين لا حول لهم ولا قوة فيما يتعلق بالعمل الثوري بعد الإجهاز على الروح الثورية؛ صورة يمكن أن نراها بكثرة في كل من تركيا وكردستان والعديد من بلدان العالم. تلك كانت واحدة من أعقد الصعوبات التي واجهتها حركتنا لدى ظهورها. فلا بد للفكر الثوري رغم كل تلك النواقص والأمراض من أن يتوجه إلى الواقع السياسي والاجتماعي وأن ينتظم ويبادر إلى الممارسة العملية بشكل ثوري بغية تغيير هذا الواقع. لقد كانت حركتنا مضطرة لان تباشر فعلها في الواقع السياسي إذا لم تكن تريد أن تتحول إلى واحدة من الجماعات الزائفة مثل

جماعات أخرى كثيرة، أو أن تتحجر على شكل جماعة من الثرثارين. ولو لم تفعل ذلك لغرقت هي الأخرى في مستنقع التشوه. وهكذا كنا نواجه واحدة من أصعب وأعقد مراحل تاريخنا النضالي حيث فرضت ضرورة التوجه إلى النضال السياسي عبوراً بالنضال الإيديولوجي بصورة تدريجية في أجواء ضمنت للماركسية اللينينية فرصة التحول إلى قوة سياسية . اجتماعية لا يمكن تقييدها في الظروف الكردستانية الثورية وحيث صار متعذراً الاكتفاء بهذه الجماعة الإيديولوجية أو تلك وحيث حان موعد تحقيق القفزة المنتظرة من حركتنا وقطف ثمار البذور التي بذرت. فإما أن نخطو هذه الخطوة أو نجد أنفسنا في مواجهة سلسلة من العواقب الوخيمة. وقد مرت حادثة مأساوية في تاريخنا التنظيمي عام ١٩٧٧ كعلاقة تشير إلى هذه الحقيقة لدى ترك مرحلة النضال الإيديولوجي بين صفحات الماضي .

إن اغتيال الرفيق حقي قرار الذي كان مناضلاً ثورياً طليعياً في مرحلة النضال الإيديولوجي في ١٨ نيسان عند منعطف تحولنا إلى قوة سياسية . اجتماعية أصبح ضاغطاً أكبر علينا لنرفع مستوى النضال ولندفع إلى الأمام بقوة أكبر بالارتباط مع الذكرى أيضاً.

(إن موت الرفيق حقي بالنسبة لنا ليس حادث موت عادي. فنحن في مجتمع يصعب الموت فيه في سبيل القيم النبيلة بل وحتى النضال من أجلها صعوبة بالغة. ليس الموت في سبيل الاستقلال والحرية أمراً يقبل عليه الناس الذين يقتل بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب بسهولة. فهذا الشهيد الأول الذي قدمناه وما زالت الخطوات في بدايتها وفي فترة لم تصبح القضية متبناة إلا على المستوى الفكري كان حدثاً هزنا من الأعماق بسبب ظروفنا القومية والوطنية والاجتماعية بكل تأكيد. لقد كان رجلاً عظيماً جديراً بالدماء التي روى بها تراب الوطن راغباً في تنفيذ مستلزمات ذلك، لم يترك رفاقه المؤمنين الذين ساروا معه على الطريق لحظة واحدة واستطاع دوماً أن يضمن تأقلمهم مع المستجدات في أثناء المسيرة) وبهذا المعنى أيضاً كان الرفيق حقي، وهو ما يزال في مرحلة النشوء على شكل مجموعة إيديولوجية، قد عمد

بدمه مستلزمات أساس مثل هذه المرحلة التي لا عودة عنها، بل كان القوة الأساسية الدافعة لنا إلى هذه الوجهة التي لا عودة عنها.

أن التزامنا بذكرى الرفيق حقي قرار يفرض علينا أن نطور النضال وأن نرفعه إلى مستويات أعلى فأعلى. من الطبيعي أن ذلك نتيجة طبيعية للحياة في هذه الظروف الصعبة وفي أجواء الاضطهاد والاستغلال التي لا تطاق. إن العامل الحاسم هو الطابع الذي لا يمكن القبول به والذي سبق أن توقفنا عنده طويلاً لهذه السنوات. ونتيجة لهذا كله وجدنا أنفسنا في مواجهة ضرورة الشروع بالنضال السياسي الكثيف بغية السير نحو التنظيم بشكل رسمي مهما كانت صعوبة تحديد النتائج التي يمكن أن تترتب على البرنامج الذي فرضته جهودنا النظرية ونشاطاتنا النضالية. وهكذا فقد توفرت الجرأة اللازمة للبدء بالأعمال التمهيدية لصياغة البرنامج الثوري المفروض وجوده للتعبير عن الانطلاق من تبني الوطنية والحياة الإنسانية الكريمة والالتزام بالإيديولوجية الصحيحة وثم تنفيذ هذه المهمة عبر أعداد مشروع البرنامج في نهاية عام ١٩٧٧ .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت سلسلة مكثفة من النشاطات بغية التنظيم وفق البرنامج الذي تمت صياغته ومن أجل إيصاله إلى الجماهير. وفيما كان قطاع الشباب يرفع من مستوى النضال الوطني الثوري الشبابي بعد انخراطه في النضال بفضل هذه الجهود، بدأت الحركة الثورية تنتشر بصورة تدريجية بين صفوف الجماهير العمالية والفلاحية. وقد تم إحباط سائر الهجمات التي شنها العدو من الداخل والخارج بغية قطع الطريق على تطور الحركة الثورية. ولمواجهة هذه التطورات بدأ المستعمرون وخصوصاً في حلوان بتوجيه القوى الإقطاعية الكومبرادورية للأنقضاض على حركتنا. وفي مواجهة هجمات الإبادة التي دأب العدو على شنها قدم عدد من الرفاق الثوريين وفي طليعتهم الرفيق خليل جاوغون دماءهم وأرواحهم لرفع مستوى المقاومة النضالية وتوسيعها حتى شملت بالتدريج الجماهير الواسعة. وقد تم بذلك ضرب أروع الأمثلة

لعدم التخلي عن المقاومة الثورية والاستقلال في أجواء المؤامرات وأشكال القهر الشديد التي نظمتها الدولة التركية الاستعمارية والقوى الإقطاعية ـ العشائرية العميلة الخائنة.

كانت مقاومة حلوان التي بدأت باستشهاد الرفيق خليل جاوغون وسارت عل الخط الذي رسمه بدمائه مقاومة تم تطويرها في أصعب الظروف وأعقدها ضد الاستعمار وعملائه. فمن خلال هذه المقاومة اكتسبت عملية تحول الحركة إلى قوة أساسية وجماهيرية مزيداً من القوة والزخم مع مرور الزمن. إن هذه المقاومة هي حجر زاوية أساسي في نشوء وتطور الشخصية المقاومة بصورة خاصة. أضف إلى ذلك أن سلسلة من حركات المقاومة والاستشهاد على أساس تلك المقاومة وفي أعقابها. ومع حلول تشرين الثاني من عام ١٩٧٨ غدت ضرورة خلق منظمة قادرة على قيادة الشعب وتمكينه من تلبية مستلزمات المستوى المتطور للنضال ومن دفعه إلى الأمام مسألة أكثر إلحاحاً. فتم تأسيس حزبنا حزب العمال الكردستاني رسمياً في الاجتماع الذي عقد في السابع والعشرين من الشهر نفسه. ومع حلول عام ١٩٧٩ انطلقت النوابض المشدودة للسياسة الثورية من قيودها وبدأت تحقق قفزات كبرى في العمل مثل سهم أنطلق بقوة. ومن خلال المقاومة التي تطورت في حلوان تحول النضال الثوري عبر تمزيق قوة العصابات العشائرية ـ الاقطاعية، إلى قوة مادية تجند الجماهير الشعبية كلها في المدينة والريف وتثير الحماس المتزايد. وقد انعكس هذا الوضع في سيفرك فبدئ بخوض معارك نضال المقاومة الثورية بقيادة حزبنا ضد محمد جلال بوجاك (آغا الحرب). لقد كانت حلقة المقاومة في سيفرك التي جاءت بعد حركة المقاومة في حلوان مناسبة أخرى لتوفير إمكانية النمو والازدهار لشجرة الاستقلال والحرية، لأفكار وسياسات الاستقلال والحرية، التي رويت بأنهار الدماء عبر المقاومة المتصاعدة التي خاضها مناضلوا حزب العمال الكردستاني مقدمين أرواح ٥٠ ـ ٦٠ مناضلاً وفي مقدمتهم الرفيقان صالح قاندال وجمعة طاق قرابين على مذبح الاستقلال والحرية وثمناً لهما. علينا أن نقيم تجربة المقاومة هذه أيضاً على هذا الأساس.

مسألة الشخصية في كردستان

لعب النضال الذي تطور في سيفرك دور السوط بالنسبة لحدوث القفزة الثورية في كردستان وزاد سرعة تدفق الجماهير للمشاركة في النضال اعتباراً من تلك اللحظة. وبادر المستعمرون الذين أدركوا أن من المحتمل أن يفقدوا كل سيطرتهم وهيمنتهم على كردستان بسبب النضال المتنامي إلى تنظيم الحركة الانقلابية العسكرية الفاشية في الثاني عشر من أيلول بهدف قلب الأوضاع السائدة بما يخدم مصالحهم بعد أن فهموا أنهم عاجزون عن متابعة حكمهم بالقوى المدنية وحدها. في هذه المرحلة أيضاً أبدى مقاتلو حزب العمال الكردستاني وأنصاره الذين رفضوا الاستسلام وأحبطوا مخططات المستعمرين في مواجهة سياسات الإبادة والمذابح للطغمة الفاشية التي استنفرت الجيش كله لشن الحرب ضد شعبنا آيات من البطولة الأسطورية. تحتل مقاومة شكستون من سلسلة هذه المقاومات مكانة هامة. فلمقاومة شكستون التي كانت نموذجاً متميزاً من نماذج القتال ضد القوات العسكرية التي جردها المستعمرون ضد حزب العمال الكردستاني وكأن عملاءهم وأتباعهم لم يكونوا كافين، ونموذجاً للصمود الرائع مكانة بالغة الأهمية في تاريخ نضالنا. إن هذه المقاومة تعبر أيضاً عن مرحلة تعمقت فيها الهوة الفاصلة بين حزب العمال الكردستاني وبين المستعمرين. فقد تمت البرهنة وبشكل واضح في أثناء هذه المعارك لضرورة المقاومة مهما كانت الصعوبات، والاستمرار في الكفاح والصمود بدون الاستسلام وهذه المقاومة التي بدأها الرفاق أحمد قورت ومحمد قورت وسلمان دوغرو ومحمد سنجار في شكستون ترددت أصداؤها في أطراف البلاد فأدت إلى حدوث العديد من حركات المقاومة ضد جيوش المستعمرين على هذا الأساس من البطولة البروليتارية. وقد أبدى حزبنا وشعبنا آيات لامثيل لها من البطولة والشجاعة وهو يقاوم في سائر أرجاء كردستان تقريباً وخصوصاً في ماردين، بازارجيك، درسيم، وبينغول ضد الهجمات الاستعمارية المسعورة. إنها نقطة انعطاف هامة أوصلتنا إلى مرحلة أعلى من مراحل تاريخ المقاومة عندنا وطورت التناقض أو التراجع عنها بالنسبة لحزب العمال الكردستاني.

فيما كانت آيات المقاومة الأكثر قوة تتم بين الشعب وعلى قمم الجبال في أعقاب الثاني عشر من أيلول كانت النماذج الرائعة والمجيدة للصمود والإصرار على متابعة طريق النضال تتبدى أيضاً في ظل أقسى الظروف في أعماق زنزانات المستعمرين. إن السجن بالنسبة لنضالنا ولحزبنا هو المحطة الأخيرة. وحين يختبر النضال نفسه هنا أيضاً ويخرج ظافراً من المحنة فإن التنظيم الذي يمثل المقاومة والهدف الذي يرمي إليه والشعب الذي يستند إليه والهدف الذي وضعه على جدول أعماله قد أصبح خالداً. عندئذ يمكن الحديث عن خلود هذا النضال. فالمقاومة التي ظهرت بأروع أشكالها في الزنزانات كانت ممهورة بدماء الرفاق الذين استشهدوا في الداخل والذين أكدوا على خلود القضية عبر نجاحهم في الامتحان. لا بد من تقييم الدماء التي أريقت خلال ما يزيد عن ثلاث سنوات في غمرة مقاومة ومصارعة الجوع والتعذيب ومختلف أساليب الإبادة من جانب العدو وفي ظل أصعب الظروف كما وضد التيارات الداعية إلى الاستسلام من هذا المنطلق وبهذا المعنى. فالمقاومة في المعتقل التي تجسدت لدى الرفاق مظلوم وخيري وكمال والتي تشكل حلقة في سلسلة عمليات المقاومة لحزب العمال الكردستاني كانت تتطلب بإلحاح ضرورة الوصول إلى وضع شعب أنتفض ووقف كالطود من خلال القتال وإلى خلق حركة تحرر وطنية وقومية منظمة، وتعزيز قوة الطليعة الثورية للشعب أي حزب العمال الكردستاني، وضرورة البدء بمرحلة جديدة من مراحل نضالنا التحرري الوطني والقومي. وقد كانت على مستوى كاف من القوة لتحقيق ذلك كله بالفعل.

أن آيات البطولة التي أبداها عشرات الرفاق وفي مقدمتهم كل من الرفاق مظلوم وخيري وكمال وفرهاد وعاكف الذين استشهدوا في معارك المقاومة التي تطورت في غياهب الزنزانات كانت تعبيراً عن واقع نضالنا التحرري القومي والوطني الذي بات يستحيل إيقافه والتحكم به، هذا النضال الذي تطور بقيادة حزب العمال الكردستاني كما كانت بالتالي بشائر النصر المؤكد لهذا النضال. وقد كانت هذه السلسلة من المقاومات ضماناً لترسيخ قيم الاستقلال والحرية التي باتت تبعث على اليأس لدى الكثيرين في كردستان وينظر إليها بوصفها قيماً تباع

وتشترى لخدمة الأهداف الرجعية الزائفة، حتى غدت قيماً ثابتة لا يمكن التنازل عنها أو التردد في الدفاع عنها وصونها. لقد حقق هؤلاء في تلك الزنزانات مقاومة سحقت العدو بوصفها رمز مقاومة ملايين الأمة، بوصفها مقاومة الشعب بأسره، مقاومة وصلت إلى مستويات بالغة الروعة رمزت إلى مقاومة الشعب المقبلة. إن ثمن المقاومة التي تمت في الزنزانات لا يمكن تسديده إلا من خلال قهر العدو وسحقه من قبل الجيوش التي يصل تعدادها إلى الملايين في المستقبل غير البعيد . باختصار نقول: إن المقاومة التي تمت في المعتقل لن تجد صداها في المستقبل إلا بهذه الصورة.

إن مقاومة هيزل هي الأخرى حلقة إضافية في سلسلة حلقات المقاومة هذه. إنها مثال ساطع على اتخاذ المقاومة وجهة جديدة، مثال على رفض الاستسلام للعدو وتفضيل الموت عبر الكفاح المشرف في الوقت الذي شهد الخطوات الأولى من السير في المرحلة الجديدة، مثال ساطع على تطوير الفعاليات الخاصة بالمرحلة الجديدة بالاستناد إلى روح المقاومة. من الواضح أن هذه المقاومة أثبتت أن أسلوب المقاومة هو السلاح الذي لا يجوز التخلي عنه في مواجهة سائر ألاعيب وهجمات العدو المختلفة، هو السلاح النموذجي الكامن في تطوير العمليات خلال المرحلة الجديدة بالاستناد إلى المقاومة. كما أن هذا النموذج كان دليلاً قاطعاً على استحالة السير قدماً بل وقطع خطوة واحدة في طريق التطور إلا من خلال المقاومة، من خلال دماء العديد من الشهداء وأرواحهم ومقاومتهم.

أما أبطال مقاومة هيزيل الذين يجب تقييم الدماء التي رووا بها تراب الوطن في هذا الإطار فهم الرفاق: شاهين قلاووظ، جاهد ديان، موسى ايلك، ويسي شيمشك، بشير أكصوي، حسن أوزجليك ، فؤاد ارتورك، و ويسي حانطاش.

أما الحلقة الأخيرة التي نريد أن نضيفها إلى سلسلة عمليات المقاومة فهي مقاومة جزرة، فهذه المقاومة التي صعدت من خلال التحام الرفيقين جودت غونرخان وفرحان ايل بجنود العدو،

ومقابل التضحية بالنفس، كانت تعبيراً عن إبداء روح البطولة وتفضيل الموت والمقاومة على الاستسلام للعدو المجهز بأحدث وأقوى الأسلحة كما أكسبت تقاليد المقاومة لدى حزب العمال الكردستاني أبعاداً جديدة، وعززها بمعان أغنى وأعمق. ومن جهة أخرى كانت مؤشراً يدل على الطريق الذي يجب اختياره في المقاومة، ومشعلاً ينير السبيل أمام نضال المقاومة عندنا في المرحلة الجديدة لأنها كانت المثال الأخير والبرهان الأحدث على ضرورة عدم الاستسلام للعدو مهما كانت الأحوال، واستحالة وجود أي طريق آخر غير المقاومة مهما كانت الإمكانيات المتوفرة قليلة ومهما كانت قوى العدو وتجهيزاته وأسلحته المؤلفة من الدبابات والمدرعات والخ .. أضعافاً مضاعفة.

بينت مقاومة هيزل وجزرة من خلال العبر التي قدمتاها أن المرحلة الجديدة مرحلة يجب خوضها بكل بساطة وبدون أدنى تردد أو شك. فقد كانتا أمثولتين نموذجيتين عن كيفية التقدم باتجاه الحرب الشعبية والتوجه نحوها بروح نضالية، كما كانتا جسرين على هذا الطريق. أما الأسماء التي برزت في غمرة المقاومة هذه فقد سطعت خلال فترة قصيرة جداً من الزمن في الماضي القريب. وقد كانتا في الوقت نفسه من العوامل التي تفرض تطوير النضال بالارتباط مع المرحلة الجديدة وممارسته بشكل عملي .

يمكن إعطاء صورة موجزة عن تقاليد المقاومة النضالية لمناضلي حزب العمال الكردستاني التي ظهرت في مرحلة الجماعة الايديولوجية عبر اسم حقي قرار لتصل إلى الذروة عبر المقاومة التي تمت في معتقل ديار بكر خلال مرحلة بناء الحزب ولتستمر بحركات المقاومة في كل من هيزل وجزرة، والتي ستبقى مستمرة في المستقبل أيضاً، بهذا الشكل. إن التاريخ اللاحق لكردستان سوف يتابع تقاليد المقاومة لدى المناضلين ومن خلال اكتساب المزيد من الحمرة القانية بفعل لهيب المقاومة المتعالي فوق قمم الجبال الكردستانية الشامخة.

ليس هناك أي سبب يمكنه أن يمنع حزباً يضم في صفوفه مناضلين ويستند إلى مثل هذا الأساس المتين من تقاليد المقاومة من خلق النجاحات والانتصارات العظيمة في المستقبل. إن تقاليد المقاومة عندنا هي تقاليد نبيلة ومجيدة نستطيع أن نورد مئات الأمثلة المؤكدة لها، إنها مقاومة يبديها لا الشهداء فقط بل وأولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة في الداخل والخارج. من الواضح أن حزباً استطاع خلال فترة قصيرة أن يجسد مثل هذه التقاليد في ميدان المقاومة ومناضلين يعيشون هذه التقاليد المجيدة، استطاع واستطاعوا أن يمتلكوا أقوى وأفضل المزايا والسمات. ولدى عكس هذه المزايا التي تحققت في أعقد المراحل وأصعبها على المستقبل يتجلى الضمان الأساسي لتنظيم الملايين ونضالهم وبالتالي انتصارهم مما يعني أن هذا المستقبل قد أصبح مضموناً. من هذا المنطلق نرى أن حركة لها هذا الماضي القريب تشكل ضمانة الانتصارات التي لا بد للملايين من تحقيقها في المستقبل وخصوصاً في مجال التنظيم الحزبي، وفي استنهاض الشعب وتطوير الحرب الشعبية وإيصالها إلى النصر.

إن جذور التقاليد النضالية لحزب العمال الكردستاني، كما هي واضحة، تكمن في هذا الماضي القريب. وبالتالي لا يمكن فصل السمات النضالية المستقبلية لمناضلي حزب العمال الكردستاني عن هذا الماضي . فالسمات والمميزات الجديدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً جداً بالماضي ولن تتشكل فعلاً إلا على أساسه. من الواضح أن هذه السمات لا تكتسب بصورة عفوية أو تلقائية. فما من مناضل يستطيع امتلاك هذه السمات صورة تلقائية. إن المناضل يستطيع أن يجسد في شخصه سائر السمات النضالية المطلوبة في المستقبل بمقدار ارتباطه الوثيق بالماضي النضالي القريب وتمثله له بعمق. وسيكون جديراً باسم مناضل حزب العمال الكردستاني بمقدار ما يكون متبنياً للماضي ومتفهماً له، ومصمماً على نقله إلى المستقبل. لذا على المناضل المستقبلي الجيد والقوي أن يتمثل جيداً تاريخ الماضي القريب المملوء بأشكال المقاومة. لا بد له من معرفة هذا الماضي كي يعرف نفسه جيداً وكي يبلغ مستوى اكتساب الصفات النضالية القوية من خلال توجهه إلى المستقبل بالانطلاق من هذا الأساس. إنه لن

يستطيع أن يؤدي دوره التاريخي في صرح العمل لثوري إلا إذا كان بوصفه واحداً من حجارة بناء هذا الصرح يعرف جيداً كيف ينبغي للصرح والحجارة جميعاً أن يكونوا. لا بد للمناضل من معرفة الماضي معرفة جيدة إذا كان يريد أن يلعب دوره التاريخي.

فما هي سمات المناضل التي هي مؤشرات تبين طريق المستقبل والتي أظهرها الماضي النضالي المملوء بأمثلة البطولة وآيات المقاومة الكثيرة لحزب العمال الكردستاني، وكيف ستنعكس على المستقبل ومن خلال أية مميزات ستتجسد في شخص المناضل؟ لنأت الآن إلى بحث هذه السمات التي تحدد طريق المناضل المستقبلي الذي خرج من أتومه العديد من الآلام والعذابات والمحن في مختلف الميادين والمجالات مثل ميدان العمل التنظيمي وساحات الممارسة العملياتية، ومجالات العلاقة مع الرفاق والجماهير، في أعماق الزنزانات وغيرها وغيرها....

ثانياً – مناضل حزب العمال الكردستاني

في غمرة العمل

آ) إنه مفعم بالحب الشديد لوطنه

إن الوطنية هي إحدى الفضائل الأساسية التي يتوجب على مناضل حزب العمال الكردستاني أن يتحلى بها.

الوطنية هذه ليست صفة عادية يمكن اكتسابها بالطرق العادية البسيطة. إنها، على النقيض، تأتي في طليعة العناصر التي تمكن المناضل من أن يصبح مناضلاً حقاً. إن استغراق المناضل في العاطفة والوعي الوطنيين يعني قبل كل شيء أن يتعرف على الواقع القومي والاجتماعي ويجمعه من ثم بالأممية. بهذا المعنى تعني الوطنية توحيد فهم الوطن والبلاد الذي هو العنصر

الأساسي للوطنية وامتلاك العاطفة والوعي الكاملين إزاءه والتطلع الصادق والرغبة العميقة في خلق وطن مستقل ينعم بالحرية.

لا بد للمناضل من الإيمان العميق بضرورة تقييم مواصفات وطنه تقييماً عالياً مع الاحتفاظ بمشاعر الحب والمودة إزاءها ورفع هذه القيم إلى أعلى المستويات بعد الإيمان المطلق بها؛ كما لا بد له من أن يعلم بأن من المستحيل أن يحقق أي شيء في مجال بناء الوطن المستقل إلا بالاستناد إلى هذا الإيمان الراسخ والعميق بتلك المبادئ والمثل. يجب عليه أن يعرف وطنه جيداً، أن يعرف بلاده شبراً شبراً، أن يعرف جباله، سهوله، أنهاره، مناخه، مياهه، ثرواته الدفينة وخيراته الظاهرة على وجه الأرض؛ كما يجب عليه أن يكون مستعداً لأن يموت في سبيل تراب هذا الوطن عندما تدعو الحاجة. لا يمكن تصور وجود إنسان عادي لا يكون مستعداً لأن يموت في سبيل وطنه ولأن يضحي بحياته من أجل هذه القيم والمثل الوطنية. إن معيار الإنسان السوي في عصرنا هو الاستعداد للموت من أجل هذه المثل والقيم. وحتى حسب المفهوم البرجوازي، يجري وصم الذين ينسون استقلال وطنهم، بالخيانة والعمالة ولا تعود لهم أية قيمة في المجتمع. وأمثال هؤلاء لا يمكن أن يخلصوا من اللعنات والإدانات الدائمة. لذا فإن وضع الوطنية في رأس قائمة الصفات التي يجب على المناضل أن يتحلى بها له مغزاه كما له ما يبرره. إنه المكان الصحيح للوطنية.

أما الوطنية التي نتحدث عنها نحن والتي نقول بضرورة توفرها لدى المناضل فهي المفاهيم الوطنية الخاصة بالكادحين والبروليتاريا. غير أن هناك في عصرنا وفي أيامنا الراهنة محاولات كثيرة ترمي إلى إفراغ هذا المفهوم المجيد والعظيم من محتواه لتسخيره من أجل خدمة بعض الأغراض الدنيئة والقذرة، وجهود تبذل في سبيل خلق الفوضى والغموض في ساحة المفاهيم. يجري استخدام الكثير من وسائل التضليل والديماغوجيا في ميدان الوطنية لإظهار الثوريين والشيوعيين كما لو كانوا (بلا أوطان أو خونة لأوطانهم!) من قبل البرجوازية الاحتكارية

الاستعمارية التي تتبع مختلف أساليب القهر والظلم والاستغلال ضد الشعب وتكبت الصراع الطبقي بالعنف باسم الوطنية زوراً وبهتاناً، كما أن العملاء وخونة الوطن الذين يبيعون أوطانهم بقروش قليلة يتسترون وراء الوطنية الزائفة. وفي بلادنا نحن أيضاً يحاول أولئك الذين يمارسون العمالة والسياسة الداعية إلى الاستسلام أن يظهروا كما لو كانوا يتحلون بهذه الصفة السامية والمجيدة. وممثلو البرجوازية الصغيرة المدانين بصورة خاصة يكثرون من الحديث عن هذه المثل الوطنية العظيمة ولكنهم يمرغونها في أوحال القومية البرجوازية والقومية الزائفة؛ فهم فيما لا يرون أحداً غيرهم جديراً بهذه الصفات من جهة، يعملون من الجهة الثانية بدأب من أجل تطوير وترسيخ مفاهيم الاستسلام والاصلاحية والعمالة عبر خيانة سائر القيم والمثل الوطنية والقومية. ولهذا السبب لا بد لمناضل حزب العمال الكردستاني من الاهتداء إلى المعيار البروليتاري الحقيقي للوطنية ومن التعرف على سائر المفاهيم الزائفة في هذا المجال بغية فضحها وتمزيق الأقنعة التي تتستر وراءها. كيف يتجسد العنصر الوطني في المناضل إذا أردنا أن نفصل في هذا الموضوع أكثر؟

كما أكدنا من قبل أيضاً يجب على المناضل أن يعرف وطنه ويحبه وخصوصاً إذا كان هذا الوطن رازحاً تحت نير الاحتلال والاستعمار– وبصورة بالغة الدناءة – فإن من الواضح أن يظهر عنده ميل قوي جداً إلى تبني فكرة الاستقلال التام والنهائي. أما إذا لم يكن مثل هذا الاحتلال والاستعمار الفظيعين يخلقان عنده وعياً متطوراً بالاستقلالية من جميع النواحي فإن ذلك الشخص لن يكون مناضلاً بل سيبقى ذا روح أشبه بأرواح العبيد. قد يكون وضع الفلاح الكادح البسيط الذي تعرض لغسيل الدماغ وشل الوعي والشعور تحت كابوس الهيمنة القسرية للعدو، هذا الذي صار تابعاً يدور في فلك العدو من فرط الجهل، قد يكون هذا الوضع مفهوماً؛ أما ظهور مثل تلك الأعراض لدى المثقفين فإنه دليل قاطع على أنهم مصابون بمرض لا برء لهم منه. إن الذي يعرف خصائص بلاده ويرى أنها رازحة تحت كابوس الاحتلال الاستعماري ولكنه مع ذلك لا يبادر إلى تبني الفكر والوعي الاستقلاليين الضروريين

ولا يتخذ موقف المقاومة لن يستطيع أن يصبح مواطناً عادياً شريفاً ناهيك عن أن يصبح مناضلاً. لن يصبح مثل هذا الإنسان إلا خائناً بروح عبد أجير لا قيمة له في مجتمعه.

فالوطنية في الظروف اليومية الملموسة في كردستان الحالية بهذا المعنى تتجسد في شخص حركة المقاومة الوطنية وتظهر على شكل النضال والمقاومة في قلب هذا الصراع.

وإذا أردنا إيضاح الموضوع أكثر فإننا نقول: ان الوطنية تتطلب القتال في أنسب ساحات وطننا، أي في القطاعات الجبلية التي هي أفضل الأماكن لتطوير المقاومة بما يتناسب مع الاستراتيجية ومما يخدم أهداف النضال التحرري الوطني لشعبنا وبلادنا. قد لا تكون المبادرة إلى الانتقال إلى الجبال فوراً أمراً ضرورياً غير أن على كل مناضل أن يدعم ويؤيد بكل وعيه وقلبه هذا النضال ويشارك فيه ويبذل كل ما يستطيعه من جهد في سبيل إيصاله إلى النصر. يتهمنا أحد العملاء من ممثلي البرجوازية الصغيرة بأننا نعشق الجبال ونخشى الحضارة كزعماء عشائر الهنود الحمر ونهرب إلى قمم الجبال مع تطور الحضارة. واضح أن قائل هذا الكلام عميل وأجير. فأولئك الذين يعرفون ولو بحدود بسيطة ظروف كردستان وطبيعة أعدائها، لابد لهم من أن يعرفوا بأن الأماكن المناسبة لخلق أغنى الملاحم وأجملها في كردستان هي القمم الشامخة للجبال فقط. ونحن بصفتنا هذه وهوانا هذا لا نشعر إلا بالفخر والاعتزاز. ونعلم أننا نفعل الشيء الصحيح تماماً من خلال جعل هذه السمة سمة أساسية لنا – علماً أن هذه ليست سمتنا نحن فقط بل هي إحدى السمات التاريخية للشعب الكردستان. فكما اضطر الشعب الافريقي لأن يخبئ حريته وثقافته في أعماق الغابات، اضطر الشعب الكردستاني أن يزرع حريته في الجبال وهو لن يجدها إلا هناك. وبعد ذلك يستطيع تدريجياً أن يستعيدها ويفرضها على السهول والمدن التي يعيش فيها. وإلا فإن المناطق السهلية والحضرية التي تفوح منها روائح الخيانة والعبودية حيث الاغتراب في ظل الاضطهاد والقهر الكثيفين من جانب العدو لن تكون تربة صالحة لاستنبات هذه الروح. أما الحياة والسياسة السائدتين في هذه

الأماكن فهي حياة وسياسة بعيدتان عن المقاومة وتفوح منهما روائح التبعية. ومثل هذه الحياة والسياسة لا يمكنهما أن تكونا جديرتين بالاحترام ولائقتين بالوطنية.

إن على المواطن في السهول والمدن اليوم أن يختار الجبال ويجعلها أساساً للمقاومة. لاشك أن المقاومة ممكنة في المدن والسهول وفي الزنزانات أيضاً. ليس في ذلك أي جانب يصعب فهمه. فالطبقة العاملة والشبيبة والنساء جميعاً هي في هذه المناطق، ونضال المقاومة مدعو لأن يضم إلى صفوفه كل هذه الجماهير. غير أن هذه الأماكن غير مناسبة لأن تشكل منطلقات أساسية للانطلاق في سبيل الاستقلال والحرية. فالمنطلق الواقعي للتوجه إلى الاستقلال والحرية هو أعالي قمم الجبال الكردستانية الشامخة. والحرية الحقيقية والمقاومة الثورية الفعلية ستنموان أولاً هناك لتلفا بعد ذلك جميع الوديان والتلال والسهول والمدن. إن روح الحرية التي تتبرعم في الجبال هي التي ستتفتح ورواداً وأزهاراً في سائر الأماكن والساحات. ليس هذا شيئاً مصطنعاً بل خصوصية تفرضها نظرية الثورة في كردستان بالاستناد إلى الظروف التاريخية والاجتماعية والجغرافية لهذه البلاد. كما أن هذا ليس نتاجاً للتقييم الجغرافي وحده بل هو موقف فرضه في الوقت نفسه الوعي العميق بالاستقلال والحرية.

إن من لا يقاتل اليوم بوعي ومشاعر وطنية متأججة في جبال وطنه، ومن لا يدعم مثل هذا القتال من مكانه سواء خارج البلاد أو داخله، سواء في القرى أو المدن، في السهول والوديان ، لا يمكن أن يكون وطنياً حقاً. ومن الطبيعي أن الموقف اللاوطني لايستطيع أن يتحرر من الغرق في أوحال العمالة والخيانة.

ومن متطلبات الوطنية أن يكون أتباعها قادرين على حب الوطن كله والتعرف على سائر أرجائه المختلفة لا الاكتفاء بهذه البقعة أو تلك، هذا المكان المحدد أو ذاك. بمعنى ان الوطنية توجب حب الوطن ككل لا التعلق ببقعة من بقاعه والنظر إلى مصالحها بوصفها أهم من مصالحه. فمثل هذا الموقف الجزئي لا يمكن أن يتفق مع الوطنية في أي وقت من الأوقات بل

ويقف في طريقها. إن المناضل الحقيقي هو ذلك الذي يعرف كيف يضحي بكل شيء في سبيل وطنه ويعتبر حبه للوطن أسمى من جميع الروابط وسائر القيم .

ب) إنه في صف النظام الديمقراطي !

هناك سمة أخرى تظهر بالارتباط مع الوطنية وعلى أساسها هي الديمقراطية.

تستطيع الديمقراطية أن تتطور بالأرتباط مع الوطنية. فكما أن الوطنية تتطلب ميزة عميقة تتركز على معاداة القوى المحتلة الأجنبية والسعي لطردها من الوطن، تجد الديمقراطية التي هي صداها الداخلي تعبيرها في الانقضاض على بقايا العصور الوسطى في البلاد. فالالتزام بالمبادئ الديمقراطية يجعل النضال ضد الاقطاعية والعشائرية والطائفية وعبودية النساء وغيرها من مخلفات القرون الوسطى ضرورياً. وهذا الالتزام بالديمقراطية عندنا هو في الوقت نفسه موقف مرتبط بالوطنية ارتباطاً وثيقاً. فالطبيعة الوطنية الديمقراطية لثورتنا تجعل كلاً من سمتي الوطنية والديمقراطية من السمات الأساسية المطلوبة من المناضل. ولهذا السبب فإن من لا يكون وطنياً عندنا لا يستطيع أن يكون ديمقراطياً، ومن لا يكون ديمقراطياً لا يمكن أن يكون وطنياً. فهاتان الصفتان عندنا متداخلتان ومترابطتان ترابطاً وثيقاً وعضوياً. كما أن الوقوف ضد العشائرية والاقطاعية والطائفية وعبودية المرأة وغيرها من المستلزمات الضرورية ليكون المرء ديمقراطياً، كذلك لا بد لهذه المواقف من أن تكون موجود لدى كل وطني أيضاً. لا بد للوطني من النضال ضد بقايا القرون الوسطى في وطنه. ذلك لأن الوطنية عنده لا تتجلى إلا في نضاله الدؤوب من أجل إيصال الشعب والوطن إلى مستوى التطور العصري وفي سبيل إزالة جميع مظاهر الرجعية وسائر العقبات التي تقف في طريق التطور. إن على الوطني والديمقراطي أن يواجه مختلف المفاهيم الرجعية من العائلية إلى الاقليمية وأن يعرف كيف يتحرك في إطار الروح والوعي الوطنيين الديمقراطيين. إن لبلوغ مثل هذه الميزة أهمية كبرى إلى أقصى الحدود. إن الوطني هو الذي ينمي العلاقات الوطنية والقومية بدلاً من العلاقات العشائرية –

الاقطاعية والعائلية القروسطية، ولا يعترف بأية روابط قومية مع الأمة الحاكمة. إنه يوظف سائر العلاقات العائلية والعشائرية بما يعزز الروابط القومية والوطنية ويزرع الروح الوطنية في عائلته وعشيرته وينطلق من ذلك ليصل إلى الديمقراطية.

كما أن الالتزام بالديمقراطية يوجب النضال ضد سائر أشكال الاستغلال والظلم التي تتعرض لها الجماهير الشعبية الكادحة. فعلى المناضل أن يقف بشكل خاص في وجه الممارسات البالية والبعيدة عن العصر التي تمارس ضد الفلاحين، ولا سيما الفقراء منهم، والنساء وأن يناضل في سبيل حرية الجماهير الفلاحية والنسائية. عليه أن يناضل ضد الظلم والاستغلال اللذين تعاني منهما الطبقة العاملة وسائر الجماهير الكادحة في ظل حكم البرجوازية الاحتكارية والنظام الرأسمالي المتعفن. عليه أن يتابع نضالاً عنيفاً وقوياً ضد الفاشية جامعاً بين الديمقراطية ومعاداة الفاشية. لن يكون المرء جديراً بلقب الديمقراطي إلا بعد امتلاك سائر هذه المميزات.

هناك جملة من التشهويات في موضوع الديمقراطية كما في موضوع الوطنية. ما أكثر الأفراد والتنظيمات التي ترفع عالياً اسم (الديمقراطية) في حين يكون في حقيقة الأمر عميلاً من المرتبة الأولى للدوائر الاحتكارية! يكون كابوساً على الشعوب والأمم ومعادياً لمبدأ حق تقرير المصير للشعوب ولكنه مع ذلك يبقى(ديمقراطياً كبيراً) حسب زعمه. ونحن في كردستان نستطيع أن نجد العديد من الأمثلة المشابهة بل والأكثر بشاعة في بلادنا. هناك فوضى عارمة وغموض كبير وتشويه كريه في مجال الديمقراطية كما في سائر الميادين الأخرى. كثيرة هي التنظيمات التي تزعم أنها ديمقراطية في تركيا غير أنها ما أن يطرح موضوع استقلال وحرية الشعب الكردستاني على بساط البحث حتى تغرق في وحل الشوفينية رافضة الاعتراف بهذه الوقائع من الأساس. علماً أن أحد معايير الديمقراطية هو الموقف من حقوق الشعب والأمم الأخرى. وبالشكل نفسه هناك العديد من الأفراد والتنظيمات التي ظهرت في كردستان زاعمة

أنها (ديمقراطية) ولكنها بقيت مستندة إلى روابط الدم والقرابة العشائرية مما أغرقها في مستنقع خدمة الرجعية وفي أوحال المساومة مع العدو.

إن من واجبات مناضل حزب العمال الكردستاني أن يبرز المعايير الفعلية الصحيحة للديمقراطية وأن يكون متيقظاً وحذراً إزاء سائر أنواع((الديمقراطية) الزائفة وأن يناضل بحزم ضدها.

ج) إنه أممي يكافح من أجل الاشتراكية !

هناك سمة أخرى أكثر سمواً يجب أن يتحلى بها المناضل هي الالتزام بالاشتراكية. إن الخط الوطني والديمقراطي الثابت كفيل بإيصال الفرد تدريجياً إلى الاشتراكية. فبدون الاشتراكية لا يستطيع الإنسان أن يصبح وطنياً ثابتاً أو ديمقراطياً حقيقياً. إن بلوغ الطبيعة الحقيقية لهاتين الميزتين لا يتم إلا من خلال اندماجهما مع الاشتراكية. ففي بلاد تسودها مخلفات القرون الوسطى وترزح تحت وطأة احتلال أجنبي يبعث على الخجل مثل حال كردستان لا بد لتوفير إمكانية التحرر الوطني والاجتماعي عبر خوض نضال جذري ضد الرأسمالية مما يقود بطبيعة الحال إلى تبني الاشتراكية. هذا يعني أن الوطنية والديمقراطية الثابتتين والدائمتين تؤديان بصورة حتمية إلى الاشتراكية.

أما امتلاك الوعي الاشتراكي فيقود مباشرة إلى الأممية. وفي هذه النقطة يمكن القول بأن اجتماع الوطنية والديمقراطية والاشتراكية في كردستان يساوي الأممية. لا يمكن الحديث عن أية أممية في كردستان إلا في ظل توفر مثل هذه الظروف. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار كيف تسعى الشوفينية الاجتماعية، بشكل خاص، إلى تجاهل الوطنية والديمقراطية الكردستانية والماركسية اللينينية المطبقة على واقع البلاد وتحاول تطوير العدمية القومية، الكوسموبوليتية، باسم (الأممية)

والتنكر للواقع القومي والوطني فإننا نستطيع أن ندرك مدى الأهمية القصوى لامتلاك الوعي العميق بهذه الوقائع .

على كل فرد يعيش فوق أرض كردستان مهما كانت قوميته، جنسه، ديانته أو عقيدته المذهبية أن يخوض نضالاً لا هوادة فيه ضد المفاهيم الشوفينية والشوفينية الاجتماعية والعدمية والكوسموبوليتية. مما لا شك فيه أن النضال ضد القوى الشوفينية – الاجتماعية يجب أن يكون نضالاً ايديولوجياً. أما في حال ظهور العملاء المكشوفين للعدو فإن سائر أشكال النضال بما فيها استخدام العنف ستكتسب مشروعية مؤكدة. لا بد لنا من اتخاذ الموقف الثوري الثابت في مثل هذا الموقف في المستقبل أيضاً كما كان وضعنا في الماضي. فالمناضل سيسعى إلى كسب أولئك المضللين والمخدوعين بطبيعة الحال ولكنه لن يترك الساحة خالية للشوفينية والشوفينية الاجتماعية ولن يقبل بها على الاطلاق. لن تكون المساومات مع الحركات الشوفينية – الاجتماعية إلا على أساس كسبها. انسجاماً مع الروح الماركسية – اللينينية يعني ذلك أن تطور الأممية في الشخصية لن يكون من خلال الانكار القومي والكوسموبوليتية. على العكس تماماً، لا بد لهذا التطور من أن يستند إلى الوطنية العميقة والديمقراطية القومية الصحيحة وإلى التطبيق الخلاق والمبدع للماركسية – اللينينية على الواقع الكردستاني. هذا ما يجب أن يفهم من الأممية؛ أما المفاهيم الأخرى فهي إلى جانب كونها زائفة تقود إلى الخيانة والعمالة، إلى مستنقع التعاون مع الامبريالية والاستعمار. لقد أوضح ديمتروف بعبارات محددة العلاقة القائمة بين الوطنية والتضامن الأممي والدولي لدى تأكيده على استحالة التضامن الأممي الحقيقي في حال غياب الظروف الكفيلة بضمان التطور الحر لكل الحقوق الديمقراطية حين قال:

((إن التضامن الأممي الذي لا يستند إلى الوطنية ليس إلا كلاماً يدغدغ الآذان .كما أن الوطنية التي لا تستند إلى التضامن الأممي ليست وطنية حقيقية ....)) لا بد للمناضل من أن

يفهم الأممية بمثل هذا الجوهر العميق ومن أن يجعلها سمة مسيطرة على شخصيته بشكل قوي. إن الميزة التي ليس لها مثيل والتي أبداها حزب العمال الكردستاني في هذا الموضوع معروفة تماماً . لقد اتخذ حزب العمال الكردستاني شكله في كردستان حيث تم تناول الوطنية والديمقراطية في ضوء الماركسية – اللينينية، وحيث تم خوض النضال الدؤوب بالاستناد إلى مثل هذه القاعدة المتينة، ضد الشوفينية – الاجتماعية والشوفينية، وضد بقايا الإقطاع كما ضد المفاهيم والشخصيات الاشتراكية – الديمقراطية – الوطنية الزائفة.

فالشخصية الوطنية والديمقراطية والاشتراكية والأممية الحقيقية التي نراها اليوم في كردستان هي الشخصية التي تم خلقها عبر النضال الذي لا هوادة فيه والذي تم خوضه في الماضي. من الواضح أن على مناضل الحزب الذي تشكل في هذه الأجواء بالذات أن يصل إلى المواصفات ذاتها وأن يمتلك الروح السامية إياها.

رغم العلاقة الوطيدة التي لا تنفصم بين الأممية والوطنية من الممكن أن نصادف عدداً كبيراً من النماذج الغريبة والعجيبة في كردستان. كثيرة هي تلك النماذج المتغربة عن وجودها وكيانها القوميين من فرط التأثر بخطط الاذابة الاستعمارية، وهي مع ذلك تظهر على الساحة باسم الوطنية ولكنها تتنكر لوطنها وشعبها ولطبقاتها الكادحة فضلاً عن أنها تفعل هذا كله باسم الأممية! فأية (أممية) هي هذه؟! إن مثل هذا التصرف مثال ساطع ونموذج واضح للزيف والتضليل! أما حزب العمال الكردستاني فقد تمكن داخل البلاد وخارجها من إبراز الأممية على حقيقتها بعد تمزيق هذا القناع الذي كان هذا الزيف يتستر وراءه عبر ممارساته النضالية الصحيحة داخل الوطن وخارجه. ونتيجة لهذا النضال اتضح واقع تحول الايديولوجية الماركسية في الظروف الكردستانية إلى الوطنية وإمكانية الانتقال منها إلى الأممية. فالحزب الذي يزعم أنه حزب البروليتاريا يجب عليه وعلى مناضليه، حتى يكونوا جديرين بالاسم الذي يحملونه، أن يجمع بين الأممية والوطنية على أساس صحيح وأن يجسدهما في شخصه.

مسألة الشخصية في كردستان

إن الثورة الكردستانية ثورة ذات جانب أممي واضح لأنها ذات تأثير قوي على النضالات التحررية للعديد من الشعوب الأخرى في الوقت نفسه. فكردستان بواقعها الحالي تشكل حلقة أساسية وحاسمة بنظر الامبريالية وخصوصاً بالنسبة للدول الاستعمارية الأربع التي تخضعها لسيطرتها الاستعمارية. كما أن كسر هذه الحلقة سيجر معه الانهيار الحتمي للدول الاستعمارية كذلك سيؤدي إلى إحداث شرخ مميت بالامبريالية التي ستفقد مناطق نفوذها وتحكمها في الشرق الأوسط.

لذا فإن الشرارة التي ستندلع في كردستان ستؤدي إلى اشتعال لهيب نيران النضال في الساحة الشرق أوسطية مما سيؤدي حتماً إلى طريق التحرر أمام شعوب هذه المنطقة. ولهذه الأسباب مجتمعة نرى أن الثورة الكردستانية ذات طبيعة أممية واضحة وعميقة. ومن المؤكد أن المناضلين الذين هم بناة مثل هذه الثورة ذات الطبيعة الأممية العميقة يكونون مناضلين على مستوى يؤهلهم لأن يجسدوا الأممية تجسيداً قوياً؛ بل لا بد للأمر من أن يكون كذلك.

لقد تم الوصول إلى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية والأممية في كردستان من خلال إبداء آيات البطولة في المقاومة وعبر تقديم العديد من الشهداء والمعتقلين وإسالة الأنهار من الدماء. ومن الواضح أن هذه المكاسب التي تحققت عبر المعارك النضالية القاسية ستكون مكاسبنا ومرتكزاتنا الأقوى في المراحل المقبلة. كما أن الوعي في هذا المجال سيمهد الطريق إلى صفات وسمات أقوى وأهم للشخصية النضالية. فالكادر الوطني الديمقراطي والاشتراكي والأممي الذي يمتلك الوعي الذي يمكنه من الوصول إلى مستوى العصر يعني بطبيعة الحال أنه استطاع إلى حد كبير أن يتملك الصفات الضرورية الواجب توفرها في المناضل الثوري في كردستان.

ما هو السلوك الذي ينبغي للمناضل أن يسلكه من جميع النواحي داخل الحزب وخارجه، مع رفاقه ومع أبناء الشعب حتى يعزز هذه الصفات أكثر فأكثر ويطورها أغنى فأغنى؟ كيف يجب عليه أن يوجه نشاطاته الفردية وكيف يغنيها؟

ما هي النواحي التي لا بد له من تطويرها وتعزيزها في غمرة معارك النضال؟ تلك هي الموضوعات التي سنتناولها الآن.

د) إنه مفعم بالحب والاحترام لرفاقه وللشعب!

يجب على المناضل أن يعرف كيف يكون مفعماً بالحب والاحترام لسائر القيم الحزبية ولجميع المتعاطفين والأصدقاء وفي مقدمتهم رفاقه بالذات. غير أن بعض الأشخاص بعيدون كل البعد عن هذه الصفة. فهم لا يستطيعون أن يغرقوا في بحر من حب واحترام القيم الحزبية وعلى رأسها العلاقة الرفاقية. ومن المؤكد أنهم بموقفهم هذا يصلون إلى أوضاع شبيهة بأوضاع عملاء العدو المندسين في صفوفنا. فالقيم الحزبية والروابط الرفاقية هي القيم التي يجب أن تحظى بأسمى آيات الاحترام وأعمق مشاعر الحب والمودة. ذلك لأن أمة المستقبل، مجتمع الأيام القادمة، متجسدان في شخص الحزب. إذا كان الوضع كذلك فإن عظمة القيم الحزبية تغدو واضحة وجلية بصورة تلقائية.

لا يتحول الحزب إلى واقع ملموس إلا من خلال مناضليه. وكما أن من المستحيل التفكير بالحزب بدون المناضلين، كذلك لا يمكن التفكير بإمكانية وجود المناضلين بدون الحزب. لهذا السبب يجب على مناضلي الحزب أن يكونوا منسجمين تماماً وأن يقفوا بعضهم من بعض مواقف ودية للغاية. هذا لا يعني أن هؤلاء لن يتخذوا مواقف نقدية إزاء نواقص وأخطاء بعضهم، بل على النقيض تماماً سيكونون حازمين وصريحين إزاء الأخطاء والنواقص انسجاماً مع مستلزمات الحب والاحترام والعلاقات الرفاقية الصادقة، وسيستخدمون سلاح النقد بالشكل المناسب في سبيل القضاء على نواقص وأخطاء الرفاق. من الواضح والمؤكد أن الهدف من مثل هذا التصرف هو خلق الشخصية الأقوى والأمتن والأقرب إلى القلوب والأكثر احتراماً، فليس سلاح النقد سلاحاً يستخدم لزرع الكراهية والحقد. وكل من يحول النقد إلى عامل لإثارة الحقد والغيرة والخصام في صفوف الحزب إنما هو سم زعاف سربه العدو

إلى قلب الحزب. وكل من يتكبر على رفاقه ولا يحترمهم، ويكن مشاعر الحقد والغيرة إزاء هم يكون شخصاً يثير الشبهات.

وهذا الحب والاحترام تجاه الرفاق يجب أن يشمل سائر قيم الحزب الأخرى أيضاً وعلى رأسها شخصيات الشهداء وذكرياتهم، إيديولوجية الحزب، سياسته، خطه التكتيكي، بل وإزاء سائر أصدقاء الحزب والمتعاطفين معه. وهذا الحب والاحترام والالتزام بقيم الحزب يجب أن يتعمق ويتعزز أكثر فأكثر مع مرور الزمن. في هذه البنية الممزقة والمتنافرة للناس بسبب بذور الحقد والكراهية التي بذرتها الخلافات والصراعات العشائرية والطائفية وقضايا الثأر المثارة من خلال العديد من الألاعيب والمؤامرات ضد شعبنا ووحدته لن يتم توفير إمكانية فرض الوحدة القوية إلا من خلال رابطة تنظيمية متينة تستند إلى أساس إيديولوجي، سياسي راسخ ومتين مفعم بالحب والاحترام في صفوف الحزب قبل كل شيء. فبمثل هذه الرابطة التنظيمية فقط يمكن الوقوف في وجه تفاقم التمزق واتساعه وإحباط الفوضى التي خلقها العدو في المجتمع، أما أولئك الذين يعكسون هذا الانقسام في صفوف الحزب، ويحلون أجواء الحقد والكراهية محل أجواء الحب والاحترام فإنهم ينفذون مخططات العدو ويحققون أهدافه الشريرة داخل الحزب. من الطبيعي أن (مناضلاً) لا يستطيع التعايش مع رفاقه في ظل الوحدة القائمة على أنبل الأسس والقيم اليوم سوف لن يكون قادراً قط على التعايش مع الجماهير التي يصل تعدادها إلى الملايين في المستقبل غير البعيد.

لا بد من إيقاف حوادث القتل والاقتتال والمشاجرات والكراهية وعدم الاحترام بين الناس نتيجة قضايا الثأر والعشائرية والطائفية؛ لا بد من وضع حد حاسم للحقد والغيرة والكراهية التي فرضها العدو على الشعب وجعلها سائدة إلى حد كبير. ولكن السؤال هو: كيف السبيل إلى ذلك؟ من المؤكد أن الانسجام الكبير والنضج والاحترام والمودة بين الرفاق قبل كل شيء وبين سائر الأصدقاء والمتعاطفين هو السبيل؛ التعايش والتعاون في القضاء على العيوب

والنواقص لدى بعضهم هو السبيل؛ الامتناع عن تدمير بعضهم بعضاً بحجة (القضاء على الأخطاء) هو السبيل؛ التمسك الشديد بهذه الصفات والسمات الايجابية وجعلها السمات السائدة في شخصياتهم، وتمثلها بشكل قوي وعميق هو السبيل إلى ذلك. نعرف جميعاً أن هناك العديد من الأمثلة السلبية في هذا الميدان خلال السنوات الماضية. فقد رأينا أشكالاً غريبة من السلوك حيث كان الناس ينقض بعضهم على البعض الآخر بشكل عدواني وهدام ويتعاملون على أسس الغيرة والحقد كما لو كانوا غرباء بعضهم عن بعض. والمجتمع من الأساس كان يشكل تربة ملائمة لمثل هذا السلوك. أما ظهور السلبية ذاتها في العلاقات بين الرفاق بشكل خاص فيشكل أحد أكبر الأضرار التي يمكن لحياة الحزب أن تتعرض لها. إن ظهور الخلافات والصراعات بين هؤلاء الذين يجب أن يكونوا طليعة الشعب والمجتمع والذين يجب أن يكونوا موحدين ومنسجمين تمام الانسجام فيما بينهم، يعني أنه لا جدوى من انتظار قيامهم بتحقيق وحدة الملايين والتحام صفوفهم. ومثل هذا التصرف يلحق أكبر الأذى بالمجتمع كما ينزل أكبر الضربات الخطيرة بحياة الحزب.

إذن لا بد من التخلي عن هذه المواقف العدائية بين قوى الشعب والأصدقاء والمتعاطفين جميعاً ولا سيما بين الرفاق بالدرجة الأولى. لا بد من اتخاذ مشاعر المودة والحب والاحترام العميقة المنتشرة بشكل واسع بين القوى الشعبية بعد ظهورها بين الرفاق أولاً. ولكن ذلك لا يعني التخلي عن العداء الثابت ضد العملاء والجواسيس الذين انتقاهم العدو ودسهم في صفوفهم. على العكس تماماً لا بد لنا من الكشف عن حقيقة هؤلاء والمبادرة إلى سحقهم وإبادتهم بدون رحمة، وعدم التردد إزاء تصفيتهم جسدياً طالما أصروا على عمالتهم للعدو. مع الانتباه بطبيعة الحال إلى عدم إحراق الأخضر مع اليابس. بمعنى إظهار قدر كبير من الحذر كي لا يصيب البريء أي أذى لدى إنزال العقاب العادل بالمذنب. بل ويمكن السماح للذين تعاملوا مع العدو في الماضي متأثرين بدعاياته المضللة في حال توبتهم الأكيدة وتصميمهم على الالتحاق بصفوف الثورة تصميماً قوياً وثابتاً. لا بد من إبداء الكثير من المرونة والنضج

خلال العمل على اقتطاع أمثال هؤلاء من العدو وتحريرهم من تأثيره. وفي هذه العملية يجب استخدام أسلحة النضج والمهارة لا العنف والغضب وضيق الصدر. ذلك لأن العدو يعمل دوماً لتمزيق الشعب وتخريبه وإجباره العديد من أبناءه على أن يصبحوا جواسيس له إضافة إلى عملائه المتطوعين. بل ويحاول أن يزرع بذور الخلاف والشقاق في صفوف الحزب، ناهيك عن تمزيق الشعب، كما يسعى لتحقيق الغرض نفسه بين الأصدقاء من خلال المخربين والجواسيس. لا بد من الانتباه إلى ذلك كله والعمل لإحباط ألاعيب العدو ومؤامراته مع السعي الحثيث لاستعادة أناسنا الذين تمكن من تضليلهم.

ومقابل هذا لا بد لنا من الاستمرار وبقوة أكبر من أي وقت مضى على حقدنا وكراهيتنا وعلى اتخاذ المواقف الثابتة التي لا تعرف المساومة ضد العدو.

يجب الشك بالثوري الذي لا يحقد على العدو ولا يكرهه. ومما لا ريب فيه أن هذا الحقد يجب أن يكون واعياً لا عاطفياً كما ينبغي له أن يكون دائماً وثابتاً.

قام العدو بتشويه المواقف التي يجب اتخاذها إزاء الأصدقاء والأعداء في صفوف شعبنا تشويهاً كبيراً وخلق قدراً هائلاً من الفوضى والغموض في هذا المجال. فالذين ينبغي أن ننظر إليهم نظرة عداء ونكن لهم أعمق المشاعر العدائية ننظر إليهم كما لو كانوا أصدقاء، والعكس بالعكس. بمعنى أن مشاعر المودة والاحترام هي الأخرى قد تعرضت للتشويه في مجتمعنا. ولهذا السبب لا بد من تطوير هذه المشاعرعندنا على أسس جديدة. لابد من توجيه الحقد الذي يجب توجيهه إلى العدو بالاستناد إلى أساس ايديولوجي وسياسي سليم؛ كما لا بد من تعميق مشاعر الود والاحترام إزاء الرفاق والأصدقاء والمتعاطفين جميعاً كما بينا من قبل.

إلا أن هناك بعض العناصر الذين ما زالوا يقعون في خطأ إبداء مشاعر الود والاحترام التي يجب أن تكون إزاء الأصدقاء، نحو الأعداء. كما أن البعض ما زالوا يجرؤون على إبداء مشاعر

الحقد والكراهية التي يجب أن تكون موجهة ضد الأعداء، إزاء الأصدقاء. أن هذين الموقفين كليهما ينطويان على الكثير من الأخطار ويعتبران من المواقف السلبية الضارة التي لا بد لحياة الحزب من أن تشفى منهما .

إن مفهوم الحب والاحترام المتبادلين هو من المميزات التي ينبغي لكل من يحتل مكاناً في صفوف الحزب أن يعززها. غير أن هناك عدد، ولو كان قليلاً، من الذين يريدون أن تستمر هذه السلبيات في حياة الحزب. ومثل هذا النمط، طالما ظل مصراً على مواقف الحقد والكراهية ضد رفاقه، يلحق أضراراً كبرى بالنضال وبالتالي يجب إيقافه عند حده. إن الأضرار التي لحقت بنا من جراء مثل تلك المواقف التي كنا شهوداً على الكثير من الأمثلة عنها في الماضي، معروفة تماماً. هناك نماذج من تلك الأمثلة السلبية يجدون الجرأة التي تمكنهم من أن يقولوا كلاماً من قبيل(لن أبقى في الحزب إذا ظل فلان عضواً!) رابطين عضويتهم بوجود هذا أو ذاك في صفوف الحزب. من الواضح أن ذلك مؤشر يدل على انتقال العداوات العشائرية والعائلية السائدة في المجتمع إلى داخل الحزب بشكل مخيف. أما الجانب الآخر لهذا النموذج السلبي فيتجلى فيما يلي: بعد مضي يومين من بقائه مع رفيق آخر يبدأ بإثارة المشاكل فيغدو تعايشهما في مكان واحد مستحيلاً. إن بناء مشاعر الود والاحترام التي تعرضت لكل هذا القدر من التشويه على أسس سليمة وتوجيهها توجيهاً صحيحاً ينطويان على قدر كبير جداً من الأهمية.

من المفيد إيضاح هذه النقطة أكثر فأكثر. من المؤكد أننا لا نتردد في التعبير عن مشاعر الحقد والكراهية إزاء المخطئين وخصوصاً أولئك الذين يصرون على الاستمرار في الخطأ كما لا نتأخر في فضحهم. إننا نعبر عن مشاعر الحقد والكراهية تجاه هؤلاء ولكن ذلك مشروط بإصرارهم على أخطائهم بعناد. ولحظة تخلي الفرد عن أخطائه وتصحيحها لا يبقى أي مبرر للحقد عليه، بل ويصبح مغموراً بعواطف المودة والاحترام. لا يمكن التساهل في أي وقت من

الأوقات مع الذين يصرون على أخطائهم، مع الذين يكنون مشاعر الحقد والكراهية للرفاق والأصدقاء ومشاعر المودة للأعداء؛ مع الذين يبدون استعداداً للتفاهم مع العدو؛ مع الذين ينزلقون إلى أوحال الخيانة؛ كما لا يمكن نسيان حقيقة أن الذين يستمرون في أخطائهم لن يجدوا أي شكل من أشكال التسامح. ما من شيء يستطيع أن ينقذ أولئك الذين يبدون استعداداً للغرق في وحل الخيانة والتفاهم مع العدو مهما كان وضعهم الحزبي، سواء في القيادة أم في القاعدة، سواء أكانوا من الأصدقاء أم من المتعاطفين، من حقدنا وكراهيتنا ومن العقاب العادل الذي سينالونه على أيدينا! .

وكخلاصة نستطيع أن نقول ما يلي: يستحيل الحديث عن وجود الحزب إذا كانت مشاعر الود والاحترام معطلة في حياة الحزب وإذا كان الكوادر خالين من هذه العواطف.

بالارتباط مع الميزة التي تحدثنا عنها قبل قليل وإلى جانبها لا بد للمناضل من أن يطور عواطف المودة والاحترام ويعمقها إزاء سائر الطبقات والفئات الشعبية المختلفة، إزاء الشعب كله. لابد له من أن يكن قدراً كبيراً من الاحترام العميق للجماهير انطلاقاً من إيمانه الراسخ بأن التاريخ تصنعه هذه الجماهير، ناهيك عن الاستخفاف بها والتعالي عليها. غير أن هذا الاحترام يجب أن يكون في مكانه المناسب. لا يجوز السماح بنشوء الشعبوية والمواقف الذيلية من الجماهير.

فالقدرة على التعامل الناجح مع الجماهير وتحريكها للعمل مشروطة بمدى الإيمان بأن الجماهير هي المنبع الحقيقي لمختلف القيم والمثل، والثقة بأن الحياة تكتسب معناها من خلالها وتسير بقوتها، وإسناد هذا الإيمان وتلك الثقة على المرتكزات العلمية. مثل هذه الثقة القوية بالجماهير هي القادرة على إنطاقها. تأتي مشاعر الحب والاحترام للجماهير في بداية كل خطوة من الخطوات. لذا فإن المناضل يكون مرتبطاً أرتباطاً وثيقاً بالناس انطلاقاً من قناعته

بأنه لا يستطيع أن يحقق شيئاً إلا عبر الناس الذين يتبنون قناعاته ومبادئه، ناهيك عن أن يجدهم مزعجين ثقيلي الظلال.

مَن مِن الناس يمكن أن يقترب من الكادر الذي يعنف الجميع ويعبس في الوجوه كما ويبادر إلى إطلاق عبارات من قبيل (أنت لن تصبح رجلاً!) و(أنت أيضاً لا جدوى منك!) في وجه الذين يلتقي بهم؟ إن مثل هذا الكادر لن يفعل إلا أن ينسف التنظيم القائم ويبعد الناس عن الثوريين ويحولهم إلى أعداء للحركة، ناهيك عن القيام بتنظيم الجماهير وقيادتها وبناء جسور الصداقة معها. لذا لا بد من تحاشي الوقوع في مثل هذا الوضع والمسارعة إلى اكتساب صفات التواضع والنضج التي لا بد منها لإقامة العلاقات الودية مع الجماهير. إن الموقف الحساس الذي يتخذه المناضل المسلح بمشاعر المودة والاحترام إزاء طبقات المجتمع وفئاته المختلفة، هو الذي يجعل منه مركز جذب ومنظماً قوياً للغاية.

إن التاريخ مملوء بالأمثلة المضيئة عن مشاعر الود والاحترام التي تم إبداؤها تجاه الشعب. غير أننا نصادف أيضاً حالات كثيرة تم فيها تزييف هذا الأمر.

فرجال الدين والقساوسة مثلاً يعلنون أنهم يريدون خلق عالم يستند إلى الحب والاحترام ويتخذون مواقف ودية إزاء جميع الأمور. غير أن موقف هؤلاء يبقى هو هو حتى إزاء الأوضاع التي يجب أن تحظى بالحقد والكراهية أيضاً. من الواضح أن موقفنا الطبقي نحن لا يمكنه أن يقبل بمثل هذا السلوك على الإطلاق. سنبدي مشاعر الود والحب غير أننا لن نبديها تجاه الجميع؛ لن نبدي هذه العواطف النبيلة إلا تجاه العمل، تجاه أصحاب قوة العمل، تجاه سائر القيم التي تدفع بالإنسان إلى الأمام. لذا لابد لنا من حماية الحب والاحترام من التشويه، من السقوط في الدرك الذي يتحرك فيه البابوات والقسس. لا يجوز السماح بتحريف الحب والاحترام عن الاتجاه الصحيح كما لا يجوز التساهل مع تحويلهما إلى أدوات في خدمة الرجعية. هناك قيم جديرة بالحب والاحترام وهناك أشياء غير جديرة بهما؛ هناك كائنات

ومخلوقات تثير مشاعر الود وهناك كائنات لا تثير إلا مشاعر الكراهية والتقزز. لذا لا بد من التفريق بشكل واضح بين هذه وتلك، بين هذا وذاك. ليس المناضل مؤسسة خيرية أو رجل دين يوزع المحبة على ما هب ودب كما ليس جرة خل مفعم بالحقد والكراهية إزاء الجميع. إنه رجل يحدد بوضوح كامل المكان والزمان المناسبين للتعبير عن مشاعر الود والحب والاحترام من جهة كما يعرف من جهة ثانية المكان والزمان الملائمين لإطلاق عواطف الحقد والكراهية والغضب، وما المناضل العاجز عن تقييم القيم الحقيقية في أماكنها المناسبة إلا مناضلاً لا يملك المعايير السليمة والصحيحة.

يجب على المناضل المفعم بالحب والاحترام إزاء القيم المقدسة أن يكون في الوقت نفسه مملوءاً بحقد وكراهية لا تعرف المساومة تجاه العدو.لا يجوز التساهل بشأن الحقد والكره الناشئين بالضرورة عن التناقضات التناحرية القائمة، كما لا يجوز التساهل مع العدو المصمم على إبادة المناضل وإنهاء وجوده. إن ضرورة تطوير وتعميق مشاعر الحقد والكراهية ضد العدو من الناحية النفسية تساوي ضرورة معرفة السبيل إلى إزالة تلك التناقضات. من المؤكد أن هذا الموقف هو موقف طبقي. فهذا الحقد على الظلم القومي والطبقي للعدو هو الذي يغذي المناضل ويجعل نضاله متقداً باستمرار. كما أن الشعب الذي لا يحقد على عدوه باستمرار شعب متفسخ وتائه في الاغتراب، كذلك يكون كل مناضل لا يحس في أعماقه بهذا الحقد والكراهية متفسخاً وفاسداً. إن هناك من ينسى الحقد والكراهية ضد العدو فيتمكن بعد ذلك من قبول الانزلاق في طريق الاستسلام. من الواضح أن هؤلاء هم من المخلوقات الدنيئة السافلة الجديرة باللعنة. ومما يجب أن نتذكره باستمرار أن العدو لا يمكن أن يكون ملاذاً أبداً، بل لا بد من النظر إليه باستمرار بوصفه قوة يجب علينا أن نعمل لسحقها وإبادتها. إن تقاليد الاستشهاد والمقاومة عندنا تشكل أسطع الأمثلة على ذلك.

يجب النظر الى العدو لا من خلال أساليب العنف والقوة العسكرية المسلحة التي يستخدمها فقط بل ومن خلال سائر أشكال استغلاله وتمزيقه للشعب بالأساليب الايديولوجية والسياسية الاقتصادية كلها. لهذا السبب يجب الاحتفاظ بمشاعر الحقد والكراهية لجميع المظاهر المعروفة على أنها مصادر قوة للعدو، كما يجب عدم التساوم معها. لا بد من الابتعاد عن التأثر بمختلف المؤثرات الايديولوجية والسياسية الصادرة عن العدو والحرص على تحاشيها. كما يجب على المناضل أن يعرف كيف يكون طليعة للشعب كله في هذا المجال. عليه أن يقدم الدليل على مدى الحقد والكراهية التي يجب على الشعب أن يكنهما تجاه العدو؛ وأن يشير إلى المسافة التي يجب أن تبقى بينه وبين هذا العدو.

يجب أن نضيف إلى كل ما سبق لنا أن قلناه ان الشكل الذي يمكن أن يتخذه الحب الطبقي في الواقع الكردستاني الملموس هو حب الوطن بمعنى من المعاني. فعلى المقاتل مهما كانت ظروفه أن يجسد في شخصه كلاً من الحب الطبقي وحب الوطن بعد توحيدهما. ذلك لأن أعداء الوطن والأعداء الطبقيين في كردستان اليوم متداخلون ولا يمكن الفصل بين الفريقين من الأعداء. لهذا السبب لا بد من إبداء الحقد والكراهية الموجهين ضد هذا الفريق، ضد الفريق الآخر أيضاً. وبالشكل نفسه يجب على المناضلين أن يظهروا قدراً من الحب تجاه الوطن والشعب يساوي القدر الذي يظهرونه تجاه طبقتهم .

لن يستطيع المناضل أن يجسد في ذاته سائر المعايير التي أتينا عل ذكرها قبل قليل إلا إذا تمكن من الوصول إلى قيم الحب والاحترام الضروية وإلى مستوى الحقد والكراهية التي لا تعرف المساومة ضد العدو. وبالتالي يمكن تطوير مشاعر المودة والاحترام القوية إزاء الشعب كله في الوقت الذي يتم فيه تعزيز وتقوية روابط المحبة والألفة بين الرفاق وفي حياة الحزب الداخلية. وبذلك تتحول الروابط القائمة الى روابط متينة لا يمكن أن تنقطع. وهذا العامل الذي يضمن

المزيد من انجذاب الجماهير الشعبية إلى الصفوف الثورية يصبح في الوقت نفسه واحداً من أهم مصادر القوة وأكبرها بالنسبة للمناضل. وقد تحدث دبمتروف عن ذلك قائلا:

((إن أحد أقوى العوامل المعنوية التي تضمن إمكانية التغلب على مختلف الصعوبات والمآزق والمأسي التي قد يصاب بها الإنسان هو حب الوطن، حب الشعب.))

لذا فإن على المناضل أن يجعل من هذه القوة المعنوية مرتكزاً له وسنداً في إيصال نضاله إلى النصر، وأن يعرف كيف يكون نموذجاً حياً للحب والاحترام إزاء شعبه ووطنه.

هـ) إنه ممثل الأخلاق الاشتراكية الجديدة!

أن الأخلاق هي معيار السلوك، ونحن حين نتحدث عن الأخلاق لا نتحدث عنها بصورة عامة بل نتحدث عن قواعد وقوانين الأخلاق الطبقية.

والقواعد التي تحكم تصرفات المناضل هي القواعد البروليتارية، أما التصرفات وأشكال السلوك التي لا تعترف بالقواعد والمعايير فهي تصرفات بعيدة جداً عن البروليتاريا. وهذا يعني أن المناضل يخضع في حياته وتصرفاته وعلاقاته لقواعد الأخلاق البروليتارية كمعايير له وتكون خطواته جميعاً محسوبة وواعية.

ليس المناضل إنساناً حطم القيود والضوابط جميعاً. إنه مضطر بالتأكيد لأن يكن قدراً كبيراً لا يعرف الحدود من الحقد والكراهية للعدو، ولكنه مقابل ذلك يكون بالغ التواضع والوعي والاحترام في تعامله مع مجتمعه وشعبه. إن المناضل مفعم بالاحترام إزاء تقاليد الشعب والمثل العائلية وتجاه أموال الشعب وأملاكه ناهيك عن أنه بعيد كل البعد عن إلحاق الأذى بالشعب؛ فهذا لا يتفق مع طبيعته من الأساس. إن للمناضل معايير أخلاقية محددة لا بد له من امتلاكها والتمسك بها في هذه المواضيع. عليه قبل كل شيء أن يعي ما يلي بعمق: إن

المناضل يتحاشى بصورة عامة أشكال الحياة التي ينفر منها الشعب ويرفض القيام بالأعمال والتصرفات التي يأباها ويدينها. ومن جهة أخرى لا يهاجم الأشياء التي يراها الشعب صحيحة ويؤمن بها – مهما كانت رجعية وبالية – ولا يكيل لها الشتائم بصورة علنية. من الحقائق الواضحة مثلاً أن المناضل الذي لا يؤمن بالإله لن يستطيع أن يكون طليعة للشعب ويصل به الأمر إلى مستوى الثرثرة وإطلاق أشكال الزندقة من قبيل: ((يسقط الله ! يسقط النبي!)) فمثل هذه التصرفات تعطل جميع الجهود وتخرب سائر الخطط ناهيك عن أنها لا تساعد قط على احتلال المواقع الطليعية بالنسبة للشعب. صحيح يمكن للمناضل أن يكون كافراً بالأديان بل هذه هي الفلسفة التي يؤمن بها المادي، غير الانطلاق من ذلك وتحويل الأمر إلى شعار داخل المجتمع ليس إلا تعبيراً عن الجنون. فالصراع مع الدين والفكر الديني مسألة نضال طويل الأمد ولا يمكن تحقيق النصر فيه إلا عبر تغير المجتمع. إن لينين الذي اعتبر الصراع مع الدين موضوعاً بالغ الحساسية وبين أن أية ممارسات فوضوية في هذا المجال لن تؤدي إلا إلى تعزيز مواقع الدين وتقويتها، يؤكد أن من المستحيل حظر الدين والقضاء عليه بدون التركيز على جذوره وأسسه العميقة ويقول:((توصي الماركسية بإتقان فن النضال ضد الدين وبالتالي معرفة مصدر الدين والإيمان من الناحية المادية. من أجل ذلك، يجب عدم تحويل الصراع مع الدين إلى مسألة مواعظ ايديولوجية مجردة أو إعطاؤه شكل الدرس الممل، بل يجب تحويله إلى حركة ملموسة من خلال ربطه بالحركة الطبقية بشكل يساعد على اقتلاع الجذور الاجتماعية للدين.

لماذا يستطيع الدين أن يبقى مؤثراً على الفئات الواسعة نصف البروليتارية وعلى الجماهير الفلاحية الواسعة كما على الفئات المتخلفة من بروليتاريا المدن؟ يتوهم البرجوازي التقدمي أن ذلك ناتج عن جهل الشعب وتخلفه. إذن تعالوا نرفع الشعارات التالية: فليسقط الدين! عاش الالحاد! وليتركز بالتالي هدفنا على نشر الالحاد وتعزيز مواقعه، فإلى الأمام أيها الرفاق! أما الماركسي فيعترض على البرجوازي التقدمي قائلاً: إنكم مخطئون أيها الأصدقاء! مهلاً! نعم

أنتم غارقون في الخطأ تماماً! ... علينا أن نبحث عن الجذور العميقة للدين لا في جهل الشعب وتخلفه بل في عجز الكادحين عن رؤية أنفسهم بلا حول ولا قوة إزاء القوى العمياء للرأسمالية هذه القوى التي تمارس ضد الجماهير الكادحة كل يوم وكل ساعة قهراً وظلماً أكبر بآلاف المرات من الآلام التي يتعرضون لها من جراء الطوفانات والزلازل وما إليها ...)) إن رفع الشعارات الهوجاء الداعية إلى إلغاء الدين والحال هذه لا يمكن أن تقبل به الأخلاق الاشتراكية. وبالمثل أيضاً لا يجوز كيل الشتائم والسباب للقيم المختلفة التي يتبناها الشعب ولعاداته وتقاليده الثقافية المختلفة. فهذه الجوانب السلبية، إن كانت كذلك، لا يمكن إلغاؤها والخلاص منها إلا من خلال تغيير طبيعة المجتمع. لا بد للمناضل من ابداء آيات الاحترام لمختلف القيم الإنسانية التي غدت ملكاً للشعب. لا يجوز التساهل مع أي لون من ألوان اللا مبالاة أو مظهر من مظاهر عدم النضج في هذا المجال. من المؤكد أن من الضروري التمسك بالجوانب الإيجابية والمشرقة والمعايير الصحيحة في موضوع الاخلاق. يجب الوقوف في وجه التصرفات وأشكال السلوك الفاسدة التي انتشرت بين الشعب ولكن هذا يجب أن يتم بأشكال مناسبة وبأساليب بناءة. يجب أن يكون الحقد على مثل تلك التصرفات مستمراً ولكن إلغاءها الكامل يجب أن يتم البحث عن الزمن والفرصة المناسبين، أو خلقهما. لابد من التزام مبادئ العدل لدى حل المشاكل التي يعاني منها الشعب، مع تطبيق العدالة الاشتراكية في هذا الميدان. فأفضل أشكال العدالة هي العدالة الاشتراكية. لا بد لنا من معرفة هذه العدالة معرفة جيدة وعميقة. لا يجوز اللجوء إلى أساليب القسر والعنف في أي وقت من الأوقات لدى حل المشاكل التي تظهر بين الشعب، بل لا بد من اتباع أساليب الإقناع في حل هذه التناقضات بما يضمن اجتذاب مختلف الأطراف إلى صف الثورة واقتلاع تلك المشاكل من جذورها.

لعل المسألة الأخرى التي يجب التوقف عندها باهتمام هي مسألة الموقف الذي يجب اتخاذه من أموال الشعب وممتلكاته. لا بد للمناضل من أن يتصرف بحذر بالغ وبحساسة كبيرة إزاء

هذه القيم الشعبية بدون ريب. أما اقتطاع الجزية والخراج من ممتلكات الشعب باسم الثورية وإلحاق الأذى بأمواله فموقف لا يمكن القبول به على الإطلاق. في حين أن المساهمة الطوعية في الثورة من جانب الشعب أساسية. غير أن المساهمات التي يتم الحصول عليها قسراً لا تعبر عن أي مغزى أو قيمة من وجهة نظر نضالنا كما أنها بعيدة عن الأخلاق الاشتراكية.

والموقف اللائق بالثوري في هذا الموضوع هو تأمين مساهمة الشعب ودعمه بدون اللجوء إلى استخدام أساليب الإكراه ضده أو إلحاق الأذى به. تم في الماضي ارتكاب العديد من الأخطاء من قبل البعض حين مورست أعمال بعيدة عن الأخلاق الاشتراكية. نستطيع منذ الآن أن نرى بوضوح مدى فداحة الأخطار والأضرار التي تلحقها مثل هذه المواقف بنضالنا. من الضروري إبداء أعظم قدر من الحذر والانتباه والابتعاد عن ممارسة أية سلبية مهما كانت صغيرة وخصوصاً في هذه المرحلة التي تشهد بداية تطور وانتشار قضيتنا النضالية بين صفوف الجماهير الشعبية من جديد. فتأمين مساهمات الشعب التي هي حاجة ضرورية وحتمية بالنسبة للثورة على أساس طوعي فقط وتحويل الدعم الواعي والطوعي الذي يأتي من الشعب إلى دعم مادي هما من الأمور الضرورية ضرورة قصوى. لا يقف المناضل عند حدود الامتناع عن إلحاق الأذى بالشعب، بكل تأكيد، بل يجب عليه في الوقت نفسه أن يمنع الآخرين من إلحاق مثل هذا الأذى. لا يستطيع أي مناضل أن يبقى لا مبالياً بأشكال السلوك والتصرفات التي تتم تجاه الشعب.

فانعدام المواقف لا يشكل معياراً من معايير الأخلاق الجيدة. غير أن اتخاذ الموقف أيضاً يجب أن يتم بشكل واع وبصورة مناسبة .

إن المواقف السليمة والمنسجمة مع الثورة والحزب والنضال، وتحاشي الحركات والممارسات البعيدة عن قواعد السلوك الصحيح، وإبداء مشاعر الاحترام لأحكام القيم والميول والمثل الثقافية لدى الشعب، كل هذا يشكل سمات لا بد للثوري من أن يتحلى بها. فالمناضل الذي

يريد أن يساهم في تطوير الأخلاق لا بد له من أن يفعل هذا عبر ضرب الأمثلة والاتيان بالتصرفات التي تثير إعجاب الشعب من خلال دفع الشعب إلى تقبل هذه التصرفات عن طريق الإقناع . ولهذا السبب يجب على المناضل أن يجسد في شخصه المعايير الأخلاقية السليمة وأن يكون قدوة لمن هم حوله. كما أن المناضل يعني أفضل من يجسد أفضل مميزات الشعب وباسمه. إنه يكاد يكون جوهر الشعب وخلاصته. ليس غريباً عنه، مخلوقاً عجيباً، بل هو النموذج الأكثر تطوراً ونضجاً. وبصفته هذه يمثل مستقبل الشعب. إنه قائد طليعي يجسد منذ الآن في شخصه المعايير الأخلاقية المتطورة التي سيمتلكها الشعب في المستقبل. ولهذا السبب فإن الشعب يرى مستقبله في شخص المناضل ويبادر إلى الالتفاف حوله والسير وراءه .

لابد للمناضل من أن يصل إلى المميزات التي تمكنه من أن يعكس المستقبل المتطور ومن أن يوضح في شخصه وسلوكه ومن الأن كيف ينبغي لمستقبل الشعب أن يكون. بمعنى يجب عليه أن يكون قادراً على خلق الأخلاق الاشتراكية المستقبلية والقيام بدور الطليعة في هذه القضية. يجب عليه أن يتحلى بهذه المثل الأخلاقية التي تشكل قدوة للرفاق والأصدقاء والمتعاطفين وسائر أبناء الشعب وأن يسعى إلى إقناع المجتمع كله بتبني هذه المعايير الأخلاقية تدريجياً بعد أن يجسدها في شخصه. وبمقدار ما يتحلى المناضل بهذه المثل الأخلاقية يكون قادراً على قيادة الجماهير وعلى أن يمثل الدور الطليعي المنوط به. وإلا فمن المستحيل أن يتمكن من تنفيذ مهماته العظيمة والنبيلة. هذه المميزات والمواصفات التي أتينا على ذكرها حتى الآن هي سمات يمكن أن تؤدي إلى تكون شخصية بالغة القوة لدى المناضل. غير أن هذه ليست كافية وحدها لدفع المناضل إلى ساحة الممارسة العملية النشيطة. صحيح أنها صفات وسمات أساسية وضرورية، غير أنها تبقى بحاجة إلى أن تستكمل بمواصفات ومميزات أخرى. إذن كيف سيتم تجسيد هذه الصفات في المعارك النضالية، وكيف يتوجب على المناضل أن يتصرف في النضال الفعلي، وما هي السمات التي ينبغي له أن يتحلى بها؟ إن المواصفات التي سنتناولها

بعد الآن هي التي ستلقي الضوء على هذه القضايا وستلعب الدور التكميلي في عملية تصليب وضمان سلامة شخصية المناضل.

و– ليس بجبان ولا أناني ، بل شجاع ومستعد للتضحية !

إن الشجاعة ضرورية للمناضل لكي يتمكن من زرع الثقة في الشعب الغارق في هستيريا الخوف نتيجة لأجواء الإرهاب المسعور التي فرضها العدو. لقد تم تحويل المجتمع أو كاد إلى مجتمع للجبناء وبذلت كل الجهود الممكنة بهدف زرع الخوف في كل مكان وجعل كل إنسان يخاف كل إنسان آخر. لقد أقحم الشعب تحت كابوس من الخوف الدائم بحيث أقلع عن الخروج من البيت وامتنع عن الأختلاط بالمجتمع وغدا عاجزاً عن الالتحاق بأية منظمة أو حركة.

من الواضح أن المناضل يحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة والجرأة كي يستطيع التدخل في مثل هذا الوضع. لا بد له من أن يصل إلى مستوى عال من الجرأة في أثناء عمله بين الجماهير. تلك هي الطريقة الوحيدة لتحويل الخوف الذي يلف الجماهير إلى جرأة وشجاعه. غير أن من المفيد أن نتذكر أن الجرأة لا ينبغي أن نفهمها على أنها مفهوم مجرد؛ فالمقصود هنا هو القدوة على السير في طريق إنجاز المهمات الضرورية مهما كان الثمن، وعدم التردد في إنجاز ما يجب إنجازه. ليست (البطولة) العمياء هي المقصود بالجرأة. فالجرأة الثورية هي الصفة التي يجب توفيرها من أجل تحقيق إمكانية تنفيذ المهمات الثورية. مما لا شك فيه أن هذه السمة هي إحدى السمات الأولى لدى المناضلين، ولكن المقصود هنا هو عامل الجرأة والشجاعة الذي يجب تعزيزه وترسيخه لدى الجماهير عبر التعامل معها. فكلام ديمتروف: (لا يكفي إظهار البطولة في معارك الصراع ضد العدو بل يجب إظهارها أيضاً في مختلف الأعمال والنشاطات اليومية)

يوضح مدى أهمية جعل الجرأة سيدة الموقف في سائر جوانب الحياة وعلى مختلف النشاطات والفعاليات. ومن الجدير بالذكر أن هذه ليست سمة يستحيل امتلاكها. فطالما أن المصالح الحيوية للثورة تتطلب الوصول إلى امتلاك مثل هذه الصفة لا بد للفرد من أن يطورها في ذاته

من العبارات الشائعة بين صفوف الشعب عبارة تقول:(إن من الأفضل للإنسان أن يعيش حياة شريفة وجريئة ليوم واحد من أن يظل قابعاً في الكهوف بسبب الخوف أو التخلي عن كل شيء لهذا السبب وحده!). من الواضح أن مثل هذا الكلام دليل على مدى الاحترام الذي تحظى به الجرأة في نظر المجتمع كما على مدى إدانة الجبن والخوف بالمقابل. لا مكان للجبناء في صفوف المجتمع ولا قيمة لهم على الاطلاق. لذا فإن على المناضل الذي يواجه مهمة تنظيم الشعب وقيادته إلى التمرد أن يجعل الجرأة أوضح وأسطع سمات الطبيعة الثورية حتى يتمكن من زرع الاحترام والثقة في نفوس الشعب قبل كل شيء. إن من واجبه، من هذه الناحية أيضاً، أن يكون قادراً على أن يصبح رجلاً شعبياً. وأن ينقض على مواقع العدو بجرأة وشجاعة دون أن يبدي أي مظهر من مظاهر الخوف مهما كان طفيفاً.

إن عنصر الجرأة عند الثوري ضروري أيضاً، ليس للأسباب آنفة الذكر فقط ، بل ولكسر كابوس الخوف المفروض على المجتمع في الوقت نفسه. إذا أخذنا، بشكل خاص، في حسابنا كيف أن العدو يريد أن يصل إلى أهدافه في هذه الأيام عبر فرض الخوف عن طريق ممارسة الإرهاب بشكل منقطع النظير، فإننا نتأكد بشكل أوضح كيف أن عنصر الجرأة لدى المناضل يكتسب أهمية اكبر. أضف إلى ذلك أن الجرأة مطلوبة في سائر الأعمال والنشاطات التي يجب القيام بها اليوم في كردستان. فبدون تطوير عنصر الجرأة والشجاعة يستحيل إزالة الخوف المتراكم عبر مئات السنين والبارز اليوم كالحدبة على ظهر المجتمع. يستطيع الذين تتبعوا تطور حركتنا (حزب العمال الكردستاني) عن كثب أن يروا بوضوح كامل أن الجرأة كانت كامنة وراء كل خطوة من الخطوات التي خطوناها. من الواضح أن التفسخ والانحلال هما اللذان

يظهران حيث تكون الجرأة غائبة. إن الفضل في أن حركتنا حققت هذا المستوى من التطور يعود للخطوات المفعمة بالجرأة والتي تمت خلال أعوام ١٩٧٣و ١٩٧٥ و ١٩٧٨ . واضح أيضاً أن أي تطور لاحق لحزب العمال الكردستاني لن يكون إلا نتيجة لخطوات جريئة أخرى لابد لنا من أن نخطوها على كوادر حركة لها مثل هذا الماضي النضالي أن يجسدوا في أشخاصهم سمة الجرأة التي تتحلى بها منظمتهم كي يكونوا جديرين بذلك الماضي وبهذه المنظمة. عليهم أن يواجهوا مهماتهم بجرأة بالغة وأن يجعلوا الجرأة هي السمة السائدة في جميع تصرفاتهم ونشاطاتهم. لا بد من إبداء ايات الشجاعة في كل الأماكن ومهما كانت الظروف كما لا بد من تحاشي الوقوع في الخوف والفزع لدى مواجهة العدو. يقول ديمتروف: (نعم هذا هو المطلوب! الجرأة ثم الجرأة ثم الجرأة! الجرأة قبل كل شيء! الاندفاع بأقصى قوة رغم كل شيء!) غير أن العلاقة بين الجرأة والخوف يجب ألا يساء فهمها. لا يجوز إبداء (البطولة العمياء) باسم الجرأة. كما أن الجرأة تفترض الانقضاض على العدو بدون خوف، كذلك يجب أن يكون الهجوم على مواقع العدو محسوباً ومخططاً بما يضمن الفائدة للثورة. أما الاسهام في تعزيز الخوف تحت شعار إبداء (البطولة العمياء) فموقف لا يمكن القبول به بشكل قاطع. لا يجوز أن تظهر على المناضل أية مظاهر، مهما كانت طفيفة، تدل على الخوف. يجب أن يكون شخصاً لا يعرف معنى الخوف. إن الفائز في المعارك هو الأكثر جرأة والأشجع والارسخ ثباتاً. ونحن الأن في غمرة معارك طاحنة ضد العدو لا في المجال العسكري فقط بل وفي سائر المجالات الأخرى أيضاً. وانتصارنا في هذه المعارك مرتبط بمدى معرفتنا كيف نقاتل بجرأة، وبمدى شجاعتنا في ساحات الوغى. لذا لا بد للمناضل من أن يصل إلى أعلى مستويات الجرأة. فالطريق المؤدي إلى تنفيذ مهماته يمر من هنا.

إن السمة الأخرى التي يجب أن تتوفر في المناضل إضافة إلى الجرأة هي عنصر الاستعداد للتضحية ونكران الذات. من الواضح أن الجماهير لا تقترب الآن إلا ممن ترى فيه روح التضحية والبذل متأصلة وعميقة الجذور، هذا الذي تبحث عن لتنضم إلى صفوفه. يستطيع

الإنسان المستعد لأن يضحي أن يصبح مركز جذب في المجتمع. فالشخص الذي تكون حياته مرصعة بآيات التضحية والبذل يكون مصدر ثقة بنظر الجماهير. إن ارتفاع مستوى التضحية هو أحد أهم وأقوى الأسلحة لدى المناضل في مجال اجتذاب الجماهير وتنظيمها بالتالي.

ولهذا فإن على المناضل أن يتقن فن استخدام هذا السلاح اتقاناً جيداً.

إن الاستعداد للتضحية ضروري حتى يقدم المناضل كل ما هو منتظر منه في الميدان المادي والمعنوي وحتى يكون ناجحاً في اجتذاب الجماهير واستنهاضها.

وشعور الاستعداد للتضحية والبذل هذا يجب أن يكون أعمق وأقوى في أرض كالأرض الكردستانية بشكل خاص. فالمجتمع لم يألف التضحية ويكاد يكون غريباً عنها. ولهذا فإن القدرة عل زرع هذه الروح في المجتمع تتطلب قبل كل شيء أن يكون المناضل متحلياً بأقصى درجات البذل والتضحية ونكران الذات.

وتصبح ضرورة نكران الذات أكثر وضوحاً إذا أضفنا إلى هذا الواقع ضرورة تحطيم قيود العبودية. غير أن هذا العنصر ما زال ضعيفاً جداً لدى بعض الكوادر كما أثبتت بعض تجارب الماضي. هناك العديد ممن يمتلكون قدراً جيداً من الوعي ولكنهم يترددون عندما يتطلب الموقف نكراناً للذات واستعداداً للتضحية. بل ونراهم أحياناً يثيرون المشاكل والصعوبات أمام التنظيم والرفاق لدى الوصول إلى هذه النقطة. في حين أن من المستحيل على المرء أن يكون ثورياً إلا إذا كان مستعداً لمواجهة الصعوبات وللتضحية ونكران الذات. فالثورية تعني التضحية ونكران الذات في الوقت نفسه. على الفرد أن يتطهر من سائر أسباب الحياة والراحة الشخصية وأن يكرس نفسه كلها للشعب وللثورة وأن يعمل بكل ما لديه من طاقة في سبيل خدمة مصالحهما. وكما قال ديمتروف: ((إن حزبنا بحاجة إلى جنود مستعدين لأن يضحوا بحياتهم عند الضرورة (...)إلى مناضلين مستعدين لبذل كل ما لديهم من وقت وطاقة في

سائر الميادين وفي كل الأماكن، إلى مكافحين شرفاء، جادين، متيقظين وصادقين (....) لا إلى الصحف والنشرات.))

إن لحركة حزب العمال الكردستاني في هذا المجال مناضلين يجسدون في أشخاصهم هذه المميزات ونماذج قيمة ومجربة. وهؤلاء لم يترددوا لحظة واحدة إزاء تقديم أرواحهم لخدمة القضية المقدسة بنكران ذات مثير في سبيل الحزب والشعب، ضاربين أروع أمثلة الفداء والبطولة وأسمى آيات الشجاعة التي ليس لها نظير في ظل أصعب الظروف وأعقدها. على كل مناضل من مناضلي حزب العمال الكردستاني كما على الأصدقاء والمتعاطفين والوطنيين جميعاً أن يكونوا جديرين بروح البطولة ونكران الذات والشجاعة النادرة التي تجسدت في أشخاص العديد من الرفاق الأعزاء وعلى رأسهم شهداؤنا الكبار حقي وصالح ومظلوم وكمال وخيري. لا يمكن الحديث عن النضال الثوري الجدير باسم النضال في كردستان إلا من خلال الوصول إلى هذه السمات والمواصفات.

ز– غير منكمش ، بل مندفع وحماسي :

هناك صفة أخرى للمناضل هي أنه لا يكون في نشاطاته الدعائية والعملية والتنظيمية وغيرها مدافعاً، سلبياً من النمط البطيء والمتأني، بل على النقيض من ذلك، يكون حتى في الأجواء الدفاعية نشيطاً وفعالاً بما يتناسب مع الأحوال ومندفعاً بكثير من الحماس المتدفق.

إننا نعيش حالة من الاندفاع والحماس في سبيل استعادة استقلالنا المفقود بوصفنا أمة ثائرة. نحن في وضع يفرض علينا أن نقوم بأكبر انتفاضة وأقوى حركة تمردية في تاريخنا ضد العدو القومي والاجتماعي. وبوصفنا تنظيماً كنا في الماضي مطالبين بتحقيق أكبر القفزات في أثناء لحظات الولادة. وبهذا المعنى أيضاً يمكن القول ان الثورية تعني الاستعداد للمقاومة. ذلك لأن الثورية في الواقع الكردستاني الملموس مشروطة بالقيام بالاندفاعة آنفة الذكر. أضف إلى ذلك

أن ما هو ضروري وملح عندنا هو أن نصبح مندفعين متحمسين كشعب وككل لا كمجموعة من المناضلين فقط . لأن شعباً لا يستطيع أن يخلق في نفسه الرغبة في التمرد والانقضاض والطاقة المطلوبة لذلك لن يستطيع أن يصنع الثورة. ومثل هذا الاندفاع والحماس ضروري في المراحل الأولى من الثورة كما هي ضرورية ومطلوبة في مراحلها المتقدمة. ومهما كنا الآن في فترة الدفاع الاستراتيجي من نضالنا، فإننا في حركة هجومية في حين أن العدو هو الذي يعيش حالة الدفاع لأننا نحن الذين قمنا وانتفضنا على الاستعمار. من الواضح أن هذا الوضع هو وضع الهجوم تحت شعار الدفاع الذي يتفق مع المرحلة التي نمر بها، بمعنى أنه ليس وضعاً هجومياً مطابقاً لمرحلة الهجوم الاستراتيجي.

إن اندفاعنا وحماسنا نحن ناجمين عن عجزنا عن صنع الثورة وعن الخصوصية والضرورة التي جعلت شعبنا شعباً مندفعاً تاريخياً. ومقابل هذا يزعم بعض صغار البرجوازيين التافهين أن هذه الحالة الاندفاعية المفعمة بالحماس نتيجة (لليسارية، والمغامرة، والتخريب والإرهاب) من الواضح أن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يقفه إلا صغار البرجوازيين التافهين الذين يريدون دوام العمالة والتبعية والعبودية. إن الشعب الذي لا يستطيع اليوم أن يتعلم كيف ينتفض، والمجتمع الذي لا يتمرد ويثور يكون شعباً قد اختار العبودية لا الحياة والاستمرار في الوجود. لا بد لكل فرد من أفراد المجتمع، لكل وطني من أن يصر على الثورة والتمرد. إن شعاره الوحيد هو الاندفاع والاندفاع ومن ثم الاندفاع بحماس ... والهجوم ثم الهجوم ومن ثم الهجوم! هذا هو الموقف الثوري والوطني الوحيد ولا يمكن أن يكون غيره. ولن يرفض الإنسان أن يصل إلى هذا الوضع إلا إذا كان يعاني في أعماقه من بذور العمالة والعبودية العميقة. فالنموذج الوحيد المقبول في كردستان اليوم هو نموذج الشخصية المندفعة بحماس، هو نموذج الشعب الثائر باندفاع!

مسألة الشخصية في كردستان

نستطيع أن نتحدث عن العديد من الأمثلة الرائعة التي خلقها نضالنا في هذا المجال. ومعروفة بشكل خاص تلك النماذج البطولية للمقاومة والحماس والاندفاع التي سطرت في زنزانات المستعمرين. ما أكثر الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم وكانوا نماذج للحماس والاندفاع سواء في مرحلة النضال الايديولوجي، أم في مرحلة النضال السياسي ضد المستعمرين وعملائه وجواسيسه وضد بقايا الاقطاع. إن حلقات المقاومة في كل من هيزل وجزرة إضافة إلى غيرها من حلقات المقاومة التي صنعها كل من حقي وخليل وصالح ودليل وأحمد ومظلوم وخيري وكمال هي الأمثلة الساطعة. لا بد للسلوك الذي تجلى في هذه المناسبات من أن يتحول إلى خصوصية قومية ووطنية عامة. إن وضعية المقاومة والاندفاع التي تجلت بصورة دائمة هناك كانت شرطاً ضرورياً لبناء الأمة من جديد، شرطاً ضرورياً لأن نكون مجتمع المستقبل الذي ينعم بالحرية. كما أن حركات المقاومة هذه في الوقت نفسه كانت اللبنات التي شيد بها صرح حزب العمال الكردستاني. لهذا السبب لا يجوز التخلي عن المقاومة والبقاء في حالة الاندفاع الدائم، كما يجب أن نرى كلاً من الحياة والمقاومة صنوين متلازمين. وقد تمت البرهنة على الإيمان بهذا المبدأ في الزنزانات بوضوح تام ويجري الآن إثبات ذلك خارجها. طوال الفترة الماضية عشنا وضعية الهجوم بصورة دائمة في جميع الميادين ولم نتوقف لحظة عن الاندفاع المفعم بالحماس في سائر مجالات الدعاية والتحريض والتنظيم والعمليات. تلك هي الميزة التي أوصلتنا إلى عتبة المرحلة التي نقف عليها اليوم. ما من فترة شهدت تخلياً عن المقاومة والاندفاع كما يتضح من الأمثلة الكثيرة التي ترصع تاريخ حزب العمال الكردستاني أيضاً، لأن هذه الصفة هي من الصفات الملائمة للمرحلة بالنسبة للشعب في الوقت نفسه. لا بد لأي مناضل ثوري من أن يتحلى بهذه الصفة.

على المناضل في عمله أن يكون دوماً في وضعية المقاومة والهجوم. لا يجوز أن يكون بطيئاً كسولاً من النمط الذي يكتفي بالاصغاء والسير خلف الأحداث. لا يجوز له أن يبقى أصم إزاء القضايا المطروحة. من المستحيل على أولئك الذين يمضون أكثر أوقاتهم وهم نائمون ولا

يفعلون شيئاً خلال ثلاثة أرباع الوقت المتوفر لهم أن يصبحوا مناضلين. يعني أن المناضل هو الشخص الذي يصارع ذاته ومن هم حوله وينقض بحماس القضايا على القضايا التي تواجهه لحلها قبل كل شيء. لقد ظهر عندنا جنباً الى جنب مع النماذج الإيجابية الكثيرة عدد لا يستهان به من الأشخاص الكسالى الغارقين في أوحال السلبية والبعيدين كل البعد عن النضال ضد الذات واللامبالين إلى أقصى الحدود. هؤلاء هم المانيلوفيون الذين ظهروا عندنا في كردستان مقابل (المانيلوفيين) الذين انتقدهم لينين أثناءالثورة الروسية. من الواضح أن أمثال هؤلاء اللامبالين لا يمكن أن يصبحوا مناضلين. إنهم لن يكونوا إلا مجموعة من العجزة والمساكين الغارقين في مستنقع السلبية نتيجة لظروف الاستعمار وبقايا الاقطاع والعصر الوسيط. لا يمكن لأي مناضل أن يقبل بهذه الصفة. قد يسقط أحد الناس العادين من عامة الشعب في مثل هذا المستنقع، وقد يستطيع القبول بتمضية الوقت متوكلا، قائلاً (سأنال ما قدر لي !) . بل وقد يستطيع أن يعيش بلا مقاومة. غير أن المناضل من المستحيل أن يكون بهذه الصورة. فهو الشخص الذي يصنع الغضب ويثير الحقد ويخطط للثورة والاندفاع والمقاومة ضد جميع هذه الصفات السلبية؛ إنه الشخص الذي يستطيع أن ينتقل إلى مواقع الهجوم ويكون طليعة للمجتمع بفضل الميزات الإيجابية التي يتحلى بها.

يستطيع المناضل من خلال البقاء في ساحة النضال أن يصبح فعالاً بعد أن كان سلبياً مقاوماً عنيداً بعد أن كانت تنقصه روح المقاومة، مهاجماً بعد أن كان في مواقع الدفاع. وهو يفعل هذا كله ليتقدم نحو المسائل المطروحة. إنه مضطر لأن يكون هكذا في كل الميادين ولدى الاندفاع نحو العدو وفي أثناء التقدم على طريق التنظيم وخلال القيام بحل مختلف المسائل والمشاكل التي تواجهه. لا بد للمناضل، باختصار، من أن يكون من النموذج المندفع المتحمس.

س– إنه يتقن الجمع بين المرونة والصلابة !

هناك ميزة أخرى يمتاز بها المناضل هي أنه يتقن فن الجمع بين المرونة والصلابة. على المناضل أن يعرف كيف يجسد وبشكل جيد كلاً من الصلابة والمرونة في مختلف نشاطاته جميعاً ولا سيما في ممارسته السياسية والعملياتية كما في الفعاليات اليومية سواء داخل الحزب أم خارجه. ففي الوقت الذي يجب أن يعرف كيف يكون مرناً في العديد من المواضيع يجب أن يعرف أيضاً كيف يكون صلباً في العديد من المواضيع الأخرى.

لم تتطور المرونة في مجتمعنا نحن كثيراً. فالظروف الاجتماعية تحصر الناس في إطار بنية تتصف بالحدود القصوى من الألم والخيبة والانطواء. إنها بنية هشة قابلة للانهيار بمجرد اللمس. إن النموذج السائد في مجتمعنا ليس هو النموذج المتحفز والمرن كالنابض، بل هو النموذج القاسي والصلب المعرض للكسر بسرعة. إنه أميل إلى الحرد والعبوس والاستياء أو إلى اللامبالاة وانعدام الخجل. لاشك أن انعدام الخجل من الصفات السيئة للغاية. غير أن اتقان فن استخدام المرونة في الكثير من المواقف وتطويرها أمر إيجابي لا غنى عنه بالنسبة للفرد. إن لإتقان فن استخدام المرونة أهمية كبيرة جداً في الواقع الكردستاني لأن هذا الواقع مثقل ببنية شديدة التعقيد فيما يتعلق بموضوع المرونة، ولأن التاريخ أيضاً مملوء بالسلبيات الناجمة عن انعدام المرونة، حيث انهارت البنى وتحطمت بمختلف الأشكال، ولأن ذلك كله انعكس على الشخصية بصورة بالغة التشويه والتعقيد والاختلاط. فكون الصلابة، لا المرونة، هي التي توفرت لها فرصة التطور في المجتمع ينعكس بكثافة في حياة الحزب الداخلية أيضاً. إنه موقف ينعكس أيضاً على تصرفات الكوادر الذين جاؤوا من أعماق البنية الاجتماعية للبلاد، ولهذا يكتسب اتقان فن المرونة أهمية كبيرة في سائر النشاطات الايديولوجية – السياسية والتنظيمية. إن المرونة تعني تحاشي الانفعال المباشر والمبادرة إلى التحطيم، تحاشي إظهار رد الفعل بسرعة، تحاشي الصراع مع الأشخاص لأسباب تافهة، والقدرة على إبداء مستوى عال من النضج في التصرفات والسلوك. كما أن المرونة تنطوي على العمق في التفكير وسعة الصدر والقدرة على منع حدوث الأزمات واندفاع البعض للقيام ببعض الاعمال الهدامة التي لا طائل وراءها.

ونظراً لأن المناضل يستطيع بالاستناد إلى هذه الصفة أن يقوم بالكثير من الأعمال في المجتمع، يجب عليه أن يخضع لمتطلباتها ومستلزماتها.

أما الصفة التي تقابل المرونة فهي الصلابة. هناك أمور تتطلب الصلابة ولا يجوز إبداء أية مرونة تجاهها. هناك لحظات حاسمة مثلاً لا بد للمناضل فيها إلا أن يتخذ موقفاً صلباً وحاسماً تماماً مثل لحظات القيام بعملية ما، لحظات ترجمة إحدى المبادئ الأساسية للحزب في الحياة والخ ... غير أن هذه الصلابة يجب أن تكون صلابة تقود إلى النصر الحاسم إلى النجاح في تنفيذ المهمة، لا صلابة تجر معها الخيبة والاخفاق في تنفيذ المهمة وزيادة تعقيد الموقف.

على المناضل أن يجمع في كيانه كلاً من صفتي المرونة والصلابة. غير أن عليه في الوقت نفسه أن يعرف أين وكيف يمارسهما بشكل صحيح. في الماضي غرق بعضهم في ما يشبه الآغوية باسم الصلابة في حين انزلق آخرون في طريق اللا مبالاة الليبرالية المتسيبة تحت اسم المرونة. غير أن مما ينبغي أن يكون معروفاً جيداً هو واقع أن الوجه الآخر للمرونة الناجحة والجيدة هو الصلابة. والصلابة هذه لا تعني إلا حل القضايا التي يتعذر حلها بالمرونة عبر القسوة، ولهذا السبب لا بد للمناضل من أن يعرف جيداً كيف وأين يستخدم كلاً من المرونة والصلابة. ولهذه الصفة أهمية قصوى بالنسبة لكل مناضل .

كما تأكد عبر تجاربنا السابقة أيضاً هناك الكثير من النماذج عندنا من الذين لا يستطيعون أن يتعايشوا مع رفاقهم داخل الحزب ناهيك عن التعايش مع القوى التي هي خارج الحزب. فهم إما أن يكونوا أصلب مما ينبغي أو أن يتصرفوا بمرونة تصل إلى حدود الميوعة. فإحدهم إما أن يكن الحقد لرفيقه ويحاول أن يتسبب له بالعثرات مع الميل إلى التخلي عنه لمجرد هفوة بسيطة، أو يغرق في الليبرالية فيغدو عاملاً على نشر العلاقات اللامسؤولة (علاقات المودة) مما يجعله يتحاشى توجيه أي نقد لصديقه القديم أو أحد أقربائه ويغض النظر عن أخطائه.

إن الموقفين كليهما ينطويان على الكثير من الأضرار بالنسبة لحزب البروليتاريا. على المناضل أن يعرف كيف يقطع صيلاته بمن يتأكد من أنهم يلحقون الأذى بالمصالح البروليتارية كما يجب أن يعرف كيف يبقي على صلات ودية مع جميع الذين يمكن أن يستفيد منهم لخدمة هذه المصالح . غير أنه يجب أن يحذر من إتباع الأسلوب نفسه في كل الأوقات والظروف. يجب عليه أن يكون مبدعاً وخلاقاً في هذا المجال. وكما قال لينين: ((من العبث أن نهتدي إلى وصفة صالحة لكل المشاكل والمواقف، فليس هناك قانون عام ينطبق على جميع الحالات (بدون أن يخيب أبداً) . لا بد من تشغيل الفكر والدماغ للاهتداء إلى الطريق الصحيح في كل موقف من المواقف)) و (ضرورة تشغيل الفكر والدماغ) ضرورة قصوى بالنسبة للمناضل وخصوصاً في كردستان حيث الاوضاع معقدة جداً وحيث يجري تعكير الاجواء أكثر فأكثر من قبل المستعمرين وعملائهم من جهة ومن قبل صغار البرجوازيين من الاصلاحيين والشوفينيين الاجتماعيين من جهة الثانية وحيث لا تظهر الطبقات بهوياتها الحقيقية على مسرح الواقع. إن انقسام مجتمعنا إلى مجموعات مختلفة يفرض عل حزب البروليتاريا أن يتوصل إلى اتفاقات وتحالفات مؤقتة مع القطاعات المختلفة عبر طرق وأساليب متعرجة وملتوية. وتحقيق مثل هذه المهمة يتطلب من المناضلين أن يتصرفوا بما ينسجم مع قواعد المرونة. هناك قوى يجب التحالف معها والإفادة منها في أثناء عملية الثورة، كما أن هناك قوى لا يجوز التحالف معها. والتفريق بينهما بشكل صحيح والتعامل معهما وفقاً لذلك يكتسب أهمية كبيرة. إن الثورة الروسية ملأى بالدروس في هذا المجال. يقول لينين عن التحالفات والاتفاقات بين المناشفة والبلاشفة ما يلي: ((إن انتصار البلاشفة عل المناشفة تطلب السير في طرق متعرجة واتباع تكتيك التحالف والاتفاق ليس قبل ثورة أكتوبر ١٩١٧ فقط بل وبعدها أيضاً؛ ومن المؤكد أن تلك التحالفات والاتفاقات كانت تحالفات واتفاقات لضمان انتصار البلاشفة ولجعله أسهل وتكتيكات لغير صالح المناشفة .)) إن حزب البروليتاريا، كما يفهم من هذا الكلام، لا يرفض أي تحالف أو تفاهم يخدم مصالحه. وإلا فمن غير الممكن تحقيق

النصر. فرفض المرونة في هذا المجال والوقوف ضد الاتفاقات والمساومات يؤدي إلى إضعاف تأثير النضال الثوري ويعيق تطوره.

ولهذه المسألة أهمية أكثر إلحاحاً لعدم تطور المرونة تطوراً كافياً لدى كوادرنا في ظروفنا القائمة. إن الوقوع في (اليسارية)أو (الليبرالية) نتيجة لعدم توفر المرونة الكافية ينطوي على الأضرار بالنسبة للنضال.

على المناضل أن يتقن فن السير والتقدم مع بعض القوى خارج الحزب كما داخله. فكما اتضح من تجارب الثورة الروسية تمكن لينين من ضمان مستقبل الثورة عبر الإفادة من بعض القوى الخارجية والسير معها قدر الإمكان ناهيك عن القوى الموجودة داخل البلاد. في حين أن الوضع الذي كثيراً ما نصادفه عندنا هو بروز الانقسامات والخلافات منذ الخطوات الأولى التي تتم في أعقاب التحالف والاتفاق مع القوى الأخرى، إن المناضل بعيد عن أن يكون واسع الصدر صبوراً في هذا الموضوع. فهو يعاني من الصعوبات والمشاكل إزاء التعايش والسير مع رفاقه بالذات ناهيك عن اتقان فن مسايرة القوى الأخرى والتعامل معها. أما الخلاص من هذا النقص فلا يعني البتة التصرف بليبرالية وغض النظر عن النواقص والعيوب بهدف الإبقاء على الوحدة وضمان عدم الانقسام. يجب السير مع أولئك الذين يعقد الأمل على أنهم يمكن أن يسيروا في خط إيجابي حتى النهاية، مع ترك الذين وصلوا إلى نهاية الطريق أحراراً وإعطائهم الجواب الذي استحقوه.

وبالشكل نفسه لا بد من تقييم الموقف الموضوعي القائم لدى السير في طريق الاتفاق والتفاهم مع الآخرين، والتحرك بما يتفق مع الظروف. إن القضية تبقى هكذا أيضاً بالنسبة للصراع مع العدو. فالمنظمة المرنة التي لا تتوه حتى في أصعب الظروف وأعقدها هي التي تعرف كيف تلحق الهزيمة بالعدو. لقد قدم لينين صورة بالغة الوضوح حول إبداء المستوى المطلوب من المرونة وحول الموافقة على الدخول في المعارك مع العدو أو عدمه حين قال :(إن

القبول بدخول المعركة حين تكون ملائمة تماماً للعدو وغير ملائمة لنا بشكل واضح جريمة لا تغتفر، وسياسيي الطبقة الثورية الذين لا يعرفون كيف يلجؤون إلى اتباع الأساليب المتعرجة وعقد الاتفاقات والتحالفات والمساومات المختلفة بغية تحاشي المعركة التي لا تكون ملائمة لنا، لا يساوون شيئاً.)

ذلك يعني أن على المناضل الثوري أن يمتلك الكفاءة التي تؤهله لأن يبدي المرونة أو الصلابة المطلوبة عبر أخذ الظروف والشروط بنظر الاعتبار. وبمقدار ما ينجح في ذلك يستطيع أن يساهم في تطور النضال مساهمة أكبر من خلال الإفادة من طاقة الجميع بمن فيهم (الأصدقاء الأقل بعثاً على الثقة).

ع – إنه يقظ وحساس وموزون في حساباته !

من صفات المناضل أيضاً أن يكون دقيقاً وحساساً ومتزناً. فالدقة تعني إبقاء الوعي مستنفراً بصورة دائمة والحساسية تعني الحذر واليقظة الدائمين بوعي. بمعنى أن الوعي يجب أن يبقى دائماً رهن الإشارة. فعلى المناضل أن يظل مستعداً في جو من الدقة والحساسية الدائمتين للتعامل مع الأفكار المتعلقة بالايديولوجية والسياسية والتنظيم. كما لا بد من اليقظة إزاء كل تطور ممكن في هذه المجالات مع إبقاء الوعي مستنفراً وتحريكه مباشرة.

إن مجتمعنا محروم من الدقة والحساسية. ففي ظل كابوس الاستعمار الثقيل تعرضت الدقة للسحق وتوفرت ظروف النمو لانعدام الاحساس حتى تحول مجتمعنا إلى جماعة من الصم والبكم، كما غدا إنساناً كائناً لا يشعر ولا يحس مثل تابع يدور في فلك غيره. من المؤكد أن من يكون في وضع كهذا لا يستطيع أن يفكر بشكل جيد كما لا يستطيع أن يمارس السياسة والتنظيم بشكل سليم. في حين أننا لدى النظر إلى الناس في البلدان الرأسمالية والاشتراكية

المتطورة نرى أنهم متيقظون مثل الذئاب بشكل واضح. وهذا دليل على مدى تطور أولئك الناس. في حين أن الوضع الذي نراه عندنا هو الدليل عل مدى التخلف.

من الواضح أن هذا الوضع لا بد له من أن ينعكس على الكوادر القادمين من قلب مثل هذه البنية بل وسيتجلى لدى البعض بأكثر أشكاله بروزاً. ويبرز الأمر أكثر الأحيان على شكل الحياء أو لا مبالاة بما يجري من تطورات في المحيط، على شكل العجز عن متابعة القضايا التي يكون الانسان مسؤولاً عنها. وعلى شكل العجز عن حماية التنظيم إزاء الأخطار التي تتهدده. واضح أن من يكون بلا حساسية وبلا دقة في هذه المجالات لن يكون قادراً على تأمين النصر في الميادين الايديولوجية والسياسية والتنظيمية. في حين يجب على المناضل أن يحمل رأساً متوتراً كالنابض ووعياً متقداً دائماً وأعصاباً مستعدة للعمل والانطلاق كالسهام في كل لحظة. هكذا فإن المناضل سيكون قادراً على الانتباه إلى الأحداث والظواهر التي تتم داخل الحزب وخارجه وعلى اتخاذ الموقف العلمي الصحيح منها ليبادر إلى التدخل عند الحاجة. تلك هي الصفات التي تستطيع أن تفتح أمامه طريق النصر.

في اثناء نضالاتنا السابقة تعرضنا للكثير من الخسائر بسبب غياب الدقة والحساسية. ونستطيع أن نورد عدداً كبيراً جداً من الامثلة على ذلك، من الممكن القول أن تسعين بالمئة من خسائرنا كانت ناجمة عن انعدام الدقة والحساسية. لا شك ان ذلك كان ايضاً نتيجة عدم الالتزام بالانضباط . من الواضح ان الاشخاص الذين لا يتحلون بالدقة والحساسية معرضون لإضاعة الكثير من الفرص الثمينة. وهؤلاء لا يقفون عند حدود الحاق الضرر بأنفسهم بل ويتجاوزون ذلك إلى إلحاق الاذى ايضاً بمنظماتهم ورفاقهم. إن امثال هؤلاء هم قبل كل شيء خطرون ويبعثون على الريبة. يستحيل على الكادر أن يكون بهذه الصفة، فهو لا يستطيع أن ينحدر إلى درك انعدام الحساسية والحذر. لذا لا بد له من الاستمرار بدأب على تطوير

الحساسية والدقة. إن التحلي بصفات الدقة والحذر والحساسية الدائمة في مثل هذه الظروف هو من سمات الكادر الجيد، لابد لقوة الكادر ان تتحلى بوضوح في هذا المجال ايضاً.

يكون الكادر الدقيق والحساس متيقظاً لا يقع في المطبات ويحبط مؤامرات العدو. أما ذلك الذي تنقصه الدقة والحساسية فيظل معرضاً للوقوع في مصائد العدو المرة بعد الاخرى. لابد للكادر الثوري من ان يبقى متيقظاً باستمرار. لابد له من أن يكون قادراً على احباط الاعيب العدو ومؤامراته. يجب الا ننسى ان هذا الكادر يصل إلى صفة البعد عن إمكانية الوقوع في المطبات بمقدار ما يكون حساساً ودقيقاً إزاء الاعيب العدو ومخططاته. تعرضنا في الماضي للكثير من الخسائر نتيجة لضياع بعض الكوادر ولعدم يقظتهم ووقوعهم بالتالي في المطبات. ومن المعروف اننا اضعنا الكثير من الفرص الثمينة نتيجة لذلك. لم يتم الانتباه إلى الكثير من التطورات الجارية لغير صالح الحركة الثورية نتيجة القصور في الوعي. وتناول المسائل بقدر غير كاف من الحساسية والدقة او بسبب الوقوع في الافخاخ التي نصبها البوليس او العملاء او حتى صغار البروجوازيين وامثالهم. يكون تضليل هذه النماذج من الامور السهلة للغاية، تلك هي الاسباب التي تجعلهم يصدقون كلام الاخرين والاعداء وعملائهم. هناك انماط لو فكروا قليلاً لعرفوا انهم معرضون لا محالة للوقوع في مصيدة العدو إذا ما تابعوا السير على خط معين غير أنهم تسببوا في تبديد الكثير من الإمكانيات والطاقات نتيجة افتقادهم للحساسية والدقة. يجب ان نتذكر دوماً: ((أن انعدام اليقظة (الحساسية والدقة) لدى الثوريين كان دوماً أفضل العوامل المساعدة للبوليس (أي للعدو) .))

تتطلب الدقة والحساسية في الوقت نفسه أن يكون التصرف تصرفاً متزناً ومدروساً. وبالشكل ذاته لا يمكن تحقيق الاتزان الا عبر التحلي بالحساسية والدقة. ذلك لان الذي يكون عديم الحساسية والدقة في سائر المجالات لن يعرف كيف يكون متزناً. فالذي لا يعرف ما يجب القيام به في المكان والزمان المناسبين يستحيل عليه أن يتحلى بصفة الاتزان. على المناضل أن

يكون رجلاً يعتمد على الحسابات في سائر الميادين. لا بد له في أثناء بناء التنظيم وتطوير العمليات وتوجيه الذين يتعامل معهم ويكلفهم بالمهمات والخ ... من أن يقيم الامكانيات بصورة جيدة ومن أن يستند إلى معايير دقيقة، ونجاحه في هذا كله مرتبط بمدى تحليه بسمات الحساسية والدقة. ولدى إلقاء نظرة سريعة على ماضينا سنرى كم من المرات تم العمل بدون حسابات بل وتمت حتى إضاعة المعايير والمقاييس في الكثير من الاحيان، لهذا ايضاً اسبابه الاجتماعية بطبيعة الحال، فالناس عندنا لا يستطيعون أن يتصرفوا تصرفات محسوبة أو أن يكونوا متزنين. يكاد المجتمع يكون بلا معايير أو مقاييس. غير أن هذا الوضع لا يمكن أن يبرر للمناضل بعده عن الاتزان وتخليه عن المعايير والحسابات، أنه مطالب في هذا الميدان أيضاً كغيره من الميادين أن يكون طليعة للمجتمع يعلمه كيف يتمسك بالمعايير. لذا لابد للمناضلين من ان يكونوا متزنين ومن أن يعرفوا كيف وأين يقدمون على هذه الخطوة أو تلك.

أن المناضل الحساس والدقيق لا يقع في المطبات ويحمي نفسه ومنظمته من الاخطار، كما يعرف التدابير الاحتياطية المضادة التي يجب اتخاذها والمعايير التي لا بد من اخذها بنظر الاعتبار، أن الذي يتمكن من تجسيد كل هذه المواصفات في شخصه يقترب اكثر فأكثر من موقع المناضل الجيد والنموذجي وفي هذه المرحلة التي يعيشها بصورة خاصة لا بد لكل عضو في حزب العمال الكردستاني من أن يتوصل إلى امتلاك هذه المواصفات كي نتمكن من اجتياز العقبات الكثيرة والمعقدة التي تقف في طريقنا في سائر المجالات المختلفة.

ف – إنه باحث ومدقق في التعلم !

يكون المناضل الواعي باحثاً ومدققاً محللاً في الوقت نفسه. لا يمكن للوعي أن يتكون وحده بل ولا يمكن إغناؤه إلا من خلال البحث والتحليل.

ولابد للمناضل من ان يتخذ التعلم والبحث الذي هو اسلوبه صفة اساسية من صفاته. ولدى تحليله للوقائع يجب عليه ان يطور باستمرار معرفته العميقة للحقيقة. يجب عليه الا يكتفي بالقوالب ويصر عل تعلم التطور حتى الجذور وان يبدي صفات البحث والتحليل العميقين في تعامله مع سائر المواضيع القومية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، أن المرء يستطيع ان يحيط بهذه الموضوعات عن طريق البحث والتحليل، أما التطور اللاحق للوعي وزيادة كفاءته فلا يكون إلا نتيجة لهذه الصفة. لو لم يجري بحث وتحليل قويين في الماضي لما ظهرت حركة حزب العمال الكردستاني. فقد ولد حزب العمال الكردستاني بعد تحليل الظروف القومية والاجتماعية لكردستان في ضوء الماركسية – اللينينية تحليلاً معمقاً، هذه الحقيقة نعرفها جميعاً. إن البحث العميق هو الذي يؤدي إلى ظهور الروح النضالية السليمة، لعل الفضل في بلوغ العديد من الرفاق وعلى رأسهم الرفيق مظلوم دوغان إلى مستوى الثوري الرائع والممتاز يكمن في صفة القراءة والتعلم. صفة الميل الشديد إلى البحث والتحليل التي كان يتحلى بها. وفي هذا المجال يحتل الرفيق مظلوم مكانة مرموقة وممتازة إلى اقصى الحدود. فالحياة العملية التي دامت لفترة قصيرة جداً من الزمن للرفيق مظلوم تتجسد أمامنا كل لحظة ونرى هذا الجانب من شخصيته الفذة بوضوح. إنه يفرض علينا وجوده بصفته الشيوعية الواضحة جداً بشكل لم يسبق له مثل، بصفته التي تحتاج إليها كردستان امس الحاجة، بصفته الشيوعية الحقيقة المستندة إلى التحلي بروح البحث والتحليل، لقد كان خميرة الوعي بالنسبة للمقاومة، كان ممثلاً لنمط من التفكير حطم الارقام في دراسة الماركسية إذ كان يقرأ اكثر من خمس مئة صفحة في اليوم. نعم، ذلك هو الواقع الذي يكمن وراء ارتفاع الرفيق مظلوم إلى المستوى الثوري الرائع.

إنها لصفة يجب على كل مناضل ان يبذل الجهود المكثفة في سبيل الوصول إليها والتحلي بها. من الواضح إن القدرة على مواجهة المهمات الصعبة جداً التي تفرضها المرحلة مشروطة بثورية

ممتازة لن تكون ممكنة إلا عبر التحلي بمثل هذه الصفة. ولهذا فإن على كل مناضل أن يصل إلى امتلاك هذه الصفة بالذات.

عليه الا يكتفي بالاطلاع على الوقائع والاحداث مجرد اطلاع سطحي، بل أن يدرسها بكل عمق ومن جميع جوانبها مما يفرض عليه بالتالي ان يصبح باحثاً ومحللاً جيداً. ويجب على المناضل ان يظل دائباً على تطوير وتعزيز هذه الصفة عبر الافادة من ابسط الامكانيات مهما كانت الظروف. إن سلوك العديد من الرفاق الاعزاء في العديد من الميادين والساحات وعلى رأسها زنزانات المستعمرين يشكل نموذجاً يحتذى به فهؤلاء لم يتوقفوا قط عن التعلم والبحث والتحليل في ظل اصعب الظروف وانعدام ابسط الامكانيات. إن كلام ديمتروف الذي يقدم مثالاً ممتازاً في هذا المجال يبين وضوح كامل كيف يجب ان يكون الشيوعي. وقد صرح ديمتروف بكلامه هذا بعد خروجه من غرف تعذيب الفاشية الألمانية، وفي تلك الفترة كانت مسألة ما إذا سيبقى حياً ام لا غير محسوبة. بل وكان احتمال إطلاق سراحه احتمالاً بالغ الضعف. لقد قدم الجواب التالي للصحفي الذي سأله عن الكيفية التي تحمل بها التعذيب؟ كيف استطاع أن يبقى نشيطاً وقوياً إلى يوم المحاكمة؟ وكيف استطاع ان يستمر في مقاومته؟ ((لا يترك البلشفي الثوري نفسه للموت كما تعلم بل يظل مصراً على العيش والنضال في كل الظروف. ومن يكون مسلحاً بمثل هذه الفكرة يستطيع أن يحتمل اقس المظالم وافظعها. لابد من الافادة من اوقات الفراغ في السجون وفي القيود لا الصمود فقط حتى النهاية ... انظر هذه هي الملاحظات والاقتباسات التي سجلتها في اثناء مطالعاتي في السجن، كنت اعمل مدة عشر ساعات يومياً وانا هناك !)).

نعم لا بد لمثل هذه الروح التواقة إلى البحث والمعرفة ان تصبح ميزة لاغنى عنها بالنسبة لكل مناضل مهما كانت الظروف والشروط وبمقدار ما يتمكن من التحلي بهذه الصفة يكون اقدر على المشاركة في النضال والكفاح بشكل اقوى في كل مرة جديدة.

ص – إنه مبدع وخلاق لا يقبل بالقوالب!

يشكل الابداع احدى السمات الهامة التي يتحلى بها المناضل وهذه السمة تشكل احد العوامل الاساسية للنجاح في عمل الفرد.

هناك امم وشخصيات عظيمة في ميدان الابداع والخلق سواء في العالم الرأسمالي أم في العالم الاشتراكي. غير ان الامور تبدي قدراً كبيراً من الاختلاف لدى النظر إليها من خلال المنظار الكردستاني. أن الكثير من الاشياء في كردستان بعيدة عن ان تكون نتائج الجهد الخلاق، فالسائد هو النقل والتكرار لا الخلق والابداع. فالاستعمار الذي يعيق تطور أي شكل من اشكال الابداع والخلق بالاستناد إلى الهيمنة الايديولوجية والسياسية التي يفرضها والاجواء الثقافية التي يقحمها بالقوة. هو الذي سد الطريق أمام كل اشكال الخلق والابداع في الظروف الاجتماعية البائسة المضافة إلى بقايا العصور الوسطى. واستطاع هذا الواقع ان يؤثر على الكوادر ويبعدهم ولو إلى حدود معينة إلى خارج دائرة الابداع والخلق. فالكوادر الذين تحولوا إلى مايشبه الببغاوات التي تكرر الكلام بدلا من ان يكونوا مبدعين في ميدان الوعي، والذين يخططون الشعارات بدلا من تطوير الآفاق الايديولوجية والسياسية، والذين يكتسبون الصفات الشكلية بدلاً من الغوص في الاعماق بحثاً عن جواهر الاشياء في المفاهيم هم الذين نجدهم بكثرة عندنا. حتى في التنظيم نرى اناساً يميلون إلى تبني التنظيمات العشائرية الجاهزة بدلا من البحث والوصول إلى إبداع الأشكال التنظيمية المناسبة للثورة. بل إن هناك من يسعى إلى تدمير ماهو موجود ناهيك عن العمل في سبيل إبداع وخلق ماهو جديد، باختصار نقول ان هناك نقصاً في الابداع في جميع المجالات وان ماهو سائد هو التكرار.

إننا اليوم اكثر حاجة من اية امة او شعب آخر في العالم إلى الابداع والخلق. ذلك لأن كل شيء عندنا، من قمة الرأس إلى الحمص القدم، بحاجة ماسة إلى إعادة الخلق من جديد. إن القيم التي تم التوصل إليها عن طريق الابداع نادرة جداً عندنا، وبالمقابل نجد أن السلبيات

كثيرة جداً تكاد الأمور كلها تكون مغطاة بستار من السلبية. لهذا السبب نجدنا اليوم مضطرين لأن نعيد خلق أنفسنا في كل المجالات بدءاً بالثقافة وانتهاء بالتنظيم. وتتطلب مثل هذه العملية قدراً كبيراً من الكفاءة الابداعية الخارقة للعادة لدى طلائع المجتمع ومناضليه.

ذلك لأن عملية الابداع عندنا لا يمكن تطويرها وفق الاساليب المكررة القديمة بل لابد لذلك من تسجيل التطورات التي لم يسبق لها مثيل.

ماهي عملية إعادة الخلقة عندنا؟ أن هذه العملية تتجسد اليوم في الممارسة العملية لحزب العمال الكردستاني على النحو التالي: إعادة بناء التنظيم، خلق الدعاية المسلحة، خلق العمل الفدائي، الوصول إلى بناء حزب فولاذي جماهيري تمهيداً لبناء الجبهة الوطنية والقومية المنظمة، خلق جيش الشعب، والعمل على الحاق الهزيمة بالعدو لبناء مجتمع حر وديمقراطي، وتحقيق التطورات العلمية على هذا الاساس، ميلاد الثقافة من جديد، وظهور الاشكال الجديدة للسلوك والاخلاق في إطار المجتمع ككل، ذلك كله تعبير عن إعادة الخلق العظيمة لكل شيء عندنا ويتطلب هذا في الوقت نفسه وبشكل حتمي ان تتم عملية إعادة خلق موازية في الشخصية أيضاً. إن الابتعاد عن النقل والتكرار، والعمل الدؤوب لتحقيق التطور الدائم للفكر الابداعي والسلوك الخلاق هما الطريق الوحيد لتطوير الإنسان الكردستاني القزم وتحويله إلى عملاق.

لابد للمناضل من أن يكون مبدعاً وخلاقاً، لابد للابداع من ان يلقى من يحييه كل يوم وكل ساعة ويأخذ بيده حتى ينمو ويزدهر. لا بد للمناضل من أن يسطر ملحمة ابداعية كبيرة وعظيمة من خلال نشاطاته وفعالياته وفي اعماق ذاته سواء بين صفوف الشعب ام في شخصيته هو بالذات كما لو كان يحلق فوق القمم الشامخة ومثل هذه العملية تستلزم بالضرورة قدراً كافياً من التطور في سائر المجالات الايديولوجية والسياسية والتنظيمية والعملياتية.

إن عملية الابداع هي في الاساس العملية التي استند إليها حزبنا منذ البداية وعاشها في سائر الميادين وطورها وقام بتدعيمها وتعزيزها. ينبغي لهذه الصفة أن تنعكس أيضاً على الشخصيات بصورة جيدة. لابد للمناضل من تمثل هذه السمة تمثلاً جيداً جداً ومن ان يبذل جهوداً خارقة للعادة ليكون قادراً على تأمين مستلزماتها المستقبلية بأفضل الاشكال.

ض – أنه يعمل بشكل مخطط لا بصورة عفوية !

من الصفات الاخرى التي تميز المناضل عن غيره هي كونه رجلاً يعمل بشكل مخطط ولا يتحرك بصورة عفوية بدون تفكير. لكي يستطيع المناضل أن يرفع انتاجية قوة عمله إلى الحدود القصوى وان يقطع المسافات الطويلة خلال فترة قصيرة ، وان يصل إلى اهدافه المحددة لا بد له من ان يخضع حياته وعمله للتخطيط الصارم والبرمجة الدقيقة. وهو، لهذا السبب، مضطر لان يبرمج نشاطاته واعماله ويخطط لها بصورة مسبقة.

أن قوة التخطيط لدى الشعب الكردستاني ليست متطورة، فنحن نرى الفوضى ومظاهر العفوية منتشرة في كل مكان. لهذا فإن زيادة قوة التخطيط لدى المناضل وتطوير هذه الصفة عنده اكثر فأكثر يكتسبان قدراً اكبر من الأهمية.

ذلك هو الرد الوحيد على انعدام التخطيط عند الشعب. فالانسان العادي في المجتمع بلا تخطيط او برمجة، ليست لديه اية برامج يمكنه ان يسير عليها مما يجعله دائم الاضطراب والقلق وبالتالي فريسة سهلة، اما المناضل الذي يتحمل مسؤولية وجود شعب بأكمله فمضطر لان يخضع تحركاته واعماله كلها للبرمجة والتخطيط الدقيقين في ظل ظروف الإرهاب المسعور للثورة المضادة حيث الساحة ملأى بالجواسيس والعملاء والمخبرين.

لا يعني التخطيط مجرد الاكتفاء بوضع الخطط المرسومة على الورق بل يعني ايضاً المباشرة بالتنفيذ العملي معه قدراً اكبر من الانتاجية أيضاً، ان التخطيط يعني ترتيب البدائل والامكانيات ووضع الأكثر انتاجية في المقدمة ووضعها في سلسلة هرمية حسب أهميتها.

ماهي الاشياء التي سينظر إليها المناضل وكيف؟ من هم أولئك الذين سيقومون بدور الطليعة إزاءهم وكيف، بدءا من المركز وحتى الاطراف؟ ماهو العمل الذي سيقوم به أولاً؟ ما هو العمل الذي سيتركه إلى وقت آخر؟ جميع هذه الامور يجب أن تكون خاضعة للتخطيط الصارم والواضح ، نجاح المناضل في عمله وعطائه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنجاحه في وضع الخطة الصحيحة والبرنامج السليم.

المناضل هو الشخص المنتج الذي يستخدم ليله ونهاره، صحته، سمعه وبصره بأفضل صورة ممكنة. إنه يخطط ليس فقط فعالياته التنظيمية بل حياته عبر تحديد ساعات المطالعة وساعات النوم وساعات العمل في اليوم ويسلك وفقاً لهذه الخطة. والمناضل الذي يحقق هذا كله هو مناضل بلغ مستويات اعلى وحقق انتاجية أفضل، غير ان من المعروف ان هناك اناس لاينهضون حتى من النوم إلا بصعوبة ولا يقومون بأي عمل إلا إذا قيل لهم ولايبادرون قط إلى تنظيم وتخطيط نشاطاتهم المختلفة. من المؤكد أن هذا ليس هو النموذج المطلوب بالنسبة للمناضل. فالمناضل هو الإنسان المنظم في مختلف مجالات الحياة، والذي يستطيع أن يقيم هذه الصفة بأفضل الاشكال. قد يكون هناك عمل مثلاً يتطلب انجازه خلال شهر واحد مئة شخص ولكن بعض الناس لا ينجزونه إلا خلال سنة كاملة، من الواضح ان النموذج الاول هو الافضل. ومثل هذا النجاح ينتج عادة من تنظيم العمل والتخطيط له بالدرجة الاولى.

في السابق تم ارتكاب العديد من الاخطاء في هذا المجال. فقد كان انعدام التخطيط والبرمجة هو السائد بين العديد من الكوادر. بل لم يكن احد تقريباً يعرف معنى التخطيط وكانت الاعمال تسيير بصورة عفوية. كان غياب التنظيم هو المسيطر على الحياة ونمطها كما على

النشاطات والفعاليات. لم يكن احد يطرح الاسئلة التالية على سبيل المثال: ماعدد الكتب التي ستقرأ؟ ماهي عدد ساعات العمل؟ وكيف يتم تنظيم الوقت؟ فكانت الامور تختلط ويجري احلال احد الاعمال محل الآخر أو يجري تجاهل هذه الناحية أو تلك من نواحي النشاط بصورة كلية، من الواضح أن مثل هذه التصرفات تصرفات يجب ان تبقى بعيدة جداً عن المناضل وطريقة سلوكه. إن من واجبات المناضل ان يتقن فن التحرك تحركاً منظماً خاضعاً للتخطيط في نشاطاته وحياته كلها.

ثالثا – المناضل بوصفه طليعة للشعب

يشكل الموقف الثوري النضالي الصحيح احد اهم الركائز الاساسية والجدية لضمان تحقيق الانتصار بالنسبة لاية منظمة سياسية تضع قضية الثورة كقضية يجب حلها أمامها. فامكانية التحول إلى حركة جماهيرية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بفهم حلقة واقع الشعب فهماً سليماً وصحيحاً. إن على المنظمة التي تعبر عن مصالح طبقة معينة ان تتمتع بالقدرة على فهم الطبقة التي هي طليعتها، والجماهير الشعبية كلها وعلى بناء العلاقة معها عبر اتخاذها مواقف واقعية وموضوعية منها.

إن تاريخ الصراع الطبقي مملوء بالتجارب الغنية والخبرات المتراكمة عن الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه الجماهير الشعبية، وهذه التجارب العالمية الشاملة التي كلفت غالياً والملأى بالنجاحات جنباً إلى جنب مع الاخطاء والنواقص توفر امكانيات تحاشي الاخطاء كما تفتح افاقاً صحيحة في هذا الميدان. ان المواقف المغامرة والذيلية المعبرة عن الاتجاهات اليسارية واليمينية في ميدان العلاقة مع الشعب يجب ان تكون مرفوضة ومحظورة بالنسبة للثوريين. فالاول أي الموقف الفوضوي المغامر يعتبر الجماهير (قطعياً) و(رعاعاً) ونظراً لانه لايثق بالجوهر الثوري للجماهير الشعبية الواسعة انطلاقاً من القناعة بأن الابطال وحدهم يستطيعون تحريك هذا (الرعاع) فإنه يبتعد عن الشعب تماماً بدلاً من الذهاب إليه والاقتراب منه، اما

الموقف الثاني فيؤدي إلى الانجرار وراء الشعب واللهاث خلفه والتحول الى ذيل له بدلاً من التحول إلى طليعة تسيير أمامه. أن هذا الفهم يتجاهل حاجة الشعب إلى الطلائع واستحالة قيام الشعب وحده بدون الطليعة بأن ينظم نفسه ويبادر إلى التحرك والانتفاض. إن هذين المفهومين كليهما لا يستطيعان إدراك طبيعة العلاقة بين الطليعة والشعب فيبادر الاول إلى المبالغة في حين يعتبره الثاني غير موجود وبالتالي ليسا إلا موقفين تحريفيين. لذا فإن كلا من موقفي نسيان الشعب والشعبوية ليسا موقفين ثوريين، إن مهمة الثوريين وواجبهم يتركزان على تطبيق الوعي النظري الثوري على قاعدة الواقع الشعبي بشكل صحيح وسليم وبمهارة وبالتالي لا بد لهم من إيضاح الشعب بصورة جلية.

من هو الشعب؟ ماهي الطبقات والفئات التي تدخل في هذا المفهوم كمفهوم؟ إن مفهوم الشعب كمفهوم عام يضيق ويتسع من حيث الإحاطة والمضمون وفقاً لمسيرة الثورة ومرحلتها ان جميع المتضررين من النظام القائم الذين لهم مصلحة في الثورة والذين يشكلون أوسع القطاعات والفئات يمكن اعتبارهم في إطار مفهوم الشعب. وحسب هذا التعريف يشتمل الشعب بصورة عامة على الطبقة العاملة والفلاحيين والبرجوازية الصغيرة إضافة إلى المثقفين وبعض فئات الطبقات الاخرى حسب المرحلة التي وصلت إليها الثورة.

في هذا الإطار العام نجد أن الطبقات والفئات المعادية للاستعمار التركي في كردستان والتي تتضرر منه وتقف في وجهه تعترض على وجوده ولقائه وبالتالي تناضل في سبيل انهائه هي الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين والبرجوازية الصغيرة الحضرية (كالاقطاعيين والتجار إلخ ... وسائر القوى الوطنية من الطبقات الحاكمة التي يجب أن نعتبرها جميعاً في إطار مفهموم كلمة الشعب. غير أن هذا التعريف الذي يصلح في المرحلة التي تكون فيها الناحية القومية هي الغالبة في الثورة يضيق في مرحلة الثورة الديمقراطية الاشتراكية وفي ضوء هذا التعريف لا بد لنا من رسم صورة موجزة وعامة للشعب الكردستاني الذي ننتمي إليه ونعبر عنه.

مسألة الشخصية في كردستان

يعيش الشعب الكردستاني في ظل الظلم القومي الشديد الذي يمارس ضده الاماً عميقة اليوم كما في الماضي، ونظراً لان الرأسمالية الاستعمارية قد دفعت المجتمع إلى تمايز طبقي مشوه فقد غدا وجوده مطروحاً للمناقشة بعد أن اصبح غريباً عن نفسه وبعيداً عن هويته الحقيقية. إن فرض وجود واقع هذا الشعب من جديد وتمكينه من الوقوف على قدميه بعد استعادته لشخصيته الضائعة تقريباً لا يمكن ان يتم الا من خلال امتلاك الأسلوب الصحيح للتعامل مع الشعب.

يجب لفت الأنظار إلى بعض النقاط الهامة بشأن هذا الأسلوب في التعامل. ذلك لان التمايز الطبقي والصراع الطبقي المعروفين في العالم قد سارا وفق منطق مختلف كثيراً في بلادنا، يجب علينا الا نبحث عن مسار مشابه للصراع والتمايز الطبقيين الذين تما هنا.

لابد للمناضل الكردستاني من أن يعرف إنه في مواجهة مثل هذا الواقع وينطلق من هذه المعرفة ويتعامل مع الشعب عل أساسها. إن التعامل مع الشعب بشكل يهدف إلى كسبه وتوعية وتنظيم حتى اولئك الذين انزلقوا في مسار الخيانة تحت ضغط هذا الواقع الاجتماعي الرهيب يتطلب بالفعل توفر حساسية الفن ومهارة الفنان المبدع. ولدى التوصل إلى الادراك العميق لحقيقة ان الثورة هي من صنع مشاركة اوسع الجماهير الشعبية يتضح ان من الضروري توفر قدر كبير من الشعور بالمسؤولية وبذل الكثير من الجهود الخارقة والمتصفة بنكران الذات لايصال ايديولوجية الحزب وسياسته إلى تلك الجماهير. وذلك يشكل مهمة حتمية بالنسبة للثوريين الملتزمين بقضية الشعب، وهذا يعني ان التعامل مع الشعب لايجوز ان يكون إلا على اساس الشعارات والمواقف الايجابية. إن سر القوة النضالية لهذا الحزب او ذاك يكمن في قدرته على اشراك الشعب في النضال الثوري، ماقاله الثوار الفيتناميون حين قالوا (يجب ان تتحول كل قرية إلى قلعة، وكل خلية إلى هيئة اركان، وكل فرد إلى مركز للمقاومة!) صحيح اضعافاً مضاعفة بالنسبة لكردستان.

ينبغي للتعامل مع القطاعات الشعبية أن يكون تعاملاً للتأثير المجيد والباعث على المجد للاشتراكية. وهذا لا بد له من ان يكون تعاملاً منسجماً مع قدرتنا الواعية في ميادين الايديولوجية والسياسية والعملياتية المستندة إلى مبادئ الاستقلال والديمقراطية والاشتراكية. إنه تعامل يستهدف تنظيم الشعب واستنهاضه للعمل وتتم ممارسته بالانطلاق من مبدأ التعلم من الجماهير وتعليمها.

بمعنى إبداء التواضع في التعامل مع الجماهير والتصرف باحترام، بتعليهما والتعلم منهما، بالاصغاء إلى كلامهما ويجعلها تسمع الكلام.

لدى توجه المناضلين إلى الشعب يجب عليهم ان ينشروا الخط السياسي الصحيح للحزب لا خطهم هم. كما أن المناضل الذي يمتلك سائر المواصفات التي سبق لنا ان اتينا على ذكرها حتى الان يعرف جيداً كيف يعيش بين الشعب. ليس هناك أي سبب يمنع المناضل الذي وصل إلى مميزات نقل الوعي التي اوردناها من تعليم الشعب كل شيء والتعلم منه، ومن تنظيم هذا الشعب في كل المجالات، والمناضل الذي ينجز هذه المهمات يكون قد وصل إلى مستوى القائد الطليعي بالنسبة للشعب.

رغم الاهمية القصوى لاسلوب التعامل مع الشعب فقد جرت سلبيات كثيرة في هذا الموضوع سابقاً، فقد جرى التعامل معه مثل الاغوات حيناً وزعماء العشائر حيناً أخر وصغار البرجوازيين حيناً ثالثاً. كما ان بعضهم كان يتصرف مع الشعب بذيلية في حين كان آخرون يضعون حواجز عالية بينهم وبينه ناعتين الشعب بأنه (أناس صغار) لقد عالج التقرير السياسي النواقص التي تم الوقوع فيها سابقاً في هذا الموضوع قائلاً: (في السابق لم تكن جدية واهمية الروابط مع الجماهير مفهومة فهماً كافياً، لم يجر تقييم تعطش الجماهير للنضال والاحترام الكبير الذي يكنه الشعب للنضال والتزامه به تقييماً صحيحاً وكافياً مما ادى إلى تبديد الكثير من الطاقات والامكانيات. ان العلاقات الجماهيرية الواسعة جداً لحركة حزب

العمال الكردستاني والتي لا تتوفر لاية حركة اخرى قد تعرضت لقدر كبير من التخريب وخصوصاً على ايدي اولئك الذين لم يصبحوا شيوعيين حقيقيين بعد) .

ان الشعب قيمة كبرى، وشعبنا نحن هو احد القيم التي ينبغي التعامل معها باسمى ايات الاحترام، إن التعامل مع الشعب يجب أن يستند إلى تقديم اشياء له، وإلى الجدية المتناهية، ذلك هو الطريق الوحيد المؤدي إلى مرتبة المناضل الشعبي الممتاز وإلى تلبية ما ينتظره الشعب. على المناضل ان يكون قريباً من لغة الشعب وثقافته ومختلف قيمه الاخرى، كما ينبغي له ان يدافع عن هذه القيم وصولاً إلى الاتحاد والاندماج مع الشعب على هذا الاساس. فكما قال لينين ايضاً ان توحيد التجارب والقيم الشعبية النابعة من اعماق التاريخ تحت التأثير المنظم والمعلم والدافع إلى النبل والعظمة للاشتراكية يعني بناء الحزب بصورة عامة ويجد تعبيره في المناضل بشكل خاص.

وفي موضوع العنف أيضاً يجب على المناضل ان يكون ناجحاً في عملية الجمع بين الغضب الواعي والمنظم للثوريين والغضب اللاواعي وغير المنظم للشعب، وتتجسد هذه الميزة في المناضل على شكل صيرورته محارباً ومقاتلاً شعبياً. ذلك يعني ان المناضل مسؤول عن تعليم الشعب لا السياسة فقط بل والحرب ايضاً. وبهذا المعنى لا بد للمناضل الذي هو طليعة الشعب من ان يكون مقاتلاً ايضاً في سبيل قضيته، ان وضع المناضل هو وضع الطليعي الذي يعلم الشعب كيف يحارب، ويتعامل مع المواقف بالاساليب المناسبة للنضال والقتال، ويحول ابناء الشعب إلى مقاتلين. ولان الشخصية عندنا ستتشكل على قاعدة الحرب التحررية القومية والوطنية لابد للمناضلين من ان يتحلوا بالصفات القتالية والكفاحية الواضحة، وذلك ضروري حتى يستطيع المناضل ان يكون طليعة وقائداً عسكرياً إلى جانب كونه قائداً سياسياً للجماهير. ويستوجب هذا معرفة قواعد الحرب معرفة جيدة، وفي مقدمتها امتلاك الخبرة الكاملة بالسلاح وبطرق استخدامه. من الواضح ان الذي يخاف الدعاية المسلحة ويعجز عن

ادراك مدى اهميتها عندنا لن يكون جديراً بصفة المواطن الوطني ناهيك عن وصوله إلى مستوى المناضل. على سائر سمات المناضل ان تتكرر مرة اخرى في هذا المجال ايضاً، ذلك لأن تحرر كردستان يمر عبر الحرب التحررية، عبر استخدام السلاح بعبارة اوضح واكثر صراحة، ليس هذا مجرد كلام بل ضرورة حتمية تفرضها ظروفنا القومية والاجتماعية فرضاً.

بوصفه قائداً شعبياً ومقاتلاً شعبياً يجب على المناضل ان يثمن الشعب عالياً. ان يتعامل معه بالأساليب المناسبة متحاشياً سائر المواقف وأشكال السلوك المهنية والمستخفة وغير المفهومة لا بد له من ان يكون بالغ الحذر في علاقته مع الشعب، يجب عليه ان يتحاشى الاساءة ويكون قادراً على استخدام لغة مفهومة وواضحة لدى مخاطبته للشعب، ان المناضل مضطر لان يمتلك اسلوباً صحيحاً، من الواضح ان ذلك الذي لا يفهم هو نفسه من الكلام الذي يقوله أي شيء لن يفيد الشعب في أي شيء. نستطيع ان نورد عدداً كبيراً من الامثلة السلبية في هذا المجال في مجتمعنا، فمن اولئك الذين يصمتون صمت القبور بعد التفوه بكلمتين كما لو كان الله سيكمل الباقي وحتى الذين يثرثرون بكلام لا يفهمون مضمونه هم انفسهم. هنالك انماط بالغة الغرابة عندنا. واضح ان امثال هؤلاء ليسو مناضلين بل نماذج جديرة بالرثاء. فالمناضل يتحدث بلغة بليغة ويوصل محتوى موضوعه الجوهري إلى من هم حوله من رفاق النضال والجماهير بأسلوب قوي ومؤثر. من الطبيعي ان يكون المناضل المكلف بالتأثير على الجماهير واستنهاض حجمها – ونوعيتها مضطر لأن يمتلك مثل تلك المواصفات. ورغم هذه الضرورة مازال هناك عدد من المناضلين الذين لم يبلغوا بعد إلى مستواها مما يجعلهم عاجزين عن قول الكلام المناسب في المكان والزمان المناسبين غارقين في تكرار الثرثرات التي لا معنى لها، ومثل هذا الوضع يلحق اكبر الأذى بقضية النضال.

ان مخاطبة الجماهير بلغة مفهومة تستوجب في الوقت نفسه اتقان فهم واستخدام اسلحة الدعاية والتحريض بشكل جيد وناجح. ان للشكل ايضاً اهمية توازي اهمية المضمون.

فالمناضل الذي لا يوصل افكاره إلى الجماهير عن طريق الدعاية والتحريض لن يستطيع استنفار هذه الجماهير وتعبئتها. نستطيع ان نقول ان طريق التنظيم يمر عبر الدعاية والتحريض. ولذا لا بد للمناضل ان يفهم هذا السلاح فهماً عميقاً حتى يصبح داعية ومحرضاً ماهراً. لان ذلك هو السلاح الاهم في العلاقة مع الجماهير، اما الدعاية والتحريض الموجهين إلى الجماهير فيجب أن يكونا واضحين وبمحتوى جوهري، مفهمومين من قبل الشعب. يؤكد دیمتروف على هذه النقطة إذ يقول: (علينا ان نتعلم لغة المكافحين في سبيل قضية الجماهير، لغة تعكس اعمق عواطف ومشاعر ملايين الناس في كل كلمة او فكرة، لا لغة القوالب الجامدة المأخوذة من الكتب، في حديثنا مع الجماهير!). نعم على المناضل الا ينسى لحظة واحدة ضرورة الالتزام بمبدأ هوية الذي يكتب من اجله او يتوجه بكلامه إليه وضرورة التحرك بكثير من الوعي في هذا المجال، والا فلن يستطيع ان يصبح قائداً شعبياً ومقاتلاً من اجل قضية الجماهير، كما لن يستطيع ان يقوي علاقاته بهذه الجماهير وأن يستنهض هممها. لان الجماهير لن تفهمه ولن تأخذه مأخذ الجد. مثل هذا الوضع يؤدي بالضرورة إلى انقطاع الصلة بالجماهير وبالتالي إلى دمار المناضل وزواله. ان طريق تعزيز الروابط مع الجماهير يمر عبر معرفة طريقة التعامل معها، عبر التواضع في التعامل معها، عبر سعة الصدر والاستعداد للعطاء. اما الذين ينسون مسؤولياتهم تجاه الشعب ويتهربون من اداء واجب تعليمه ويتصرفون بلا مبالاة مع الجماهير فليسوا إلا ليبراليين نموذجيين.

يقدم ستالين مثالاً مثيراً في موضوع الاهمية الحيوية الحاسمة للعلاقات التي يجب ان تقام مع الجماهير إذ يقول: (سيكون البلاشفة قوة لا تقهر طالما حفظوا على علاقاتهم مع الجماهير الشعبية الواسعة تلك هي القاعدة التي لا تقبل الجدل، وعلى النقيض، فإنهم معرضون لأن يفقدوا كل قوتهم ولأن يتحولوا إلى إطار فارغ و متفسخ لحظة ابتعادهم عن الجماهير، وأن يفقدوا الصلة بها لحظة انعزالهم عنها تراكمت عليها طبقة من الصدأ البيروقراطي. تقول الاساطير ان البطل الاسطوري اليوناني القديم الشهير أنتيوس كان ابنا لاله البحر بوزيدون

والهة الأرض غيا. وكان آنتيوس شديد الارتباط بأمه التي أنجبته وأرضعته ورعته. لم يكن هناك أي بطل لم يهزمه انتيوس هذا. وكان الجميع يعتبرونه بطلاً لا يقهر. اين كانت تكمن قوته؟ كانت هذه القوة تمكن في ملامسته للأرض التي أنجبته وأرضعته لدى احساسه بالخطر، تكمن في ملامسته لهذه الام التي كانت تبادر إلى شحنة بالمزيد من القوة والطاقة. غير انه كان ينطوي على نقطة ضعف معينة هي خطر انفصاله عن الأرض بطريقة اوبأخرى .

كان الاعداء يعرفون هذا النقص ويحاولون اقتناص الفرصة المناسبة. وذات يوم استطاع احد الاعداء ان يستفيدوا من هذا الخلل. وألحق الهزيمة بآنتيوس. كان هذا هو هرقل. فكيف استطاع هرقل ان يهزم آنتيوس؟ استطاع ذلك عن طريق فصله عن الارض برفعه عنها وابقائه مرفوعاً في الهواء بدون ان يسمح له بملامسة الارض حتى خنقه في النهاية.

اعتقد ان البلاشفة هم مثل البطل الأسطوري اليوناني آنتيوس. فهم ايضاً مثل آنتيوس، يتمتعون بامكانية البقاء غير قابلين للهزيمة طالما حافظوا على صلاتهم بأمهم التي انجبتهم وارضعتهم ورعتهم، هذه الام العظيمة التي هي الجماهير، ذلك هو السر في كون البلاشفة والقيادة البلشفية قوة لا تقهر) هذا يعني ان ضمانة انتصار طليعة الشعب ومقاتله المكافح تكمن في الروابط التي لا تنفصم مع الجماهير، وهذه الحقيقة تعبير واضح عن الضرورة القصوى لتوفر الحذر والحساسية القصوى في العلاقة مع الجماهير ولاستخدام جميع الاساليب والامكانات بمهارة فائقة في سبيل تنظيم هذه الجماهير وتعبئتها.

من النقاط الاخرى المهمة التي يجب التوقف عندها في موضوع العلاقات مع الجماهير، شكل تناول التناقضات بين صفوف الشعب، فمن الضروري فهم التناقضات الموجودة بين فئات الشعب فهماً صحيحاً وواقعياً دون الوقوع في الميكانيكية والاهتداء إلى أساليب وطرق الحل الصحيحة لها، فالعامل الاساسي لتوزع مختلف الطبقات والفئات في اثناء الثورة هو توحيد وتطوير جميع القوى ذات المصلحة في الثورة وكسب القطاعات والفئات المتوسطة، وعزل

العملاء واعداء الثورة وبالتالي لا بد من معرفة الوقت المناسب، من الممكن التوفيق بين والمستِغلين والمستغَلين في المرحلة الوطنية والقومية للثورة. ولدى التغاضي عن هذه الامكانية قد يبرز التناقض إلى السطح مما يؤدي إلى الحاق الضرر بواقع التحرر الوطني. أن التناقضات التناحرية بين القطاعات التي تدخل في إطار تعبير الشعب تبقى ثانوية في اثناء المعارك النضالية ضد الامبرياليين والمستعمرين. من الطبيعي ان هناك تناقضات بين الجماهير الشعبية بشكل دائم. غير إن هذه التناقضات مثلها مثل مفهوم الشعب تختلف من حيث المضمون والشمولية باختلاف مراحل الثورة، اما النقطة التي يجب الانتباه إليها هنا فهي المبادرة إلى وضع حد واضح وفاصل بين التناقضات غير القابلة للحل بين الشعب والعدو من جهة والتناقضات القابلة للحل والاتفاق حولها بين فئات الشعب المختلفة. ذلك يعني ان الوصول إلى امتلاك القدرة على تحديد الطريق بمهارة ممكنة في جانب منه من خلال تأمين الموقف الصحيح إزاء هذه التناقضات.

إذا ما ألقينا نظرة على واقع البلدان التي أنجزت استقلالها فإننا نرى أن التناقضات الموجودة بين صفوف الشعب وفئاته تحظى باهتمام كبير، حتى ان بعض الحالات شهدت حوادث كسب قطاع الطرق وتسخيرهم في القتال بعد تدريبهم. إن عملية كسب هذه القطاعات المتأرجحة التي يصعب تدريبها وتنظيمها لا تتم إلا من خلال مواقف التعاون والعمل المشترك والنضال سوية. من الخطأ اغلاق المسألة من خلال الزعم بأن تلك ما هي إلا (جماعات من قطاع الطرق) . هذه الظاهرة المنتشرة في كردستان، أي ظاهرة (العصيان وقطع الطرق) ليست إلا تعبيراً عن رد الفعل الفردي، ونتيجة طبيعية لسلبيات النظام القائم وتخريباته المختلفة والكثيرة. إنها شكل من اشكال المقاومة المنحرفة أو المشوهة. اما اكتسات تلك العناصر بعد تمكينها من بلوغ مستويات عليا من النبل تحت التأثير الايجابي والنبيل للاشتراكية وضمان تحويلها إلى عناصر مفيدة بالنسبة لنضالنا التحرري الوطني والقومي. أو إعاقة عملية تحويلها إلى مصادر

للأذى والضرر على الأقل، فأنها قضية بالغة الاهمية بالنسبة لمجتمع صمم على النضال وبادر إلى تجميع جزئياته المختلفة في إطار واحد مثل الذرة.

يجب حل التناقضات الايديولوجية الموجودة بين فئات الشعب بأسلوب الاقناع والتعليم لا أساليب الاكراه والقسر (العشائرية والطائفية الخ ..) إن مطالبة الناس المتمسكين بمعتقداتهم الدينية بقوة، بالتخلي عن هذه المعتقدات وتبني الافكار المادية واستخدام اساليب القهر لتحقيق ذلك تنطوي على الكثير من الاخطار فضلاً عن انها مستحيلة.

ذلك يعني ان من الضروري إبداء قدر كبير وخاص من الحساسية والحذر ولاسيما في الواقع الكردستاني إزاء موضوع المواقف والروابط والعلاقات بالنسبة للجماهير. يجب أن يكون معلوماً أن تحقيق اشتراك شعب ممزق ومبعثر في حرب المقاومة يبقى مستحيلاً إلا إذا استطعنا ان نوحد حزب عمال كردستاني قوي له أوثق العلاقات مع اوسع الجماهير الشعبية الكادحة.

رابعاً – على المناضل معرفة كيفية

صنع الحياة من الموت

ما هو الموقف الذي يجب على المناضل أن يتخذه تجاه الاعدامات والمذابح التي ينفذها العدو وحوادث الاستشهاد في أثناء العمليات وداخل الزنزانات، وحوادث الموت العادية؟

يعيش المناضل قبل كل شيء من أجل حزبه، من أجل الثورة، ومن أجل الشعب. لهذا السبب يكون لحياته معنى معيناً. ونحن نعرف جيداً أن الحزب هو أعلى وأسمى سلطة ومرجع بالنسبة للشعب. كما أن الثورة هي أنبل الخطوات المدرجة في جدول أعمال الحزب وأكثرها حماساً. وفيما يستغرق الحزبً في الاستعداد لهذه الثورة بأكبر قدر من الحماس والنشاط ، يكون مناضل الحزب غارقاً في عملية الاستعداد نفسها. ويؤدي هذا إلى بروز حياة جديدة بالنسبة

للشعب. أما حياة المناضل فليست إلا حياة مكرسة لبلوغ هذه الأهداف. من الواضح أن هذا الوضع يقدم معيار سلوكنا وموقفنا إزاء الموت. إنها مسألة حياة أو موت بالنسبة للحزب، من أجل الثورة، ومن أجل مجتمع حر وامة مستقلة تنعم بالحرية. إذا كان الاستمرار في الحياة يساهم في تعزيز هذه القيم فإننا مطالبون بالعيش، ويجب علينا أن نعيش. غير أن هناك منعطفات تكون فيها الحياة بمثابة الابتعاد عن القيم وتلاشي هذه القيم وبالتالي. عندئذ من الواضح أن ما هو متوفر في هذه الحالة ليس هو طريق الحياة بل الموت المؤكد. وفي مثل هذه المنعطفات يجب على المناضل أن يعرف كيف يعانق الموت بدون أن يرف له جفن.

وقد عيش هذا الواقع بشكل مثيرجداً وخصوصاً في السجون والمعتقلات. لقد فرض العدو وضعاً غدت فيه الحياة مقابل الخيانة، غدت فيه الحياة الدنيئة ممكنة فقط على أساس خيانة القيم والمثل النبيلة. فقد وعد الثوريين الذين أخضعهم للتعذيب بالابقاء على حياتهم مقابل تخليهم عن أهدافهم قائلا: (أترك الحزب! تخل عن التحرر الوطني والقومي الذي يناضل الحزب في سبيله! اترك الدعاية والتحريض الحزبين! إذا فعلت فإن طريق الحياة مفتوحة أمامك!) حاول أن يفرض الاستسلام على الثوريين بهذه الطريقة، وقدم لهم وعوداً وإغراءات أخرى. من المعروف أن صغار البرجوازيين التافهين الذين خانوا القضية وساوموا العدو مقابل ملعقة من الحساء حصلوا على فرص الحياة بلا تعذيب وعلى امتيازات أخرى. أما الثوريون الذين لم يتخلوا عن المثل التي يناضلون في سبيلها فقد نالوا بالمقابل أشكالاً لم يسبق لها مثيل في العالم من الموت وأجبروا على أن يعيشوا حياة ملأى بالتعذيب والمذابح الشنيعة. لقد لعب العدو لعبته هذه بصورة مكشوفة. ورداً على العدو الذي قدم الخيانة بوصفها طريقاً للحياة، وقع اختيار رفاقنا على الموت والاستشهاد رافعين راية (المقاومة هي الحياة !) لم يقع اختيار رفاقنا على الموت بدون مواصفات بل على الموت المستند إلى المقاومة وأطلقوا على مثل هذا الموت أو الاستشهاد اسم الحياة. قالوا إن الموت والاستشهاد على طريق المقاومة هو الحياة

ذاتها، ذلك هو اسم الحياة الحقيقية. وهكذا صار الخلود، الحياة بمعنى آخر، كامناً في قلب الموت.

هناك موقفان مختلفان من الموت: أصحاب الموقف الأول هم أولئك الذين يتخلون عن جميع المثل والقيم التي يحملونها خضوعاً لألاعيب العدو ومؤامراته. عندنا نحن أيضاً ظهر العديد من الخونة التافهين في هذا المجال: فقد قام العدو، كما حصل في حادثة شاهين دونمز وأتباعه، بعرض فرصة (الحياة) مقابل كيل الشتائم للتنظيم، مقابل الخيانة. ونحن جميعاً نعرف التطورات التي جرت بعد ذلك والأبعاد التي وصلت إليها خيانات هؤلاء الخونة. غير أن هناك من فضلوا اختيار الموقف الثاني بالمقابل أيضاً. وفيما كان الموت عينه متجسداً في الحياة في الحالة الأولى، كانت الحياة والخلود هي المتجسدة في الموت في الحالة الثانية.

بمعنى أننا رأينا الموتى الذين ابقوا على حياتهم عبر الانزلاق في مستنقع الخيانة والانخداع بتضليل العدو مقابل أولئك الذين خلدوا وعاشوا فعلاً من خلال مقاومة العدو والوقوف في وجهه كالأطواد بدون انحناء أو تنازل، إن النتيجة الوحيدة المستخلصة هي ضرورة رفض الحياة الزائفة التي يقدمها العدو رفضاً قاطعاً؛ هي أن الحياة عبر التخلي عن الحزب والثورة ليست إلا موتاً محققاً، في حين أن الموت عبر الالتزام بالقيم والمثل بالمقابل هو الحياة عينها والخلود نفسه، وقد أكد رفاقنا صحة هذه الحقيقة من خلال ممارساتهم العملية الحياتية في الزنزانات والجبال. لقد حول رفاقنا الاستشهاد في معارك المقاومة إلى خلود. وقد قاموا بذلك بشكل يثير الاعجاب والاحترام والمحبة على المستوى العالمي . فالموت الحقيقي هو القبول بالاستمرار في الحياة في ظروف غير لائقة وغير مقبولة يجب رفضها. وفي بعض الأحيان تكون الحياة ، أي الخلود، وجوهرها مخبوءاً حيث الموت، إن مثل هذا الموت يكون بمثابة الاستطالة نحو المستقبل مما يحيله إلى الخلود على شكل استعادة الحياة للحزب والشعب والأمة من حيث الجوهر، وإن بدت الحادثة حادثة موت من حيث الشكل.

ينبغي لهذا الموقف أن يكون موقفاً دائماً لا موقفاً عابراً بطبيعة الحال. فمن الضروري النظر إلى حادثة الخلود لا بوصفها مسألة آنية ومؤقتة بل باعتبارها قضية مستمرة مع معرفة اسلوب العيش المتناسب مع ذلك. يجب على المناضل أن يحافظ على حياته عند اللزوم وذلك حين تكون حياته قادرة على الاسهام في تطوير العمل، أما عندما تغدو عقبة في طريقها فيجب عليه أيضاً أن يعرف كيف يموت. على الثوري في هذا الموضوع أن يمتلك معياراً صحيحاً وسليماً من هذا النوع لابد له من أن يعرف جيداً أين وكيف يموت كما لابد له من أن يعرف في الوقت نفسه أين وكيف يعيش. فموته بالذات يجب أن يساهم في النضال، أن يدفع به إلى الأمام. على المناضل لدى تفكيره بمسألة الحياة والموت أن يقيم هذه المسألة من زاوية المساهمة في تعزيز الحزب والثورة ومصلحة الشعب وأن يختار أحدهما وفقاً لذلك. لذا فإن المناضل هو ذلك الذي يعرف أين يجب أن يموت كما يعرف أين يجب أن يعيش.

إذا تركنا الكلام لشهداء المقاومة في حزب العمال الكردستاني الذين قدموا أروع الأمثلة في هذا المجال بدون أن نطيل في الحديث فإن المسألة سوف تكتسب مزيداً من الوضوح. نستطيع أن نؤكد أن هذه الشخصية التي قدمها حزب العمال الكردستاني هي النموذج الأسطع الذي يبشرنا بالنصر القادم، كما نستطيع أن نقيمها بوصفها أسلم معيار لاحياء تقاليد المقاومة ذات الجذور العميقة في تاريخنا، وأسطع أمثلة البطولة والشجاعة مجسدة في ضوء الظروف الايديولوجية والسياسية والتنظيمية الحديثة. فقد تم ابداء أروع البطولات إزاء أكثر الأمور إثارة للرعب في النفس البشرية مثل الموت بصورة خاصة، كما تم اظهار طريق النصر من خلال مواقف شهداء حزب العمال الكردستاني أصحاب المجد والنبل. إن سمات كلام هؤلاء الرفاق لدى مواجهة الموت بالذات يكفي ليعطينا درساً بليغاً حول الموقف الذي يجب أن يتخذه المناضل الثوري في اللحظة الأخيرة من حياته.

إن آية المقاومة الرائعة التي سطرها الرفيق جمعة طاق ومجموعته معروفة جيداً. كانت هذه مقاومة للموت، مواجهة لحادثة الموت وجهاً لوجه، كانت مقاومة تمت في ظل الحصار الشديد واللئيم للعدو، في شروط الأسر التام، كانت مقاومة حقيقية رغم ذلك. كانت مقاومة تمت عبر الالتحام الذي دام أياماً وجهاً لوجه مع الموت المؤكد في كل لحظة في ظل الحصار المضروب والمذابح المنظمة من قبل العصابة التي هي وصمة عار في جبين شعبنا، عصابة العميل الجاسوس والخائن في كرستان. كانت مقاومة احتلت مكانة رائعة وممتازة في تاريخنا لأنها مقاومة تم ابداؤها في ظل أسر العدو وحصاره. ولدى مواجهته للموت عبر الرفيق جمعة طاق عن موقفه من الموت على النحو التالي: (أنا ورفاقي مقاتلون ننتمي إلى حزب العمال الكردستاني. إننا نناضل ضد كابوس الدولة التركية على صدر كردستان، ضد أشكال الظلم التي يمارسها الاغوات من أمثال جلال بوجاق الذي يستخدمكم كالآلات ضد الشعب، إننا جنود نخوض حرباً مشروعة ونبيلة.

إننا مستعدون لأن نموت، إذا متنا، في سبيل استقلال وطننا وتحرر شعبنا. أما السؤال فهو: ما الذي تقاتلون أنتم من أجله؟ لماذا تقبلون على الموت؟ ألا تقاتلون من أجل الدولة التركية التي تسحقكم ليل نهار وفي سبيل الأغوات الذين يمارسون مختلف أشكال الظلم ضدكم ويمتصون دماءكم كالعلق؟ إننا سنموت بشرف واباء بدون أن نلتفت إلى الوراء، أما أنتم فسوف تظلون تموتون مراراً كل يوم في هذا الطريق الدنيء والحقير. هل تستطيعون أن تعدوا نساءكم وأطفالكم وأقرباءكم بشيء غير الجوع وحياة الذل والمهانة؟ ... نفذ الرصاص منا. اعطونا ذخيرة ولنستمر في القتال ضدكم! قد نموت نحن ولكن الشعب الكردستاني بقيادة حزب العمال الكردستاني لن يموت. عاجلاً أو آجلاً ستحقق الراية الحمراء التي نرفعها بشرف واباء، النصر المؤزر. أما أنتم فسوف تتعرضون للهزيمة النكراء عندما يقوم الشعب الكردستاني بقيادة حزب العمال الكردستاني بتصفية الاقطاعيين الكومبرادوريين اعداء الشعب والوطن وأعوان الجمهورية التركية. يسقط الاستعمار! يسقط الاقطاعيون الأكراد الخونة وزعماء العشائر

العملاء! عاشت كردستان الديمقراطية! عاشت البروليتارية الكردستانية وعاشت طليعة شعبنا العظيمة حزب العمال الكردستاني!)

هناك نموذج اخر في هذا المجال هو مثال مقاومة الرفيق أورهان آيدن. صدر حكم بالاعدام بحق هذا الرفيق كما هو معلوم ولكنه لم ينفذ بعد. غير أنه في تلك الظروف كان من الممكن تنفيذه وكان الهدف هو هذا. وكان حكم الاعدام هذا قد صدر لزرع روح اليأس والاستعداد للاستسلام بين الرفاق بغية كسر المقاومة التي ظلت صامدة ومستمرة رغم مختلف اشكال التعذيب والتنكيل في زنزانات سجن ديار بكر. ولهذا السبب قدم للرفيق اورهان آيدن عدد من العروض بهدف تحقيق استسلامه، وتخليه عن قضيته مبدياً الندم، إذا ما طلب الرحمة، كما عرض للضغط والتعذيب، ولكن الرفيق اورهان أيدن الذي احبط كل اساليب القهر والخداع او الشراء بالاغراءات واتخذا موقفاً ثابتاً ومقاوماً من اعواد مشانق الجلادين وقال في رسالته المشرفة وذات الاهمية التاريخية عن موقفه من الموت الكلام التالي:

(أيها الرفاق ؟

سأغادركم بعد فترة قصيرة لدى تنفيذ حكم الاعدام الصادر بحقي من المستعمرين الفاشيين نتيجة الموت الذي هو نهاية كل إنسان. كم كنت أريد ان اموت بعد كفاح اطول ضد الاستعمار التركي الفاشي والاقطاع الكومبرادوري قبل أن ارحل بعيداً عنكم! كانت أمنيتي أن أقاتل معكم كتفاً إلى كتف وأن المح الفجر الاحمر الذي سيلوح في الافق، أن أرى البنية الحمراء الساطعة الغارقة في الشمس، مع ثقتي الكاملة واللانهائية بهذا المستقبل رغم الانحناء الموقتة للرأس.

يمكن للموت نفسه ان يكون ثمن (الحياة النضالية) التي لا يمكن ان تكون بلا ثمن ان صفحات التاريخ مرصعة بالعديد من النماذج من اولئك الذين اقبلو على الموت دون تردد ولو

للحظة واحدة وبدون غياب هذه الحقيقة عن أذهانهم ولو لثانية واحدة، وبدون تقديم أي تنازل للعدو بشأن القضية التي يناضلون في سبيلها، واولئك الذين عرفوا كيف يموتون مازالوا يعيشون وتتراءى ارواحهم امام عيني. فسائر شهداء الثورات الذين جلدوا مقابل تقديم حياتهم على أعواد المشانق أو ساحات الاعدام رمياً بالرصاص عبر معارك النضال الثوري مازالوا يعيشون مشاعل نور أبدي في قلوب البروليتاريا العالمية والشعوب المضطهدة. إن فان تروا الذي ظل يقول: (عاش قائدنا هوشي مينه) (عاش الشعب الفيتنامي) حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وعانق الموت بجرأة وبطولة بدون أي يبدي ذرة واحدة من الندم واليأس لدى اسناد ظهره إلى الجدار تمهيداً لاعدامه رمياً بالرصاص، رمز للشباب ومثال علينا أن نحتذى به، إن هؤلاء سيظلون (إعصاراً ثورياً) حياً وخالداً في ذاكرتي حتى اللحظة الأخيرة.

ما من شيء في الدنيا أنبل وأغلى من النضال الثوري غير أنه اصعب، فطريق النضال الثوري مملوء بالاشواك، متعرج، وعر، بالغ الصعوبة. يستحيل الاستمرار في النضال بدون الاصطدام بالعقبات ومواجهة المصاعب والضغوط . بل ومن المؤكد ايضاً ان السقوط (أي الموت) هو من اقوى الاحتمالات بالنسبة لمن يسر في (طريق النضال) وهذه الحقائق تتجلى بصورة براقة خصوصاً في كردستان حيث يجري اغراق أي تحرك مهما كان بسيطاً في بحار من الدم، في غابة من اعواد المشانق، في سيل من البارود والنار، في هذه اللحظات القليلة الباقية من حياتي المحدودة حيث اواجه الموت نتيجة لقرار الاعدام الصادر عن المحاكم الفاشية للمستعمرين الفاشيين الاتراك قبل رؤية النتيجة المقدسة للنصر في طريق النضال من اجل (الاستقلال والحرية) الذي اخذته مدركاً انه ينطوي ايضاً على الموت تحت قيادة حزب العمال الكردستاني، افكر بنقطة واحدة هي كيفية إبداء الصمود والثبات لدى الذهاب إلى عود المشنقة بدون أن احني رأسي امام المستعمرين الفاشيين والجلاد الكلب المسعور الذي يسيل لعابه. ان المطلوب ايها الرفاق هو احياء روح المقاومة التقليدية للحزب، هو معرفة طريق إلحاق الهزيمة بالعدو ...

مسألة الشخصية في كردستان

ان هذه المرحلة التي نواجهها اليوم في كردستان هي واحدة من المراحل المتكررة التي شهدت إعدام شعبنا على أعواد المشانق المنتشرة من أدنى البلاد إلى اقصاها بهدف إدامة الهيمنة الاستعمارية التي تعرضت للضعف بين الحين والأخر وإطفاء جذوة التمرد المتقدمة وخلق اجواء الخنوع والصمت والخضوع عبر إخافة الشعب. فالمستعمرون الأتراك الذين شنوا حرباً مباشرة ضد حركتنا بالاستناد إلى الأحكام العرفية التي فرضوها على معظم الاراضي الكردستانية في اعقاب (مذبحة مرعش) التي خططو لها هم بالذات، لم يستطيعوا منع (نار الثورة) من أن تلف شعب كردستان كما لم يستطيعوا إبادة حركتنا حركة حزب العمال الكردستاني التي كانوا يخططون للقضاء عليها من خلال تكثيف هجومهم بغية قطف الثمار المرجوة بسرعة. ان تطور نضالنا من اجل الاستقلال يؤدي إلى زيادة. سعار المستعمرين الفاشيين الذين تضيق الانشوطة حول أعناقهم فيصابون بالرعب الشديد. إن المستعمرين الفاشيين الأتراك الذين يبحثون عن أساليب جديدة ويستندون الى الحركة الانقلابية الفاشية التي نفذوها في ١٢ ايلول والذين عجزوا مع ذلك عن إنزال الضربة المميتة بحركة حزب العمال الكردستاني ووضعوا امامهم هدفاً استراتيجياً يتركز على خلق جو من اليأس والخنوع والسلبية عبر إغراق الشعب في بحر الخيبة من خلال تعليق المئات على إعواد المشانق بعد إصدار سيول من الاحكام الجائرة بالاعدام في محاكمهم الشبيهة بمحاكم (الاستقلال) الشهيرة في اثناء تمردادت درسيم والشيخ سعيد، من أجل قطع الصلة بين الشعب وبين حزب العمال الكردستاني تمهيداً لسحق الاخير سحقاً كاملاً وزرع الرعب في أرجاء البلاد وبين صفوف الشعب. إن محك السلوك والموقف الثوريين في هذه المرحلة هو: هل نحيي روح المقاومة التقليدية لحزب العمال الكردستاني أم لا؟ وهل نحن مستعدون لان نناضل في هذا السبيل ام لا؟

هل سينجح الاعداء في تحقيق هدفهم الاستراتيجي هذا ام لا؟ لا، لن ينجحوا بالطبع قد يتمكنون من إحراز بعض النجاحات التكتيكية ولكن هزيمتهم على المستوى الاستراتيجي

مؤكدة مثلما من المؤكد أيضاً أن النصر سيكون لحزب العمال الكردستاني طليعتنا المجيدة وللشعب الكردستاني بقيادة هذه الطليعة. إن الاعداء محكومون بأن يتشتتوا وبموتوا اختناقاً في (إعصار الثورة) الذي ستخلفه الانفاس الأخيرة للرفاق الذين يستشهدون على أعواد المشانق، ومن الجدير بالذكر ان المرحلة التي نحن فيها ليست شبيهة بمرحلة التمردات التي كانت في الفترة الممتدة بين ١٩٢٥ و١٩٤٠ ان هناك الان جملة كبيرة من العوامل الايجابية المساعدة على تحقيق النصر، ان (شجرة الاستقلال والحرية) التي زادت قوة بدماء شهداء الثورة الكثيرين مثل حقي كارير الذي كان احد قادة الحركة والذي قتله عملاء المستعمرين وأبطال شكستون الذين قاتلوا العدو حتى القطرة الأخيرة من دمائهم، والمقاتلين الثمانية أعضاء P K K الذين استشهدوا في المقاومة الأخيرة التي حدثت في قزل تبه، والرفيق الشهيد الذي لا يقهر دليل دوغان الذي قاتل العدو حتى الرمق الأخير، رجلاً برجل إضافة إلى شهداء الثورة الآخرين، امتدت جذورها أعمق فأعمق في تربة كردستان وتطورات أكثر فأكثر وراحت تنشر المزيد من الرعب في قلوب المستعمرين الاتراك وفي قلوب مرتكزاتهم الداخلية المؤلفة من الاقطاعيين الكومبرادوريين وسندهم الخارجي من الامبرياليين. على المستعمرين الفاشيين في هذه المرحلة الذين يزعمون بأنهم اختاروا فيها هدفاً استراتيجياً لهم يتركزعلى (ضرورة تقليم اغصان شجرة الاستقلال والحرية المزدهرة) بغية تأخير نهايتهم المحتومة، ان يعرفوا جيداً بأنهم، من خلال هذه التصرفات سوف يساهمون في زيادة قوة وازدهار (شجرة الاستقلال والحرية التي ستتحول إلى شبكة أخطبوطية لخنقهم والقضاء عليهم قضاء نهائياً وكاملاً.

فهم قد يستطيعون إنهاء وجودنا كأفراد من خلال أعواد المشانق ولكن حركتنا ستبقى، حزبنا حزب العمال الكردستاني سيبقى، فحزب العمال الكردستاني باقٍ طالما هناك شخص واحد يقاوم في كردستان ولن يكون النصر إلا من نصيب شعبنا بقيادة حزب العمال الكردستاني، قد يستطيع الاعداء ان يحققوا نوعاً من النجاح والسيطرة عبر سلسلة الاعدامات الطويلة كما

قد يتوهمون بأنهم يستطيعون إضعاف الحركة من خلال إرسالي أنا مع عدد من الرفاق إلى أعواد المشانق. نعم نحن قادمون من حلقات ضعيفة ولكننا مفعمون بالحياة، أما هم فليسوا إلا عجائز خرجت من القبور لا تقوى حتى على التكاثر. إن المستعمرين الفاشيين الأتراك الذين يزدادون سعاراً كلما اقتربت نهايتهم محكومون بالموت مهما فعلوا مثل كلاب مسعورة ، في حين ان النصر سيكون للشعب الكردستاني . بهذا الإيمان العميق سأرحل عنكم، غير أنني سأكون مطمئناً، فثقتي اللامحدودة بقائدنا الذي هو حزب العمال الكردستاني ستجعلني إنساناً لا يمكن قهره أو دحره .

كنت موفقاً لأنني – ذات يوم – سأواجه التجسيد الحي لشعار (اهلا بالموت كيفما جاء وحيثما أتي!) . وبمثل هذا الوعي استقبلت حكم الاعدام الذي صدر بحقي بأعصاب باردة وسأحاول أن أبقى هكذا بالاستناد إلى إرادتي الثورية حتى اللحظة الاخيرة. ومما تجدر الإشارة إليه أن (الموت في سبيل الثورة دون غيرها) الذي واجهني من بين اشكال الموت الاخرى التي تعرضت لها باعث على السرور والرضى في أحد جوانبه، كونوا على ثقة تامة بأنني لن ارحل عنكم الا وانا مطمئن تمام الإطمئنان إلى لأنني نفذت مهمتي الثورية الأخيرة بوعي كامل. ففي تلك اللحظة الأخيرة سأبقى متمسكاً برأي حزب العمال الكردستاني وأمانة شهداء الثورة مع الالتزام العام بالحزب ومبادئه وبشكل يليق به، وسأعرف كيف أشحذ إرادة النضال المتجسدة في كلمات احد الرفاق حين قال: (نحن اناس نعرف كيف نحقق أنبل اشكال المجد والجبال العاهرة حول اعناقنا!) كونوا واثقين بهذا ولا تشكوا ابداً!

تحياتي الثورية الخالدة ....

((أورهان آيدن))

مرة اخرى ضرب قادة حزب العمال الكردستاني وانصاره أروع امثلة الموقف النضالي إزاء الموت في زنزانات ديار بكر. فقد استطاع رفاقنا من خلال تقديم ارواحهم في سبيل القيم النبيلة في هذا المنعطف الحاسم الذي يشكل مرحلة تاريخية بالغة الاهمية بالنسبة للشعب الكردستاني ولمستقبل حركة حزب العمال الكردستاني، ان يخوضوا اكبر واسمى معارك المقاومة واستطاعوا من خلال إضرابهم عن الطعام أن يجعلوا حياتهم بمثابة خطوة أخرى متقدمة في طريق ضمان سير نضالنا واستمراره المظفر . لقد نجحوا في انتزاع حياتهم من الموت وانتزاع آخر وسائل التهديد من أيدي العدو عبر الموقف النضالي الذي وقفوه من الموت. كان الرفيق كمال بير أحد قادة حزبنا الذي طرح بقوة من خلال ممارساته العملية مفهوم الحياة والموت من وجهة نظر اهداف الحزب والنضال، يقول في آخر ايام الأضراب عن الطعام للجلادين الذين حاولوا ان يقنعوه بحياة اسوأ من الموت بألاف المرات (ليست عندكم أنتم ما يكفي من القوة لاحيائي أنا) بمثل هذا الموقف كان الرفيق البطل يتحدى الحياة غير الشريفة ويتحدى المستعمرين أيضاً ويحقق الخلود والسمو واعلى درجات النبل مديناً اولئك الذين أبدوا استعدادهم للخيانة، مترفعاً عن كل شيء قدم له بوصفه حياة في اللحظة التي تأكد فيها أن الموت هو الطريق الوحيد للحياة من أجل انتصار قضية الشعب والحزب.

إن الرفيق كمال بير كان يعلن بأعلى صوته استخفافه بالموت دفاعاً عن قضيته وقناعته بأن الموت هو الشكل الصحيح والحقيقي للحياة والخلود، في محاكم المستعمرين قائلاً: (أنا محظوظ لأن أقوم بأية مهمة في إطار حزب العمال الكردستاني، غير أنني لأسباب مختلفة لم أكلف بمهمة محددة. وقد رأيت أن من الضروري أن أبين هذه الحقيقة من الناحية التاريخية، ذلك لأن اسماؤنا تدور على السنة الناس وبين الرأي العام كما لو كنا في هذا المنصب أو ذاك، هذا هو السبب الذي جعلني أرى إيضاح الامر ضرورياً. لست خائفاً من العقوبة التي سأنالها بسبب كوني عضواً في هذه اللجنة او تلك. أضف إلى ذلك أنني لمعرفتي بأن العقوبة التي

سأنالها ليست إلا عقوبة سياسية أرى أنها ستكون مدعاة للفخر والاعتزاز ..) (من الدفاع)

.

في زنزانات سجن ديار بكر ايضاً برز الموقف الذي وقفه الرفيق خيري دورموش عضو اللجنة المركزية وأحد الأعضاء المؤسسين والذي صمد تحت التعذيب الذي استمر سنوات طويلة إزاء الموت في الفترة التي شهدت محاولات محرومون لخنق حركة حزب العمال الكردستاني في اجواء الاستسلام بعد ان وصلت عمليات التعذيب إلى اوجها على ايدي زبانية الفاشية. وقد أوضح هذا الموقف كيف يجب على المناضل ان يواجه الموت حتى في اصعب الظروف وأعقدها .

قال الرفيق خيري مخاطباً الموت لدى بدئه اضرابه عن الطعام وهو الذي وقف موقفاً سيذكره التاريخ كواحد من أروع نماذج المقاومة والبطولة: (نحن محررون من حق الدفاع السياسي، ومدير السجن يمارس ضدنا مختلف اشكال الظلم. هذه الممارسات التي تتم في السجن إنما تتم تنفيذاً للاوامر. صرح بعض الرفاق بأن ما صرحوا به إنما كان منتزعاً منهم بالقوة والاكراه، لا وفقاً لإرادتهم . لقد وضعوني في غرفة واغلقوا الباب ثم جاؤوا برفاقي وقالوا لهم: إن خيري يعترف، بعد أن دعوهم لان ينظروا إلى من ثقب الباب، ومن ثم اجبروهم على الاعتراف، لقد تم القضاء على بعض رفاقنا مثل مظلوم دوغان وفرهاد قورتاي أشرف ايناق عن طريق الحرق بالنار ومن ثم الشنق. إن القضية المعروضة هنا هي قضية سياسية، ونحن نقر بأننا ملتزمون بايديولوجيتنا ونريد أن تتاح لنا فرصة الدفاع عن هذه الايديولوجية. هذا حق من حقوقنا القانونية والدستورية إنني أعلن الإضراب عن الطعام حتى الموت لاقتناعي بعدم جدوى السعي في سبيل توفير فرصة الدفاع في ظل الظروف القائمة. هذا هو ما أردت قوله هنا . .)

إما لحظة إغماض عينه امام الحياة العضوية نتيجة للاضراب عن الطعام حتى الموت فقد صرح قائدنا العزيز بالعبارات التالية: ((أشعر بأنني مدين لأنني لم أستطيع أن أقوم بواجبي كاملاً تجاه الحزب سواء قبل الاعتقال أو بعده، اكتبوا (إنه مدين) على شاهدة قبري!)) .

وهكذا فإن أبطال المقاومة في حزب العمال الكردستاني استطاعوا ان يعلمونا فن صنع الحياة والخلود من صميم الموت.

من الواضح أن المناضل الذي ينجح في تحويل موته إلى عملية قوية، إلى نقطة انعطاف حاسمة تساعد على دفع عجلة النضال إلى الامام بقوة سيظل خالداً إلى الابد، وسيهيأ في ساحات النضال باستمرار. قد لا يستطيع المناضل ان يرى ساعة النصر غير انه يعرف معرفة اكيدة أن عمله سوف يتكلل بالنجاح، ويقاتل بالاستناد إلى هذا الإيمان كما يموت بمثل هذه القناعة إنه مؤمن إيماناً عميقاً وكاملاً بأن الموت الذي يدفع النضال إلى الامام هو نفسه الحياة الصحيحة، وأن لا حياة إلا حياة النضال وبالتالي نراه يقبل على الموت ساعة اللزوم والضرورة بدون أن يرف له جفن.
بعد ايضاح هذه الحقيقة ايضاً لا يبقى شيء يمكن قوله سوى انه لم يبق أي عائق يمكن أن يقف في وجه نشاط المناضل. فالمناضل الذي استطاع أن يفهم الحقائق التي ذكرت حتى الان وان يجسد السمات والخصائص التي تطرقنا إليه في شخصه لا بد له من أن يكون على مستوى من القوة يمكنه من تحقيق أهدافه ومن تجاوز سائر العقبات التي تقف في طريقه مهما كانت معقدة ومتناقضة وصعبة.

إن تطبيق الماركسية اللينينية على واقعنا القومي والاجتماعي يتجلى بهذه الصورة في الشخصية الثورية.

الفصل الخامس

حياة الحزب

إن غياب التنظيم أو انعدامه هو السائد في مختلف المجالات الوطنية والقومية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية وغيرها في كردستان. هناك اسباب تاريخية واجتماعية عميقة لهذا الواقع، وهذه الاسباب تمارس تأثيراتها المخربة والمفسخة والممزقة على مختلف بنى القوى الاجتماعية والوطنية القومية في كردستان بشكل اقوى من أي مكان آخر في العالم ونتيجة لهذه الظروف كلها تشكل مسألة التنظيم وقضاياها اكبر المشاكل الاساسية في كردستان. ونظراً لأننا تناولنا هذه المسألة بكثير من التفصيل في كتابنا (حول التنظيم) فلن نتوقف هنا عن تفاصيلها الدقيقة. ومع ذلك فإن لالقاء الضوء على بعض النقاط اهمية من وجهة نظر فهم الموضوع والاحاطة به بشكل افضل .

مسألة التنظيم عندنا مسألة بالغة العمق، يمكن القول إن الجانب الذي ينبغي التركيز عليه وتطويره عمقاً واتساعاً إلى اقصى الحدود في عملية التحرر الاجتماعي والقومي، بشكل ابرز

من أي بلد آخر في العالم، هو الجانب التنظيمي. فالقوى القومية الاجتماعية في سائر البلدان الاخرى في العالم استطاعت بصورة عامة ان تبني تنظيماتها في العديد من المجالات، السياسية والقومية والاقتصادية والثقافية وغيرها وخلفت كردستان وراءها في هذا المجال. إن كردستان ممزقة إلى اصغر جزيئاتها، فالمجتمع مقيم في وضع شديد التخلف بشكل ليس له مثيل في الدنيا، حتى الاسرة ممزقة. وهذا الوضع يبين لنا مدى كبر الابعاد التي وصل إليها غياب التنظيم عندنا كما يوضح مدى عظمة الاهمية الحاسمة والمصيرية التي تنطوي عليها عملية التنظيم وحل مايرتبط بها من مسائل.

إن كون السلبيات والنواقص في موضوع التنظيم عندنا على هذه الدرجة من العمق يفرض الوصول إلى الوعي السليم في موضوع التنظيم بشكل خاص كما في سائر الموضوعات. لا بد لنا من معرفة الظروف التاريخية والاجتماعية التي أبرزت مسألة التنظيم في كردستان. هناك عدد من العوامل التي تساهم باستمرار في تعميق هذا النقص في كردستان مثل الاستعمار والعشائرية وغيرها من اشكال التجمع والتجرب كما ينبغي إيراد البرجوازية الصغيرة المتشكلة حديثاً بوصفها عاملاً من عوامل تعميق غياب التنظيم، فعلى الرغم من أن البرجوازية الصغيرة تكثر من الكلام عن قيامها ببناء التنظيمات غير إنها في الواقع العملي لا تؤسس إي شيء له علاقة بالتنظيم، وكل الكيانات التي تقييمها تشبه كل شيء عدا التنظيم. قد لا يكون الامر قابلاً للتصديق ولكنه واقع. هناك احياناً اسم التنظيم ولكن التنظيم نفسه غير موجود، كما يجري احياناً إبراز منظمة ما من ملفات البوليس وهو غير موجود حتى ولو اسمياً كما لو كان تنظيماً منذ عدد من الاعوام، نعم، هناك حوادث لم يشهد التاريخ لها مثيلاً باسم التنظيم في كردستان. إن البرجوازية الصغيرة ترفض التنظيم وتقدم مساهمة كبيرة في عملية تنشيط غياب التنظيم. ومن المؤكد إن هذا الوضع يضاعف من صعوبة معالجة موضوع التنظيم عندنا. ونظراً لأن العدو جعل تنظيماته هو هي المسيطرة على مختلف المستويات نرى في المقابل في كردستان وضعاً مناقضاً لذلك، نرى غربة واضحة وعمل عكسي سلبي في مجال التنظيم.

وهذا الواقع الملموس عندنا يساعد على إبراز مدى ثقل المسألة التنظيمية في بلادنا. لذا لابد من الوصول إلى وعي القضية كما لابد من تحويل هذا الوعي إلى إطار منظم. هذا وينبغي لنا هنا أن نؤكد على نقطة أخرى هي أن مسألة تنظيم حزب بروليتاري بالمعنى الحديث ليست هي القضية الوحيدة التي نواجهها في كردستان. ففي كردستان حيث غياب التنظيم الفاضح في سائر الميادين هو السائد نرى إن المسألة اشد تعقيداً بكثير، وأكثر شمولاً، ومهما كان تنظيم الحزب البروليتاري في كردستان اليوم اساسياً فإنه ليس كافياً وحده بل لا بد من امتلاك الوعي العميق حول اهمية التنظيم، لا على المستوى الحزبي فقط بل وعلى سائر المستويات الوطنية – القومية والاجتماعية والانتقال بعد ذلك إلى الممارسة التنظيمية العملية لسائر شؤون المجتمع من السياسية إلى الاقتصاد، ومن الثقافية إلى القضايا العسكرية وبناء الجيش.

بادىء بدء لابد في هذا المجال من فضح المنظمات الغريبة والعملية والداعية إلى المساومة إضافة إلى المفاهيم والمبادىء التي تدعو إليها. كما يجب في الوقت نفسه الانقضاض على التنظيمات التي انشأها العدو وسحقها، ومقابل ذلك يجب تأسيس وتطوير الممارسة التنظيمية العملية بعد الوصول إلى مستوى من الفهم التنظيمي القادر على الإحاطة بالاهداف القريبة والبعيدة بما فيها الاهداف الاشتراكية بما ينسجم من المستوى الوطني – القومي والاجتماعي بالانطلاق من الفهم الثوري لقضية التنظيم. وهذا التنظيم هو التنظيم الطليعي الاساسي، أي تنظيم الحزب . ان المستعمرين يعارضون السير في أي طريق يضمن تنظيم الطبقات والفئات الكادحة في كردستان بما ينسجم مع مصالحها الوطنية والاجتماعية الخاصة ويضمنها بعيداً عن تنظيمات المستعمرين الزائفة ويعادون ذلك عداء شديداً. فهم اليوم قد عززوا جهودهم ومحاولاتهم المتركزة على إعاقة هذه العملية مثلما ظلوا طوال التاريخ يرفضون الاعتراف بحق هذا الشعب في تنظيم نفسه وفقاً لمستلزمات مصالحه الخاصة. وتكاد المواد كلها في الدستور الجديد الذي فرضته الطغمة الفاشية تنص على العبارة التالية: (يحظر على الأحزاب أن تكون ضد وحدة الوطن والأمة) فهم يرفضون رفضاً باتاً وقاطعاً أن يمتلك الشعب في كردستان

احزابه الخاصة به، إنهم دائبون على العمل ليل نهار في سبيل إزالة الاحزاب من الوجود من خلال اللجوء إلى استخدام مختلف اساليب العنف والقهر.

غير أن العقبات التي تعترض طريق التنظيم في كردستان لا تأتي من جانب العدو فقط فغياب التنظيم الذي تريد البرجوازية الصغيرة نشره وتطويره هو ايضاً عائق جدي في هذا المجال فكما أظهرت الوقائع حتى اليوم لا تستطيع البرجوازية الصغيرة في بلادنا ان تنتظيم. من المستحيل تحقيق التنظيم في كردستان إلا بالاستناد إلى اساس من المقاومة. من الواضح وضوح الشمس ان من المستحيل ان نخطو خطوة واحدة إلى الامام في هذه المجالات إلا عبر النضال الدؤوب والعنيف في هذه البلاد حيث يجري إغراق ابسط الخطوات في هذا الاتجاه ببحر من العنف الوحشي من قبل الاستعمار الذي يسعى لأن يمد جذوره العميقة إلى سائر مجالات الحياة وليفرض هيمنته على جميع مظاهرها. لهذا السبب لا بد للبرجوازية لحظة بدئها بالتنظيم من الاصطدام بالعدو لأنه سيكون مضطراً لان يقاومه، ولكن بنيتها الطبقية يجعلها عاجزة عن مواجهة تحديات العدو بالشكل المطلوب، إن إنعدام التنظيم لدى البرجوازية الصغيرة الكردية تحت اسم التنظيم، والتكتيكية باسم الوحدة، والجهود التي تضع مصالح الأفراد والعشائر والاقطاعيين في المقدمة هي السائدة في كردستان. فيما يجهد العدو لعرقلة نشوء أي تنظيم مقاومة متبعاً مختلف اشكال الهجوم والعدوان، يسعى الاصلاحيون من البرجوازية الصغيرة في الجهة المقابلة إلى تشويه وإفساد جميع المجالات ذات العلاقة بهذا الموضوع، ان العدو يبذل جهوداً مكثفة لاحياء وتقوية سائر الروابط الحزبية الاستعمارية البرجوازية والعشائرية والطائفية والعائلية وغيرها من الروابط القديمة في المجتمع بالانسجام مع تصميمه على إعاقة نشوء وتطور أي تنظيم ثوري مهما كان الثمن، أما في الوقت الراهن فإنه ينوي أن يقلب الأمور بما يخدم مصالحه من خلال الأحزاب الفاشية التي أقامها .

مسألة الشخصية في كردستان

إن للحاجة التي يحس بها الشعب الكردستاني بسبب هذا الغياب للتنظيم، إلى التنظيم وخصوصاً إلى إقامة حزب البروليتاريا الثوري الخاص به أهمية كبرى. فكما ان الحياة بدون الماء والهواء غير ممكنة كذلك يستحيل العيش في كردستان بدون حزب البروليتاريا. يمكن القول ان اكبر قضية بالنسبة لكردستان اليوم هي قضية التنظيم. وما يأتي في المرتبة الاولى في هذا المجال هو تنظيم الحزب.

اما سائر اشكال التنظيم الاخرى فلا يمكن تطويرها إلا على أساس التنظيم الحزبي. فالحزب هو المؤهل لقيادة التنظيمات الاخرى وتوجيهها في سائر المجالات الوطنية والقومية والاجتماعية بتنظيمه وسياسته وتكتيكه. ان الحاجة الماسة إلى حزب قادر على تنفيذ مثل هذه المهمة هي قضية يجب وضعها في المرتبة الاولى، قضية مصيرية حاسمة، والحزب المؤهل لإنجاز مهمات على هذه الدرجة من التعقيد في الواقع الكردستاني الراهن لن يكون إلا حزب البروليتاريا. فلدى الجمع بين الآفاق الايديولوجية والسياسية للبروليتاريا وبين الواقع الكردستاني الملموس يمكن تحويل غياب التنظيم الناجم عن اسباب تاريخية واجتماعية إلى تنظيم، يمكن تشكيل التنظيم الحزبي الاساسي للبروليتاريا الكردستانية بعد إزالة الفوضى التي احدثتها البرجوازية الصغيرة ودعاة الاستسلام الاصلاحيين والشوفينيين والشوفينيين الاجتماعيين وأشباه الأحزاب المزركشة التي أوجدتها من جميع الألوان. هناك حاجة ماسة إلى مثل هذه المؤسسة العظيمة والسلطة المرجعية الفعلية في كردستان، من هذه الزاوية تشكل عملية تأسيس حزب العمال الكردستاني خطوة تاريخية هامة. فمع تأسيس حزب العمال الكردستاني نفذت الخطوة الأكثر ثباتاً وجرأة وتضحية من اجل بلوغ المعايير المطلوبة بالنسبة للحزب البروليتاري . ولكن قضية التنظيم تبقى بعيدة عن ان تكون محلولة بصورة نهائية. فالحزب هو المؤسسة الأهم والسلطة المرجعية الأكثر حسماً الذي يجب أن يجري تطويره اكثر فأكثر من الناحيتن النظرية والعملية. إننا سنتناول المبادىء التنظيمية لحزب البروليتاريا بهدف إلقاء الضوء على هذه المسألة. لا شك ان موضوعات النظرية والبرنامج والاستراتيجية والتكتيك التي سبق لنا تناولها،

هي موضوعات يتوجب على المناضل الحزبي أن يتمثلها ويجسدها في شخصه، فكما أن الحزب هو نتاج تطور هذه الموضوعات النظرية والبرنامجية واستراتيجية يشكل هو نفسه محطة هامة وميزة أساسية لمثل هذا التطور. لا قيمة للتطورات التي يجري تحقيقها في هذه المجالات بدون تحقيق عملية التنظيم. ذلك يعني ان الحزب هو الخلاصة التنظيمية المكثفة لكل من النظرية والبرنامج والاستراتيجية. غير ان جانبه الأهم يبقى كامناً في التنظيم. قد يتمكن المرء من تحقيق هذا القدر أو ذاك من التطور في المجالات الأخرى، بل وقد يستطيع الحزب نفسه ان يسجل بعض التقدم والتطور في تلك المجالات، غير أننا اذا ماعدنا الى مسألة التنظيم، وخصوصاً في بلد مثل كردستان، فإن الاخفاق يظل محتوماً في هذه الأجواء التي يهرب فيها الناس من التنظيم كما لو كانوا يهربون من الأوبئة والآفات. من الواضح إن هذا ليس مجرد مصادفة بل ناتج عن أسباب تاريخية واجتماعية عميقة وأخرى نابعة من الاستعمار .

إن المهمة التاريخية التي تواجه الحركة البروليتارية هي امتلاك الوعي بهذا الواقع وتحويل ذلك إلى تنظيم. لن يتحقق ايصال المجتمع إلى الاستقلال والديمقراطية وتوجيهه تدريجياً نحو الاشتراكية إلا من خلال تقديم الحل الصحيح للقضية التنظيمية. لذا لابد لحركة البروليتاريا من بناء حزبها وتطويره مهما كان الثمن؛ فمن المستحيل الانتقال إلى أشكال التنظيم الأخرى إلا بعد تحقيق هذه الخطوة بعبارة أخرى نقول إن المسألة المصيرية الحاسمة اليوم هي مسألة خلق التنظيم الحزبي، ومن جهة أخرى نرى أن مسألة تنظيم الكوادر تشكل المسألة الأساسية لقضية التنظيم الحزبي، مثلما تشكل مسألة التنظيم الحزبي القضية الأساسية لموضوع التنظيم الماثل أمامنا اليوم .

تشكل مسألة الكادر جوهر المسألة التنظيمية بصورة عامة، والاتجاه الحاسم للجهود المبذولة اليوم في كردستان هو خلق منظمة للمناضلين وإعدادها لتلبية مستلزمات تنظيم وتحريك الملايين، وعلى حزب العمال الكردستاني ان يسجل تطوراً في هذا الاتجاه وأن يصبح قادراَ

على الوصول إلى هذه النقطة. أي لابد له من ان يصبح تنظيماً للمناضلين ومن ان يدعم ويرسخ جانب كونه تنظيم الثوريين المحترفين، مع أنه يمكن القول بأن عملية رسم الخط السياسي قد انتهت فعلاً، إلا أنه لا يمكن القول بأنه تحقيق نجاح كامل في تمليك هذا الخط للكوادر وتنظيمهم على ضوء ذلك، وإنما نستطيع القول بأنه تبذل جهود حثيثة من أجل تحقيق النجاح في هذا النجاح .

إننا نتحدث عن أن المرحلة هي مرحلة إعادة تنظيم الكوادر، أي إعادة تنظيم إفضل الثوريين المحترفين، وعن إستحالة القيام بتنظيم الجماهير بشكل واسع والسير إلى الامام بخطوات ثابتة مالم يتم حل هذه القضية. فقد أكد لينين بصورة خاصة (يستحيل تطور أية حركة جماهيرية جادة بدون منظمة ثورية تضم الثوريين المحترفين) ولموضوعة اللينينية هذه حقيقة ثابتة وكونية، وها نحن ذا في غمرة العمل من أجل إيجاد الحل المناسب لهذه المسألة لنتوصل إلى بناء مثل هذا التنظيم .

لابد لعملية خلق التنظيم القوي الذي يضم المناضلين من أجل ان تتم على الأساس النظري والبرنامجي والاستراتيجي المبين سابقاً وفي إطار الوعي الكامل لهذا الاساس، فالحقد والاستياء المتزايد باضطراد لدى الجماهير في كردستان ازاء المواقف غير المفهومة التي يقفها العدو باتا يتطلبان قيام تنظيم المناضلين بتبني أسلوب عمل صار ملحاً وحاسماً وبتعزيز نفسه بالوعي والحقد والاستياء. إن المعيار الأساسي للالتزام بالثورة، بالشعب ، بالحزب، وبالايديولوجية الماركسية اللينينية العظيمة هو توفيره إمكانية بناء التنظيم الذي يضم الثوريين المحترفين. فما هو مطلوب الان ليس التنظر والانشغال بالدعاية. إن المسألة المطروحة بحدة هي مسألة دمج مختلف هذه الأمور والوصول إلى خلق التنظيم، ذلك هو الموقف الملموس الذي فرضه الواقع الراهن الذي نعيشه بشكل ملح .

إن النضال الذي يخوضه حزب العمال الكردستاني في أصعب الميادين جنباً الى جنب مع تدريب كوادر الحركة ما هو الا التعبير عن الجهود المكثفة التي يجري بذلها من اجل ايجاد مثل هذا التنظيم. علينا ان نتذكر أن المرحلة التي نحن فيها ليست مرحلة حرب العصابات كما أنها ليست مرحلة تستهدف تنظيم اوسع الجماهير والقيام بالنشاطات الدعائية الواسعة جداً، ان ما هو مطروح على النقيض من ذلك، هو موضوع انشغال النواة التنظيمية للطليعة بنفسها اننا نعيش فترة تتطلب من الطليعة ان تنظم نفسها وتتدرب وان تقوم بترتيب وبرمجة الاجراءات التي لابد من اتخاذها والتخطيط لها، لابد لحركة حزب العمال الكردستاني من ان تعيش بنجاح هذه المرحلة التي تضعها أمامها بوصفها مهمة أساسية. فبدون تنفيذ مهمات هذه المرحلة بشكل كاف لا يمكن عقد الآمال على امكانية الانتقال الى مرحلة اعلى، هذا ويجب على المناضل ألا يتوهم امكانية التوصيل الى حل او نجاح من مستوى اعلى الابعد تأمين حلول القضايا المطروحة عليه في هذه المرحلة وايصالها الى نهاياتها المظفرة، هذه المرحلة التي تتصف بهذه السمات ليست مرحلة برزت في واقع بلادنا نحن دون غيرها، بل هي مرحلة مرت بها سائر الحركات الثورية في العالم.

من المعروف ان السنوات الأولى للحركة الثورية تكون منصبة على النشاط الذي يستهدف تكون جماعة ومتميزة بالاكثار من الفعاليات الدعائية. غير أن من المعروف أيضاً ان هناك خطر التصفية نتيجة التعرض للهزيمة أو الانجرار خلف هذه الطبقة الحاكمة أو تلك في حال عدم ابداء القدر الكافي من الكفاءة ازاء التطورات الثورية، والعجز عن تجاوز مرحلة التنظيم البدائي أو العمل الشبيه بعمل الهواة بعد فترة من الزمن. إن من لا يريد أن يقع في مثل هذا الخطر يجب عليه ان يرفض الاكتفاء بمنظمة الهواة البدائية. هذا ولا يمكن الوصول الى الحلول المنشودة من خلال النجاح في بناء القوة العسكرية المجردة. إن المطلوب هو السير بالتطورات التي تحققت في النظرية وفي الخط السياسي الى الامام وتحويلها الى عمل تنظيمي. ولدى تحقيق ذلك يمكن لنضالية الحركة أن تصل الى مستوى بالغ الأهمية. إن الحركة الواثقة من انها انجزت

مهمات هذه المرحلة انجازاً كاملاً وجيداً تصبح قادرة على التعامل مع الحركات الجماهيرية الواسعة ايضاً. من الضروري تحقيق التنظيم السياسي والعسكري للملايين عبر اتخاذ الخطوات الأكثر جرأة وثباتاً في الحرب التي يجري خوضها في بلاد ترزح تحت الحكم الاستمعاري. بعد اتخاذ مثل هذه الخطوات يمكن تحقيق الكثير من التطورات الهامة داخل البلاد وخارجها. وبهذا المعنى يتحول النشاط النضالي تدريجياً إلى نشاط تنظيمي .

ان لصياغة الخط السياسي وتمكين الكوادر من تمثله اهمية كبيرة. ولكن الأمر الذي ينطوي على أهمية اكبر فهو توفر القدرة لدى الكوادر على ترجمة هذا الخط في الواقع العملي. وإلا فإن خطر ضمور وتراجع التطورات الناجحة التي تم تأمينها حتى الان على العديد من المستويات خطر جدي وماثل. فعدم الوصول إلى ماهو متقدم في النقطة التي تم بلوغها يعني المراوحة في المكان وترك الجهود التي بذلت بتحمل الكثير من المشقات والصعوبات في منتصف الطريق. ولهذا فإننا نضع امام الكوادر الثورية والمناضلين مهمة إعطاء الحياة للخط السياسي الصحيح. وهذا يعني إيصال الخط السياسي إلى امتلاك الاداة التنظيمية عبر اكسابه الحياة. أي أن الموضوع المطروح هو موضوع بناء تنظيم قادر على ترجمة الخط الاستراتيجي الموجود إلى الحياة. لا أي تنظيم بدون تحديد هناك اليوم عدد كبير من التنظيمات سواء في داخلنا نحن أم خارجنا. غير أن موضوع ما إذا كانت هذه التنظيمات قادرة على ترجمة الخط السياسي والعسكري الموجود إلى الحياة أم لا هو موضوع للنقاش. من الواضح أن على تنظيمنا نحن أن يكون تنظيماً يستطيع أن يترجم مثل هذا الخط إلى الحياة، وهذا يعني في الوقت نفسه تنظيم الكوادر. فالكادر هو ذلك الذي ينتظم وفقاً لمتطلبات الخط السياسي ومستلزماته. إن التنظيم يشكل الحلقة الأساسية والعمود الفقري الأساسي بالنسبة للحزب، فالحزبي أو المناضل بدون تنظيم لايساوي شيئاً. ولايستطيع أي منهما أن يثبتا أي وجود لهما مهما كانت النظرية والسياسية الموجودة لديهما إلا إذا استطاعا تحويلها إلى التنظيم. بل وقد يتعرضان تدريجياً لخطر التحول إلى كيان يأخذ جميع الأشكال والصيغ ذلك هو السبب الذي

يجعلنا نقول إن الحلقة الأساسية الحيوية بالنسبة للحزب هي حلقة التنظيم كما ان الجانب المصيري الهام من جوانب سياسية الكادر هو توفرالتنظيم أو عدمه.

إن كردستان تشبه صندوق العجائب من هذه الناحية. هناك زحمة من وجهات النظر والبرامج والخطط المختلفة ولكن حين الأمر يصل إلى خلق التنظيم النضالي القوي المستند إلى خط سياسي ثوري يغدو مختلفاً. يجري تأسيس هذا التنظيم أو ذاك ولكن احداً لا يهتم بمدى صعوبة القضية التي يعالجها. اما البرامج المكتوبة والتنظيمات المؤسسية لا تكون اكثر من الجمعيات والنوادي التي تفتتح بهدف الوصول إلى البرلمان. يجري احلال الجمعيات محل التنظيمات. هذه كلها هي من اختراعات البرجوازية الصغيرة في بلادنا. يا لها من أختراعات ليس لها مثيل في العالم، لعل الإنسان الكردستاني، كما سبق لنا أن اكدنا، هو أكثر الناس بعداً عن التنظيم وافتقاداً له. واقع الشعب هذا ينعكس ايضاً على الكوادر ويمارس تأثيره عليهم في الوقت نفسه. يعاني كوادرنا مثلهم مثل المرشحين من الكثير من الصعوبات في تنفيذ ماهو مطلوب في ميدان التنظيم سواء داخل بنية التنظيم، ام في إطار أضيق، ام خارج التنظيم ككل، على الرغم من ان التنظيم هذا هو العمود الفقري لسائر النشاطات المختلفة، بدون الاستناد إلى هذا الاساس يستحيل على مختلف الفعاليات والجهود المبذولة بشأنها ان تصبح فعالة مؤثرة ولهذا فإن سائر الجهود التي لا تستند إليها تذهب هباء بلا جدوى.

من المفيد ان نشير ايضاً إلى الظاهرة المعروفة باسم(الاستقلالية والمستقلين). بهذه المناسبة ربما كان هذه الاتجاه الذي تم تطويره تحت ستار (الاستقلالية) بشكل لا معنى له قط هو الاتجاه الداعي إلى الابتعاد عن التنظيم والمشجع على غيابه. كما إنه من جهة اخرى يشكل انعكاساً للتمزق الاستعماري العشائري الاقطاعي على صفوف الثوريين، إنه شكل من اشكال الانبعاث الجديد للتمزق والانقسام المفروضين على المجتمع من قبل تلك القوى في ازياء جديدة. لقد ظهر خصوصاً في الفترات الاخيرة عدد كبير من الأشخاص الذين يزعمون

إنهم (مستقلون) وهذا يعني مايلي: (إذا كنت مستقلاً، أي كنت تعيش بلا تنظيم، فلن تكون مضطراً لأن تقوم بأي عمل جدي) فافضل الطرق لعدم اتخاذ أي موقف ينطوي على أي خطر هي ان تبقى (مستقلا وتضمن سلامتك بعد ان تدير ظهرك لكل المسؤليات) ان ظاهرة (الاستقلال) الغريبة هي السمة النموذجية للمثقف البرجوازي الصغير الناشيء في إطار هذه البنية. كما أنها نتاج للاستعمار وبقايا الاقطاع. ينحصر هدف مثل هذا النموذج على البقاء في دائرة صغيرة. وما ان تتسع الدائرة قليلاً حتى يبدأ بالانقسام ... الخط يبقى

٢٧٥- صحيحاً .. ولكن الممارسة العملية تسير في اتجاه مغاير تماماً .. القوة الأساسية محددة ولكن الاعتماد يبقى على القوة الثانوية .. الخ .. تلك هي باختصار السمات المثقلة بالفوضى والغموض ل(الثورية) البرجوازية الصغيرة عندنا.

ان هذا المرض هو من الأمراض التي تتهدد حركة حزب العمال الكردستاني ايضاً تهديداً مباشراً. فالقضية التي تنطوي على اكبر الصعوبات هي قضية تطوير المستوى التنظيمي للكوادر وايصاله إلى المستوى المطلوب للعمل المنظم، وفي هذا المجال مازال الكوادر الذين يشكلون العمود الفقري للحزب يعانون من النقص في الكفاءة التنظيمية. وتؤكد الصعوبات التي تعترض طريق القيام بالنشاطات الجماعية والأعمال المنظمة من قبل الهيئات على أن لدى الكوادر ميل قوي إلى العمل الفردي. من الواضح أن هذه السمة ليست إلا صدى داخلياً للمرض المستمر بشكل جاد في مجتمعنا. إذا لزم إتخاذ قرار ما فإن الفرد يبادر إلى اتخاذه وحده. وإذا لزم القيام بعمل ما فإن الفرد يبادر الى القيام بسائر الأعمال مثل القتال تقريبكا. إنه يقوم بسائر الفعاليات الدعائية وغيرها وحده، ضارباً عرض الحائط بالعمل الجماعي الذي لا يتذكره قط . من المؤكد أن مثل هذا السلوك يمكن القبول به لوصفة سلوكاً لفرد معين غير ان من المفروض ان يكون مثالاً لدى التنظيم ككل. غير أن العمل الذي يقوم به الفرد لايمكنه ان ينقذ شيئاً. ولهذا فإن هذه القضية تفرز مرضاً جدياً لا بد من معالجته.

مازالت ظاهرة عجز المناضلين عن تطوير التنظيم مشكلة كبيرة وشاملة مازالت تؤدي إلى التخفيف من سرعة التطورات، هناك عامل آخر يزيد هذه المشكلة عمقاً هو عدم الخلاص التام من مفاهيم مثقفي البرجوازية الصغيرة. فعملية الانتقال إلى امتلاك التنظيم تعني ترتيب الآلية وضبطها بشكل كامل. وبعد ذلك يعمل الجميع كما لو كانوا مسننات للآلة وتتم الخطوات بسرعة متناسبة مع حركة الآلية ودورتها. الوصول إلى مثل هذا الوضع يعني في الوقت نفسه التغلب على مختلف الأمراض والعلل البرجوازية الصغيرة. غير أن مثقفناً المزعوم بعيد كل البعد عن قبول وضعية المسنن في الآلة الكبيرة. إنه يظل يفكر على النحو التالي:

(كيف يمكن لرجل عظيم مثلي عاش سنوات طويلة بلا تنظيم أن يقوم بالأعمال الصعبة في التنظيم أو كيف يقبل بأن يكون مسنناً في الألة) .

وتتجلى هذه الظاهرة القريبة جداً من الاتجاهات الفوضية لدى مثقفي البرجوازية – الصغيرة في العالم بصورة عامة، بشكل أقوى وأبرز عندنا نحن. هذه الاتجاهات الظاهرة بكثير من الوضوح تعرقل باستمرار سائر الخطوات التنظيمية وتعمل تلقائياً على فرض الروابط والعلاقات الرخوة والمائعة. غير أن أهمية وضرورة التنظيم لدى المناضلين لا تتراجع قط على الرغم من هذه السلبيات الكثيرة. على النقيض تماماً إن ذلك هو الذي يجعل من الضروري التوقف عند المسألة باصرار أكبر وعزيمة أشد.

يجب ألا يفهم من عبارة التنظيم مجرد اتحاد عدد من المناضلين في إطار واحد من الهيئات. فالمسألة المطروحة هي مسألة الاتحاد في إطار التنظيم الحزبي. لتفهم القضية بشكل اكثر تفصيلاً لا بد من معرفة بعض المواصفات الأساسية لحزب البروليتاريا معرفة جيدة. ما هي سمات هذا الحزب؟ لنفصل موضوعنا شرط الالتزام بالواقع الملموس للبلاد مع الالتزام بمنهج الرفيق ستالين وتحديداته وتحت العناوين نفسها:

مسألة الشخصية في كردستان

١_الحزب هو الفصيل الطليعي للطبقة العاملة

تكون الطبقة العاملة بحاجة ماسة إلى فصيل طليعي يستطيع قيادتها في نضالها الصعب إلى أقصى الحدود والمعقد والمثقل بالأخطار ويبين لها الطريق الصحيح كما يضمن لها النصر. من المستحيل على الطبقة العاملة أن تخوض نضالها وأن تلحق الهزيمة بالعدو ما لم تتوفر لها طليعة قادرة على إنارة الطريق أمامها. إن الفصيل الطليعي القادر على قيادة الطبقة العاملة قبل كل شيء، على أن يوحد في صفوفه جميع العناصر المتقدمة من البروليتاريا ومن أن يجسد في كتابة روحهم الثورية. يسير الحزب دوماً أمام الطبقة العاملة ويرشدها إلى الطريق. ولهذا السبب يجب عليه أن يكون قادراً على رؤية ما هو أبعد مما تراه الطبقة العاملة والجماهير الكادحة. أما إذا حصر الحزب نفسه في حدود تسجيل تطلعات الجماهير وأفكارها فقط ، رافضاً السير أمام هذه الجماهير وعاجزاً عن تقديم ما هو أعلى وأسمى من مطالبها اليومية، فإنه يبقى، وبدون أدنى شك، عاجزاً عن أداء مهمته الطليعية. إلا أنه إذا ما استطاع أن يوجه الجماهير نحو أهداف أكثرتقدماً دون البقاء متعلقاً بذيلها فإنه عندئذ يكون قادراً على تحقيق النجاح. ولتوفير مثل هذه القدرة لا بد له من أن يسلح نفسه بمعرفة قوانين النظرية والحركة الثوريتين. إن الحزب الذي لا يجسد هذه الميزة في كيانه لن يكون قادراً على قيادة الطبقة العاملة والشعب الكادح. ففي ظروف النضال المعقدة أشد التعقيد، (يستحيل) حسب قول لينين (على الطبقة العاملة والشعب الكادح أن يسيرا نحو النصر بدون وجود حزب نضالي، تنظيم يتولى القيادة ويضمن سير الطبقة في الطريق الصحيح محاذراً حتى الصخور المخبوءة تحت الماء ..) هذا يعني أن الحزب هو القائد السياسي القادر على السير بالطبقة العاملة دوماً إلى الامام وعلى حمايتها من التأثيرات الطبقية الغريبة ومن التأثيرات السلبية الداخلية منها والخارجية، ويضمن تقدمها على الطريق الصحيح بدون الانحراف عن خطها الثوري.

غير أن الحزب لا يكتفي بدور القائد السياسي للطبقة العاملة بل هو في الوقت نفسه هيئة أركان الحرب عندها. فنضال الطبقة العاملة نضال بالغ التعقيد يتطلب تكتيكات متغيرة باستمرار. قال الرفيق ستالين: (من ذا الذي يستطيع الاهتداء إلى سواء السبيل وسط هذه الظروف؟ ومن يستطيع أن يعطي ملايين البروليتاريين توجيهاً صحيحاً؟ مامن جيش يخوض حرباً في وسعه الاستغناء عن هيئة أركان مجربة، إذ كان لا يريد نذر نفسه للهزيمة. أفليس واضحاً، بالأحرى، أن البروليتاريا لا يمكنه الاستغناء عن أركان حرب من هذا النوع إذا كانت لا تريد أن تقدم نفسها لقمة سائغة لأعدائها الألداء؟ ولكن أين يمكن وجود هذه الأركان؟ إن حزب البروليتاريا الثوري هو الوحيد الذي يمكن أن يكون هذه الأركان. فالطبقة العاملة، بدون حزب ثوري، هي جيش بدون أركان حرب أن الحزب هو أركان الحرب لكفاح البروليتاريا .) بهذا المعنى يكون الحزب الفصيل الطليعي للبروليتاريا. فكما أن هيئة الأركان هي التي تدير الجيوش سواء في الحرب أم في السلم كذلك الحزب الذي يشكل الطليعة التي تقود وتوجه نضال البروليتاريا والشعب الكادح في كل الظروف.

إن الحزب جزء لا يتجزأ من الطبقة العاملة مثلما هو الفصيل الطليعي لها. لا بد من وجود اختلاف بين الطليعة والجماهير غير أن هذا الاختلاف يجب الا يتطور بما يؤدي إلى القطعية بينهما، بل على العكس يجب أن يكون أميل إلى تعزيز الروابط القائمة بينهما أكثر فاكثر. وهذا الاختلاف القائم بين الطليعة والجماهير لا يزول إلا بزوال الطبقات وبإرتقاء الطبقة العاملة كلها إلى مستوى الطليعة. أما في حال تطور هذا الاختلاف إلى درجة تؤدي إلى القطيعة مع الجماهير فيغدو من المستحيل عندئذ الحديث عن أداء الحزب لمهمة قيادة الجماهير وتعبئتها للعمل وتحريكها للنضال. من الواضح أن الحزب الذي لا تعترف الجماهير بقوته وسلطانه ولا ترتبط به بروابط قويه لن يكون قادراً على قيادة الطبقة. إن حال الحزب الذي لا يحظى بالاحترام والهيئة ولا يرتبط بالجماهير هو حال هيئة الأركان المنفصل عن الجيش والمتناقض معه لا يتمتع بأي قدر من الاحترام والهيبة. ولهذا السبب لا بد من تعزيز

العلاقات والروابط المتشابكة بين الحزب والجماهير مما يجعل الأخيرة ترى الحزب جزءاً من كيانها، وقطاعاً محبوباً من قطاعاتها .

هذه الصفة التي يجب أن تتوفر في سائر الأحزاب البروليتارية بصورة عامة تكسب قدراً أكبر من الأهمية والراهنية والالحاح بالنسبة للحزب البروليتاري الذي ينشأ فوق الأرض الكردستانية. إن الجهود المكثفة التي تبذلها الدوائر المعادية بهدف إبقاء شعبنا محروماً من مثل أركان الحرب هذه، أي من الحزب عبر مختلف أساليب الضغط والقهر من جهة، ومحاولات البرجوازية الصغيرة الرامية لشل دور الحزب الطليعي، والهروب الدائم من مهمة قيادة نضال الجماهير من جهة ثانية؛ وعدم بلوغ حزب البروليتاريا إلى المستوى التنظيمي المطلوب حتى الأن من جهة ثالثة، ذلك كله يجعل مهمة تحول الحزب عندنا إلى فصيل طليعي مهمة ملحة وعاجلة جداً. لا شك أن ظاهرة الوحدة المتجسدة في شخص حزب العمال الكردستاني اليوم هي التعبير عن وحدة العناصر المتقدمة من كل من الطبقة العاملة والشعب الكادح. غير أن هذه القوة ما زالت منشغلة بالمساعي التي تبذلها للوصول إلى الشكل والمستوى المطلوبين لمواجهة المهمات المطروحة في هذه المرحلة بالصورة اللائقة. إن حزب العمال الكردستاني هو القوة الوحيدة المؤهلة لأن يصبح فصيلاً طليعياً في كردستان، لأن هذا الحزب يضم في صفوفه أكثر العناصر تقدماً من الشعب الكردستاني. لابد لحركة حزب العمال الكردستاني من النجاح في عملية التحول إلى فصيل طليعي ليتمكن من القضاء على التراكم السلبي الموروث عبر القرون قبل كل شيء، وتحطيم قيود العبودية، وإيصال الشعب الكردستاني إلى الاستقلال والحرية. يسير تطور هذه الحركة هو بهذا الاتجاه.

٢- الحزب هو الفصيل المنظم للطبقة العاملة

إذا كان الحزب يريد أن يعبيء الجماهير الكادحة للنضال وأن يقودها فلا يجوز له أن يكتفي بالبقاء مجرد فصيل طليعي، بل عليه أن يكون في الوقت نفسه فصيلاً طليعياً منظماً. فإذا

أخفق في تنظيم العناصر المتقدمة من الطبقة بالشكل المطلوب فلن يكون لهؤلاء أي مغزى أو فائدة بالنسبة لنضال البروليتاريا. إن الحزب الذي لم ينظم نفسه لن يستطيع أن يؤدي دوره القيادي لكفاح البروليتاريا في إعقد المواقف وأصعب الظروف.

إن الحزب وحدة تنظيمية. لا مجال للكلام عن وجود الحزب إلا بتوفر التنظيم. فقد أوضح لينين في النظام الداخلي للحزب مايلي: (الحزب هو مجموع التنظيمات، وعضو الحزب هو الذي يشغل مكاناً في أحد هذه التنظيمات .) ومن هنا أيضاً يتضح أن من غير الممكن الفصل بين الحزب ومنظماته وبين الكادر والتنظيم. ولدى نقده لمارتوف الذي صاغ المادة الأولى من النظام الداخلي بالشكل التالي . (يجب اعتباركل عامل مضرب أو استاذ جامعة أو طالب عضواً في الحزب إذا أراد) يقول لينين: ((إن وجهة نظر الرفيق مارتوف هي أن تظل حدود الحزب بدون تعيين على الإطلاق، إذا كان كل (مضرب) بإمكانه أن يعلن نفسه عضواً في الحزب، . فما هي الفائدة من هذا الابهام؟ إنها نشر التسمية، على نطاق واسع. ووجه الضرر في ذلك هو أن هذا الابهام ينطوي على فكرة هدم التنظيم، وخلق الالتباس بين الطبقة والحزب)) إن النتيجة التي ستترتب على صياغة مارتوف هي إنزال الحزب إلى مستوى الجماهير غير المنظمة. وهذا يعيق وصوله إلى الاهداف المجيدة التي حددها لنفسه فضلاً عن تمهيد الطريق لإزالة الحزب. لأن (قوة الطبقة العاملة تكمن في تنظيمها. فبدون التنظيم تصبح البروليتاريا لا شيء . في حين أنها تغدو كل شيء لدى تنظيمها .) إن تنظيم الحزب يعني توجيه نشاطات وفعاليات سائر اللجان والوحدات والخلايا والفرق من القمة إلى القاعدة وفقاً لبناء هرمي مجدد ولقواعد الانضباط والديسبلين المحدد . إنه يعني تشكيل بنية منظمة مشكلة من مجموعة كبيرة من المنظمات لا بنية عديمة الشكل. وقد عبر ستالين عن ذلك على النحو التالي: (ولكن الحزب ليس مجموع منظمات وحسب، بل هو في الوقت نفسه النظام الأوحد لهذه المنظمات، هو اتحادها الشكلي في كل قوامه هيئات قيادية عليا ودنيا، وخضوع الأقلية للأكثرية، على أساس قرارات عملية إلزامية لجميع أعضاء الحزب.

بدون هذه الشروط لا يستطيع الحزب أن يؤلف كلاً موحداً ومنظماً، في وسعه أن يؤمن النضال الطبقة العاملة، قيادة مستمرة ومنظمة .) تشكل القضية التنظيمية في كردستان، كما سبق لنا أن قلنا، القضية الأكثر مصيرية. وقد وضعنا في مطلع القضية التنظيمية حل مسألة التنظيم الحزبي. نستطيع أن نعلن هنا أن حزب العمال الكردستاني قد أدى مهمته في هذا المجال حين وحد بين أكثر العناصر تقدماً من الشعب. غير أن مهمة تنظيم هؤلاء بالشكل المطلوب في إطار الحزب ما زالت قيد الاستكمال. فالمهمة المصيرية ذات الأهمية البالغة الماثلة أمام حركة حزب العمال الكردستاني هي مهمة التحول إلى فصيل طليعي منظم بالنسبة للطبقة العاملة الكردستانية وللشعب الكادح الكردستاني. وإذا لم تجر بلورة سائر التطورات المتحققة حتى اليوم وتراكم العناصر المتقدمة في مثل هذه الخصوصية فإن هذه الأمور، كما أوضح لينين أيضاً لن تجدي شيئاً. أي ان التطورات المتحققة في الميادين الأخرى لا بد لها من أن تنعكس أيضاً على الميدان التنظيمي. ذلك لأن ((وعي الطليعة (أي الحزب) يتجلى بأوضح أشكاله في إتقان عملية تنظيمها إضافة إلى النقاط الأخرى. فالطليعة تمتلك إرادة موحدة من خلال التنظيم، حين تتحول إرادات آلاف التقدميين ومئات الآلاف والملايين إلى إرادة الطبقة العاملة.))

٣- الحزب بوصفه أعلى أشكال التنظيم الطبقي للبروليتاريا

إضافة إلى كونه الفصيل المتقدم المنظم للبروليتاريا يكون الحزب في الوقت نفسه أعلى أشكال التنظيمات البروليتارية الأخرى. وهذا يعني أن الحزب هو الذي يقود ويوجه مختلف تنظيمات الطبقة العاملة الأخرى. إن للبروليتاريا عدداً كبيراً آخر من التنظيمات مثل النقابات والتعاونيات ومنظمات المعامل والجمعيات الصحفية والثقافية والشبابية والنسائية وما إليها جنباً إلى جنب مع الحزب. وفيما ينضم قسم من هذه التنظيمات إلى إطار الحزب بصورة مباشرة يبقى قسم آخر خارجه. وهذه المنظمات التي أتينا على ذكرها هي منظمات ضرورية

بالنسبة للحزب ولا يمكن الاستغناء عنها. فمن المستحيل على الحزب ان يطور ويعزز مواقعه الطبقية في المراحل المختلفة من تطور البروليتاريا إلا بالاستناد إلى هذه المنظمات. ولكن الاشكالية التالية تبرز امامنا عند هذا المنعطف: كيف يتم تأمين قيادة وإدارة هذا العدد الكبير من المنظمات التي هي خارج إطار الحزب، وكيف يجب توجيهها بما يخدم الهدف المشترك؟ لا شك أن هذه المنظمات كلها، نظراً لأنها منظمات تخص البروليتاريا، ستعمل بما يتفق مع قضية البروليتاريا. ولهذا السبب يكون للقدرة على تحريكها وفقاً لمبادئ وأهداف مشتركة أهمية كبيرة. ولدى الإخفاق في هذا فإن المنظمات وجهة واحدة ووحيدة. وقد قيل حول هذه النقطة مايلي: (وهنا يبرز السؤال: ومن يرسم هذه الخطة، وهذا الاتجاه العام الذي ينبغي على جميع المنظمات اتباعه في عملها؟ ومن هي هذه المنظمة المركزية التي، بفضل ما عندها من التجارب اللازمة، تستطيع وضع الخطة العامة، بل في وسعها أيضاً، بفضل ما لها من هيبة كافية لهذا الغرض، أن تدفع جميع هذه المنظمات إلى تطبيق هذه الخطة، فتحقق بذلك وحدة القيادة، وتقضي على احتمال ما يمكن أن يحدث من عثرات؟ هذه المنظمة هي حزب البروليتاريا.

فلدى الحزب تتوفر جميع المعطيات الضرورية لذلك، لأن الحزب هو أولاً، مركز التجمع لأفضل عناصر الطبقة العاملة، هذه العناصر المرتبطة مباشرة بالمنظمات اللاحزبية للبروليتاريا الطبقية. ومن المؤكد أن هذا لا يعني أبداً أن المنظمات غير الحزبية، كالنقابات والتعاونيات، والخ .. ، يجب أن تكون خاضعة شكلياً لقيادة الحزب. بل ينبغي لأعضاء الحزب المنتمين إلى هذه المنظمات والذين يتمتعون فيها بنفوذ لا جدال فيه، أن يستخدموا جميع طرق الاقناع، حتى تقترب المنظمات غير الحزبية، في عملها، من حزب البروليتاريا، وتقبل قيادته السياسية، بملء أختيارها .)

على حزب البروليتاريا في كردستان أيضاً ان يقوم بمهمة لف الجماهير الشعبية الواسعة حولها ودفعها. إلى العمل والنضال بوصفه الفصيل الطليعي للتحرر الوطني القومي والاجتماعي. نتيجة لخصائص كردستان الاجتماعية التاريخية، ظلت الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة عاجزة عن خلق منظماتها الخاصة وبالتالي غدت مهمة إيجاد المنظمات التي تضم في صفوفها الجماهير الشعبية الواسعة هي الأخرى مهمة لا بد لحزب البروليتاريا بالذات من تنفيذها. إن جهة المقاومة الوطنية التي تضم سائر الفئات والقطاعات الشعبية المتضررة من البنية الاستعمارية الاقطاعية الكومبرادورية بقيادة حزب البروليتاريا هي القاعدة الأقوى والوحيدة لإنجاز مهمة الطليعة في عملية التحرر القومي والاجتماعي للحزب ولضمان الرابطة المتينة بين الحزب وبين جماهيره الشعبية الواسعة؟ وبمقدار ما يحقق حزب البروليتاريا طليعته الطبقية في إطار مثل هذه الجبهة في كردستان، يكون قادراً على القيام بدوره التاريخي ويغدو جديراً بصفة الطليعة للتحرر القومي – الاجتماعي. من الواضح من الضروري في كردستان ايضاً بناء المنظمات الجبهوية الديمقراطية القادرة على تنظيم وتحريك الطبقة العاملة والفلاحين والشبيبة والنساء والفئات المتوسطة الأخرى بما يتفق مع أهداف التحرر القومي والاجتماعي. إلا فإن الحزب سيبقى عاجزاً تماماً عن تنظيم الجماهير وتحريكها من خلال تنظيمه هو فقط . كما يجب ألا يغيب عن الأذهان في الوقت نفسه أن هذه المنظمات النضالية ليست منظمات جماهيرية ديمقراطية مستقلة ومنفصلة بل هي منظمات تستطيع ان تؤدي وظائفها بشكل متناسب مع ارتباطها بالحزب نشوءاً وتطوراً.

٤ – الحزب بوصفه أداة السلطة البروليتارية

للحزب ميزة أخرى هي أنه اداة من ادوات نضال البروليتاريا في سبيل السلطة. فكما أن الحزب أداة من أدوات استلام السلطة قبل قيام البروليتاريا ببناء سلطتها، كذلك يشكل الحزب وسيلة حماية سلطة البروليتاريا بعد إقامتها.

على الحزب أن يقود الطبقة العاملة في صراعها من أجل السلطة وأن يبين لها الطريق. فمجرد نجاح الحزب في تكوين نفسه بوصفه الفصيل الطليعي المنظم وأعلى الأشكال التنظيمية لا يعني تكلل النضال الطبقي للبروليتاريا بالنجاح الكامل. إن من واجبه كي يضمن تحرر البروليتاريا والكادحين المسحوقين أن يستلم السلطة أيضاً. ويمتلك الحزب، نظراً لأنه أعلى أشكال تنظيم البروليتاريا، القدرة والكفاءة اللازمتين لقيادة وتوجيه سائر المنظمات الأخرى في النضال من أجل السلطة. وهذا الأمر يضاعف من أهمية الدور الحاسم المنوط بالحزب في الصراع من أجل السلطة. ذلك يعني أن الحزب أداة أساسية وحيوية بالغة الأهمية في نضال البروليتاريا لاستلام السلطة إضافة لمواصفاته وسماته الأخرى.لأن (البروليتاريا لا تملك سلاحاً آخر غير التنظيم في نضالها من أجل السلطة) ولهذا السبب لا بد لحزب البروليتاريا من أن يضع هدف الاستيلاء على السلطة والامساك بزمامها في رأس قائمة أهدافه النضالية. أما الحزب الذي يتجاهل نضال البروليتاريا لاستلام السلطة فلا يكون حزباً جديراً باسم حزب البروليتاريا.

ومن جهة ثانية يغدو الحزب مكلفاً بضمان استمرار قيادته للسلطة بعد استلامها ووسيلة لحماية هذه السلطة وتأمين دوامها وبقائها. فالحزب الذي يشكل المرجع الأعلى بسبب سلسلة الصفات والسمات التي أتينا على ذكرها هو في الوقت نفسه المنظمة الأقدر والأكثر كفاءة في عملية تسيير الحكم وإدارته.

ذلك لأن الحزب هو الذي يوجه ويقود سائر المنظمات اللاحزبية بما يخدم الأهداف العامة والمشتركة فضلاً عن توحيده لأفضل عناصر الطبقة وأكثرها تقدماً وطليعية. لهذا السبب فإن الحزب يظل محتفظاً بأهميته بعد استلام السلطة أيضاً. يقول لينين حول دور الحزب في استمرار دكتاتورية البروليتاريا مايلي: (إن دكتاتورية البروليتاريا هي نضال عنيد، دام، عنيف وسلمي، عسكري واقتصادي، تربوي وإداري، ضد قوى المجتمع القديم وتقاليده . إن قوة العادة عن

الملايين وعشرات الملايين من الناس هي أفظع قوة. فبدون حزب حديدي متمرس بالنضال، ومتمتع بثقة كل من هو شريف في الطبقة المعنية، حزب يعرف أن يلاحظ حالة الجماهير الفكرية وأن يؤثر فيها، تستحيل قيادة هذا النضال بنجاح.)

إذن لا بد لحزب البروليتاريا من إثبات وجوده كقوة قيادية عليا بعد استلامه للسلطة كما قبل ذلك. لا بد له من أن يبقى كذلك حتى تزول الطبقات و (تنظفيء دكتاتورية البروليتاريا) . عندئذ فقط يكون حزب البروليتاريا قد أدى دوره كاملاً وانتهى .

٥_ الحزب بوصفه تجسيداً لوحدة الإرادة لا يقبل بوجود التكتلات

لتستطيع البروليتاريا أن تستلم السلطة، ولتتمكن من الحفاظ على سلطتها وضمان استمرارها لا بد لها من حزبها الذي يخضع للانضباط الفولاذي ويجسد وحدة إرادة أعضائه، فبدون مثل هذا التنظيم الطليعي لا تستطيع البروليتاريا أن تتابع نضالها في سبيل السلطة، إن إمكانية امتلاك حزب البروليتاريا للانضباط ، بالطبع انضباطاً لا يستند إلى الإكراه والقسر بل إلى الوحدة الطوعية المؤمنة التي يستمد قوته منها. إن العامل الذي يكسبه صفته الحديدية والفولاذية هو هذا في الأساس. فالانضباط الحديدي هو ثمرة قيام الحزب بخلق وحدة إرادة تستطيع أن تتحرك مثل قبضة واحدة وقلب واحد داخل صفوفه. إن طريق توفير إمكانية ضمان مستقبل الحزب والوصول إلى السلطة واستمرارها يمر بالضرورة عبر إمكانية خلق مثل هذا الانضباط وهذه الوحدة في الإرادة. إن هذا أيضاً هو الطريق الوحيد لحماية وحدة الحزب.

يجب على الحزب أن يكون واثقاً من نفسه حول قدرته على دفع أعضائه إلى النضال. واضح أن ضمانة ذلك هي قدرته على خلق الوحدة المتينة للحزب والبروليتاريا وتحريك الأعضاء من خلال قرار واحد. ويتطلب هذا أن يكون جميع أعضاء الحزب مرتبطين بمركز واحد وأن يكونوا دقيقين وثابتين في سلوكهم لدى تنفيذ القرارات. أما إذا كانت الصفوف مقسمة وهناك أكثر

من مركز بحيث لا يمكن التحرك مثل قبضة واحدة في أثناء تنفيذ القرارات والتعليمات فلا يمكن الحديث عن إمكانية مثل هذا الحزب إزاء بلوغ أهدافه وعن قدرته على البقاء.

غير أن المركزية والالتزام بالانضباط الفولاذي لا تعني سد الطريق على كل الانتقادات والاقتراحات وإلغاء عملية الصراع الفكري داخل الحزب. فالانتقادات والاقتراحات والصراعات الفكرية هي على العكس عوامل تعزز وحدة الحزب وتدفع عجلة التطور إلى الأمام. إلا أن الحدود التي لا بد من الالتزام بها في هذا المجال هي الأخرى مرسومة بدقة. على الانتقادات والاقتراحات والصراعات الفكرية في الحزب أن تسهم في تعزيز وحدته لا في خلخلتها، وفي أن تخدم وجود الحزب وأهدافه. فقبل القرارات وبعد تطبيقها على الحياة يمكن تقديم الانتقادات والاقتراحات المختلفة في إطار برنامج الحزب لكن مهما كانت وجهة نظر الفرد لا بد له من أن يبذل كل مايستطيع من جهد في سبيل تطبيق القرار المتخذ على الحياة، لا بد له من الالتزام بهذا القرار مهما كان رأيه فيه.

إن وحدة الحزب هي من القضايا الكبرى التي لا يمكن التساهل حولها. يقول لينين:(هناك أمور لا نستطيع أن نتلاعب بها مثل وحدة الحزب. علينا ألا نضيع الوقت ونحن نتلاعب بوحدة الحزب. نحن نعرف أننا نضيع الشيء الكثير بسبب هذا الصراع في داخل الحزب يجب علينا ألا ننسى هذا الدرس .)

ومرة أخرى يقول لينين حول الموضوع نفسه مايلي: (على جميع العمال الأذكياء أن يدركوا الأضرار المترتبة على سائر أنواع الانقسامات والتكتلات مع عدم إمكانية قبولها. فالتكتلات التي تعمق الانقسامات وتضعف العمل الجماعي بصورة حتمية كما تؤدي إلى تقوية وتدعيم جهود الأعداء الذين تسللوا إلى صفوف الحزب لخدمة أغراض الثورة المضادة) .

لجملة هذه الأسباب تنطوي التكتلات والانقسامات في الحزب على أخطار بالغة الجدية وبالتالي لا يمكن السماح بها بشكل قاطع. إن التكتل وخصوصاً إذا ظهر في اللجنة المركزية، يشكل خطراً كبيراًعلى الحزب. لابد للحزب البروليتاري من الوقوف في وجه التكتلات داخل صفوفه ومن محاربتها بدون هوادة، وحماية وحدته مهما كان الثمن. يقول ستالين الذي بين استحالة التعايش بين التكتل وبين وحدة الحزب وإنضباطه الفولاذي مؤكداً على عدم وجود المركز القيادي الواحد للكتل لدى إشارته إلى أوضاع أحزاب الأممية الثانية الانتهازية: ((إن أحزاب الأممية الثانية التي تحارب دكتاتورية البروليتاريا ولا تريد أن تقود البروليتاريا إلى الاستيلاء على الحكم، يمكنها طبعاً أن تسمح لنفسها بمثل هذه الليبرالية من حرية وجود التكتلات الانقسامية لأن هذه الأحزاب لا تحتاج، بوجه من الوجوه، إلى انضباط حديدي. ولكن أحزاب الأممية الشيوعية، وهي التي تنظم عملها على أساس المهمة التالية، – مهمة الفوز بدكتاتورية البروليتاريا وتوطيدها – لا يمكنها أن تقبل لا (بالليبرالية) ولا تجربة التكتلات الانقسامية))

تكتسب هذه القضية في كردستان حيث الشعب معتاد على انعدام التنظيم وحيث صغار البرجوازيين من المثقفين لا يعترفون بأية سلطة، أهمية مضاعفة بالنسبة للحزب الماركسي – اللينيني . لدى دراستنا لظاهرة حزب العمال الكردستاني نجد أنفسنا أمام وحدة قوية في الإرادة والحركة. غير أن الخصوصيات الاجتماعية والقومية السائدة جنباً إلى جنب مع كثافة توافد صغار البرجوازيين على الصفوف تجعل من الضروري أن تتحلى بأكبر قدر من الحذر واليقظة. فلدى النظر إلى انقسام وتمزق سائر الحركات المنبثقة من العناصر غير البروليتارية بما فيها العناصر الاصلاحية البرجوازية الصغيرة وتحول كل منها إلى ثلاث أو أربع كتل بل وأكثر مع الأخذ بنظر الاعتبار أنها تحاول أن تنقل روح الانقسام هذه إلى الحركة الثورية أيضاً، نستطيع أن نفهم بشكل أفضل ضرورة إتخاذ التدابير والإجراءات الكفيلة بعدم ظهور مثل تلك النتائج في حركة حزب العمال الكردستاني أيضاً. لابد لحزب العمال الكردستاني أيضاً،

كي يستطيع بلوغ الأهداف التحررية الوطنية الكبرى التي حددها لنفسه، من تصليب انضباطه الحديدي أكثر فأكثر، من زيادة تلاحم صفوفه ومن تحويل أعضائه جميعاً إلى قلب واحد وقبضة واحدة في تحركهم. باختصار نقول لا بد من تبني وتطبيق تلك الميزة الواجب توفرها في الأحزاب البروليتارية، عندنا نحن في كردستان بشكل أكثر دقة والتزاماً.

٦ – يقوي الحزب نفسه عبر الخلاص من العناصر الانتهازية

أتى إلى حزب البروليتاريا أعضاء لامن الطبقة العاملة فقط بل ومن الطبقات والفئات الأخرى أيضاً. هذه العناصر اللابروليتارية تنقل معها إلى داخل الحزب عاداتها الطبقية وتأثيراتها البرجوازية. يتلاشى قسم من هؤلاء مع الزمن يسعى قسم أكبر آخر إلى فرض توجهاتهم وميولهم على الحزب وإلى زرع بذور الانتهازية والذبذبة وفساد الروح المعنوية وعدم الثقة في صفوف الحزب. إنهم يعملون على تطور التيارات التحريفية الغريبة عن خط البروليتاريا. إن هذه العناصر التي تشكل منبع الحالة الروحية للبرجوازية الصغيرة ونمط سلوكها هي الأسباب الكامنة وراء مختلف الانحرافات داخل الحزب. وإذا لم يتم الوقوف في وجهها وإتخاذ المواقف الصلبة الضرورية ضدها في الوقت المناسب فإن باستطاعتها أن تعرض وجود الحزب للخطر .

لا يستطيع الحزب أن يخوض نضالاً ضد العدو الخارجي طالما يضم إلى صفوفه مثل تلك العناصر المعادية لخطه ووحدته. ذلك لأن هذه الفئات والقطاعات ستبادر إلى طعن الحزب من الظهر وإلى القيام بأدوارها التجسسية التخريبية لصالح العدو عندما تكون البروليتاريا مستغرقة في حربها الضروس ضد أعدائها. لذا فإن على حزب البروليتاريا، كي لا يبقى محصوراً بين نارين، أن يتطهر من هؤلاء الأعداء الداخليين. وعملية تصفية مثل هذه العناصر تؤدي إلى مضاعفة قوة الحزب ناهيك عن إضعافه. يلخص ستالين تجربة الحزب البلشفي الذي زاد قوة كلما تطهر من الانتهازيين وحقق وحدة حزبية، وحزباً فولاذياً نتيجة الصراعات الداخلية

ويقول: (لو كان في صفوفه أمثال مارتوف ودان، بوتريوف واكسيلرود، لما استطاع حزبنا أن يسير على الطريق الكبرى، وأن يستولي على الحكم وأن ينظم دكتاتورية البروليتاريا، وأن يخرج ظافراً من الحرب الأهلية، وإذا كان حزبنا قد نجح في تكوين وحدته الداخلية وتكوين التماسك الذي يسود صفوفه، بصورة لم يسبق لها مثيل، فذلك يعود، قبل كل شيء، إلى أنه استطاع أن يطهر نفسه، في الوقت المناسب، من دنس الانتهازية، ولأنه استطاع أن يطرد من صفوفه دعاة التصفية والمناشفة.) لهذا بالذات يزداد حزب البروليتاريا قوة وتماسكاً كلما أبعد الانتهازيين عن صفوفه. فكما أن المريض يكتسب القوة والنشاط كلما تحرر من الجراثيم المعشعشة في جسده، كذلك أيضاً يصل حزب البروليتاريا إلى بنية قوية ونشيطة كلما طهر مختلف منظماته وهيئاته من الجراثيم التي تسبب له المرض. لا يجوز التساهل قط مع العناصر الانتهازية في داخل الحزب البروليتاري ولابد من سحق هذه العناصر وإبعادها عن صفوف الحزب قبل تمكينهم من تلويث بنية الحزب بالأمراض التي تحملها معها، دون تردد في ذلك. على الحزب أن يتحاشى الوقوع في حالة ضعيفة ومريضة من خلال الاستمرار على احتواء هذه الأمراض في أحشائه. وبالشكل نفسه يجب الانتباه إلى استحالة الوهم القائل بامكانية اكتساب مثل هذه العناصر بالأساليب المختلفة. ذلك لأن (النظرية القائلة بأن من الممكن التغلب، على العناصر الانتهازية عن طريق النضال الايديولوجي داخل الحزب، النظرية القائلة بأن من الواجب، التغلب، على هذه العناصر في نطاق حزب واحد، هي نظرية عفنة وخطرة، تهدد الحزب بالشلل، وبالوقوع في حالة مرض مزمن) .

يجب استخدام الكلمات التالية بدون تردد لدى الرد على مثل هذه العناصر التي تحاول جر الحزب إلى المستنقع وتتخذ موقفاً لا يمكن أن يكون صحيحاً: (نسير إلى الأمام ممسكين بأيدي بعضنا بقوة في طريق وعر وصعب ونحن في حالة من التماسك والتلاحم. والعدو يحاصرنا من جميع الجهات ونحن مضطرون لأن نتابع تقدمنا تحت الوابل المستمر تقريباً لنيران هذا العدو، إننا متلاحمون بهدف عدم الانجرار إلى المستنقع حيث أن أولئك الذين يتهموننا

لأننا اخترنا طريق النضال بدلاً من طريق المساومة ولأننا انفصلنا وشكلنا مجموعة موحدة من البداية بهدف القتال ضد العدو انسجاماً مع القرار الذي اتخذناه بملء حريتنا. والآن نسمع بعضهم من بين صفوفنا يصرخون قائلين: تعالوا نذهب إلى المستنقع! وعندما نلومهم يردون علينا قائلين: كم أنتم متخلفون! ألا تخجلون من عدم إتاحة الفرصة لنا لدعوتكم إلى السير في طريق أفضل؟ نعم أيها السادة! أنتم أحرار بالطبع لا في دعوتنا فقط بل وفي الغرق في المستنقع! ذلك هو المكان المناسب لكم في الأساس! ونحن مستعدون لأن نقدم لكم كل المساعدة كي تصلوا إلى هناك.)

هناك في كردستان نضال يجري خوضه في سبيل التحرر القومي والوطني. وهذا يعني أن جماهير شعبية واسعة لابروليتاريا ستأخذ أماكنها في صفوف الثورة.

ونظراً لضعف التمايز الطبقي في كردستان ولتعرض البروليتاريا لتأثير الطبقات والفئات الاخرى بشكل قوي لأنها مازات ضعيفة وحديثة، فإن خطر تسرب المفاهيم والعناصر اللابروليتارية إلى صفوف حزب البروليتاريا خطر أكبر وأقوى.

ولدى إضافة عوامل مثل البنية السلبية جداً التي تفرضها الظروف الاجتماعية والتأثيرات القوية التي تركتها البنية الاستعمارية على البرجوازية الصغيرة إلى العامل السابق فإننا نرى الأخطار التي تتهدد جود الحزب البروليتاري وكيانه بصورة أوضح. غير أن حزب العمال الكردستاني، رغم تاريخه القصير، نجح في تجنب هذه الأخطار بفضل سمته المستندة إلى المقاومة وانضباطه الحديدي وفي مواجهة النشاطات المعادية الكثيرة الداعية إلى التخريب والتصفية والنابعة من الداخل منذ المراحل الأولى لظهوره على شكل جماعة. وبالشكل نفسه بذل الكثير من الجهود المكثفة بهدف شل العناصر اللابروليتارية في صفوفه عبر إذابتها في خط الحزب الصحيح، وقد حقق في هذا المجال عدداً كبيراً من الخطوات الهامة. غير أن هذا لا يعني أن هذه العناصر ما عادت تشكل خطراً. لذا فإن عملية بلشفة الحزب يجب أن تكتسب مزيداً من الزخم والقوة،

كما يجب الحذر واليقظة الدائمين إزاء العناصر اللابروليتارية وإزاء الاستمرار في تقوية الانضباط الحديدي أكثر فأكثر، والمبادرة بدون أدنى تردد إلى طرد الذين لا يمكن شفاؤهم من صفوف الحزب. إنها مهمة دائمة.

نستطيع الآن أن نوجز السمات الأساسية لحزب البروليتاريا الماركسي – اللينيني على النحو التالي: لا بد للمناضل، حسب المفهوم اللينيني من أن يتمثل المبادىء التنظيمية لحزب البروليتاريا الثوري الذي عرفه لينين بما يلي : (إنه – أي الحزب – وحدة المناضلين الطليعيين الذين يمتلكون الوعي الطبقي والذين يكافحون في سبيل تحرر الطبقة العاملة لا تمثلاً جيداً وعميقاً. وهذا يعني أن على المناضل أن يصل إلى وعي سلطة الحزب وإلى أن ذلك ضروري ضرورة قصوى على المستويين النظري والعملي.

ليست عبارتنا الحزب وسلطة الحزب عبارتين بسيطتين، فمن المؤكد أن الحزب الذي يلعب دوراً تاريخياً في عملية تغيير المجتمع ينطوي على سلطة بالغة الخطورة والأهمية؛ إنه أكبر وأعظم سلطة. هذه الحقيقة يجب أن تكون مفهومة بعمق! ولكن المسألة هي مسألة إعادة تنظيم مثل هذه السلطة كما سبق لنا أن أكدنا. من الواضح أن عملية تنظيم مثل هذه السلطة تبدأ قبل كل شيء من الكوادر. فبدون وحدة الكوادر النضالية يستحيل الانتقال إلى أشكال أغلى من التنظيم. لذا لا بد من تناول مسألة تنظيم الكوادر أولاً. فكما قال ستالين أيضاً: (من الضروري بناء هيئات الكوادر أولاً ... لا بد من تحول النواة أو المجموعة الصغيرة إلى شكل هيئة الكوادر المنظمة .)

نحن أيضاً مررنا بمرحلة معينة تركزت على تنظيم الكوادر غير أن من غير الممكن القول بأننا بلغنا المستويات المطلوبة رغم ذلك. مازالت القضية اليوم هي قضية تحقيق مثل هذا التنظيم. فبدون تنظيم النواة الطليعية يستحيل على الطليعة أن تنظم الجماهير وأن تلفها حولها. ولذلك نجد أن قضية تنظيم الطليعة ليست قضية عادية بل قضية مصيرية وحيوية جداً. إن تنظيم

النواة الطليعية يعني توزيع المهمات بالطرق المناسبة على المجموعة المتراكمة من الكوادر. ولذلك فإن الخط الذي سيتبعه الحزب في تكليف هؤلاء بالمهمات المحددة يكتسب أهمية تساوي أهمية سمات الكوادر ومواصفاتهم .

إذن ما هو الخط الذي يجب على الحزب أن يسير عليه في هذا المجال؟ إن إلقاء الضوء على هذه المسألة سيساعد الكوادر على تقديم أنفسهم بشكل أفضل .

آ) حول الكادر

إن عدداً كبيراً من الأفراد في صفوف الحزب ليسوا على مستوى كاف من الفهم والمعرفة حول سياسة الكادر في الحزب وبالتالي لا بد من تطوير نظام انتقادي معين حول هذا الموضوع. فمن الضروري ضرورة قصوى امتلاك فهم عميق لموضوع الكوادر والبقاء في إطار هذا الفهم. إن لنشر مثل هذا الفهم بين كوادر الحزب ولإزالة المفاهيم الخاطئة حول هذا الموضوع أهمية كبيرة.

حين ندقق في الأمور نرى أن هناك عدداً كبيراً من الرفاق يستطيعون أن يطوروا أنفسهم وأن يكونوا ناجحين في الممارسة العملية غير أنهم يعانون كثيراً من النقص والصعوبات حتى في تدريب رفاقهم الملازمين لهم حول كيف يصبحون كوادر جيدة. فأحدهم يظل عاجزاً عن بذل الجهد الكافي لتلافي النقص في الكوادر الذي يعاني منه هو ناهيك عن تكوين خمسة إلى عشرة من الكوادر.

وهذا الواقع يبين مدى أهمية قضية تكوين الكادر وتربيته. إن تكوين الكادر يعني إيصاله إلى مستوى رفيع من الوعي الصحيح بما يخدم المصالح العليا بعد تخليه من سائر المتطلبات الحياتية اليومية؛ يعني أن يصبح في وضع يستطيع معه أن يعمل وينشط بكل مالديه من طاقة في أصعب المراحل وأعقدها وبدون أن يهتز التزامه بالحزب والشعب والثورة قيد شعرة. وبالشكل

نفسه لا بد له من أن يصبح مناضلاً ماهراً في القيام بنشاطاته النضالية. إن النجاح في خلق مثل هذا النموذج محدود إلى حد كبير. غير أن من المستحيل السير قدماً في طريق التنظيم، وفي طريق بناء الحزب بشكل أخص، بدون حل هذه المسألة. ومن هذه الزاوية أيضاً فإن عملية حل مسألة خلق الكوادر بمواصفات نضالية سليمة عملية ذات أهمية قصوى .

لفهم مسألة الكوادر بشكل أفضل وجدنا من المناسب أن نورد هنا مقالاً كاملاً للرفيق جورجي ديمتروف لأهميته الكبيرة في هذا المجال. كما أن من الممكن إيضاح مسألة الكوادر عندنا في ضوء هذا المقال .

(أيها الرفاق، إذا لم يكن عندنا أناس يستطيعون تنفيذ القرارات، فإن أفضل هذه القرارات التي نتخذها ستبقى حبراً على ورق.

ولكنني أجد نفسي مضطراً لأن أشير إلى أن هذا الموضوع الذي هو أحد أهم القضايا التي نواجهها اليوم لم يحظ في هذا المجلس، مع الأسف، بقدر غير كاف من الاهتمام. لقد نوقش تقرير المجلس التنفيذي للأممية الشيوعية لمدة سبعة أيام؛ أما هذه القضية ذات الأهمية المصيرية داخل الأحزاب الشيوعية والحركة العمالية فلم يتطرق إليها سوى عدد من الأشخاص وذلك من خلال كلامهم العام. مازالت أحزابنا في نشاطها العملي بعيدة كثيراً عن إدراك أن كل شيء يجري حسمه وتحديده من قبل الناس، أي من قبل الكوادر. إن أحزابنا لا تستطيع بعد أن تنجح في إيلاء الاهتمام الكافي بالناس ورعايتهم كما يرعى البستاني الناجح أشجار بستانه مثلما علمنا الرفيق ستالين، في تقييم الكوادر، وفي تثمين كل عامل يمكن أن يساهم في قضيتنا.

(لا يمكن الاستمرار في التساهل إزاء اللامبالاة تجاه مسألة الكوادر لأننا نخسر بعض أثمن كوادرنا باستمرار في ساحات النضال. ذلك لأننا لسنا مجموعة من الحكماء وإدعياء المعرفة

والعلم بل نمثل حركة مكافحة على خط النار بصورة دائمة، إن أنشط وأشجع وأوعى عناصرنا هم في الصفوف الأولى على هذا الخط . وهؤلاء الناس الذين هم في الطليعة هم الذين يتعرضون وخاصة في البلدان الفاشية للملاحقة المستمرة، للاغتيال، للاعتقال والزج في السجون والمعسكرات، ولأبشع أشكال التعذيب. إن مثل هذا الوضع يتطلب المبادرة بسرعة وبالحاح إلى تربية الكوادر الجديدة وتدريبها، لإعادة ملء الشواغر التي تنشأ باستمرار من جراء النزيف الدائم، ولحماية الكوادر الموجودة بكثير من الحرص والعناية .

(هذا وتكتسب قضية الكوادر أهمية خاصة بسبب ظهور العديد من مناضلي الطبقة العاملة الجدد والذين يصل تعدادهم إلى الآلاف وتعزز مواقع حركة الجبهة الشعبية المتحدة نتيجة لتأثيرها، أضف إلى ذلك أن الذين يلتحقون بصفوفنا ليسوا من الثوريين الشباب الذين لم يساهموا في أية حركة سياسية أخرى من قبل، ليسوا من العمال الذين غدوا ثوريين لتوهم. ففي الكثير من الأحيان يلتحق بنا أعضاء سابقون ومناضلون من الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية. وهؤلاء الكوادر الجدد، وخصوصاً في الأحزاب الشيوعية التي تعيش ظروفاً سرية، يجب أن يلقوا رعاية خاصة ومتميزة. إنها مسألة ذات أهمية كبيرة. ذلك لأن هؤلاء الكوادر كثيراً ما يواجهون مسائل سياسية جدية جداً لابد لهم من حلها بأنفسهم بالاستناد إلى تدريبهم النظري الضعيف في أثناء ممارساتهم العملية.

(إن قضية تحديد ماهية السياسية الصحيحة الواجب اتباعها بخصوص موضوع الكوادر قضية بالغة الجدية بالنسبة لكل الحركة الثورية العمالية– بالنسبة لسائر المنظمات الشعبية الجماهيرية والأحزاب الشيوعية الناشئة كما بالنسبة لأحزابنا جميعاً) .

ما الذي تعبر عنه السياسة الصحيحة بشأن الكوادر؟

لابد من معرفة الناس الذين هم معنا. ليست هناك دراسة منهجية للكوادر في أحزابنا بصورة عامة. إن الأحزاب الشيوعية في فرنسا وبولونيا والصين، في الشرق، فقط هي التي حققت في الفترة الأخيرة نجاحات معينة في هذا الاتجاه. وقبل الدخول في مرحلة العمل السري كان الحزب الشيوعي الألماني أيضاً قد باشر بدراسة وتحليل موضوع الكوادر. وقد أظهرت تجارب هذه الأحزاب أن الأحزاب لحظة شروعها في دراسة أعضائها اكتشفت وجود عاملين حزبيين لم يكن أحد ينبه إليهم من قبل. ومن جهة ثانية بدأت هذه الأحزاب تتطهر من العناصر الضارة والغريبة على المستويين الايديولوجي والسياسي. يكفي في هذا المجال أن نشير إلى أمثلة سيلور وباربي اللذين طردا من الحزب في فرنسا بعد اكتشاف عمالتهما للعدو الطبقي لدى النظر إليهما عبر المنظار البلشفي. كما أن عملية مراقبة الكوادر أدت في كل من بولونيا والمجرالى الكشف عن الخلايا التخريبية المخبوءة بمهارة وفضح عملاء العدو.

(ثانياً ترفيع الكوادر بالشكل المناسب. يجب أن يكون الترفيع أحد الأعمال الاعتيادية للحزب لا إجراء يتخذ مصادفة. إن ترفيع الشيوعي بالاستناد إلى سلوكه داخل إطار الحزب فقط بدون النظر إلى علاقته بالجماهير أمر سيء للغاية. لابد لعملية الترفيع من أن تكون عملاً مستنداً إلى الكفاءات التي يتحلى بها العاملون الحزبيون في تنفيذ المهمات المختلفة إضافة إلى تمتعهم بحب الجماهير.

إن حزبنا يضم نماذج جيدة لعمليات ترفيع أثمرت ثماراً رائعة. هناك مثلاً الرفيقة الاسبانية الشيوعية عضوة المكتب التنفيذي دولوريس. فقبل سنتين فقط كانت الرفيقة دولوريس ماتزال عاملة حزبية عادية. غير أنها، منذ اللحظات الأولى للصدام مع العدو، برهنت على أنها محرضة ومكافحة رائعة جداً. وبعد ترفيعها إلى عضوية المكتب التنفيذي للحزب أثبتت الرفيقة دولوريس أنها من أفضل أعضاء هذا المكتب.

أستطيع أن أورد عدداً من الأمثلة من مختلف البلدان، غير أن عمليات الترفيع تجري عموماً بصورة تلقائية وعفوية وبلا نظام مما يؤدي إلى عدم تحقيق النتائج المطلوبة. ففي بعض الأحيان يجري ترفيع أناس يلحقون الضرر بالقضية فعلاً، أناس أدعياء وثرثارين لا يجيدون إلا الاكثار من الكلام ليحتلوا مواقع قيادية.

(ثالثاً، الإفادة من إمكانيات الناس بالشكل الأمثل. يجب التركيز على دراسة المواصفات الايجابية التي يتحلى بها كل عضو والإفادة منها بمهارة. الناس المثاليون غير موجودين؛ فعلينا أن نرى الناس كما هم؛ علينا أن نرى نقاط ضعفهم وأن نصحح أخطاءهم. هناك أمثلة صارخة عن شيوعين شرفاء تمت إساءة التعامل معهم في حين أنهم كانوا قادرين على أن يؤدوا خدمات جيدة للحزب فيما لو عوملوا بالطريقة المناسبة .

(رابعاً، توزيع الكوادر بالشكل المناسب. يجب قبل كل شيء تأمين وضع أولئك الذين يشكلون حلقات الاتصال بالجماهير، والذين خرجوا من قلب هذه الجماهير في مراكز المسؤولية التي تتطلب أناساً مبادرين وصامدين أقوياء. كما يجب توجيه أعداد أكبر من أمثال هؤلاء المناضلين إلى المناطق والأقاليم الأكثر أهمية. إن مسألة نقل الكوادر من منطقة إلى أخرى في البلدان الرأسمالية ليست مسألة سهلة. فمثل هذه العملية تتطلب أخذ الأمور المالية والأسباب العائلية وما إليهما بنظر الاعتبار والتغلب عليها مع حملة من العقبات والصعوبات المماثلة. غير أننا في معظم الأحيان نقوم بإهمال هذه القضية اهمالاً كلياً.

(خامساً، تقديم المساعدة بشكل منهجي للكوادر. وهذه المساعدة تنطوي على الإشراف الدقيق، والرقابة الرفاقية والقيادية اليومية الملموسة إضافة إلى تصحيح الأخطاء واستكمال النواقص .

(سادساً، إبداء اليقظة المناسبة لحماية الكودر. يجب علينا أن نتعلم فن سحب العاملين الحزبين عندما تدعو الحاجة واستبدالهم بآخرين حسب الظروف. لابد لنا من تحمل المسؤوليات الكبيرة جداً إزاء حماية الكوادر وحماية قيادة الحزب وخصوصاً في البلدان التي تعيش فيها الأحزاب حياة سرية ... تذكروا الخسائر الكبرى التي تعرض لها الحزب الشيوعي الألماني لدى الانتقال إلى العمل السري! ...

إن السياسة الصحيحة في موضوع الكوادر هي وحدها القادرة على ضمان تطور القوى المتوفرة للحزب إلى الحدود القصوى، وعلى تأمين الدعم الحي والمستمر للعمال النشطاء وتوظيفه في الإفادة من الكنز الهائل للحركة الجماهيرية.

ماهي المعايير الأساسية في اختيار الكوادر؟

أولاً، الالتزام الصارم بقضية الطبقة العاملة. الارتباط الصادق بالحزب الذي يجب أن أن يكون مجرباً وخصوصاً في الصراع مع العدو – في ساحة القتال، في السجن، وفي المحكمة.

ثانياً، الارتباط بالجماهير بأوثق العلاقات الممكنة. على الرفاق المعنيين أن يذوبوا تماماً في بوتقة مصالح الجماهير، أن يظلوا واقفين على نبض الجماهير، وأن يعرفوا عواطف الجماهير ومشاعرها واحتياجاتها. إن الاحترام الذي يتمتع به قادة منظماتنا الحزبية يجب أن يكون مستنداً إلى قبول الجماهير بهم بوصفهم قادة وإلى زرع الثقة من خلال التجارب الملموسة بأنهم صامدون ومستعدون للتضحية وأصحاب كفاءة قيادية بالدرجة الأولى .

(ثالثاً) التحلي بالقدرة على الاهتداء إلى الطريق الصحيح بمفرده وعدم الخوف من إتخاذ القرار وتحمل المسؤولية. إن من يخشى تحمل المسؤولية لن يكون قائداً. كما أن الذي لا يبادر و يكتفي بالقول: أنا أقوم فقط بما يأمرني به الآخرون! ليس بلشفياً أن القائد البلشفي الصحيح والحقيقي هو فقط ذلك الذي لا يتوه في لحظات الهزيمة ولا يسكر بالنشوة في

لحظات النصر والذي يبدى قدراً كافياً من العزيمة في تطبيق القرارات وتنفيذها. يتحقق أفضل أشكال تطور ونضج الكوادر عندما يكونون مدركين إنهم مسؤولون مسؤولية كاملة عن قراراتهم وعندما يوضعون في المواقع التي تتطلب منهم أن يحلوا القضايا المتعلقة بنضالهم بصورة مستقلة

(رابعاً) الثبات البلشفي في قضية الانضباط في مواجهة سائر الانحرافات عن الخط البلشفي كما في النضال الثابت ضد العدو الطبقي .

(لابد لنا من إيلاء قدر أكبر من الأهمية لهذه الشروط التي تحدد الطريقة الصحيحة في اختيار الكوادر. ففي الممارسة العملية في كثير من الاحيان، يجري تفضيل رجل أو امرأة يجيد الكتابة أو الكلام ولكنه لا يجيد الممارسة العملية على آخر قد لا يكون مجيداً للكتابة والكلام بنفس المستوى ولكنه صاحب مبادرة وكفاءة ورفيق جيد وجدير بالثقة. اليست هناك حالات كثيرة نجد فيها المريدين والجامدون عقائدياً وأدعياء المعرفة في المواقع التي يجب أن يشغلها نشطاؤنا الجماهيريون وقادة الطبقة العاملة الحقيقيون؟

على كوادرنا ان يجمعوا بين معرفة الموضوع الذي يفترض منهم ان يقوموا به، والصلابة البلشفية، وقوة الشخصية الثورية مع الإرادة القادرة على تطبيق ذلك ...

أيها الرفاق، يكتسب الكوادر، كما تعلمون، أفضل الخبرات في أثناء النضال، ولدى التغلب على الصعوبات واجتياز المحن حيث تتجلى أشكال السلوك الناجحة والفاشلة. هناك مئات الأمثلة التي ضربت في ساحات الاضراب وفي اثناء التظاهرات، في السجون والمحاكم. لدينا آلاف أمثلة البطولة، ولكن عندنا أيضاً مع الاسف عدداً غير قليل من نماذج الجبن والخوف وعدم الثباب بل وحتى الارتداد وحتى النكوص، ونحن كثيراً ماننسى هذه النماذج الجيدة منها والسيئة. ولا نستطيع ان نعلم الناس كيف يستفيدون منها. لا نستطيع ان نبين للناس الاشياء

التي يجب أن يتبنوها والاشياء التي يجب أن يرفضوها. علينا ان ندرس مواقف رفاقنا المناضلين في ساحات الصراع الطبقي، في اثناء التحقيق، في السجون والمعتقلات وفي المحاكم وغيرها، يجب علينا ان نبرز النماذج الجيدة وتقديمها بوصفها النماذج التي ينبغي ان تقتدي بها. كما يجب ابعاد كل ما هو عفن وغير بلشفي ناجم عن ضيق الأفق.

منذ محاكم لايبزيغ هناك عدد كبير من الرفاق الذين اظهروا إنهم مسلحون بفهم عميق وكامل لمواصفات الموقف البلشفي من خلال مواقفهم وإفادتهم امام المحاكم البرجوازية الفاشية .

ولكن أسألكم أنتم أعضاء مجلس القيادة كم هو عدد الذين يعرفون تفاصيل محاكمات عمال السكك الحديدة في رومانيا، ومحاكمة فيت شولتز الذي أعدم فيما بعد من قبل الفاشيين في ألمانيا، ومحاكمة رفيقنا الياباني البطل ايجي كاوا ومحاكمات الجنود الثوريين البلغار وسائر المحاكمات الأخرى التي أبرزت الأمثلة الرائعة والمثيرة للبطولات البروليتارية منكم أنتم ؟

يجب نشر هذه النماذج الثمينة للبطولة البروليتارية بين صفوف الشعب ومقارنتها بضيق الأفق، ومختلف اشكال التفسخ والعفن ومظاهر الضعف التي تتجلى احياناً في صفوفنا وفي صفوف الطبقة العاملة. كما يجب الإفادة من هذه الامثلة إلى الحدود القصوى في عملية تربية كوادر الحركة العمالية.

(أيها الرفاق، كثيراً ما نسمع الشكوى حول قلة الرجال وندرتهم، فهناك شكوى دائمة عن عدم كفاية الجرائد لتغطية العمل الدعائي والتحريضي وعن عدم توفر الرجال المؤهلين للعمل في النقابات وبين الشبيبة والنساء. الجميع يصرخون قائلين: ما عندنا ليس كافياً! تتركز الشكوى باختصار على الافتقار إلى الرجال. ونحن نستطيع ان نرد على هذه الشكوى بعبارات لينين القديمة ولكنها الحديثة جداً حين قال:

مسألة الشخصية في كردستان

لا وجود للرجال ولكن هناك عدداً لا يحصى من الرجال! نعم هناك عدد هائل من الرجال لأن الطبقة العاملة والطبقات الأجتماعية الأخرى تقدم سنوياً أعداداً أكبر فأكبر من الناس المستائين المستعدين لتقديم كل ما يستطيعون من مساعدة في النضال ضد الحكم المطلق الاستبدادي، اناساً يريدون أن يكونوا في المعارضة. وفي الوقت نفسه لا وجود للرجال لاننا نعاني من عدم وجود القادة القادرين على تنظيم العمل بشكل موحد وسليم وواسع النطاق في الوقت نفسه بحيث يعطي حتى لأولئك الأقل أهمية مهمات معينة، نعاني من عدم وجود القيادات السياسية، ومن عدم وجود المنظمين الأكفاء.

(يجب على حزبنا ان يجعل من عبارات لينين هذه دليل عمل يومي بعد فهمها بعمق وتطبيقها بثبات. هناك عدد كبير من الرجال، يكفي ان نهتدي اليهم في منظماتنا، وفي اثناء الاضرابات والمظاهرات، في مختلف المنظمات الشعبية الجماهيرية وفي هيئات الجبهة الموحدة. غير أن من الواجب تقديم المساعدة لهم، في اثناء عملهم ونضالهم، لضمان استكمال نضجهم. كما يجب وضعهم في الأماكن والمواقع التي تمكنهم من أن يكونوا مفيدين فعلاً لقضية الطبقة العاملة.

(أيها الرفاق، نحن الشيوعيين أناس عمل. إن قضيتنا هي قضية النضال للإطاحة بالرأسمالية، قضية النضال العملي ضد عدوان رأس المال وضد خطر الحرب النابع من الفاشية والامبريالية وهذه المهمة العملية بالذات هي التي تفرض على الكوادر الشيوعيين ان يكونوا مسلحين بالنظرية الثورية لأن النظرية، كما علمنا أكبر أساتذة العمل الثوري ستالين، توفر لمن يقومون بالممارسة العملية القدرة على التوجه الصحيح، ووضوح النظرة، إضافة إلى الثقة في العمل والإيمان بانتصار قضيتنا.

غير ان النظرية الثورية الحقيقية عدو لدود لكل تنظير عقيم، ولكل التعريفات المجردة ولسائر الألاعيب الفارغة. كان لينين يذكرنا باستمرار بالمبدأ القائل: نظريتنا نحن ليست عقيدة

جامدة، بل دليل عمل! تلك هي النظرية التي يحتاج إليها الكوادر. إنها لحاجة ماسة كحاجتهم إلى الخبز اليومي والماء والهواء.

إن العمل التعليمي الدؤوب المتركز على التعاليم الشاملة والفنية والقوية لكل من ماكس وانجلز ولينين وستالين جنباً إلى جنب مع النضال العملي الفعال مع الجماهير وفي طليعتها هو الكفيل بإنقاذ أولئك الذين لا يريدون تحرير نشاطاتنا من الكليشيهات الجاهزة المخدرة، ومن المدرسية الضارة.

في هذا الموضوع أرى أن من الضروري أن نولي اهتماماً خاصاً لعمل مدارسنا الحزبية فما يجب على هذه المدارس ان تعلمهم ليسوا المتأستذين ودوائر المعارف والمتفننين في إيراد الاقتباسات. لا! ان الذين يجب ان تخرجهم هذه المدارس هم المناضلون الطليعيون والعمليون الذين يحتلون اماكنهم في الصفوف الامامية للنضال، وطليعة هؤلاء لا تكون ناجمة عن شجاعتهم واستعدادهم للتضحية فقط بل لأنهم يرون ابعد مما يراه العامل العادي ويعرفون الطريق الموصل إلى خلاص الكادحين بشكل أفضل من الكادحين أنفسهم. على سائر فروع الأممية الشيوعية أن تعالج قضية المدارس الحزبية ومسائل تنظيمها بشكل يضمن تحولها إلى بؤر ثورية تقوم بتخرج هؤلاء المناضلين معالجة جدية وبدون أي أهمال .

يخيل الي ان المهمة الاساسية التي تواجه مدارسنا الحزبية هي تعليم اعضاء اتحاد الشباب الشيوعي واعضاء الحزب كيفية تطبيق المنهج الماركسي اللينيني على الظروف الملموسة للبلدان وضد عدو محدد وواضح، لا العدو بصورة عامة وبدون تحديد، وهذا يتطلب تحليل الروح الثورية المفعمة بالحياة اللينينية لا ألفاظها فقط .

الطريقة الأولى هي طريقة تعليم الناس المعلومات النظرية المجردة والسعي لتزويدهم بأكبر قدر من المعلومات الجافة، وتعليمهم طريقة الصياغة الأدبية المنمقة للمسائل، وعدم التطرق الا

بالصدفة إلى اوضاع بلد بعينه إلى قضايا الحركة العمالية فيه إلى تاريخه، إلى تقاليده وعاداته، وإلى تجربة الحزب الشيوعي في البلد المذكور .

أما الطريقة الثانية فهي تعتمد التدريب النظري الذي يستند إلى اساس التحليل العميق للقضايا المفتاحية لنضال البروليتاري المدرب بالذات في ضوء المبادىء الاساسية للماركسية اللينينية. وهكذا فإن المتدرب بعد عودته إلى عمله الميداني سيكون قادراً على الاهتداء إلى طريقه بنفسه وسيغدو منظماً وقائداً عملياً مستقلاً يقدر على قيادة الجماهير في معارك النضال ضد العدو الطبقي .

ان جميع خريجي مدارسنا الحزبية لا يكونون متحلين بهذه الصفات.

هناك الكثير من المعارف الكلامية والتجريدية والمعلومات المأخوذة من الكتب ومظاهرها، غير ان ما نحن بحاجة ماسة إليهم هم القادة والمنظمون البلاشفة الحقيقون. وهذه حاجة ملحة جداً في هذه الايام.

(لا ضرر في ان يكون امثال هؤلاء المتعلمين غير قادرين على كتابة الاطروحات الجيدة. (رغم اننا بحاجة ايضاً إلى ذلك) ان المطلوب هو ان يكونوا متقنين لفنون التنظيم والقيادة عبر التغلب على مختلف الصعوبات التي لا يترددون في مواجهتها بجرأة .

(ليست النظرية الثورية الا التجربة المعممة والمكثفة للحركة الثورية. على الشيوعيين ان يستفيدوا لا من تجارب الماضي في بلدانهم فقط . بل ومن التجربة الراهنة لسائر فصائل الحركة العمالية الأممية في الوقت نفسه، ومع ذلك فإن الاستفادة الصحيحة من التجارب لا يمكن بشكل من الأشكال ان تعني العمل الميكانيكي لأساليب النضال وأشكاله من بلد إلى آخر ومن سلسلة من الظروف إلى سلسلة اخرى بشكل ميكانيكي آلي، كما تفعل احزابنا في كثير من الاحيان.

فالتقليد الأعمى حتى لأساليب عمل الحزب الشيوعي في الاتحاذ السوفيتي في البلدان التي مازالت تعيش تحت حكم النظام الرأسمالي والنسخ البسيط لهذه الاساليب، قد تؤدي وان تم بأحسن النوايا، إلى عواقب وخيمة، وقد حصل هذا بالفعل في كثير من الاحيان. علينا ان نتعلم من البلاشفة الروس بالذات فن تطبيق الخط الأممي الوحيد بشكل فعال وخلاق على الظروف الخاصة لبلد بعينه، لابد لنا من أن نتعلم كيف نفضح سائر أشكال التفاصح وتطبيق الصيغ البالية وأشكال الاستذة وإدعاء العلم والجمود العقائدي بدون رحمة وكيف نسخر منها جميعاً ونلقي بها بعيداً في مسيرة النضال ضد النظام الرأسمالي.

(علينا ان نتعلم أيها الرفاق، علينا ان نتعلم ونتعلم ونتعلم أيضاً وايضاً وان نناضل في كل الأوقات وفي جميع المراحل، في اثناء النضال، في الداخل وفي الخارج. ليس لنا إلا النضال والتعلم، علينا أن نجمع بين التعاليم العظيمة التي قدمها لنا كل من ماركس وانجلز ولينين وستالين في العمل والنضال بثبات ستاليني وبين الحزم التاليين في القضايا المبدئية لدى خوض النضال ضد التيارات المنحرفة عن الخط البلشفي وضد الاعداء الطبقيتين، وبين الجرأة الستالينية في مواجهة الصعوبات، وبين الواقعية الثورية الستالينية) .

ان حزبنا ومناضليه هم الآن في وضع يفرض عليهم ان يمتلكوا سياسة للكادر على هذا المستوى من الصحة وان يتعاملوا معها بوصفها دليل عمل، وهذا لا يعني الاكتفاء بفهم سياسة الكادر الصحيحة على المستوى النظري بل يعني في الوقت نفسه تطبيقها في الحياة العملية ففي المرحلة التي تم الوصول إليها صارت قضية بناء الكوادر حاجة ملحة لا يمكن التغاضي عنها. هناك عدد كاف من المرشحين لان يصبحوا كوادر موزعين بين الصفوف، غير أن القضية الأن هي توحيد هذا التراكم والوصول إلى منظمة قوية للمحترفين، وهذا الامر يعني إعادة بناء الحزب من جديد .

مثلما هي الحال بالنسبة لسائر التنظيمات الثورية بصورة عامة في تركيا وكردستان نجد ان المهمة الحاسمة اليوم في حركة حزب العمال الكردستاني ايضاً ليست إيجاد النظريات والبرامج من جديد وإيجاد نواة حزبية بدءاً من الصفر، لأن هناك خطوات معينة تمت في مختلف هذه المجالات إلا ان المسألة كلها تتمحور حول تتويج مختلف هذه المكاسب بإعادة خلق منظمة مناضلين جديدة، ان المرحلة التي نعيش فيها هي مرحلة تتطلب بناء منظمة تضم النخبة من المناضلين .

ب . بناء تنظيم الثوريين المحترفين

ليست المرحلة المقبلة مرحلة الجماعات الضيقة المستندة إلى النشاطات الدعائية ولا مرحلة بناء التنظيمات الجماهيرية الواسعة، أنها مرحلة تنظيم الكوادر الذي مروا عبر فترة من النشاط التمهيدي في إطار من العلاقات المستندة إلى الكفاءات وتوزيع المهمات. من المعروف جيداً أننا نعيش فترة تحضيرية مكثفة من النواحي السياسية والعسكرية في ساحات النضال الملتهبة. وقد وصلت المسألة الآن إلى ترجمة هذه التحضيرات إلى الواقع، وبهذا المعنى فأن أهم ميدان من وجهة نظر النشاط الحزبي في المرحلة المقبلة هو ميدان التنظيم. يمكننا القول أن أكساء استعداداتنا وتحضيراتنا المختلفة باللحم والدم يتركز في خلق البنية التنظيمية للحزب، ولهذا السبب فإن الحلقة الأولى التي يجب الإمساك بها واستكمالها هي حلقة أعادة تنظيم الحزب من جديد.

وفي عملية تنفيذ مثل هذه المهمة يقع الدور الأهم على عاتق الكوادر. فالنجاح في تكوين وتشكيل ما هو موجود من مستلزمات التنظيم، في إطار محدد من شبكة محكمة لخيوط المسؤولية والكفاءة والمسؤولية، مرتبط بقيام الكوادر بالدور التاريخي المنوط بهم أو غيره، وبما أن أمكانية اجتياز هذه المرحلة مرتبطة بالكوادر فإن لبيان كيفية تنظيم هؤلاء الكوادر أهمية كبيرة.

يجب تحاشي الوقوع في الخطأ في فهم المقصود بالتنظيم في هذه المرحلة. فهذا ليس تنظيماً جماهيرياً يحتضن اوسع الجماهير الشعبية، بل تنظيم ضيق على مستوى الحد الأدنى، تنظيم النواة الطليعية على أساس من السرية التامة، تنظيم المناضلين أنفسهم فيما بينهم. وهذا يعني خلق التنظيم الحزبي من القمة إلى القاعدة. أن المبادرة إلى القيام بعملية تنظيم الجماهير الواسعة مشروطة بانجاز مثل هذه التنظيم الحزبي. من المعروف جيداً كيف تعرضنا للسحق إزاء التطورات الحاصلة بسبب عجزنا عن قيادة النضال الجماهيري المتصاعد وكيف بددنا طاقاتنا سدى بالركض إلى هنا وهناك نتيجة لعدم نجاحنا في تنظيم أنفسنا خلال المرحلة الماضية، وقد كلفنا هذا الوضع ثمناً باهظاً بالنسبة لقضيتنا النضالية وبالنسبة للجماهير. فمن أجل النجاح في خلق القيادة المنظمة لنضال الجماهير التي ستتطور عمقاً وأتساعاً بشكل لا يقارن بما حصل في فترة ١٩٧٩ بالاستفادة من الدروس المستخلصة من كل الأحداث، وحتى لا نفاجئ بالنضال المتصاعد ونحن غير منظمين ونتعرض للسحق تحت وطأة التطورات المقبلة. علينا في هذه المرحلة أن نحقق النجاح بصورة مؤكدة في تنظيم النواة الطليعية للحزب بما ينسجم ويتفق مع المهمات الثورية. ولدى أخذ قضية أن التنظيم الجماهيري في الظروف الكردستانية سيتخذ شكل جبهة التحرير الوطني بنظر الاعتبار، يتضح أن المبادرة إلى مثل هذا التنظيم قبل أنجاز عملية تنظيم النواة الحزبية ستؤدي إلى سيل من المشاكل التي يتعذر الخروج منها والتغلب عليها مما يلحق أكبر الأذى بقضية النضال .

لا بد، قبل كل شيء ، من العمل على تحقيق تنظيم الحزب عبر توزيع المهمات والمسؤوليات على جميع الكوادر الموجودين، داخل البلاد وخارجها. أن لاختيار الكوادر لمختلف الأعمال وتحميلهم المسؤوليات المحددة كما لترفيعهم وتعيينهم في المواقع أهمية كبيرة تساوي الأهمية التي يجب على الكوادر أن يولوها لتنفيذ المهمات المنوطة بهم، ولدى تنفيذ المهمات المحددة من الجبهتين بالشكل المطلوب وبنجاح سيؤدي حتماً إلى المستوى التنظيمي المطلوب، هناك

حقيقة أخرى لا بد من الإشارة إليها إلا وهي أن ثقل المهمة يقع على عاتق الكوادر في هذا الموضوع نظراً لأننا نمر عبر مرحلة تتطلب منهم أن يلعبوا فيها دوراً تاريخياً.

أما النشاط الآخر الذي يجب أن يحظى بالقدر نفسه من الأهمية والذي لا بد له من أن يسير جنباً إلى جنب وبالتوازي مع فعاليات تنظيم الحزب في المرحلة المقبلة فهو النشاط المتمركز على الدعاية المسلحة، فكما فصلنا في كتابنا (حول التنظيم) تشكل الدعاية المسلحة الوسيلة الأساسية للتنظيم. ولهذا السبب يجب استكمال تنظيم وحدات الدعاية المسلحة بالتوازي مع خلايا الحزب السرية، يجب تنفيذ هذين الشكلين من التنظيم كليهما في الوقت المناسب وفي فترة زمنية واحدة، وألا فإن التنظيم الحزبي سوف يتعثر والمنظمات الحزبية ستبقى عاجزة عن حماية نفسها، كما أن وحدات الدعاية المسلحة، في حال عدم وجود المنظمات الحزبية، لن تتمكن من رفع مستوى النضال إلى درجات أعلى وستتعرض مع الزمن لخطر الانقطاع عن الجماهير والتحلل أو التفسخ والتشوه.

لدى الجمع بين تنظيم النواة السرية للحزب وبين تشكيل وحدات الدعاية المسلحة، يكون صدى الحزب بين الجماهير واندماجه مع الحشود الغاضبة والمستاءة بداية مرحلة التوغل الكثيف في أجواء جبهة التحرير الوطني من قبل الحزب عندما تبدأ الطاقة الواعية والمنظمة لدى الكوادر بالتراوح مع أطنان الحقد والكراهية والغضب التي تملأ قلوب الجماهير الشعبية غير الواعية. كما أن البدء بتصعيد النضال المسلح لوحدات الدعاية المسلحة بغية حماية وتطوير النشاطات التنظيمية سيؤدي إلى تدشين مرحلة توعية الجماهير الشعبية وتعبئتها وتنظيمها من خلال السعي لتمزيق شبكة الجواسيس والخونة التي تريد الطغمة الفاشية أن تجعلها نقطة ارتكاز لها والتركيز بشكل خاص على المسعورين من أعداء الشعب والجلادين وزبانية التعذيب والفاشية أفراداً وتنظيمات ومن خلال جر تلك الجماهير إلى العمل السياسي. من الواضح أن هذه المرحلة هي مرحلة بداية تطور الكفاح المسلح، مرحلة تطور

النضال الجماهيري في أطار الجبهة التحررية الوطنية تحت قيادة الحزب، أنها مرحلة استبدال العمل الحزبي الصامت والمقاوم بالنضال الهادر والصاخب الذي تشارك فيه أوسع الجماهير.

لا يمكن تحقيق بناء وتطوير المنظمات الحزبية على اختلاف مستوياتها إلا بالارتباط مع أسلوب الدعاية المسلحة الأساسي. فمع توسيع انتشار نشاطات الدعاية المسلحة على نطاق البلاد ستنتشر المنظمات الحزبية أيضاً بالارتباط معها، أما اللجوء إلى أي أسلوب آخر في عملية بناء الحزب الثوري في كردستان فلن يكون إلا خداعاً للنفس أو تخلياً عن الثورية. أن المنظمات الحزبية التي تبنى بالاستناد إلى الدعاية المسلحة تستطيع أن تمد جذورها إلى مختلف الأماكن والساحات بالاعتماد على هذا الأساس. فالمنظمات الحزبية القادرة على شل وإحباط الهجمات الموجهة ضدها، بفضل الدعاية المسلحة، تستطيع أن تطور نفسها من خلال العمل الحزبي والتنظيمي بين صفوف الجماهير كما تتمكن أن تتصلب لتصبح منظمات حزبية جديرة باسم الحزب. واضح من الآن أن أولئك الذين يخفقون في تحقيق مثل هذا العمل بل ويتهربون منه أفراد ومنظمات لن يستطيعون أن يكونوا مناضلين في منظمات حزبية ثورية تخوض النضال في الظروف الكردستانية كما أنهم لن يستطيعوا أن يطوروا وتيرة النضال بل ولن يكونوا قادرين على البقاء بصفة قوى ثورية في الساحة.

ذلك يعني أن أول ما يتطلبه تطوير النضال التحرري الوطني في الظروف الكردستانية هو تطبيق شعار الدعاية المسلحة بمهارة ونجاح في المجالات المناسبة بوصفه وسيلة أساسية من أجل تنظيم المنظمات الحزبية وحمايتها وتطويرها وتصليبها، فالمنظمات الحزبية التي تتمتن وتتصلب في لهيب الدعاية المسلحة قادرة على أن تصبح هيئات قيادية للنضال التحرري الوطني والقومي.، أما الجماهير الشعبية التي تنتظم وتنضج في هذه الأجواء فتستطيع أن تصبح القوة الدافعة لمسيرة النضال التحرري الوطني والقومي.

لا يبقى أي سبب يمكنه أن يمنع حزبنا من بلوغ أهدافه أذا تم الأعداد لجميع هذه القضايا وفي هذا الاتجاه، في سائر الميادين، داخل البلاد وخارجه، في مختلف ميادين النشاط النظري والعملي بشكل يليق بالثورية البروليتارية بدءاً بأبسط العلاقات وانتهاءاً بأعقدها، ومن أصغر الخطوات إلى أكبرها، بعناية والسير في هذا الطريق بدون تردد، ولكن بلوغ الهدف يبقى مرتبطاً بوضع كل الكوادر والمناضلين في أماكنهم المناسبة داخل هذا الإطار وتمكينهم جميعاً من أن يقوموا بأدوارهم كاملة وبشكل صحيح. لذا فإن الكوادر في المرحلة المقبلة، هم العناصر الحاسمة في عملية تطبيق خط الحزب على الحياة، كما أنهم هم الحاسمون لمسألة تحقيق الغاية المرجوة. إذن فإن العمل المنظم، أي العمل الذي يمكن الكوادر من أن يقولوا كلمة الفصل، هو الممارسة العملية، أنه الاختيار الصحيح للكوادر، وتكليفهم بالمهمات المناسبة وإخضاعهم لإشراف العمل، أن الكلام الذي قاله ستالين هو هذا الموضوع في معرض تبيان أن القرارات والبيانات التي تتحدث عن أهمية خط الحزب لا تشكل إلا نقطة البداية، ينطوي بالنسبة لنا نحن أيضاً على أهمية كبيرة.(فبعد طرح الخط الصحيح والاهتداء إلى الحل السليم للمشكلة يبقى النجاح متوقفاً على كيفية تنظيم العمل، على كيفية تنظيم النضال في سبيل تطبيق خط الحزب، وعلى الطريقة المتبعة من قبل الكوادر والهيئات القيادية في تكليف المناضلين بالمهمات المختلفة وفي متابعة الأشراف على عملهم باستمرار).

لذا يجب على المرشحين لان يصبحوا كوادر في المرحلة المقبلة أن يعدوا أنفسهم أعداداً قوياً لهذه المرحلة. عليهم أن يناضلوا ضد التخلف القديم، ضد عدم الكفاءة، ضد أسلوب عمل الهواة، ضد البدائية . وضد الضيق في فهم الخط السياسي والنظري وضد ضيق الأفق في الممارسة العملية وصولاً إلى هدم وتحطيم هذه البنى جميعاً وإلى الخلاص الكامل من أشكال عدم المبالاة وافتقاد الحساسية، فضلاً عن أن من واجبهم أن يتحرروا من عادات عدم التعلم والتطور وعدم السعي لتعزيز وحدة الحركة وخلق المشاكل في التنظيم، والهروب من السير قدماً في طريق التحول إلى ثوريين طليعيين يتحلون بروح المسؤولية تجاه الشعب، وغيرها من الصفات

البرجوازية الصغيرة والعادات الناجمة عن التأثر بها، أن مسيرة التطور الطبيعي لنضالنا تبين قبل كل شيء ومنذ الآن أن من المستحيل القيام بالمهمات الكبيرة مع الإبقاء على مثل تلك العادات والرواسب. لذا يجب على الكوادر المرشحين أن يتطهروا من مختلف المفاهيم وأشكال السلوك الغريبة والمتناقضة مع مسيرة تطور النضال وأن يتملكوا بنية بروليتارية قوية صحيحة وأن يجعلوا هذه البنية هي السائدة والحاكمة بالنسبة لكيان كل منهم. أن الالتزام بالشعب والثورة والحزب يتطلب ألا يحرم ثوري واحد ممن يشاركون في البنية الثورية من أن يرتفع إلى مستوى الشخصية البروليتارية من أن يصل إلى مستوى الثوريين المحترفين في هذه الفترة التي ستشهد قيام الشخصيات بالأدوار التي نصفها بالتاريخية في كردستان. تلك هي الطريقة الوحيدة التي تمكن حزبنا من أنجاز بناء هيئة الكوادر ومن السير قدماً، خطوة فخطوة، باتجاه سائر الأهداف الأخرى التي رسمها لنفسه.

أن طرح الحل للقضية بهذه الصورة يعبر عن تحقيق قدر معين من التقدم في هذا المجال وأن لم يكن حلاً كاملاً للمسألة. نستطيع أن نؤكد أن هناك تطوراً ذا شأن في ميدان طرح مسألة الكادر على أساس تنظيم الحزب وفي مجال هذا التنظيم بالذات، غير أن هاتين المسألتين تظلان غير كافيتين في أساس التنظيم، فبناء التنظيم يجر معه في الوقت نفسه المسائل المتعلقة بعمل هذا التنظيم. وخصوصاً في كردستان التي لم يسبق لها أن عرفت أي نوع من أنواع التنظيم حيث لا بد للكوادر وللمنظمة القادمة من شعب غارق في بحر من غياب التنظيم من أن تواجه العديد من الصعوبات لدى مبادرتها إلى العمل وقد أتضح هذا الأمر بشكل جلي تماماً سواء في تاريخنا النضالي أم في المرحلة التمهيدية. أن الأهمية التي ينطوي عليها بناء المنظمة يساوي الأهمية التي لا بد من إيلائها لاستمرارها بعد البناء، لتمكينها من أداء مهماتها، ولجعلها خصوصاً قادرة على تشغيل أعضائه في إطار شبكة محكمة من خيوط المهمات والمسؤوليات والمواقع، ولتمكينها من الأشراف عليهم وعلى عملهم من خلال تطوير

وتسيير أفضل أشكال أساليب العمل التنظيمي. لذا لا بد من ألقاء الضوء على هذه القضية أيضاً.

جـ. قواعد العمل التنظيمي للحزب اللينيني

أن استكمال بناء هيئات الكوادر يعني أن التنظيم الحزبي بات موجوداً، وما أن يرد ذكر التنظيم الحزبي حتى يتبادر موضوع السلطة إلى الذهن قبل أي شيء آخر، يمر التنظيم، أي الوجود في منظمة معينة والعمل لصالحها والنجاح في هذا العمل عبر الاعتراف بوجود سلطة معينة، غير أن مجتمعنا الذي لم يسبق له أن عاش حياة تنظيمية تخدم مصالحه هو لا يعرف الشيء الكثير عن السلطة التي تطورت في هذا المجال، وعندما يتطرق الحديث إلى السلطة عندنا لا يخطر على البال ألا قوى الاستعباد التابعة للمستعمر، ورؤساء العشائر والآغوات أو الأبوين. فهذه هي السلطات التي تخضع الفرد لسلطانها والفرد لا يعرف أية سلطة أخرى سواها.

من المؤكد أن السلطة التي يجب على الثوريين أن يقوموا بها ليست هذه، فالسلطة التي نعترف بها نحن هي السلطة الثورية، أي سلطة الحزب الذي أثبت وجوده من النواحي النظرية والخط السياسي الصحيح، أن أكثر السلطات ألزاماً في إطار واقع البلاد الملموس هي سلطة الحزب، ولكن هذه السلطة في إطار الحزب تتجسد في مركز الحزب القيادي وهذا الوضع يتطلب لدى السير في طريق التنظيم القبول بوجود مركز يتخذ كافة القرارات بشأن جميع التصرفات، ومنه تنشأ العلاقات الفوقية والتحتية، وهذه العلاقات تعبر عن بنية هرمية متدرجة، لا بد من تناول عملية التنظيم من هذه الناحية أيضاً، وألا فلا يمكن تصور تنظيم يتمتع فيه الجميع بنفس المستوى من النفوذ والسلطة وليست فيه علاقات بين من هم أعلى ومن هم أدنى، وبدون توزيع وتحديد مهمات الأعضاء، يوضح لينين المعنى الذي يحمله التنظيم الحزبي على النحو التالي: (لقد نسوا أننا في الماضي لم نكن حزباً موحداً ومنظماً، بل كان حزبنا عبارة عن عدد

من الجماعات التي كانت تتبادل التأثير فيما بينها على المستوى الإيديولوجي مع عدم وجود إمكانية لعلاقات أخرى، أما الآن فقد أصبحنا حزباً منظماً، ويفترض هذا أن نقيم سلطة وأن نحول النفوذ الفكري إلى نفوذ سلطوي وأن تكون هيئات الحزب الدنيا خاضعة لهيئاته الأعلى) .

تكتسب مركزية الحزب وهرميته أهمية تتناسب طرداً مع تفاقم التناقضات في مجتمع من المجتمعات ومع حجم الضغوط التي يمارسها العدو ضده، من المعروف أن المجتمع الكردستاني هو بؤرة لتراكم التناقضات الموروثة عن القرون حيث أدى تراكم المشاكل المختلفة التي لم تجد حلاً لها في أي من الأزمنة إلى بنية اجتماعية بالغة التعقيد والتشويه حتى كادت تفقد صورتها، ومعروف أيضاً أن هذا المجتمع تعرض للتفسخ والتمزق نتيجة لانعدام التنظيم ولعدم الاعتراف بأية سلطة إضافية إلى قيام العدو ببناء نظام للقهر والإرهاب الشديدين في مختلف ميادين الحياة، ولهذا السبب لا بد لكل من المركزية والتسلسل الهرمي في مجال التنظيم من أن يتماسك بشكل محكم تماماً وألا فأن الخطوات التي تتم في هذا المجال ستتعرض للنسف من بداياتها الأولى .

إن عملية التنظيم والإدارة هي واحدة من السمات الأساسية للقدرة على تحقيق النجاح في داخل التنظيم، غير أن بعض مرشحي الكادر عندنا ما زالوا عاجزون عن ابداء القدر الكافي من التفهم لهذه المسألة، لا شك أن لهذا الوضع أسباب نابعة من المجتمع. فالفرد ظل باستمرار يعيش حالة الفوضى في المجتمع ويدار بشكل فوضي. ولهذا السبب نجده يعاني من الصعوبات في القيام بالإدارة والتوجيه، وهذا يشكل واحداً من انعكاسات الطبيعة التي يراد فرضها على مجتمعنا. ليست هناك أية حاجة تدعو لإيضاح المكانة المحددة التي تشغلها هذه الطبيعة في مجتمعنا، فهذا أمر معروف تماماً، أن هذا الوضع يتجلى أيضاً في الكوادر الذين ينتمون إلى حركة حزب العمال الكردستاني، ما أكثر الكوادر الذين ينتظرون الآخرين كي

يكلفوهم بالمهمات! وهؤلاء ينفذون الأوامر سواء أكانت صحيحة أم لا، من المؤكد أن هذا يشكل مرضاً خطيراً وخللاً جدياً في نشاط المنظمة، فمن المستحيل تطوير العمل والنشاط بالانطلاق من مثل هذه العقلية.

فيما نرى بعض الرفاق بطيئين بهذه الصورة وينتظرون الأوامر من الآخرين، نجد رفاقاً آخرين على النقيض تماماً، يتحولون إلى حكام مستبدين. ما هو الأسلوب الإداري النافذ في المجتمع؟ أنه الأسلوب الاستبدادي الذي يتبعه الشرطي والدركي ورئيس العشيرة والآغا الإقطاعي أو رئيس العائلة، وحين يتخذ الفرد هذا الأسلوب أساساً لتصرفه فإنه يبادر إلى تسيير مرؤوسيه من الكوادر بمثل هذه العقلية. بمعنى أن الأسلوب الذي يتبعه هو أسلوب يجمع بين الأسلوب الإقطاعي والاستعماري، وهذا الأسلوب هو نفس الأسلوب الذي يتبعه العدو بمعنى آخر، نراه يمثل دور الآغا في المنظمة مما يعكس فهماً مشوهاً آخر للطريقة المطلوبة في الإدارة، لا يمكن ان نطلق على مثل هذا الاسلوب اسم اسلوب الادارة فهو لا يعدو كونه تجلياً للروح الاستبدادية في إطارالتنظيم. من المستحيل أن تكون الإدارة والقيادة في الحزب البروليتاري بهذه الصورة، علينا أن نفهم بعمق اسلوب الادارة والقيادة في الحزب البروليتاري. ولا يمكن الحديث عن أمكانية تحقيق أي تطوير في التنظيم الأ بعد فهم هذا الأمر بعمق، أن لإلقاء الضوء والمزيد منه على هذه المسألة أهمية قصوى وملحة جداً في كردستان بسبب الظروف التي تعيشها والتي تنعكس سلبياً على البنية الداخلية للحزب.

أن طريق استيعاب مختلف هذه المسائل من وجهة نظر ماركسية لينينية يمر عبر فهم قواعد العمل الداخلية للحزب اللينيني. فما هي هذه القواعد اللينينية؟ وما هي أهمية ومكانة هذه القواعد في حياة الحزب؟ لنأت الآن إلى تناول هذه المسألة وبحثها بالانطلاق من الواقع الملموس للبلاد، ولنبدأ عملنا هذا من خلال الاطلاع على النظام الداخلي الذي يعبر عن طريق عمل الحزب وعن القواعد التنظيمية.

النظام الداخلي للحزب

أن الذي يوضح أهداف ومهمات الأحزاب اللينينية، ويضمن لها وحدتها الإيديولوجية هو برنامج الحزب، فالبرنامج يعبر عن الوحدة الفكرية للحزب، أن البرنامج شرط ضروري لتأسيس الحزب العصري ولكنه ليس كافياً، لاستكمال الأمر لابد من وجود النظام الداخلي أيضاً. وهذا النظام الداخلي يبين بالتفصيل وبشكل جوهري المبادئ والقواعد التنظيمية للحزب ويضمن وحدته التنظيمية. بهذا المعنى يشكل النظام الداخلي تعبيراً عن الإرادة الجماعية للحزب كله.

لا يمكن تصور حزب ثوري بدون نظام داخلي، أن النظام الداخلي هو المنظم والدليل لرسمية الحزب وحياته الداخلية كلها، فالبنية الهرمية للحزب (من المؤتمر الذي هو أعلى سلطة لاتخاذ القرار إلى اللجنة المركزية أعلى الهيئات الحزبية بين مؤتمرين، واللجان والخلايا) والهيئات الأعلى والأدنى وشكل العلاقة بينهما، بناء اللجان والهيئات الحزبية وطريقة عملها، قبول الأعضاء وطردهم، ترفيع الأعضاء أو معاقبتهم، التغلب على المسائل الداخلية في التنظيم والخ... هذه الأمور جميعاً تبحث في إطار النظام الداخلي وتطبق في الحياة، ما من سلوك أو موقف أو أسلوب عمل في داخل الحزب ألا ويكون مرتبطاً بأساس النظام الداخلي، فإذا لم يتم تحقيق ذلك وراح الجميع يتصرفون كل منهم على هواه فلا يمكن عندئذ أن نتحدث عن أية وحدة تنظيمية أو أية بنية رسمية لذلك الحزب. أن النظام الداخلي يمنع الفوضى داخل التنظيم ويحقق نظاماً معيناً له.

لحزبنا الذي هو حزب لينيني نظامه الداخلي الذي يعبر عن رسميته ووحدته التنظيمية. عندنا نحن أيضاً تسير الحياة الداخلية والأعمال وفقاً لهذا النظام الداخلي، غير أن هناك نواقص تظهر على السطح هنا وهناك في هذا المجال، فغياب التنظيم والتشرذم والبعد عن فهم العلاقات الرسمية. هذه الأمور السائدة في البنية الاجتماعية لبلادنا بشكل خاص تجد أصداء لها داخل حزبنا أيضاً. أن المناضل عضو في منظمة رسمية ولكنه لا يعرف معنى التنظيم أحياناً أنه عضو في حياة الحزب ويقوم بمهمة محددة غير أنه لا يعرف الأسس التي يستند إليها في قيامه بهذه المهمة معرفة عميقة وواعية، كثيراً ما يتصرف كما يشاء ويقول ما يريد رغم كونه عضواً في هيئة رسمية، يعني أن للمنظمة نظامها الداخلي ولا بد من اتخاذه أساساً في عمل الحزب أو يعي ذلك ولكنه لا يتصرف وفقاً لوعيه هذا، من المؤكد أن من يتصرف بهذا الشكل لا يمكن اعتباره مناضلاً من مناضلي الحزب. يجب أن يكون معروفاً أن وحدة الحزب لا تشبه أية وحدة عائلية أو عشائرية أو غيرها، فالروابط هنا ليست روابط دم أو صداقة عادية، صداقة مقاهي وأندية (أحباب جاويش ..) ...؛ أن الحزب على العكس من ذلك هو وحدة سياسية والروابط فيه هي روابط وعلاقات رسمية وتنظيمية.

إن من يريد التغاضي عن التحرك بما ينسجم مع الروابط الرسمية والتنظيمية بصورة خاصة في الحزب والنزوع إلى تسيير العمل وفقاً للمفاهيم القديمة التكتلية، يكون معبراً عن اتجاه بالغ الخطورة ولاسيما أذا بقي مصراً على مواقفه. فمرحلة المجموعات أو الجماعات هي مرحلة الوحدة الإيديولوجية حيث يجري تسيير النشاطات على أساس تبادل التأثير الفكري وحيث لا وجود للعلاقات التنظيمية الرسمية أي لا وجود للنظام الداخلي. أما مرحلة تنظيم الحزب فليست مرحلة يتم فيها تسيير الفعاليات بالاستناد إلى الوحدة الفكرية فقط. وفي هذه المرحلة لا تكون الوحدة الإيديولوجية كافية. أن ما هو ضروري وهام هو: الوحدة التنظيمية العلاقة التنظيمية، الرسمية، أي النظام الداخلي، ولكن حزبنا ما زال يضم في صفوفه عناصر يعيشون مرحلة الجماعات لحركتنا ولم يستطيعوا بعد أن يتحرروا من العلاقات الرخوة والمهلهلة لهذه

المرحلة ومن أشكال العمل الشبيهة بأشكال عمل الهواة، بل يحاولون أن يسيروا أعمالهم في هذه المرحلة أيضاً كما في الماضي. من المؤكد أن هذا يشكل عقبة كبرى تعترض طريقنا في الوقت الذي نناضل فيه في سبيل خلق التنظيم الحزبي القوي والنشاط المنظم، بدون التغلب على هذه العقبة؛ وبدون تطهير حياتنا التنظيمية الرسمية الراهنة من العلاقات والمفاهيم وأشكال السلوك الموروثة عن مرحلة الجماعات، يصعب إيصال حزبنا إلى النقطة المطلوبة، على كوادر الحزب والمرشحين لأن يصبحوا كوادر جميعاً أن ينتبهوا إلى هذه الناحية وألا يتركوا أي مجال للعلاقات الفئوية السابقة في حياتنا. لقد تكبدنا الكثير من الخسائر بسبب هذا الوضع، لم نكن وحدنا بل أن الثوريين الروس واجهوا أيضاً مثل هذا المرض واضطروا لأن يناضلوا ضده في أحدى المراحل. ينبه لينين إلى هذه النقطة في عملية النضال من أجل بناء الحزب بناءاً متيناً ويقول: (إن الذين يميلون إلى الخمول والكسل والهائمين بحب الشحاطات البيتية لابلوموف يرون النظم الداخلية الرسمية أطراً ضيقة، محدودة، مزعجة، بيروقراطية لا جدوى منها، نيراً للعبودية، وقيوداً مضروبة على عملية الصراع الإيديولوجي الحر، وهم لا يفهمون ضرورة تبني النظام الداخلي الرسمي لإحلال الرابطة الحزبية العريضة محل الروابط الفئوية الضيقة والعلاقات الفوضوية الارستقراطية. صحيح نحن أيضاً نعاني من أولئك (الهائمين بحب الشحاطات الابلوموفية) وهؤلاء هم الذين يشكلون مصدر الفوضى وانعدام الأساليب الرسمية داخل الإطار الرسمي لحزبنا. من الواضح أن من غير الممكن التساهل مع هؤلاء! لن ينظر بعين الرضى إلى أي تصرف أو فهم أو عمل يتناقض مع النظام الداخلي كما سيجري بذل الجهود المكثفة لجعل أوسع العلاقات الرسمية هي السائدة أكثر فأكثر في الحزب كله. لهذا يجب على كل مناضل ثوري ألا ينسى للحظة واحدة أنه يعيش داخل حزب رسمي وأن يمتلك وعياً عميقاً بالنظام الداخلي وأهميته.

والآن سنحلل النظام الداخلي للحزب وسنفسر القواعد التي تواجه عمل الحزب:

١– المركزية الديمقراطية

تكون الأحزاب الماركسية ـ اللينينية مستندة إلى مبدأ المركزية الديمقراطية. وتتحرك في الإدارة والتوجيه بما يتفق مع هذا المبدأ. تنطوي المركزية الديمقراطية على:

أ ـ أن يكون الفرد خاضعاً للمنظمة وأن تكون الهيئات الدنيا خاضعة للهيئات العليا.

ب ـ أن تخضع الأقلية لقرارات الأكثرية.

جـ ـ أن تكون المنظمات الدنيا كلها مرتبطة بالمركز.

د ـ أن يتم تشكيل هيئات الحزب كلها عن طريق الانتخاب.

والحزب اللينيني يطبق مبدأ المركزية الديمقراطية على واقع بلده بصورة خاصة.

يشتمل مبدأ المركزية الديمقراطية كما يفهم من الاسم عل جانبين أثنين هما الجانب الديمقراطي أولاً والجانب المركزي ثانياً. وهذان الجانبان مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً لا ينفصل ولا يمكن لحزب البروليتاريا أن يستغني عنهما، غير أن المركزية هي التي تأتي في المقدمة دوماً في الأحزاب اللينينية. أما الجانب الديمقراطي فيتغير حسب الظروف بمعنى أنه يضيق ويتسع. إن المبدأ المركزي يلزم الحزب بأن يمتلك هيئة قيادية مركزية واحدة متجسدة في اللجنة المركزية، وأن تخضع الأقلية للأكثرية وأن تكون سائر الهيئات مرتبطة بالمركزية والهيئات الأدنى بالهيئات الأعلى، في حين يقتضي مبدأ الديمقراطية تشكيل هيئات الحزب من الأدنى إلى الأعلى من خلال الانتخاب وجعل مؤتمرات الحزب واجتماعاته مفتوحة. إن الحزب مسؤول عن تطبيق هذين المبدأين بالشكل المناسب وبدون السماح لأن يختلط ويتداخل أحدهما مع الآخر.

مما لا شك فيه أن جانب المركزية من المركزية الديمقراطية هو الغالب في البلدان التي تكون فيها الأحزاب مضطرة لأن تنتظم وتعمل بشكل سري حيث لا أثر لأبسط الحقوق الديمقراطية، بمعنى أنه لا يمكن تطبيق مبدأ الانتخابات في إيصال الأعضاء إلى مختلف الهيئات الحزبية ذات المستويات المتباينة. يكون الحزب مضطراً، بسبب الضغوط الشديدة من جانب البوليس، لأن تضيق حدود الديمقراطية وأن يفرض المركزية المطلقة بالمقابل . فالحزب لا يستطيع أن يحمي نفسه إزاء الإرهاب الشديد للعدو إلا بهذه الطريقة.

من الواضح وضوح الشمس أن من الضروري أن يكون الجانب المركزي من مبدأ المركزية الديمقراطية هو الأغلب والأرجح في حزبنا المضطر لأن يعمل وينظم وينشط بشكل سري في ظل أقسى حملات الإبادة والعدوان نتيجة للظروف السائدة في بلادنا، لا بد من حماية المركزية المطلقة لأن العدو سيستفيد من أي خلل مهما كان بسيطاً في تطبيق هذا المبدأ. ربما استطاع البعض أن يواجهوا النقد الى هذه الناحية وأن يدافعوا عن ضرورة توسيع الجانب الديمقراطي في الحزب، لن يكون خطأ أن نرد على أمثال هؤلاء بالكلام الذي قاله لينين لأنصار رابوتشيه ديلو الذين كانوا يطالبون بتعيين المسؤولين الحزبيين عن طريق الانتخاب في ظل الحكم القيصري الاستبدادي في روسيا، حين قال: ((إن هذا الشرط (شرط الانتخاب) يعتبر أمراً بديهياً في بلدان الحرية السياسية فالفقرة الأولى من هذا النظام الداخلي للحزب الاشتراكي الديمقراطي على ما يلي: ((يعتبر عضواً في الحزب كل من يعترف بمبادئ برنامج الحزب ويؤيد الحزب على قدر الطاقة)) ولما كان الميدان السياسي مكشوفاً أمام الجميع كالمسرح أمام النظارة، فإن الجميع يعرفون من الصحف والاجتماعات العامة ما إذا كان هذا الشخص أو ذاك يعترف أو لا يعترف، يؤيد أو يعارض. ويعلم الجميع أن هذا السياسي أو ذاك قد بدأ على هذا النحو أو ذاك، وأنه سلك هذا الاتجاه أو ذاك، وأنه وقف في الساعات الحرجة هذا الموقف أو ذاك وأنه يمتاز على وجه العموم بهذه الصفات أو تلك، لذلك فإن جميع اعضاء الحزب، لعلمهم بحقائق الامور، يستطيعون أن ينتخبوا هذا الرجل أو أن لا ينتخبوه لهذه

الوظيفة الحزبية أو تلك. إن المراقبة العامة (بمعنى الكلمة الحرفي) على كل خطوة يخطوها رجل الحزب في حياته السياسية تخلق آلية تعمل بصورة أوتوماتيكية وتضمن ما يسمونه في علم الحياة بـ (بقاء الأصلح) وبفضل هذا (الانتخاب الطبيعي) الناشئ عن العلنية التامة، وبفضل المبدأ الانتخابي والرقابة العامة، يصبح كل عضو من الأعضاء في نهاية الأمر(في المكان الذي خلق له) ويقوم بالعمل الذي يتناسب أحسن التناسب مع قواه وكفاءاته ويتحمل بنفسه جميع تبعات أخطائه ويظهر أمام الجميع قدرته على فهم أخطائه وتجنبها. جربوا إذن إدخال هذه اللوحة في إطار الحكم المطلق السائد في بلادنا! هل من المعقول في ظروفنا أن يقوم جميع (الذين يعترفون بمبادئ برنامج الحزب ويؤيدون الحزب على قدر الطاقة) بمراقبة كل خطوة يخطوها الثوري السري؟ هل من المعقول أن يختار جميع هؤلاء أحداً من بين الثوريين السريين، إذا كانت مصلحة العمل تلزم الثوري بأن يخفي هويته عن تسعة أعشار هؤلاء (الجميع)؟ أعملوا الفكر ولو بعض الشيء في حقيقة معنى الكلمات الطنانة التي ألقتها (رابوتشييه ديلو) يتضح لكم أن (الديمقراطية الواسعة) في منظمة حزبية تعيش في دياجير الحكم المطلق وفي ظل سيطرة نظام الاختيار الذي يمارسه الدرك ليست غير لغو فارغ وضار، لأن الديمقراطية الواسعة لم تمارس قط ولا يمكن أن تمارس من قبل أية منظمة ثورية، مهما بلغت رغبة هذه المنظمة في ذلك، وهي لغو ضار لأن محاولة تطبيق (المبدأ الديمقراطي الواسع) لن تكون نتيجتها غير مساعدة الشرطة في تنظيم الاعتقالات الواسعة وغير تخليد الطريقة الحرفية المسيطرة وتحويل أنظار القائمين بالنشاط العملي عن المهمة الخطيرة التي تواجههم بإلحاح، مهمة تنمية صفات الثوري المحترف في أنفسهم إلى تدبيج أنظمة مفصلة (على الورق) عن الطرق الانتخابية. إن هذا (اللعب بالديمقراطية) لم يكن من الممكن أن يتصور هنا وهناك وخصوصاً لدى الفروق الصغيرة، إلا في الخارج حيث لا يندر أن يجتمع أناس ممن لا يجدون أمكانية القيام بعمل حقيقي وحي) .

هذه الحقائق التي حددها لينين في ظروف روسيا القيصرية أكثر انطباقاً وأشد ضرورة في الظروف الكردستانية حيث تخضع البلاد لأسوأ النظم الفاشية، هذا النظام المستند إلى القهر ومعاداة الثورة، وحيث يجري خنق أي صوت أو أي تحرك مشروع مهما كان بسيطاً، في بحار من الدماء وفي سيول من التعذيب وحملات الإبادة والمذابح وحيث لا يسمح بأي شكل من أشكال التنظيم مهما كان بسيطاً.

وإذا جعلنا الموضوع ملموساً أكثر فإننا نرى أن من الضروري ترجيح كفة المركزية في سبيل توفير أمكانية الحياة والاستمرار للتنظيم الذي هو الأمل الوحيد للشعب في سبيل توفير أمكانية الحياة والاستمرار للتنظيم الذي هو الأمل الوحيد للشعب في مرحلة مصيرية وحياتية بالنسبة لكردستان حيث تجري مواجهة المهمات الأكثر إلحاحاً. من الواضح تماماً أن تلك المفاهيم الداعية إلى اختيار الكوادر (بالانتخاب) أو بطريقة انتخابية أخرى في الوقت الذي تجري فيه إعادة صياغة النشاطات والفعاليات ويتم فيه قطع الخطوط المحسوبة بدقة متناهية، ما هي إلا مفاهيم لأناس يديرون وأن ظهورهم للمهمات التاريخية التي نواجهها ويتهربون من الثورة. يستحيل انجاز مهمة أعادة البناء بنجاح إلا بالالتزام الشديد بتوجيهات الهيئة الأعلى مع وضع تعليمات الهيئة العليا المركزية في الصدارة في مرحلة تتطلب انجاز مهمة صعبة مثل إعادة البناء من جديد. لهذا السبب ينطوي تطبيق مبدأ المركزية بأفضل الأشكال على أهمية مصيرية. وعدم الالتزام بالمركزية ولاسيما في الفترات الأولى يمكن أن يؤدي إلى تحويل الحزب إلى مؤسسة تضم أناساً يستطيع كل منهم أن يتصرف على هواه كما يمكن أن يمنع الحزب من تحقيق مهمة بناء هيئة الكوادر. إن وحدة الحزب وحدة طوعية وهذا يعني أن الكوادر لحظة انتسابهم إلى الحزب كانوا موافقين على هذا المبدأ، غير أن الموافقة هذه ليست إلا جانباً واحداً من القضية في حين أن الجانب الآخر هو تطبيق هذا المبدأ في الممارسة العملية بأفضل الأشكال، أن التعيينات عندنا تتم على أساس التسمية من الأعلى إلى الأسفل بموافقة المركز، والقضية الأساسية في ذلك كما أوضح لينين أيضاً هي الثقة بين الرفاق.

غير أن أنزال الجانب الديمقراطي إلى حدود الدنيا بسبب الظروف التي تمر بها بلادنا لا يعني إلغاء الديمقراطية إلغاء كاملاً داخل إطار الحزب، فالديمقراطية داخل الحزب ستغدو فعالة من جهة معينة وسيجري هذا المبدأ من تلك الجهة. إن أعضاء الحزب يتمتعون بالحرية الكاملة في إيصال آرائهم وانتقاداتهم بخصوص القرارات المتخذة قبل وبعد صدورها إلى مركز الحزب. وتغليب الجانب المركزي لا يقيد هذه الحقوق التي يملكها الأعضاء. بهذه الطريقة سيتم تشغيل الآلية الداخلية للديمقراطية الحزبية، فكما أن الأعضاء أحرار في إيصال آرائهم وانتقاداتهم بدون أية قيود، نجد أن تطوير مثل هذا الموقف ضروري جداً لتمكين الحزب من العمل بشكل صحيح وشرط من شروط الثورية المسؤولة بمقدار ما هو ضروري. على الكوادر أن تتحرك في أطار مثل هذا الفهم للمسؤولية وأن يساهموا في أعداد المعلومات الأفضل والأوفى للمركز ومن المفيد أيضاً أن يبين لجميع الأعضاء حقوقاً متساوية في هذا المجال. وهذه القواعد يجري تطبيقها بدون نقاش من أعلى وحدة إلى أدنى وحدة في الحزب كله.

والنقطة الأخرى التي يجب الإشارة إليها هي ضرورة الحذر من استخدام حق الأعضاء في إيصال الآراء والانتقادات في أماكن غير مناسبة وبشكل غير ملائم مما يؤدي إلى مختلف الأخطار والمحاذير. فالمركزية تقتضي أول ما تقضي بتنفيذ التوجيهات المرسلة بدون أي نقاش حول صحتها أو عدم صحتها وكيف يمارس الأعضاء إذن حقهم في إيصال الانتقادات والآراء؟ كم أكدنا من قبل، يمكن إيصال الآراء والمقترحات والانتقادات إلى المركز أو الهيئة الأعلى حتى بعد البدء بتنفيذ القرارات مثلما يمكن الإسهام في عملية اتخاذها حسب توفر الإمكانيات. أما المعارضة قبل البدء بتنفيذ القرارات أو التهرب من تنفيذها فأمر يتناقض مع النظام الداخلي كما يلحق أضراراً جدية بالحزب. ولهذا السبب يتوجب على الأعضاء أن يلتزموا بالتوجيهات والقرارات التزاماً كاملاً مع الاحتفاظ بحقهم في النقد لممارسته فيما بعد. وبالشكل نفسه يجب أن تكون الانتقادات والمقترحات منسجمة مع خط الحزب وتخدم وحدته مع التركيز على تطوير فعالياته ونشاطاته أكثر فأكثر. يجب على جميع أعضاء الحزب

أن يشعروا بالمسؤولية إزاء ضرورة تشغيل هذه القاعدة الديمقراطية للحياة الداخلية في الحزب وأن يبادروا بدون تردد إلى طرح وجهات نظرهم. وإلا فإن الديمقراطية الداخلية للحزب ستبقى بدون معنى لاستحالة تشغيلها بشكل فعال.

ومما يجب فهمه من مبدأ المركزية أيضاً أن يكون العضو مسؤولاً عن تقديم التقارير المنتظمة إلى هيئة أعلى أو إلى المركز حول نشاطاته وأعماله، فبدون تشغيل هذه القاعدة بأفضل الأشكال يستحيل على المركزية أو تكون فاعلة، وبمقدار ما يكون المركز مزوداً بالمعلومات التفصيلية عن مختلف النشاطات يكون واقعياً وعملياً في توجيه الأعضاء واصدار التوجيهات وفي تبيان الطريق الصحيح، وإذا أخذنا خصوصيات الظروف التي نعيشها وواقع أن نشاطات الحزب ستتسع لتشمل ميادين أشمل بنظر الاعتبار، فإننا نرى بوضوح ضرورة تشغيل آلية التقارير والمعلومات من أجل توفير فرصة تطبيق المركزية. وإذا اكتسبت المركزية فاعليتها من هذه الناحية أيضاً فإن ذلك سيعني ضمان الأسلوب المحكم الذي يحتاج إليه حزبنا. لا بد لنا من ألقاء الضوء على اللامركزية بوصفها جزءاً لا يتجزأ من مبدأ المركزية الديمقراطية. فاللامركزية تعني أن يتحمل الأفراد والأوساط والجماعات التي قبلت أن تعمل بقيادة الحزب وتوجيهه والتي لها علاقة بالحزب مسؤولية عمل الحزب في الساحات التي تكون موجودة فيها، واللامركزية هذه طريقة عمل أوجدها تقسيم العمل وهي من متطلبات الشعوب بالمسؤولية الثورية. ليس هناك أي تعارض بين المركزية الديمقراطية واللامركزية بل على النقيض من ذلك إنهما تكملان أحداهما الأخرى وتوفران فرصة بروز مركزية قوية وناجحة في حياة الحزب(علينا أن نعمل على تحقيق أكبر قدر ممكن من اللامركزية في مسألة المسؤولية تجاه الحزب. واللامركزية هذه شرط مسبق وناظم ضروري للمركزية الثورية) إن النقطة التي يجب أن نتذكرها دوماً هي ضرورة أبقاء اللامركزية تابعة دوماً للمركزية وعدم السماح لها بالتقدم عليها.

من المفيد أن نشير في هذا المنعطف إلى المفهوم الاتحادي أو الفيدرالي الذي ظهر بوصفه رداً على المركزية. أن هذا المفهوم الفيدرالي هو المفهوم المرفوض جملة وتفصيلاً من جانب الأحزاب الماركسية اللينينية، هذا المفهوم الذي يتجلى على شكل قيام كل عضو باعتبار نفسه (مسؤولاً) وحده، وقيام كل هيئة بالنظر إلى ذاتها على إنها (المركز) ذلك لأن (الوحدة الفعلية للحزب مستحيلة) كما يقول لينين (إلا بوجود مركز قيادي واحد، هيئة قيادية واحدة) وبهذا المعنى فإن ضمان الوحدة الفعلية للحزب مرتبط بخضوع الأعضاء لمبدأ المركزية خضوعاً كاملاً، في حين أن الفيدرالية أو الاتحادية تشكل مصدراً لأكبر الأخطاء على وحدة الحزب لأنها تعارض تطبيق مبدأ المركزية وتعطي الأعضاء حق (الخضوع للقرارات التي تناسبهم، وعدم الالتزام بالقرارات التي لا تروقهم) إن الفيدرالية هذه تدعو إلى حل جميع القضايا والمشاكل عن طريق التفاهم، ومن المؤكد أنه لا يمكن ضمان خضوع الأقلية للأكثرية أو خضوع الجزء للكل في ظل سيادة الفيدرالية أو الاتحادية كما لا يمكن بناء المنظمات القوية الصلبة والفعالية. ولهذا السبب لا بد من رفضه هذا المفهوم رفضاً قاطعاً والالتزام بالمبادئ التنظيمية الحزبية اللينينية.

وكنتيجة علينا أن نوضح ما يلي: إن المركزية في الحزب لا تنتفي أبداً بل تبقى سارية المفعول بشكل دائم وإن تغيرت نسبة تطبيقها وفقاً للظروف المحددة، يجري توسيع الجانب الديمقراطي في الظروف التي تسمح ببناء المنظمات العلنية للحزب أو في الأجواء السلمية للتطور في حين لا بد من التشديد على المركزية أكثر فأكثر في فترات القتال حيث تزداد هجمات واعتداءات العدو كثافة، وحتى في أقسى الظروف يتم تشغيل الآلية الديمقراطية عن طريق قيام هيئات الدنيا بإيصال آرائها إلى الهيئات الأعلى أو إلى المركز. قال لينين فيما يتعلق بمبدأ المركزية في سنوات الحرب الأهلية ما يلي: (لا يستطيع الحزب الشيوعي أن يؤدي رسالته في ظروف اشتداد الحرب الأهلية هذه إلا إذا كان منظماً تنظيماً مركزياً قدر الإمكان إلا إذا كان الحزب خاضعاً لنظام انضباط – أشبه بالانضباط العسكري؛ إلا إذا كان مركز الحزب مسلحاً

بالسلطات الواسعة ومتمتعاً بثقة الأعضاء بشكل عام؛ إلا إذا كان هيئة ذات سلطة كاملة)

.

واليوم لا يمكن لأحد أن يتردد أو أن يبدي انزعاجه من أشد أشكال المركزية إذا كان يشغل مكاناً في النشاط الثوري في كردستان حيث يجري العمل لتنظيم النضال التحرري الوطني القومي في ظل أجواء الإرهاب والمذابح الفظيعة التي يفرضها العدو، لأن من المستحيل بلوغ المستوى التنظيمي المطلوب بأية وسيلة أخرى في الظروف القائمة عندنا، أن سوء الفهم السائد في مجتمعنا بشأن السلطة وغياب السلطة الثورية يبينان بوضوح مدى أهمية دور السلطة المركزية في حياة الحزب، لا يخشى المركزية الصارمة إلا صغار البرجوازيين. إن الكلمات التي قالها لينين عن المعارضين للمركزية في الحزب بروسيا بالغة الدقة والصحة: (ليست الفوضوية الارستقراطية إلا التعبير عن النيهيلية الروسية بصورة خاصة، والنيهيلي . العدمي . الروسي يتصور التنظيم الحزبي على أنه مصنع للرعب، ويرى خضوع الأقلية للأكثرية والجزء للكل نوعاً من العبودية،.. كم يرى تقسيم العمل بقيادة المركز تحويلاً للناس إلى مسننات وبراغي، وبالتالي يقوم بمعارضة هذه الأشكال من السلوك عبر أطلاق الصرخات التراجيكوميدية ...) ذلك يعني أن الذين يعارضون المركزية ليسوا من الثوريين البروليتاريين. فمعارضة المركزية فكرة غريبة عن البروليتاريا. والذين عارضوا مفهوم المركزية عندنا أيضاً هم البرجوازيين الصغار الذين لم يتنازلوا لأن يتحملوا مشقة التحول إلى مسننات وبراغي في الآلية وراحوا يبذلون الجهود الرامية إلى تمييع مفهوم السلطة والانضباط في الصفوف الثورية. أما الحزب البروليتاري فيجب عليه بالمقابل ألا يتردد للحظة واحدة في قضية تطبيق مبدأ المركزية الصارم في المراحل التي تشهد ازدياد هجمات الثورة المضادة بشكل خاص.

في هذه الفترة التي تشهد الجهود المبذولة من اجل اعادة صياغة تنظيم الحزب من جديد وانجاز مهمة بناء هيئة الكوادر نرى بوضوح أن انجاز هذه المهمة بنجاح مشروط بوصول الحزب إلى

تنظيم مهماته على أساس المركزية. يتمتع مركز قيادة الحزب بأوسع الصلاحيات والسلطات، بتطبيق الانضباط الفولاذي بكسب الحزب لثقة جميع أعضائه وبتحوله بالتالي الى هيئة ذات هيبة وسلطة. إن من المستحيل تعزيز قوة الحزب إلا باتباع هذا الأسلوب في الظروف السائدة اليوم .

٢. نظام التقارير والتوجيهات والمراقبة

لقد أبرزنا الآراء العامة حول هذا الموضوع لدى بحثنا لمبدأ المركزية الديمقراطية. غير أننا إذا أخذنا ممارستنا النضالية العملية السابقة وأعمالنا التمهيدية الحالية بنظرة الاعتبار، نرى أن من الضروري تحليل هذا الموضوع تحت عنوان مستقبل وبصورة تفصيلية. فضلاً عن أن كون المرحلة التي نعيشها مرحلة خلق حزب قوي هو الآخر يفرض هذا الأمر فرضاً.

أن العجز عن خلق نظام تقارير وتوجيهات محكم يشكل أحد النواقص الهامة التي عانينا منها خلال نضالنا التنظيمي السابق، فقد أدى هذا الوضع إلى العديد من الخسائر نتيجة الإخلال بآلية المراقبة أخلالاً كبيراً، كما أننا اليوم أيضاً نرى استمرار ظهور بعض النواقص هنا وهناك في هذا المجال فالمناضل يتصرف على هواه؛ ينفذ التوجيهات إذا شاء ويتقاعس عن تنفيذها إذا لم ترق له بل وهو أحياناً لا يعرف محتوى التوجيهات بدقة وبصورة كاملة ناهيك عن تصرفه إزاءها بحرية كاملة. إنه لا يبذل الجهود اللازمة لتنفيذ التوجيهات الواردة إليه بعد تمثلها والإحاطة بها من خلال أنزالها إلى مستوى الرسالة العادية. كما أن الوضع بالنسبة للتقارير ليس مختلفاً، هناك رفاق لا يعرفون معنى التقرير ولا يشغلون أذهانهم حول أسباب ضرورتها ويقومون عملية تقديم التقارير على أنها مملة ومزعجة وبالتالي لا يرفعون التقارير ألا حسب الأهواء. كما أن هؤلاء حيث يقيمون التقارير في هذه الحالات النادرة فإنهم لا يوظفونها كوسائل لإلقاء الضوء على النشاطات والفعاليات بل كغرض للتباهي والتفاخر بدون الإشارة

إلى أية نواقص أو سلبيات في عملهم وهكذا فإن التقارير تكون بطبيعة الحال ناقصة إلى أبعد الحدود ولا تفيد في دفع العمل إلى الأمام ولو بمقدار شعرة.

قبل الغوص في تفاصيل هذا الموضوع سنعرج على ما يجب فهمه لدى سماع عبارتي تقارير والتوجيهات هي الأوامر والقرارات الصادرة عن اللجنة المركزية أو عن الهيئات العليا إلى الهيئات الدنيا بهدف تأمين حسن سير حركة الحزب بشكل منظم. وعلى المركز أن يصدر التوجيهات القوية المتجاوبة مع التطورات في سبيل ضمان تسيير وإدارة الحركة كلها بشكل قوي. ما هو الشرط الذي يجب توفره لتحقيق ذلك؟ إن الشرط اللازم والضروري هو أن يكون المركز ممتلكاً للمعلومات الصحيحة والتفصيلية الدقيقة عن الحركة كلها، وهذه المعلومات لا يمكن توفيرها ألا عبر التقارير. فالطريق الموصل إلى إصدار التوجيهات السليمة والقوية يمر عبر تأمين التقارير الجيدة والصحيحة. أن التقارير هي المعلومات المنتظمة والدائمة التي تقدمها هيئات الدنيا إلى المركز أو إلى الهيئات الأعلى عن نشاطاتها وأعمالها في مختلف الميادين، بمعنى أن التقرير هو قيام المنظمة أو الفرد باطلاع المركز على عملها أو عمله، وبمقتضى المركزية يجري تنفيذ سائر توجيهات اللجنة المركزية والهيئات العليا بدون تردد كما يجري تقديم التقارير مهما كانت الظروف.

يقول الكراس الذي يحمل عنوان (قضايا تطور حركة PKK والمهام المستمدة) بشأن أهمية نظام التقارير والتوجيهات في حياة الحزب والنواقص التي تعاني منها في هذا المجال، ما يلي:

(يشكل نظام التقارير . التوجيهات بوصفه معياراً سليماً لفعالية الحزب وعلنيته واحداً من ابرز مظاهر الحزب المحترف. فمستوى التطور في نظام التقارير التوجيهات يبين مستوى تطور الحزب والمرحلة التي وصل إليها في هذا التطور. إن معيار النجاح لدى تحقيق الخط الصحيح وعملية بناء اللجان والهيئات هو مقدار التقارير والتوجيهات الصادرة ومدى واقعيتها؛ أنه مدى تطابقها مع روح الخط أو عدمه.

(لقد بين لينين أنه ما من وسيلة للتطور في بلاد ترزخ تحت كابوس ضاغط ومكثف للدرك والشرطة مثل روسيا، سوى العلنية داخل الحزب هذه العلنية التي لا بد من أن تكون مدعمة بالتقارير التي تتحدث عن جميع التطورات الحاصلة في البلاد. وهذه الحقيقة تكتسب مزيداً من الصحة والراهنية بالنسبة للظروف الكردستانية. غير أننا إذا نظرنا إلى التطورات الحاصلة حتى اليوم فإننا نرى أننا في وضع يدعو للرثاء حقاَ من حيث موضوع الوضوح داخل الحزب.

فإذا تركنا عملية إصدار التوجيهات الصحيحة جانباً نرى أن أهم التطورات وأخطرها بالذات لا يجري نقلها إلى الرفاق من الأعلى إلى الأدنى. من المعروف أن الحزب نفسه يبقى محروماً من الاطلاع على أهم التطورات خلال فترات طويلة تمتد شهوراَ، علماً أنه لا يمكن تصور أي ثوري لا يقدم التقارير المنتظمة بل ويجب تطوير هذا النظام حتى يصبح شاملاً لسائر الحياة اليومية، لا بد من تحقيق ذلك إذا كنا نرغب في تسيير العمل والنشاط بشكل ناجح. في الماضي كان المناضلون يسجلون المذكرات اليومية في حين أننا نخفق في صياغة الأحداث السنوية في تقارير ناهيك عن كتابة التقارير اليومية. يجب أن يكون معروفاَ أن حياة الثوري ليست سهلة وبخسة الثمن. وهناك الكثير من العبر التي يمكن استخلاصها منها لا بد أن هناك أموراً كثيرة يريد أن يتحدث عنها. ما هو السبيل إلى ذلك؟ كيف نستطيع نحن ان نحيط بما يجول في ذهنه وروحه؟ إن ذهن الثوري وروحه مملوءان بالكثير من الأمور الهامة ولا بد من أبرازها وعكسها. فكيف السبيل إلى ذلك؟ إن ذلك لا يتم إلا عن طريق نظام العلنية الداخلية في الحزب، أي نظام التقارير بطبيعة الحال، من الملاحظ أن هذه الوسيلة نادراً ما يتم اللجوء إلى استخدامها وفي حال اللجوء إليها يتم ذلك بكثير من التردد وعدم الرغبة. كثيراً ما يحاول البعض أن يصور هذه الخصوصية كم لو كانت غير ضرورية لا بوصفها خصوصية لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للحركات الثورية. إنها أحدى القواعد التي تعاني من أشد أنواع الخلل في حياتنا الحزبية. إن هذا الميدان يشكل نقصاَ خطيراً لا بد من اجتيازه لاستكمال سائر الصفات التي نتمتع بها، رغم أنه موجود في العديد من المنظمات ولا على المستوى

الشكلي. هناك محاولات لحل الأمور بدون تقارير بل هناك عزوف عن تقديم المعلومات حتى بشأن أهم القضايا المصيرية إلا من خلال الضغط والإكراه بعد أن وصل هذا الخلل إلى مستوى المرض.

(نحن منظمة ومعرضون لأن نضطر في كل لحظة إلى إصدار الأوامر والتوجيهات المختلفة. ولكن كيف نستطيع أن نقوم بمثل هذا العمل إذا لم تكن المعلومات الكامنة متوفرة بين أيدينا؟ وكيف نستطيع أن نتعرف على مستوى تطور الأفراد وعلى الأعمال التي يقومون بها وكيف؟ كيف السبيل إلى الكشف عن الأخطاء والمواقف الصحيحة وكيف السبيل الى معرفة النتائج المترتبة على الجهود المبذولة، وكيف يتم التعرف على تقييمات الأفراد؟ لا شك أن هذا كله لا يتم من خلال النظر إلى رأس هذا الثوري أو ذاك! لا يستطيع أي ثوري أن يقول: (أنا لا أستطيع أن أفهم شيئاً) وإذا كان يقول فإنه ليس ثورياً بل هاو ضيق الأفق وبدائي لا يعرف نفسه. إن الذي لا يشعر بالحاجة إلى أن يقول شيئاً، إلى أن يطور أمراً من الأمور؛ هذا الذي لا يشغل ذهنه بحثاً عما يجب عمله في سبيل دفع الأمور إلى الأمام، هو هاو وبسيط ومسكين بدون أدنى شك. يجب على الثوري أن يعتبر نفسه مكلفاً بمهمة اعداد التقارير وتقديمها بصورة دائمة حتى في حال عدم مطالبته بها.

(ما الذي يجعل التقارير ضرورية؟ يجب أن يكون معروفاً ومفهوماً بعمق أن من الضروري ضرورة قصوى أن يتم ضمان العلنية القوية جداً داخل الحزب في سبيل توفير إمكانية توزيع المهمات الحزبية بشكل صحيح ومن أجل توفير القدرة على اتخاذ القرار المناسب في العمل ولتحييد المفاهيم الشائبة والخاطئة وعدم الوقوع في المطبات، وأن السبيل الوحيد الذي يمكن أن يضمن ذلك هو نظام التقارير فضلاً عن ان التقارير هذه أيضاً من أجل توفير أمكانية صياغة التوجيهات الصحيحة.

(من الواضح أن التقارير تكتب لا لتلقى في الزوايا المنسية بل من أجل صياغة التوجيهات السليمة المتناسبة مع الظروف عبر تقييم الموقف والأوضاع بالاستناد إليها، ينبغي للتوجيهات أن تكون كافية مقنعة ومشتملة على التطورات كما لا بد من إرسالها. ما الذي يجعل هذا الأمر ضرورياً ؟ إن العمل لا يمكن ان يسير بدون توفر مركز التوجيهات، كما لا يمكن للجسم أن يتحرك بدون مركز فكري بدون مركز قيادي. ما أن تتوقف التوجيهات حتى يتوقف العمل ايضاً، ويبدأ التراجع والنكوص غير ان هذه التوجيهات يجب ان تصدر في الأوقات المناسبة وبالاشكال الملائمة وحسب الحاجة لا بشكل مستمر. يجب ان تصدر بايقاع يتوافق مع ايقاع التقارير وبالاستناد الى المعلومات الواردة فيها، لا بد للتوجيهات ان تظل آلية فعالة ونشيطة مهما كانت الظروف. إن حرمان الحزب من مثل هذا النظام المضبوط للتوجيهات شبيه بالشلل الذي تصاب به البنية نتيجة الخلل الذي يتعرض له الجهاز العصبي، ولاصابة الحزب في عقب آخيل يكفي ايقاف عمل آلية التوجيهات – التقارير في هذا الحزب، إذ يغدو الحزب بعد ذلك معرضاً تلقائياً للتفسخ والتحلل. إن الذي يتسبب في تآكل بنيتنا وفي اعاقة تطور عملنا ونشاطنا الحزبيين وفي وضع العصي في عجلة عربة سيرنا نحو الاحترام هو النقص الذي نعاني منه في هذا المجال. إنه السبب الأكثر أهمية بين جملة الأسباب التي تعيق تطورنا) .

يشكل نظام التوجيهات التقارير عنصراً لا غنى عنه من عناصر خلق جهاز قوي للرقابة في داخل الحزب في الوقت نفسه. في الأحزاب التي تخفق في تشغيل هذه الآلية يتعطل نظام العمل ويغدو بلا جدوى كما يتم الوصول الى منعطف خطر، هل يجري تنفيذ الخط السياسي للحزب ام لا؟ إذا كان الجواب ايجابياً فكيف؟ ما هي نتائج النشاط؟ في أي وضع هم الكوادر؟ لا يمكن توفير الأجوبة على مختلف الأسئلة الا من خلال الرقابة الصارمة والقوية، ولكن عملية الرقابة في الحزب الثوري قولاً وفعلاً لا تتم من خلال آلية التقارير – التوجيهات فقط بل ومن خلال تقييم الثمار التي تحققها الجهود المبذولة أيضاً، أي من خلال الرقابة

العملية الفعلية في الممارسة، ان العملية بناء آلية رقابة قوية وصارمة في الحزب ذو اهمية مصيرية وحياتية من وجهة نظر أمن الحزب وتطهير صفوفه من جميع العناصر الغريبة والضارة وضمان الوقوف في وجه سائر العمليات التخريبية وتسرب التيارات الضارة وحماية وحدة الحزب ونقاوته، وايصال الكوادر الى المواقع التي يستحقونها وحمايتهم، وتغذية نشاطات الحزب باستمرار وتوفير فرص التطور لها، يستحيل على الأحزاب التي تخفق في تأمين رقابة من هذا النوع أن تحمي نقاوتها الايديولوجية والتنظيمية وأن تضمن استمرار وجودها. لهذه الأسباب جميعاً لابد للحزب من أن يطور آلية محكمة للرقابة المباشرة وغير المباشرة ويضمن استمرارها. يقول ستالين حول أهمية تعزيز الرقابة الداخلية في الحزب ما يلي: (إن لحسن تنظيم عمل الرقابة وقيام الكوادر بتنفيذ القرارات أهمية حاسمة في نضالهم ضد البيروقراطية وضد العادات المكتبية الموجودة لديهم. هل يجري تنفيذ قرارت الهيئات القيادية؟ أم ان البيروقراطيين والمكتبيين يلقون بها في سلال المهملات؟ هل يجري تنفيذ هذه القرارات بشكل صحيح، أم يتم تشويهها؟ هل يعمل الجهاز بوعي وباسلوب بلشفي صحيح أم يراوح حيث هو ويتخبط؟ يمكن التوصل الى الاجابات الدقيقة عن مختلف هذه الأسئلة فور تطبيق رقابة صحيحة بشأن تنفيذ القرارت، فالرقابة الصحيحة على تنفيذ القرارات هي الانوار الساطعة القادرة على الكشف عن طريقة عمل الأجهزة وكشف النقاب عن البيروقراطيين والمكتبيين كشفاً كاملاً . نستطيع ان نقول ان تسعين بالمئة من نواقصنا واخفاقاتنا مرتبط بعدم وجود نظام للرقابة محكم وصحيح البناء يتابع عمليات تنفيذ القرارات، فلو كانت هذه العمليات التنفيذية خاضعة لمثل هذه الرقابة لأمكن، بدون شك تحاشي النواقص والاخفاقات.

(غير أن ايصال عملية الرقابة على التطبيق الى النجاح يتطلب شرطين على الأقل: أولهما ألا تكون الرقابة عرضية وعابرة بل منهجية ومستمرة؛ والثاني أن يتولى أشخاص ذوو سلطات ومناصب كافية مهمات الرقابة على تنفيذ القرارات في سائر الحلقات الحزبية والرسمية والاقتصادية لا أشخاص من المرتبة الثانية ...)

نقطة اخرى يجب التركيز عليها هي أن الرقابة يجب ألا تعني فقط اشراف المركز أو الهيئات العليا على الهيئات الدنيا والمناضلين وتوجيههم. هذا وتنطوي عملية الرقابة أن تقوم الهيئات الدنيا أو المناضلون بمراقبة المركز او الهيئة العليا والاشراف على عملها. كيف السبيل الى هذا؟ تتابع الهيئة الدنيا أو المناضلون أعمال المركز أو الهيئة العليا بدقة وتقييم ثمارها وتبادر الى تقديم ملاحظاتها وانتقاداتها بشأن الاخطاء التي تراها. وبهذه الطريق تظهر الى الوجود آلية قوية موحدة للمراقبة المزدوجة من الأدنى للأعلى ومن الأعلى للأدنى. نعرف جميعاً كيف أدت الثغرات الناجمة عن التساهل في تشغيل آلية الرقابة بصورة كافية في نضالنا السابق الى عواقب واضحة. لابد لنا من استخلاص العبر والدروس من ذلك وتطبيقها. غير ان من المعلوم أن هناك جملة من العيوب التي مازالت موجودة في الوضع الحالي، هناك نواقص هامة في تحقيق عملية الرقابة من الأعلى ومن الأدنى. فالهيئات العليا تظل أحياناً عاجزة عن مراقبة الهيئات الدنيا والمناضلين وتوجيهها كما تظل هذه الاخيرة لامبالية بنواقص وسلبيات عمل الهيئات الأعلى بل يوجد عناصر يعيشون في ملجأ واحد وأياماً طويلة وأشهراً ومع ذلك يعجزون عن ممارسة الرقابة الفعالة بعضهم تجاه البعض الآخر، على الرغم من أن الرقابة تعبير صريح وقوي عن الالتزام بالقضية وبالخط السياسي. على المناضل ان يصل الى هذا المستوى وأن يظل بعيداً عن كل سلوك يمكنه ان يعرقل سيرعملية التقارير– التوجيهات بوصفها وسيلة لا غنى عنها لتحقيق الرقابة الفعالة.

٣– الجماعية

إن التنظيم يعني تبني الاسلوب الجماعي. فالتنظيم والجماعية مترابطان ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم. وكما هو معروف فإن التنظيم وخصوصاً على مستوى تنظم المناضلين يعني خلق وحدة القرار والارادة بخصوص هدف مشترك. ذلك هو معنى الجماعية، أي أن الجماعية تعني تحقيق وحدة القرار والارادة المشتركة والتوجه الى الممارسة بما يتفق مع هذا الهدف، والمقصود بهذا هو ان

يستطيع عدد كبير من الأشخاص أن يعملوا معاً، وأن يوظفوا جهودهم بصورة مشتركة وأن يتحركوا في خدمة القرارات المشتركة.

كانت الجماعية منذ مجتمع المشاعية البدائية اسلوب عمل دفع بالانسان الى الأمام في عملية التطور الاجتماعي عبر النضال ضد الطبيعة. ولولا هذا النمط من العمل الجماعي لما استطاع الناس الأوائل أن يحافظوا على بقائهم والدفاع عن أنفسهم ضد ظروف الطبيعة القاسية والحيوانات المتوحشة وإلا لزال الانسان من الوجود في تلك المراحل الأولى ولما استطاع الاستمرار. إن اسلوب العمل والحياة الجماعية الذي فرضته ظروف الحياة ظل مستمراً لدى المجتمعات منذ تلك العهود السحيقة في القدم، وقد تم التعبيرعنه في سائر المجتمعات التي أدركت أهميته وضرورته بعبارات مختلفة مؤكدة على أنه اسلوب مثمر. ومما يقال مثلاً: (اليد الواحدة لا تفعل شيئاً ولكن اليدين تصفقان!) ..

غير أن هذا الجانب في كردستان قد تعرض، نتيجة للأسباب المعروفة، للكثير من التشويه، فقد صارت امكانية مبادرة عدد من الاشخاص الى المقاومة المشتركة بالاستناد الى مصيرهم المشترك تبدو بالغة الصعوبة بسبب التمزق الشديد للروابط الاجتماعية ونتيجة لتحويل الناس أعداء بعضهم للبعض الاخر، بدون التوصل الى وحدة في القرار والارادة في المجتمع وبين افراده لا يمكن تحقيق أي قدر من التطور مهما كان شأنه ناهيك عن تحقيق التطورات الثورية. لهذا لا بد لنا من تحقيق وحدة ارادة وقرار. أي مفاهيم جماعية قوية وأصيلة. وينطوي تحقيق ذلك وخاصة في ظل ظروفنا نحن على اهمية كبيرة جداً ومما يزيد المسألة الحاحاً وأهمية هو افتقار اناسنا الى هذه الجماعية لهذه الدرجة.

إن هذا الوضع السلبي ينعكس سلباً على الكوادر التي تأتي الى صفوف الحزب من هذه البنية الاجتماعية والسبب الكامن وراء المشادات والمماحكات الدائمة بين الكوادر هو هذا. فقيام الجميع بالمشاداة بدلاً من اتمام بعضهم للبعض الآخر وبروز أتفه النواقص بوصفها أسباباً

وجيهة للخلاف والصراع ما هي الا أشكال من انعكاس المرض الخطير الذي زرعه العدو بين الصفوف. ان الابتعاد عن الجماعية يعني الوقوع في المطب الذي أعده العدو، إنه يعني استمرار التمزق العشائري والنفوذ الاقطاعي للآغوات في داخل التنظيم. لابد للثوريين من ان يكونوا بعيدين كل البعد عن مختلف هذه السلبيات. فعدم خلق وحدة ارادة وقرار قوية وثابتة بين صفوف الثوريين يؤدي الى استحالة ظهور أي شكل من أشكال العمل أو التحرك الجماهيري القوي في مجتمع ممزق الى ملايين الجزيئات كما هو حال المجتمع في كردستان . كيف يستطيع المناضلون الذي يعجزون عن تحقيق الوحدة فيما بينهم أن يتوصلوا الى خلق وحدة الارادة والقرار لدى شعب غارق في الفوضى مثل شعبنا وبين طبقاته وفئاته المختلطة؟ كيف يمكن ايصال الآفراد الممزقين في أصغر المؤسسات كالعائلة الى روح الجماعية؟ من الواضح ان السبيل الوحيد الى ذلك يبدأ من وحدة القرار والارادة التي يجري تحقيقها أولاً بين المناضلين. وهذا الوضع يقتضي تطور المفاهيم الجماعية لدى المناضلين والكوادر حتى تغدو قادرة على التأثير على المجتمع كله بصورة تدريجية. لذا لا بد للمناضل من ان ينظر الى هذه الصفة بوصفها لا يمكن الاستغناء عنها في اي وقت من الاوقات.

إن الاسلوب الجماعي لدى النظر اليه بمعناه العصري هو مبدأ العمل والادارة للأحزاب الماركسية – اللينينية المؤسسة على قاعدة اللجان. فبناء الأحزاب الماركسية – اللينينية على أساس اللجان يمنع المفهوم الفردي للعمل والادارة أو القيادة ويضمن للحزب وحدة قوية في القرار والارادة يعني مبدأ العمل الجماعي في نشاطات اللجنة ما يلي: لابد للقرارات المتخذة بشأن حل سائر القضايا والمسائل الهامة والأساسية والمطروحة على جدول أعمال اللجنة من أن تكون ثماراً للتفكير والمناقشات الجماعية. يجب أن يكون جميع المناضلين الأعضاء في اللجنة والمسؤولين عن نشاطاتها أصحاب كلام مسموع وذوي تأثير فعال في اتخاذ القرارات. إن وجود المسؤول أو القائد للجنة او الهيئة لا يمكن أن يعني عقبة في طريق القيادة الجماعية للعمل، إن الفردية والتملك وسائر مظاهر انعدام الشخصية هي التي تسود وتزدهر في أي

حزب أو منظمة حزبية يتخلى عن الجماعية وبهذا المعنى ايضاً تنطوي الجماعية على قدر كبير من الأهمية من زاوية ظهور المناضلين ذوي الشخصيات القوية.

إن القضية التي نواجهها اليوم في كردستان، كما أكدنا بقوة، هي قضية أعادة تنظيم المجتمع ككل، اعادة تنظيم الأمة لا بناء التنظيم الحزبي فقط، ولدى تصور مدى عظمة وأهمية اعادة تنظيم أمة من الأمم من جديد عن طريق بناء وحدتها الاقتصادية والثقافية واللغوية ... الخ وما يتطلبه ذلك من توفر منظمة قوية وقادرة ومن ثم متابعة العمل في سبيل اعادة تنظيم المجتمع على الأسس الاشتراكية، يتضح أن التنظيم الوطني والقومي المؤهل لانجاز جميع هذه المهمات مضطر لأن يكون ممتلكاً لأكثر المعايير والمقاييس تطوراً وحساسية في موضوع التنظيم. إذا استطاعت النواة الطليعية أن تتحول الى نواة تنظيمية سليمة وتمكنت من خلق وحدة قرار وارادة قوية في صفوفها فإن ذلك يعني انها وفرت أيضاً ضمانة حقيقية للتنظيم القومي والاجتماعي المستقبلي.

من المؤكد أن تشجيع الملايين على التنظيم واحتواءهم في الأطر التنظيمية مرتبط بالقدرة على خلق النواة السليمة في ميدان التنظيم، وقطع الخطوة الثابتة في هذا المجال مع البرهنة على سلامتها عبر الممارسة العملية. ولهذا السبب فإن كل من لا يولي الأهمية اللازمة لقضية خلق منظمة الثوريين المحترفين، منظمة المناضلين، ويسعى الى فرض فرديته بدلاً من تطور عمل الهيئات المنظمة ما هو الا انتهازي لا يمكن شفاؤه من الواضح أن مثل هذا السلوك يلحق أشد الأذى بالمنظمة. لن يكون الفرد الذي يتخذ مثل هذا الموقف مفيداً في شيء مهما بلغ مستوى الجرأة والنشاط والروح العملية التي يتحلى بها، إن أساس النجاح في سائر نشاطاتنا يكمن في التنظيم الذي يتطلب وحدة القرار والارادة الجوهرية. هذا يعني أن الجماعية هي المفتاح الأساسي للنجاح.

يجب النظر بعين الشك والريبة الى ذلك الذي يبعثر بدلاً من أن ينظم، والذي يوقع بين الذين يعيشون معهم بدلاً من أن يزرع روح الالفة وصولاً الى تنظيمهم في هيئات محكمة. كائناً من كان سواء في قمة هيئات الحزب أو في القاعدة على الرغم من ان ذلك لا يعني انه عميل وجاسوس بالضرورة. فإنه مع ذلك يمارس عملاً معادياً لمنظمته من خلال اسهامه في عملية استمرار الفوضى والضياع والسديمية التي فرضها الاستعمار على المجتمع. ليس من الضروري أن يكون ذا نوايا سيئة بصورة مسبقة. غير أنه موضوعياً يخدم أغراض العدو لأنه يمثل جرثومة المرض الغريب جداً عن مصلحة التنظيم، لعل هذا النمط هو النمط الأكبر شيوعاً وخطورة عندنا وبالتالي لا بد لنا من الانتباه الشديد اليه. ولهذا السبب يجب عدم الاعتراف بحق الحياة في داخل التنظيم لمثل هذا النمط بشكل قاطع. إنه النمط الذي يظل دائباً على دروس قواعد الحياة التنظيمية وعلى قلبها الى فوضى . أنه النمط الذي يختلق آلاف الحجج كي لا ينتظم ويظل هارباً دائماً من التنظيم. إنه يظل يبحث باستمرار عن موقع يكون فيه حراً، رافضاً أن يكون مسنناً في الآلية. إذا كانت حركة حزب العمال الكردستاني قد عانت كثيراً من تكبد الخسائر في الماضي فإن الأسباب بأكثريتها تعود الى مثل هذا النمط . فقد مهد هذا النمط السبيل الى ضياع العديد من الناس الشرفاء، كما أن عدم القدرة على الافادة من كل الامكانيات وعلى توظيف كل الاشياء الثمينة في تطور النضال، واضاعة الكثير من الفرص فإن المسؤولية عن ذلك كله تقع على هذا النمط .

لا بد من اتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لعدم ابقاء مثل هذا النمط في داخل الصفوف وخاصة في بنية التنظيم النخبة المؤلفة من الكوادر كما لا بد من الوقوف موقفاً ثابتاً ضد انتشار نفوذه بأي شكل من أشكال. لابد من الخلاص من هذا المرض ومن سائر العواقب المترتبة عليه مهما كانت الجهود المبذولة وفي اي مستوى ومع أن السلبيات الناجمة عن مثل هذا النمط يتجلى في العديد من المجالات فإن ما نريد التركيز عليه هنا هو شكل تجليها في أسلوب العمل الجماعي . فهذا المرض يظهر بأكثر أشكاله سلبية وضرراً في اعاقة وحدة

الارادة والقرار الجماعية. فهذه الصفة تكون نابعة من طبيعة الفردية المتأصلة، والفردية كما هي معروفة تكون على طرفي نقيض من الجماعية، فحيثما نجد الفردية متطورة ومتقدمة لابد لنا من البحث عن الجماعية وتقويتها، وحيثما تكون الجماعية هي السائدة فلا يمكن للفردية ان تجد فرصة للحياة والازدهار.

لدى النظر الى الحالة التي وصلت اليها البنية الاجتماعية الاقتصادية في بلادنا يتضح مدى قوة نفوذ الفردية في مجتمعنا. فقد عمل العدو باستمرار على بذل كل ما يستطيعه من جهد لايقاف مصالح الفرد في وجه مصالحنا الاجتماعية والقومية ولتطوير الروح والنزاعات الفردية في مجتمعنا كما أن انتشار نمط الانتاج الضيق والصغير في اقتصاد البلاد ساعد هو الاخر على تعزيز هذا التوجه. إن الانتاج الصغيرالسائد في الريف هو الذي احال مجتمعنا الى اجزاء معزولة بعضها عن البعض الآخر ولدى اتحاد هذه العزلة التي يعيش فيها شعبنا مع تخلف المواصلات والاتصالات والفقر، ظهر الى الوجود وضع اكثر رهبة وانفصال أشد عمقاً. من المعروف أن الأكثرية الساحقة من سكان البلاد هي الجماهير الفلاحية في القرى، إن العمل في الحقل الصغير الذي يمتلكه الفلاح لا يوفر أية امكانية لأي نوع من تقسيم العمل أو لأي مستوى من الأسلوب العلمي. وهو لذلك لا يوفر أية امكانية لأي تطور، لأية تجربة او بتديل في الكفاءة او أي اغناء للعلاقات الاجتماعية فكل عائلة تكاد تكفي نفسها بنفسها وتستهلك معظم انتاجها. وهكذا فإن فلاحنا يؤمن مستلزمات حياته من خلال التعامل مع الطبيعة أكثر من قيامه بذلك من خلال عمليات التبادل مع المجتمع من المفيد الاطلاع على ما قاله ماركس عن المنتج الصغير في فرنسا لتكوين فكرة أوضح عن بنية مجتمعنا في كردستان. فقد قال: (قطعة أرض صغيرة، فلاح وأسرته وفي الجوار قطعة أرض صغيرة أخرى وفلاح أخر وأسرة أخرى. إن حفنة من هذه الوحدات تشكل قرية وحفنة من القرى يشكل مقاطعة. وبهذه الطريقة تتكون الجمهرة العظمى من الأمة الفرنسية بمجرد اضافة مقادير متماثلة مثلما تكون رؤوس البطاطا في كيس بطاطا) هذا هو العامل الأساسي الذي يعرقل كل أنواع

التحرك والعمل والتفكير الجماعي في كردستان اليوم، العامل الاساسي الذي يولد الروح الفردية في جميع المجالات والمحاولات. من الطبيعي أيضاً أن نمط عمل صغار البرجوازيين والمثقفين في المدن نمط فردي هو الآخر مما يؤدي الى أن يكون خضوع أولئك القادمين من القطاعات الهامشية لاسلوب العمل الجماعي أمراً صعباً. فهؤلاء كثيراً ما يحاولون أن يفرضوا أسلوبهم الفردي في العمل على البروليتاريين بدلاً من أن يتكيفوا مع الروح الجماعية السائدة بين البروليتاريين. بل ولا يقف الأمور عند هذا الحد فالفردية في بلادنا فردية خاصة لا تتيح أية فرصة لأن تكون المصالح الفردية الخاضعة للمصالح الاجتماعية والوطنية العامة بل وتوظف الأولى ضد الثانية في الكثير من الاحيان وهذه الفردية تنطوي دوماً على الخنوع والرضوخ، فالفرد لا يبادر الى القيام بعمل الخير ولا يسمح لغيره بأن يقوم به لا بد لنا من معرفة الفردية السائدة في بلادنا من مختلف هذه الجوانب. نتيجة لهذه البنية السلبية لا بد

من نشر الروح الجماعية والتصرف المشترك في الحياة الحزب وفي عمليات اتخاذ القرارات، وإذا لم يسود هذا المبدأ في نشاطات الحزب، فإن من الواضح ان النمط السلبي الذي تحدثنا عنه، النمط الفردي هو الذي سيفرض سيطرته على الحزب وسيجر التنظيم الى مستنقع الفوضى والفوضوية. يجب ان يكون معروفاً جيداً ان الفرد لا يشكل شيئاً وحده. ولا يمكن أن يعبر عن قوة ما إلا اذا كان منظماً. وبما ان التنظيم يستوجب التحلي بالروح الجماعية فلا بد للأفراد من أن يكونوا متمسكين بالجماعية. لا حاجة للقول بان الحزب سيبقى محروماً من الادارة والقيادة الصحيحة في حال عدم تأمين الروح الجماعية وضمان سيادتها وفي هذه الحالة يتم اللجوء اما الى فرضه نوع من السلطة البرجوازية أو يتم الغرق في عدم الاعتراف بأية سلطة أو يتحول الفرد الى طاغية عبر الادعاء بأنه أعلى مصدر للسلطة ولا يمكن لأية سلطة أن تعلو على سلطته. من المؤكد أن هذه الاساليب ليست أساليب بروليتارية في القيادة من القريب أو البعيد. إنها مفاهيم لا يجوز السماح لانتعاشها وبقائها في بنية الحزب بأي شكل من

الاشكال. يجب أن نتذكر دوماً ان أكثر القرارات صحة واكثر الاعمال ثماراً لا يمكن تحقيقها الا بالجهود المبذولة بالاستناد الى مبدأ الجماعية.

٤ – نظام الاجتماعات

نظراً لأن مبدأ الجماعية يعني وحدة الارادة والقرار فإن من المفيد التطرق الى قضية نظام الاجتماعات المرتبط مباشراً بهذا الموضوع بخطوطه العامة.

ليس موضوع الاجتماعات عندنا من الموضوعات التي تم التوقف عندها وتفصيلها بدقة واهتمام كافيين على الرغم من استحالة التفكير بالاجتماعات بمعزل عن عملية اتخاذ القرارات، واستحالة الحياة الحزبية بدون هذه الأخيرة. لذا لا بد من تناول الموضوع والقاء الضوء على مواضيع طريقة عمل الاجتماعات وآليتها في الأحزاب البروليتارية.

إن تخلف مجتمعنا في ميدان التنظيم، تمزقه وتعرضه لعملية الاحصاء حتى أصغر ذراته، هو الموضوع الذي ينتصب أمامنا لدى قيامنا بتحليل ودراسة أية مشكلة من المشكلات تقريباً، لأن هذا يشكل السبب الأساسي لجميع المشاكل التي نعاني منها. فلدى تناولنا لأي مشكلة مهما كانت فإننا نكتشف هذا الأمر كامناً وراءها. ان المسألة تبقى أيضاً هي هي في قضية الاجتماعات يستحيل تناول القضايا في مجتمعنا في اجتماعات عصرية حديثة وحلها وضمان اتخاذ القرارات الجماعية. ان الاستعمار التركي لا يمكن ان يوافق على مثل هذا الأمر الأساسي وهو يعرقل من خلال القوانين والنظم الفاشية التي فرضها وعبر شبكة محكمة من المخبرين والجواسيس ومن خلال قوى الجيش والشرطة، عقد الاجتماعات التي يمكن عقدها لبحث الامور المتعلقة بالمصالح والقضايا الوطنية والقومية الخاصة، أضف الى ذلك أن مجتمعنا بالذات لم يبادر بشكل جدي الى عقد مثل هذه الاجتماعات حتى الان .

مسألة الشخصية في كردستان

أحيانا نسمع كلاماً يقول: إن التنظيم الفلاني عقد اجتماعاً على المستوى الفلاني في كردستان وتركيا، وقد تم التوصل الى حل القضايا المطروحة واصدار القرارات التالية، والسؤال هو: كيف هي اجتماعات هذه التنظيمات البرجوازية الصغيرة أو الشبه اقطاعية؟ من الواضح أنها تعقد اجتماعات تتناسب مع بناها الطبقية أو مع شكل العلاقات التي تأسست عليها، هناك على سبيل المثال، اجتماعات عشائرية، حيث يكون رئيس العشيرة السلطة الوحيدة فيعطي الكلام لمن يشاء، ويحرم من لا يروقه من أي كلام، ولا يستطيع الجميع أن يساهموا بالتساوي في حل القضية المطروحة بل يبقى القول الفصل لرئيس العشيرة وحده، هذا ولا يكون هناك أي جدول اعمال محدد او برنامج محدد للاجتماع او نظام لعمله، وبالطريقة نفسها يبادر البرجوازي الصغير هو الآخر الى اقحام الكسل واللامبالاة والفوضى في كل الامور، ويحاول أن يغرق القضايا في سيل الكلام. فهو يحب الكلام كثيراً ولكنه يهرب من العمل، فاتخاذ القرارات وتنظيم الاجتماعات من أجل ذلك، والالتزام بالقرارات المتخذة أمور غريبة جداً عنه وعن طبيعته. ليست الاجتماعات التي عقدتها منظمات عديدة في تركيا وكردستان إلا اجتماعات من هذا القبيل. انها اجتماعات شبيهة بتلك التي يعقدها رؤساء العشائر أو اجتماعات لا تفيد في حل أية مسائل ولا في اتخاذ أية قرارات ولا ينتج عنها الا الكلام الغزير والفارغ .

من الطبيعي ان هذا النوع من الاجتماعات ليس هو المفهوم بعبارة الاجتماع في قاموس الحزب البروليتاري وفي قاموس المناضل الثوري، فحزب البروليتاريا ينظر الى موضوع الاجتماع نظرة جدية، ويعقد اجتماعات تقدم الحلول للمشاكل وتتخذ القرارات. إنه لا يسمح بعقد الاجتماعات التي تهدر الوقت ولا تشمل الا على الكلام لا الخطط العملية، غير أننا نحن أيضاً كنا في الماضي نعاني من النواقص في موضوع الاجتماعات فلم يكن المناضلون قد أحاطوا احاطة كاملة. ولذا فإنهم لم يكونوا ناجحين في اتخاذ القرارات وحل المشاكل. لا بد لنا من وضع حد قاطع لهذا النقص في المرحلة الجديدة التي نعيشها الآن. لذا فإن على

المناضل أن يمتلك فهماً واضحاً وعميقاً لموضوع الاجتماعات الذي هو جزء لا يتجزأ من حياة الحزب كما للمواضيع الأخرى، ولهذا السبب يجب من البداية توفير الأجوبة الصحيحة عن السؤالين التاليين: ما هو الاجتماع ؟ ولماذا يتم عقده؟

إن الاجتماع عمل يتم انجازه بهدف اتخاذ القرارات القوية بغية حل المسائل الأساسية والضرورية وزيادة إنتاجية الجهود المبذولة. نعم أن الاجتماع هو عمل فعلاً على الرغم من أنه مجال يناقش فيه عدد كبير من الأشخاص المسائل المطروحة في مكان معين. ذلك لأنه يساهم في دفع نشاطات الحزب وفعالياته إلى الأمام لتكون أكثر صحة وأوفر ثماراً. إن النقطة الأساسية التي يجب الانتباه إليها في موضوع الاجتماع هي أن الاجتماعات يجب أن تعقد حول القضايا الأساسية والضرورية لا حول المسائل اليومية الصغيرة العرضية.

ثانياً: يجب تنظيم الاجتماعات المدعوة إلى حل المشاكل واتخاذ القرارات الفعالة تنظيماً جيداً. فمن المستحيل على الاجتماع غير المنظم تنظيماً جيداً أن يؤدي إلى النتائج المطلوبة. ما معنى تنظيم الاجتماع تنظيماً جيداً؟ ذلك يعني التفكير والأعداد المسبقين لجملة من القضايا مثل: ما هي القضايا التي ستطرح في جدول أعمال الأجتماع ؟ من هم الذين سيدعون إلى هذا الاجتماع ؟ أين ومتى سيتم عقد الاجتماع ؟ ما هي المدة التي سيستغرقها ؟

كان البلاشفة الروس يولون موضوع الاجتماعات اهتماماً كبيراً وجدياً حتى أنهم شكلوا هيئات خاصة لتنظيمها، وآراء لينين حول هذه القضية واضحة ومعروفة تماماً. غير أن المناضلين عندنا يبادرون أحياناً إلى عقد اجتماعات مستعجلة وبدون أعداد وبلا جداول أعمال محددة. من المؤكد أن عقد الاجتماعات المستعجلة والطارئة أمر ضروري أحياناً غير أنها يجب أن تكون حتى هذه منطوية على شيء من التنظيم والأعداد، أحياناً تعقد اجتماعات لا تكون الغاية منها معروفة من قبل أكثرية المدعوين، كما يجري الانتباه إلى مسألة ما إذا شارك في الاجتماع عدد كاف من أصحاب مستويات معينة؛ فضلاً عن عدم ايلاء

الزمن الاهتمام الضروري مما يجعل الاجتماع يطول ويطول وبالشكل نفسه لا يستطيع المجتمعون ان يحققوا الانسجام المطلوب فيما بينهم وأن يطرحوا وجهات نظرهم بالشكل الكافي لأنهم لا يكونون مستعدين بصورة مسبقة. إن الاجتماع ليس أجراء يمكن تنفيذه في كل الأوقات وبكل الأشكال بل ولا بد من أن يخضع لنظم وقواعد محددة.

أما النقطة الثالثة التي يجب الانتباه إليها في موضوع الاجتماعات فهي أنه لا يجوز عقد أي اجتماع بدون أعلام الهيئات المسؤولة والحصول على موافقتها. فحيثما كنا، ومهما كان وضعنا في هذه الوحدة أو تلك، هناك هيئة مسؤولة شكلها حزبنا موجودة حيث نكون نحن، ولكي يكون الاجتماع الذي نريد عقده شرعياً لا بد لنا من استئذان الهيئة المسؤولة الموجودة في الوحدة التي ننتمي إليها. لا بد للحزب من أن يكون مطلعاً على سبب عقد الاجتماع والهدف منه، وعلى الذين سيحضرونه كما أن هذا حق طبيعي لتلك الهيئة فإنه أيضاً من مستلزمات العلاقات التنظيمية الرسمية في الوقت نفسه. إننا نلاحظ أن هذه النقطة لا تحظى أحيانا بالاهتمام الكافي في صفوف الحزب. يجب أن يكون معلوماً أن أي اجتماع يعقد بدون إعلام الهيئة المسؤولة أو الحزب ككل لا يمكن اعتباره شرعياً.

أن النقطة الرابعة التي يجب التوقف عندها في هذه المسألة هي موضوع طريقة العمل داخل الاجتماع، فلكل اجتماع قواعد ونظم خاصة بعمله الداخلي لا بد من الالتزام بها لدى عقد الاجتماع ومتابعة أعماله، وقبل كل شيء يجب أن تسير الاجتماعات وفقاً لجدول عمل محدد. لا يمكن إدخال كل مسألة تخطر بالبال وبصورة عرضية بدون أن تكون واردة في جدول الأعمال في برنامج عمل الاجتماع .

هذا ويتم ترتيب المواضيع المدرجة في جداول الأعمال نفسها حسب أولويتها، وألا فإن الوقت يضيع سدى وتعم الفوضى.

مسألة الشخصية في كردستان

هناك أيضاً مسألة أدارة الاجتماع وقيادته، ولذلك لا بد، قبل الانتقال إلى المواد المدرجة في جدول الأعمال، من تشكيل هيئة تتولى مهمة أدارة الاجتماع، ومن تحديد القواعد التي سيجري أتباعها. وبهذا الشكل يكون قد تم ضمان نظام الاجتماع وانضباطه.

نقطة أخرى يجب الانتباه إليها في الطريقة الداخلية لعمل الاجتماعات الرسمية هي ضرورة تسجيل محاضر تحتوي على المناقشات الجارية والقرارات المتخذة. إن ذلك هو من مستلزمات العمل الرسمي.

لا شك هناك واجبات تقع على عاتق الأعضاء المشاركين في الاجتماع أيضاً. فعلى كل عضو مشارك في الاجتماع أن يشعر بأنه مسؤول شخصياً عن نظام الاجتماع ونجاحه، يجب عليه أن يستخدم حق الكلام بشكل جيد وأن يساهم في حل المسائل واتخاذ القرارات من خلال تقديم الاقتراحات والخبرات والانتقادات. غير أن هناك حالات نرى فيها نقيض ذلك تماماً في بعض الأحيان، هناك مناضلون رغم أنهم مدعوون إلى الاجتماع لا ينطقون بكلمة واحدة خلال الاجتماع. أو يبادر إلى تقديم موضوعات ومسائل لا علاقة لها بجدول الأعمال إلى الاجتماع . إن مثل هذه المواقف مواقف يجب على عضو الاجتماع الجيد أن يتحاشاها ويبتعد عنها.

أخيراً هناك نقطة لا بد من أبرازها هي أن على كل اجتماع يتم عقده أن يتوصل إلى نتيجة محددة وأن يصدر عنه قرار معين، أي يجب على الاجتماع أن يصل إلى الأهداف التي وضعها أمامه، وبعد اتخاذ القرار يجب قطع النقاشات والانتقادات بحسم والمبادرة إلى ترجمة القرار في الحياة العملية.

يجب على المناضلين أن يتمثلوا بعمق جميع المسائل التي تطرقنا إليها في موضوع الاجتماعات وأن يطبقوها في الحياة وأخذ الصفات الخاصة ببلادنا بنظر الاعتبار. ومما يجب ألا يغيب عن

البال هو أن الظروف التي تعيش فيها بلادنا تجعل الالتزام بهذه المواصفات لدى عقد الاجتماعات أمراً أكثر أهمية. لا بد للاجتماعات عندنا من ان تكون ضيقة وسرية بسبب الظروف السائدة. وبالشكل نفسه فإن كون هذه الاجتماعات مضطرة لأن تعقد في ظروف ندرة الإمكانيات وكثرة الصعوبات والمخاطر يجعلها ملزمة بأن تعقد وفقاً للأنظمة والقواعد وأن تؤدي إلى النتائج بصور حتمية؛ إن لهذا الأمر أهمية مصيرية وحاسمة.

٥ـ المبادرة

إن المبادرة بالمعنى الثوري تعني القدرة والكفاءة، الشخصيتين للتدخل في الأحداث والتطورات بصورة افرادية وفقاً للأهداف والقرارات المشتركة. وموضوع المبادرة موضوع يجب على المناضل أن يتمثله ويطبعه بشكل لا يقل اتقاناً ونجاحاً عن تمثيل وتطبيق موضوع الجماعية، ذلك لأن قدرة المناضل عل استخدام مبادرته عند الحاجة تساوي من حيث الأهمية مدى التزامه بمبادئ العمل الجماعي.

تشير المبادر إلى القدرة على التدخل الشخصي في التطورات والأحداث.

غير أن هناك فرقاً بين مبادرة وأخرى، فهناك مبادرة مفيدة تساهم في دفع التطورات إلى الأمام وأخرى، وبالمقابل، لا تجدي شيئاً بل وتسد الطريق أمام التطورات وبالتالي تكون ضارة. من المؤكد أن المبادرة المطلوب توفرها لدى المناضل هي المبادرة الايجابية المفيدة، أن المبادرة الثورية تنطوي على تدخل شخص لا يؤثر سلباً على الطاقة الجماعية وعلى وحدة الحزب ويكون منسجماً مع مبادئ الحزب وقراراته، في الأحداث بأنسب الأشكال وأفضلها. وبهذا المعنى نستطيع أن نقول أن المبادرة لا تكتسب معنى ايجابياً ألا إذا كانت منسجمة مع الإرادة الجماعية للحزب ولا تكون عملية مفيدة إلا إذا توفرهذا الشرط. تركز المبادرة على هدف استكمال الجماعية وتجسيدها في الواقع الملموس. وعنصرا الجماعية والمبادرة مترابطان ارتباطاً

وثيقاً ويكملان أحدهما الآخر. على المناضل الذي يمتلك روحاً جماعية أن يكون قادراً في الوقت نفسه على المبادرة، كما يجب على المناضل ذي القدرة المتطورة على المبادرة أن يبقى ملتزماً بمبدأ الجماعية. إن انقطاع هذه الصلة الحية بين الجماعية والمبادرة تؤدي إلى جر الفرد إما إلى المفاهيم (اليمينية) أو (اليسارية) فالجماعية التي لا تنطوي على المبادرة تولد المفاهيم (اليمينية) وتؤدي إلى ظهور أشخاص كسالى إلى أبعد الحدود عاجزين عن اختيار طريقتهم، مسحوقين تحت تطورات الأحداث، ومقابل ذلك، تؤدي المبادرة التي لا تنطوي في أعماقها على الروح الجماعية إلى أنجاب المفاهيم (اليسارية) فتبرز أفراداً لا يعترفون بأية سلطة، وتمهد الطريق لظهور الفردية والفوضوية في النهاية. هذا يعني أن من الضروري فهم العلاقة القائمة بين المبادرة والجماعية فهماً عميقاً وإبداء كل منهما في اللحظة المناسبة لضمان عدم الوقوع في مثل هذه المفاهيم المتطرفة.

يعيش مجتمعنا وضعاً سلبياً عميقاً فيما يتعلق بالمبادرة شأنه شأن وضعه بالنسبة لموضوع الجماعية. فقد جرى تحويل المجتمع إلى ما يشبه كائناً بلا مبادرة على الإطلاق. إن عدم قيام الأفراد بخلق وحدة قرار وإرادة تخدم مصالحهم بالذات أدى في الوقت نفسه إلى استحالة تطوير أية مبادرة منسجمة مع المصالح المشتركة. فالناس أما أن يتبنوا مبادرة العدو الاستعماري أو مبادرة رؤساء العشائر والإقطاعيين الكومبرادوريين الذين هم عملاء الاستعمار نفسه. أما أن يطوروا مبادراتهم الخاصة فليس موضوعاً للبحث. لقد استطاع الاستعمار أن يوجه شعبنا توجيهاً يخدم مصالحه إلى حدود لا تكاد تصدق. والغريب في الأمر أن هذا الوضع يبدأ وكأنه مقبول من قبل الشعب. إن دل هذا على شيء فإنه يدل على مدى شل طاقة الشعب وإبراز مبادرته الخاصة بما ينسجم مع مصالحه الجماعية والخاصة.

من المؤكد أن هذا الوضع السلبي للمجتمع في موضوع المبادرة ينعكس أيضاً على التنظيم. فالكوادر لم يروا ألا مبادرات المستعمرين والآغوات الإقطاعيين ورؤساء العشائر من جهة

وشعباً خاضعاً ومسحوقاً تحت وطأة الظلم والاضطهاد وغارقاً في بحر لا حدود له من انعدام المبادرة. وقد أنعكس هذا الوضع في داخل التنظيم على شكل أتباع سياسة البكوات والآغوات التي تنظر إلى الآخرين نظرتها إلى القطيع باسم المبادرة. من الواضح أن هذه السياسة لا علاقة لها بالمبادرة من قريب أو بعيد. فكلا الاتجاهين على خطأ ولا يمكن القبول بهما في التنظيم.

إن الحالة السلبية الواضحة تماماً والتي يعاني منها المجتمع والكوادر الذين خرجوا من أحشائه بشأن المبادرة والتحلي بروحها يبرز بشكل صارخ مدى أهمية تطوير روح المبادرة الثورية. لا بد للمناضلين من أن يولوا الاهتمام الضروري لمسألة المبادرة حتى يكونوا قادرين على التدخل الفعلي والواقعي في سير التطورات والأحداث بما يخدم مصالح الشعب. يجب على المناضلين أن يجسدوا المبادرة الثورية في شخصياتهم بأبهى وأقوى صورها. لا بد من امتلاك القدرة على استخدام طاقة التدخل القوية في الأحداث وكفاءة ابداء روح المبادرة إذا كنا لا نريد ان نبقى مكتوفي الأيدي ومقيدي الأرجل إزاء الأحداث، وهذا الموضوع يكتسب أهمية أكبر في هذه الفترة التي تجري فيها عملية أعادة بناء هيئة الكوادر بصورة خاصة، لذا لا بد للمناضل من أن يستوعب موضوع المبادرة بعمق وبشكل صحيح حتى يحولها إلى واحدة من سماته الأكثر أساسية.

يستحيل الفصل بين الجماعية والمبادرة كما أوضحنا من البداية. فلا الجماعية تقيد المبادرة ولا الأخيرة تلغي الجماعية. إن هاتين الصفتين تكملان أحداهما الأخرى ولا تكتسبان أي معنى ألا متحدين. من الواضح أن المهم في الحياة هو تطبيق القرارات بعد التوصل إلى حل المشاكل واتخاذ القرارات الجماعية، وفي هذه النقطة بالذات لا بد لمبادرات المناضلين من أن تدخل في المعترك من أجل أن تكتسب القرارات التي اتخذت في ظل وحدة الإرادة المشتركة في الحزب معناها ومغزاها الأصليين. ذلك لأن المهم بعد اتخاذ القرارات هو الأسلوب الذي

سيتبعه المناضلون في تطبيقها على الحياة، بمعنى أن المبادرة هي الطاقة الإبداعية المصممة التي يبذلها المناضلين في ميدان تطبيق القرار، على المناضل أن يجمع بين هاتين الصفتين بشكل جيد، كما يجب عليه أن يدرك متى وأين تبرز الجماعية على السطح. ومتى وأين يجب تطوير المبادرة.

غير أن من الممكن ملاحظة مجموعة من النواقص الجدية في هذا المجال. فأحياناً يجري التخلي عن (المبادرة) تحت قناع الالتزام بالجماعية. واحياناً أخرى يجري التخلي عن (الجماعية) باسم ضرورة التمسك بالمبادرة. لا شك أن هذا ليس ألا صدى للمرض الذي يعاني منه المجتمع لدى المناضلين. غير أن أحداً لا يستطيع أن يدافع عن استمرار مثل هذا المرض بحجة أنه موجود في المجتمع، ولا يمكن القبول بهذه المنعكسات السلبية فيما يتعلق بالجماعية والمبادرة. لا بد من التخلص من هذه الصفات الغريبة عن صفات الحزب اللينيني، كما لا بد من الوصول إلى مستوى العمل الجماعي والإفادة الكاملة من المبادرة الفردية بالارتباط مع العمل الجماعي، بعبارة أخرى نقول: على كل كادر حزبي أو مرشح كادر أن يدرك بعمق مكانة وطريقة عمل كل من مبدأي الجماعية والمبادرة الفردية في سبيل تعزيز نضالنا الثوري وأن يطبقهما في المكان والزمان المناسبين في مجال اتخاذ القرارات واحترامها وإبداء روح المبادرة العالية في تطبيقها.

٦ـ النقد والنقد الذاتي

إن آلية النقد والنقد الذاتي هي من الموضوعات التي ترد على الألسنة كثيراً غير أن تطبيقها يعاني قدراً كبيراً من الصعوبة. إنها إحدى الأسلحة الرئيسية التي لا بد منها في عملية بلوغ الأهداف المرجوة في كردستان حيث نواجه مهمة أعادة بناء كل شيء من جديد، هذا الوضع يجعل من الضروري أن نتوقف بالتفصيل عند موضوع النقد والنقد الذاتي وإيصاله إلى أعماق الوعي بشكل سليم.

مسألة الشخصية في كردستان

يستحيل تحقيق أي نوع من التطور في بلد مثل كردستان بدون توفر آلية النقد والنقد الذاتي. نستطيع أن نقول أن النقد والنقد الذاتي سلاح يمنح الحياة لسائر الأسس والمبادئ ويصححها ويطورها مثلما يمكن قلب غياب التنظيم عندنا إلى توفير التنظيم عن طريق الحزب، مثلما السلطة والمركزية الديمقراطية إضافة إلى الجماعية والمبادرة المرتبطين بها تشكل أسساً في تطوير وتحسين فعاليات الحزب ونشاطاته. مما لا شك فيه أن من غير الممكن القضاء على النواقص الناجمة عن البنية القومية ـ الوطنية والاجتماعية وإزالة التشوه الحاصل في شخصية الإنسان الكردستاني إضافة إلى العيوب الأخرى في الفكر والنظرية والسياسة والتنظيم، إلا من خلال استخدام سلاح النقد والنقد الذاتي بشكل فعال وقوي، أي أن النقد والنقد الذاتي دليل عمل لا يمكن الاستغناء عنه في عملية إزالة الأخطاء وتمكين الأشياء الصحيحة من السيادة.

سيكون من المفيد جداً تناول هذا الموضوع بتفصيل أكبر من زاوية جعلها بشكل أفضل. وبهذه الطريقة سيجري تأمين استخدام هذا السلاح بصورة أفضل مع توجيهه إلى الأهداف الأساسية.

إن النقد هو العمل الأول الذي قامت به الماركسية لحظة انطلاقها. فلدى قراءة المؤلفات الأولى لماركس الذي ركز جهده على النقد بصورة عامة نجد أننا أمام نقد صارم لكل من المجتمع القديم والتاريخ السابق من مختلف نواحيهما لقد قام ماركس وانجلز بالمهمة التي طرحها عليهما المجتمع القديم من خلال نقد سائر السلبيات والنواقص في جميع الميادين الاقتصادية والأخلاقية والخ... وتحويل هذا النقد إلى قاعدة أساسية لحياة اجتماعية جديدة، والنقد لدى المعلمين ليس وسيلة للإدانة. فهما لم يستخدما النقد لتحطيم المجتمع فقط بل ووسيلة، في الوقت نفسه، لتوفير الشروط المادية لميلاد المجتمع الجديد وأداة تتجاوب مع حتمية أحلال الجديد محل القديم. إذا كان نصف الاشتراكية العلمية عبارة عن نقد القديم فإن نصفها الآخر

يتركز على أثبات إمكانية بناء صرح ما هو جديد. ففي ضوء نظرية الاشتراكية العلمية يجري من جهة نقد المجتمع البرجوازي وما هو مرتبط من أحكام وقيم ومؤسسات، يتم من الجهة الأخرى تحديد مواصفات وشكل المجتمع الاشتراكي وأحكام القيم والمؤسسات الخاصة به والتي يراد أحلالها محل الأولى، إن أفضل تعبير عما تريده الماركسية وتهدف إليه من نقدها للقديم نجده في كلمات ماركس التالية: (اكتفى الفلاسفة بتفسير العالم، ولكن القضية هي معرفة كيفية تغييره) نعم إن الماركسية، كما يتضح بصورة جلية من هذه العبارة أيضاً، لا تكتفي بتفسير القديم ونقده فقط بل تتولى أيضاً مهمة خلق الجديد الذي سيحل محل القديم. بمعنى أن الماركسية تنقض على القديم وتركز على هدمه، بهدف خلق الجديد.

كما هو واضح مما قيل أن الظاهرة الجديدة تبدأ من نقد القديم وتتحقق من خطوة هامة في عملية ولادة الجديد عبر تنفيذ متطلبات هذا النقد. ولكن التاريخ في كردستان لم يعمل بهذا الاتجاه؛ فالجديد لم ينتقد القديم، ولم يحطمه ليسود بدلاً منه. مما أدى إلى تراكم النواقص والسلبيات وتفاقمها أكثر فأكثر. إن كل ما جرى إقحامه على التاريخ في كردستان بدعوى أنه جديد لم يكن ألا من خلال الاستئذان من القديم وفي خدمة مصالح وأغراضه. لم يكن مسموحاً لأي تجديد إلا إذا كان منسجماً مع البنية اللاثورية للقديم، ومن المؤكد أن هذا كان تعبيراً عن القبول باحتلال العدو كما هو. وبهذا المعنى لم يقم المجتمع بالنقد الضروري في مختلف المراحل التاريخية ولم ينسف البنى التي لا بد من تغييرها عن طريق الثورة. بل على النقيض من ذلك، ظلت البنى القديمة تتعزز وتتقوى أكثر فأكثر وتتمكن من سحق أولئك الذين ترتبط مصالحهم بتطور ما هو جديد وتخريب القيم العائدة لهذا الجديد. وهكذا ظل المجتمع محروماً من فرص نقد القديم والتوجه إلى الأمام والعمل لتطوير الجديد. لقد أمكن تحويل المجتمع إلى كيان بلا دماغ يفكر بتطوره التاريخي وبسائر قضاياه الحياتية المتعلقة بمصالحه اليومية الراهنة والمستقبلية، بلا لسان لينتقد، بلا أذن ليسمع، بلا عين لترى، حتى غداً هذا المجتمع متجمعاً غارقاً في حوار للبكم والصم والمكفوفين، إن الحياة الاجتماعية في كردستان

مسألة الشخصية في كردستان

ليست في حقيقة الأمر الا فعاليات أناس مكفوفين وصم وبكم يتلمسون بعضهم بالأيدي ولا يستطيعون التفكير بما يجب التفكير به، والشعور بما ينبغي الشعور به، والإفصاح عما يجب الإفصاح عنه بشأن التاريخ والواقع الراهن اليومي والمستقبل. إذا أكتفينا بالنظر إلى المظاهر الخارجية يمكن أن نقر بوجود قدر هائل من النقد وبأن الناس يحسون بأبسط التحركات أو الهمسات. غير أننا حين نتناول الموضوع من زاوية التطور التاريخي والاجتماعي فإننا نجد أن ذلك الذي خلق الأوهام عندنا ما هو ألا كوميديا ساخرة لحوار هزلي يجري بين الصم والبكم والمكفوفين. هذا هو الواقع المعاش في كردستان، هناك غربة واستلاب رهيبين إزاء الذات من جهة مقابل العجز عن الحقد على العدو الذي أقحم المجتمع في هذا الوضع من الغربة، من توجيه النقد إليه، بل على النقيض من ذلك، هناك من جهة ثانية اتجاهات وميول تدعو إلى الإقرار بالهوية التي فرضها العدو كما لو كانت هي الهوية الصحيحة. والخلاصة هي أن أولئك الذين ظهروا باسم النقد في كردستان لا يعكسون الجوهر الحقيقي، ولا يقومون بالنقد ألا في إطار القيم المفروضة من قبل العدو، بمعنى أن العدو نفسه هو الذي يؤسس حتى لمنطق النقد وتطويره.

إن الإنسان مخلوق يفكر وينتقد باستمرار. وحاجة الإنسان إلى التفكير والنقد هذه مقيدة في كردستان لا بهدف الدفاع عن مصالحه الخاصة، بل بخيانة هذه المصالح. وهكذا تم فرض نوع من العاب السيرك البهلوانية على الساحة الاجتماعية. لقد تم تشويه مجتمعنا تماماً حتى بات خالياً من أي شيء يخصه هو. أما ما يطلق عليه أسم الحياة الاجتماعية فليست ألا ألعاب بهلوانية في السيرك.

كنا، في هذا الواقع المعاش، مضطرين لأن نتطور بوصفنا حركة نقادة في مجال الفكر فلم يكن من الممكن القيام بأي عمل بدون نقد البنية الخالية تقريباً من أي شيء يمكن تقييمه بأنه إيجابي ومن أي عنصر يمكن استخدامه في انجاز أي تقدم. كان الانطلاق من نقطة النقد هو

العمل الصحيح الذي يجب القيام به بالنسبة للناس القادرين على أن يقفوا في وجه الواقع الكردستاني الغارق في الجهل وعدم الإحساس وغياب التنظيم وانعدام المقاومة في القرن العشرين حيث تعيش البشرية عقداً يتم فيه حل المسائل بالفكر والبرمجة والتخطيط لدى سعيهم في سبيل توفير فرصة جديدة لتنفس هذا المجتمع. لقد كنا بوصفنا حركة تنتقد الرأسمالية الأجنبية من جهة والبنية القديمة التي فرضها الاستعمار وحافظ عليها بالقوة والقهر، مضطرين لأن ننشأ ونتطور كحركة يغلب عليها الجانب النقدي أكثر من سائر الحركات الأخرى، وما يزال هذا الجانب هو الأكثر رجحاناً بمعنى التحول إلى قوة مادية في الفكر، بل ونستطيع القول أن الأمر ما زال في بداياته.

لا يكون النقد نقداً ثورياً إلا إذا سعى عملاً وتنظيمياً وتحركاً، إلى نسف البنى السلبية التي تجسد أكوام الأفكار والآراء السلبية التي راكمها التاريخ، التي يتوجه إليه النقد أساساً؛ إلا إذا كان نقداً لا يكفي بالنقد اللفظي، نقداً لا يكون في مستوى كوميديا حوار الصم والبكم والمكفوفين، نقداً لا يتخذ شكل التنفيس عن الغضب والتضليل الذاتي الذي يلجأ إليه البرجوازي الصغير. من المؤكد أن ذلك وحده لا يكفي بل لا بد من تشغيل آلية النقد الذاتي الموجهة إلى الداخل لعملية النقد الثورية وتمرير البروليتاريا على المحك النقدي الذي يكشف ما إذا كانت قد وصلت إلى العظمة التي هي جديرة أم لا، أي لا بد من الانتباه إلى مسألة الالتزام أو عدم مستلزمات النقد الداخلي في الوقت الذي يتم فيه تطوير عملية النقد الموجهة إلى الخارج. بهذه الصورة فقط يمكن تحرير النقد من أن يكون مجرد إدانة ليتحول إلى فكر يمكن تطبيقه بعد أن يصبح تعبيراً عن النقد الحقيقي الصحيح.

لا بد أيضاً من تناول النقد من هذه الناحية أيضاً، أي من جانبه الموجه إلى الذات ومن تطبيقه. وألا فإن تهرب الشخص من تحقيق ما هو مطلوب عن طريق النقد الذاتي، مهما كان نقده للسلبيات صارماً وحازماً، يؤدي إلى أن تذهب جهوده هباء وبلا جدوى. إن هذا

الموقف هو الذي يكشف مدى جدية الانتقادات الموجهة إلى الذات، إلى القديم وإلى السلبيات بهدف تغييرها جميعاً فلو اكتفى المعلمون والقادة الأوائل بالنقد وحده، ولم يبادروا إلى القيام بما هو مطلوب ولم يجهدوا في سبيل تطوير أسلوب النقد الموجه إلى الذات، لما أمكن الحديث اليوم لا عن وجود النظام الاشتراكي ولا عن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في عام ١٩١٧ . إن تناول النقد من جانب واحد يعني إلغاء دوره البناء والدافع إلى الأمام، أي إلغاء دوره الذي يجعله أساساً لخلق الجديد. إن المعنى العميق للنقد هو ضرورة وضع الأمور والأشياء الصحيحة والملائمة في الوقت الذي يركز فيه على أظهار مدى بطلان ما هو قديم وسلبي.

لنتناول الآن موضوع كيفية استخدام سلاح النقد والنقد الذاتي في إطار الحزب على ضوء التحديدات العامة التي تمت حول المسألة.

إن لسلاح النقد والنقد الذاتي تأثيراً بناءاً في تمكين الحزب من الوصول إلى بنية أسلم وشافياً من الأمراض في حال استخدامه استخداماً جيداً وتوجيهه نحو الهدف الفعلي. أما في حال إساءة استخدامه والإخفاق في توجيهه إلى الهدف المحدد تماماً، فإن ذلك يترك تأثيراً هداماً يؤدي إلى اعتلال بنية الحزب، ولهذا السبب لا بد لكل عضو من أعضاء الحزب الذي يستخدم هذا السلاح من أن يصبح ماهراً في هذا الاستخدام. إن عدم استخدام هذا السلاح بالمهارة المطلوبة يؤدي إلى الأضرار الناجمة عن عدم استخدامه كلياً، فالنقطة الأساسية للقضية هي طريقة استخدام هذا السلاح أكثر من امتلاكه. إنه في الأساس سلاح لا يمكن الاستغناء عنه في الأحزاب اللينينية. ولهذا السبب نجد أن لشكل استخدامه أهمية أكبر.

كما سبق لنا في أن أكدنا أيضاً لا بد للنقد، وإن كان نوعاً من الإدانة في الوقت نفسه، من أن ينطوي من حيث اتجاهه السياسي على أحلال الجديد والايجابي محل ما هو سلبي. ويجب استخدامه في إطار الحزب أيضاً بهذا المعنى. أي لا بد من عدم الاكتفاء بتوجيه اللوم وتوزيع

الاتهامات ذات اليمين وذات الشمال بل والسير قدماً لطرح ما هو صحيح وتمكينه من السيطرة والسيادة. إذا أمكن تشغيل آلية النقد والنقد الذاتي في داخل الحزب بهذا الشكل فإنها عندئذ تؤدي إلى بنية حزبية سليمة وألا فإن هذه البنية معرضة لأن تكون مثقلة بالعلل. نظراً لأن الناس في مجتمعنا ظلوا محرومين من استخدام هذا السلاح بصورة دائمة، فإن الأفراد الذين ينجبهم هذا المجتمع يبقون عاجزين عن معرفة أساليب وطرق استخدامه معرفة عميقة، فهو إما أن يستخدمه وينسف كل شيء، بدون أن يطلق النار على الهدف الأساسي، أولاً يستخدمه قط فيقف إزاء الأحداث مكفوفاً، أصم، وأبكم . إن هذا الوضع نجده منعكساً أحيانا في الحزب وعمله أيضاً. فبعض الكوادر لا يستطيعون أن يوجهوا سلاح النقد والنقد الذاتي نحو الهدف الأساسي، أو يعنفون رفاقهم بأسوأ الأشكال مما يؤدي إلى مفاقمة المرض، أو يتجاهلون رؤية المرض رغم رؤيتهم له ويسببون الأمور مما يؤدي الى انتشاره واستفحاله أكثر فأكثر. وبالشكل نفسه يتحاشى بعضهم توجيه سلاح النقد الذاتي لأنفسهم ويرون أنفسهم بلا أخطاء أو نواقص، أو يكونون غير جادين لدى قيامهم بالنقد الذاتي بل ويستخدمونه مثل الأمانة ونوبات التوبة عند الرهبان. من المؤكد أن جميع هذه الظواهر هي من الظواهر التي يجب حظرها حظراً تاماً وقاطعاً في حياة الحزب الداخلية. أن ممارسة النقد والنقد الذاتي والامتناع بعد ذلك عن التصرف وفق ذلك! أمر غير مقبور بتاتاً! يا للفهم الخاطئ للمسألة! من الضروري ضرورة قصوى منع الكوادر من استخدام سلاح النقد والنقد الذاتي بهذه الصورة منعاً قاطعاً.

لا بد من تشغيل مختلف القواعد والنظم في حياة الحزب الداخلية كما لا بد من مناقشة سائر القضايا والموضوعات ومن اجل الوقوف على مدى الالتزام بذلك يكون النقد ضرورياً جداً. غير أن ذلك لا يعني أن يكون الجميع أحراراً في كل الأوقات والأمكنة وأن يمارسوا عملية النقد دونما قيود، على النقد أن يلتزم بمبادئ الحزب وأسس الاشتراكية مثلما يجب أن يكون بناءاً ودافعاً إلى الإمام. وبما أن عدم رؤية أخطاء اللجان والهيئات والفرق والأعضاء والتنبيه

إليها داخل الحزب من الأمور المستحيلة، فإن من الضروري أن يكون النقد داخل الحزب. غير أن هناك فرقاً ما بين نقد ونقد. هناك نقد يساعد الحزب على التطور، وهناك نقداً يريد أفساد الجوهر الثوري للحزب ويسعى إلى دس الأفكار والمفاهيم البرجوازية الصغيرة في صفوف الحزب، وبمقدار ما يكون النقد الأول مفيداً وضرورياً بالنسبة للحزب، يكون الشكل الثاني ضاراً ومثقلاً بالأخطار، لذا لا بد للنقد من أن يكون متفقاً مع برنامج الحزب ونظامه الداخلي وداعماً لعملية تعزيز أساس وحدته.

هناك جانب آخر للنقد هو أن يتم بشكل مناسب. يجب معرفة طبيعة الكلام وأين يمكن أن يقال. وألا فإن النقد الذي يتم في زمان ومكان غير ملائمين يؤدي إلى الأضرار أكثر من الفوائد. سبق للينين أن قال حول هذا الموضوع: (على كل من يقوم بالانتقاد أن يأخذ في حسابه وضع الحزب في مواجهة الأعداء وأن يعمل لتصحيح أخطاء الحزب من خلال الانخراط المباشر في أعمال ونشاطات السوفيات والحزب) هذا يعني أنه لا بد من الانتباه، لدى القيام بالنقد، إلى ضرورة عدم تقديم الأسلحة للعدو وعدم إيقاع الحزب في مواقف صعبة، من المؤكد أن هذا لا يعني الامتناع عن النقد، بل يعني الانتباه إلى ضرورة اختيار الزمان والظروف الصحيحة للقيام به. إذا كانت الظروف غير ملائمة فإن من الواجب تأجيل الانتقاد إلى الوقت المناسب، لا تجوز ممارسة النقد للنقد، يجب علينا ألا ننسى أن الهدف من النقد هو تعزيز قوة الحزب لا أضعافه وإقحامه في مواقف صعبة ومعقدة في مواجهته للعدو، إن النقد سلوك ثوري ولا يتم اللجوء إليه ألا من أجل تحقيق التغيير الثوري.

أما النقد الذاتي فهو الحدث الذي ينطوي على إزالة الخطأ الذي تم الوقوع فيه، إنه سلاح لا غنى عنه ويلعب دوراً دافعاً ومحركاً للتطور كما يحتل مكانة مرموقة في حياة الأحزاب البروليتارية. إن المغزى الذي ينطوي عليه النقد الذاتي بالنسبة للحزب الثوري يعبر عنه لينين على النحو التالي: (أن الموقف الذي يتخذه الحزب السياسي من أخطائه يشكل أحد أهم

المعايير وأكثرها بعثاً للثقة التي تمكننا من معرفة ما إذا كان هذا الحزب جاداً أم لا، وما إذا كان يؤدي واجباته تجاه طبقته بالذات وتجاه الجماهير الكادحة حقاً أم لا، فالاعتراف الصادق والصريح بالخطأ والبحث عن أسبابه والاهتداء إليها، وتحليل الظروف التي أدت إلى الوقوع في الخطأ، ودراسة الطرق الكفيلة بتصحيحه باهتمام، ذلك كله يشكل مظاهر الحزب الجدي) .

من الواضح أن هذا التحديد الذي تم بالنسبة للحزب صحيح أيضاً بالنسبة للكادر. فمدى الجدية التي يتجلى بها أي من الكوادر تكمن في الموقف التي يتخذها من أخطائه. إذا كان يحس حقاً بالمسؤولية تجاه الشعب والثورة وتجاه حزبه فإنه سيبذل جهداً مركزاً وصادقاً بغية الخلاص من أخطائه والاهتداء إلى أسبابها. إن الكادر ليس من الخطاة الذين يكررون الأخطاء ويتوبون باستمرار وبصورة متكررة. فهو ليس راهباً في الدير. إنه مناضل يعرف كيف ينتبه إلى أخطائه، كيف يكشفها ثم يتقدم بثبات على طريق تصحيحها غير أننا نلاحظ الكثير من أولئك الغارقين في بحار من الأخطاء ولكنهم مستمرون في خوضها مثل الرهبان. من المؤكد أن مثل هذا التصرف مرض خطير يصاب به بعض الكوادر؛ إنه تعبير عن عجز هؤلاء البعض عن معالجة أمراضهم، إن مثل هذا (الكادر) إذا صح تسميته بالكادر، ليس إلا إنساناً مسحوقاً ظل عاجزاً ومشلولاً أمام نواقصه وأخطائه.

ليست هناك أية قاعدة تقول بأن الناس لا يخطئون؛ فالذين يعملون لا بد لهم، شاءوا أو أبوا، من الوقوع في الخطأ. لقد قال لينين: (ليس العاقل ذلك الذي لا يرتكب أي خطأ. فمثل هذا الإنسان غير موجود ومستحيل، غير أن العاقل هو ذلك الذي يرتكب أخطاء لا تكون فادحة وخطيرة جداً ومن ثم يبادر إلى إصلاحها بسهولة) . والمغزى الأساسي للنقد الذاتي أيضاً يكمن ههنا، أي في تصحيح الأخطاء. لا معنى للنقد الذاتي بدون تصحيح الأخطاء. إذا كان الكادر يريد أن يرتفع إلى موقع رفيع وأن ينفذ واجباته الثورية فلا بد له من أن يكشف النقاب عن أخطائه أمام الحزب ومن أن ينقض عليها بدون رحمة. ويوضح لينين هذه

القضية بشكل بالغ الروعة لدى حديثه عن أسباب منعه الحزب البلشفي من الانهيار حين يقول: (تعرضت الأحزاب الثورية جميعاً حتى هذا التاريخ للانهيار والزوال لأنها ظلت معجبة بنفسها وعجزت عن رؤية مستوى قوتها وطاقتها وضاقت من كشف النقاب عن نواقصها، أما نحن فلن نتعرض للانهيار والزوال لأننا لا نخاف من طرح نواقصنا على المكشوف، كما أننا سنتعلم كيف نتغلب عليها) وصحيحة بالنسبة للكوادر في هذه الأحزاب فعندما يبادر الكوادر إلى الكشف عن أخطائهم بدون خوف ويتعلمون كيف يتغلبون عليها، يكونوا قد أصبحوا كوادر جديرين بالاسم، كوادر يستحيل دحرهم، القضاء عليهم.

يجب استخدام النقد الذاتي لا في الميادين التنظيمية والشخصية فقط بل وضد السلبيات المعاشة في الحياة الاجتماعية أيضاً. تطبيق النقد الذاتي في الميدان الاجتماعي يتطلب النضال ضد الاستلاب الناجم عن العدو، ضد سائر المظاهر السلبية للتخلف، وضد البنية المحرفة والخارجة عن الطريق الصحيح بفعل البرجوازية الصغيرة؛ والسير قدماً لاقتلاع جميع هذه السلبيات من بنية المجتمع عن طريق الثورة. بهذا الشكل فقط يمكن اقتلاع جذور سائر الأمراض التي ظهرت في البنى التنظيمية والشخصية وبالتالي يكون النقد الذاتي قد تحقق بمعناه الصحيح. إن موضوع النقد الذاتي موضوع يجب تناوله بمثل هذا الشمول.

طالما أن الشخصية في بلادنا قد تطورت تطوراً مشوهاً نتيجة تأثير العديد من العوامل السلبية التي تواجهها، فإن من الضروري بالنسبة للشخص أن يعيد النظر في ذاته باستمرار وأن يتحدث عن أخطائه بدون تردد أو خوف وأن يسعى للتغلب عليها، أي من الضروري أن يكون دائم الاستخدام لسلاح النقد الذاتي. أن الخلاص من البدائية والتخلف، من الانحراف والتشوه، من النواقص والعيوب مشروط بتحقيق عملية النقد الذاتي هذه. يجب أن يكون معروفا أن نضال الفرد ضد ذاته، نضاله ضد نقاط ضعفه وعيوبه التي ظلت مخبوءة مصيرية ذات أهمية بالغة. إن التخلص من الأخطاء التي يتم كشفها بسهولة أمر بسيط. إن سلوك

الشخص غير المفهوم من قبل الجماهير، مثلاً، يفتضح بسرعة ويجري إصلاحه بسهولة. ولكن أولئك الذين يرتكبون مثل هذا الخطأ الفادح قلة نادرة بين الكوادر. غير أن الأخطاء الكبيرة التي تكمن في شخصيات أولئك المكلفين بتنفيذ المهمات الثورية المعقدة والصعبة تكون خفية ويصعب كشفها مما يجعلها تنطوي على أخطار أكبر. لذا لا بد من التمسك بسلاح النقد والنقد الذاتي بقوة واستخدامه بمهارة في سبيل امتلاك السمات الضرورية لجعل الثورة ممكنة، ورغم هذه الضرورة فإننا نرى أن النقد موجه بصورة عامة إلى الخارج، نحو الغير ويتم تقيمه في الكثير من الأحيان بوصفه وسيلة يتبعها الأفراد للتمويه على نواقصهم وعيوبهم وأخفائها. كما نرى أن الموضوعات التي تتعرض للانتقاد هي أمور بسيطة وأخطاء تافهة وقع فيه هذا الفرد أو ذاك هنا أو هناك. هذه النواقص والأخطاء يمكن أزالتها ببساطة كبيرة ويمكن أن تزول تلقائياً. أما المسألة المهمة فهي توجيه هذا السلاح إلى الذات إنها يجب أن تنطوي على قيام الأشخاص بتوجيه سلاح النقد الذاتي إلى أخطائهم وعيوبهم الذاتية الكامنة فيهم هم. تلك هي الضرورة التي تفرضها المسؤولية تجاه الثورة.

بسبب الظروف القومية الوطنية والاجتماعية التي نعيشها لا بد لنا من أن نكون في إطار عملية نقد ونقد ذاتي مستمرة. من الواضح أن هذا هو أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في المناضل الحزبي الذي يريد امتلاك تلك الشخصية المجيدة المؤهلة لأن تلعب دوراً تاريخياً طوال مسيرة النضال لا خلال الفترة التي نعيشها الآن فقط . ذلك لأن واقعنا الاجتماعي والتنظيمي متخلف إلى درجة كبيرة ولا يتوفر لدينا أي سلاح يمكننا من القضاء على هذا التخلف سوى سلاح النقد والنقد الذاتي. لذلك فلا بد من الاستمرار في استخدام هذا السلاح بشكل بناء ودافع إلى الأمام ومصحح للأخطاء والانحرافات. وهذا السلاح سلاح يمكن استخدامه في العديد من الميادين والمجالات لا في ميدان واحد فقط . فعلى المناضل أن يستوعبه من كل جوانبه وأن يتقن فن إصابة الهدف بدقة، ومع زيادة مهارة المناضل في استخدام السلاح سيزيد عدد الأخطاء المكشوفة والتغلب عليها وبالتالي سيكون السلاح قد أدى المهمة الموكلة

إليه، يجب فهم أهمية ووظيفة سلاح النقد والنقد الذاتي بهذه الصورة كما يجب على المناضلين أن يجعلوا هذا الفهم سمة أساسية من سماتهم الدائمة.

٧ـ الانضباط

أن الانضباط يعني قبل كل شيء العمل وفقاً للقوانين والقواعد. والعمل وفقاً للقوانين بالفعل لا بالقول فقط هو العمل الناجح المنسجم مع روح الحزب ونظريته وخطه السياسي والعمل الناجح أيضاً هو العمل المنسجم والمتفق مع الروح الحزبية. ذلك يعني أن الطريق المؤدي إلى العمل الناجح الذي يليق بواقع الحزب يمر قبل كل شيء عبر فرض سيادة الانضباط في كل المجالات. لهذا السبب فإن النمط الذي لا تكون شخصيته خاضعة للانضباط لا يستطيع أن يكون نمطاً مقبولاً في الحزب وفي الحياة الاجتماعية.

إن الانضباط عنصر يكمل جميع السمات والمواصفات التي أتينا على ذكرها حتى الآن. فبدونه لا تستطيع المركزية الديمقراطية أو الجماعية أو النقد الذاتي أن تكون فاعلة. إن توفر سائر السمات والمواصفات في حزب من الأحزاب لن يعني شيئاً ذا شأن ما لم يكن الانضباط موجوداً. وبالشكل نفسه إذا لم يكن الكادر ملتزماً بالأوامر الصادرة عن الحزب، مطبقاً لتوجيهاته؛ وعاجزاً عن العمل بشكل مبرمج ومخطط ، وإذا كان لا ينجز العمل الذي لا يتطلب أكثر من شهر ألا في سنة كاملة، وإذا كان يرجى عقد الاجتماعات ولا يعقدها في مواعيدها المحددة؛ وإذا كان يبدي مثل هذه الفوضى في كل نشاطاته؛ فإن من الواضح أن هذا التنظيم ليس تنظيماً بالمعنى الحقيقي أو أن الكادر ليس كادراً جديراً بأن يحمل اسم الكادر. من الواضح أن مثل هذا (الكادر) لا يفيد العمل في شيء. فالمناضل الجيد هو المناضل المنضبط في الوقت نفسه. لم يتطور في كردستان حيث الأمور كلها غارقة في بحر من الضباب والغموض مفهوم صحيح للانضباط لدى أحد من أفراد المجتمع. ولهذا السبب ينطوي تطوير مفهوم الانضباط ونشره في هذه الأجواء الغارقة في الفوضى حيث يسود شعار

(كلامي هو القول الفصل) والرغبة في التصرف بموجبه، على أهمية مصيرية. فهذه الفوضى المقيمة لا يمكن ضبطها إلا عبر فرض سلسلة من القواعد والقوانين المحددة.

إن الانضباط صفة يمكن أن تحقق أكبر قدر من التطور في شخص المناضل البروليتاري بسبب وضعه الإيديولوجي والسياسي وبالارتباط مع التشكل الطبقي للبروليتاريا. لا تجد البروليتاريا أية صعوبة في الالتزام بقواعد الانضباط لأنها في حياتها العملية تكون خاضعة لجملة من القواعد والأنظمة. ولا يتجسد الانضباط بمعناه الصحيح إلا في شخص البروليتاريا. ومقابل ذلك نرى أو الانضباط ليس من السمات المتطورة كثيراً عند الطبقات الأخرى ولاسيما البرجوازية الصغيرة. ذلك لأن صغار البرجوازيين لا يعملون في ميادين أنتاجهم الضيق والصغير في ظل أنظمة وقواعد معينة. وبما أن البرجوازية الصغيرة. ذلك لأن صغار البرجوازيين لا يعملون في ميادين انتاجهم الضيق والصغير في ظل أنظمة وقواعد معينة. وبما ان البرجوازي الصغير هو صاحب القول الفصل في عمله فإنه لا يرى أية منظومة من القواعد والقوانين التي تحكمه. ولهذا السبب لا يمكن للانضباط أن يتطور لدى منتسبي هذه الطبقة إلا في حدود ضيقة.

كما أن البروليتاريا مدينة للتنظيم في تحررها الحقيقي كذلك تماماً يكون النجاح في التنظيم مشروطاً بتطبيق قواعد الانضباط التنظيمية. وهذه الميزة تكتسب أهمية أكبر في بلاد مثل كردستان. فكما أن البنية الممزقة والمبعثرة لمجتمعنا تكسب مسألة التنظيم أهمية مصيرية وتجعل من المستحيل تحقيق أي تقدم في أي مجال إلا بالاستناد إلى التنظيم، كذلك فإن ما يكمن في أساس النجاح في عملية التنظيم هو الانضباط . لا يكتسب التنظيم واقعيته إلا إذا استند إلى الانضباط يلزم بالخضوع لسلسلة معينة من القواعد والنظم. أما نجاح التنظيم في العمل وفق المبادئ المطلوبة أو عدمه فسيتحدد وفقاً للنتائج المترتبة على هذا العمل. لقد أوضح لينين بشكل ساطع الدور الحاسم الذي يلعبه الانضباط في حياة التنظيم من خلال ربط نجاح

البروليتاريا في البقاء في السلطة بعد ثورة أكتوبر بالانضباط حين قال: (من المؤكد أن جميع الناس، على وجه التقريب، يرون اليوم أن البلاشفة ما كانوا ليستطيعوا البقاء في الحكم، لا أقول سنتين ونصف سنة، بل حتى شهرين ونصف شهر، لولا الانضباط الصارم، لولا الانضباط الحديدي حقاً، في حزبنا .)

من الضروري أن يتم خوض نضال لا هوادة فيه ضد جميع المفاهيم والمظاهر التي تعبر عن عدم الانضباط والتي أعاقت حركتنا وأوقعتها في المطبات في الماضي من زاوية تعزيز وتقوية نضالنا أكثر فأكثر. هناك أحياناً مظاهر من عدم الانضباط مثل أن يقوم أحد القياديين أو الكوادر برمي التوجيهات التي وصلته بدون أن يقرأها بتمعن. وفي الكثير من الأحيان يكون هناك عجز عن تطبيق تلك التعليمات رغم تثمينها بشكل معقول وجهل إزاء تحديد المكان والزمان المناسبين لتنفيذها. من المؤكد أن شخصاً كهذا، مهما كان حسن النية، لا يكون من النموذج الذي ينفذ مهماته بنجاح كما أنه ليس مناضلاً يتحلى بالانضباط . بهذا المعنى يعبر جعل الانضباط سائداً ومتمكنا من شخصيته عن بلوغ المستوى المطلوب من شخصية المناضل الحقيقي في التنظيم. فالكادر الذي يستطيع أن يسير نشاطاته بشكل منضبط ، هو الكادر الأقوى في داخل الحزب. إنه يمتلك القدرة الكفيلة بتنفيذ العديد من المهمات في أوقاتها وأماكنها المناسبة وبإحباط جميع جهود العدو بهذا المعنى. إن التحلي بالانضباط هو الذي يكلل الصفات الثورية. فالذي يستطيع أن يضيف إلى المواصفات الثورية الأخرى هذه السمة ايضاً يكون مناضلاً متمكناً من استكمال ثوريته بنجاح.

حين نتحدث عن الانضباط في التنظيم فإن المقصود ليس الانضباط الدوغمائي الجامد بل الانضباط الطوعي المنسجم مع القواعد والمبادىء التنظيمية. فانضباط الحزب البروليتاري يستند إلى الوحدة الطوعية. ما من أحد يجري سحبه إلى الحزب بالقوة ومطالبته بالتزام المبادىء والقواعد الحزبية. غير أنه ما أن ينتسب إلى الحزب حتى يكون مطالباً من البداية أن

يلتزم بقواعد الحزب وقوانينه. لأنه التحق بصفوف الحزب طوعياً وللحزب قوانينه التي لا بد من الالتزام بها. إن الانضباط الذي يجري تطبيقه داخل الحزب يتم تطويره بهذا الروح. وبهذه الخصوصية يكون الانضباط البروليتاري مختلفاً من الأساس عن أشكال الانضباط البرجوازي وغيرها.

رغم أن الحزب هو وحده العناصر البروليتارية على الأسس الطوعية فإن أناساً من الطبقات الكادحة الأخرى قد يأتون إلى صفوفه. وهؤلاء يشكلون مصدر عدم الانضباط داخل حزب البروليتاريا من خلال اصطحابهم سلسلة من عاداتهم الطبقية. لا بد من الانتباه الشديد الى هؤلاء وتربيتهم وتدريبهم حتى تتم إذابتهم في بوتقة الانضباط البروليتاري. يجب عدم التساهل على الاطلاق مع عرقلة الانضباط من أجل توفير إمكانية تسيير النشاطات بصورة ناجحة. ففي حال عدم الالتزام بمبدأ الانضباط وعدم شل العناصر البرجوازية الصغيرة المتسللة إلى الحزب نجدنا أمام ناد للمسامرة والمناقشة لا أمام حزب منظم، وهذا يشكل أكبر العقبات أمام تنفيذ المهمات الحزبية، لأن مثل تلك الاتجاهات والعناصر أميل إلى ترك مسألة الالتزام بقرارات الحزب مرتبطة بارادات الأفراد ورغباتهم وهذا ينطوي على خطر إنجاب العواقب الوخيمة جداً بالنسبة للحزب.

إن الالتزام بالقرارات التي نكون موافقين عليها فقط ليس انضباطاً، فالانضباط يؤكد ذاته أساساً في الالتزام بالقرارات التي لم نكن موافقين عليها. إن النقطة التي تتقاطع فيها خيوط مدى التزام الشخص بالقرارات او عدم التزامه بها هي مدى ومستوى تنفيذه لمحتوى هذه القرارات وعلى أي مستوى. الالتزام بالقرارات التي نوافق عليها امر بسيط. اما الشيء المهم وإن كان صعباً فهو الالتزام بالقرارات التي لا نوافق عليها، وهنا تكمن عقدة المسألة. لذا فإن الانضباط يعني الالتزام التام بالقرارات المتخذة في أية هيئة من هيئات الحزب، بدون تفريق بين قرارات نحن موافقون عليها وأخرى لسنا موافقين، وتنفيذ مضمونها بلا تردد. بعبارة أخرى

نقول أن الانضباط يعني خضوع إرادة الفرد للتنظيم ومنظمات الحزب للمركز والأقلية للأكثرية، وبهذا المعنى لا يستطيع الأفراد والتنظيمات أن يتصرفوا بمعزل عن أكثرية الحزب، هناك قواعد عمل محدد تضمن استمرار فاعلية التنظيم الحزبي وهذه تكون مسجلة بوضوح في متون النظم الداخلية للأحزاب، وعلى المناضلين أن يوجهوا نشاطاتهم وفقاً لهذه القواعد والنظم، وعندئذ فقط يستطيعون أن يصبحوا مناضلين منضبطين ذوي فائدة وقادرين على تنفيذ مهماتهم بنجاح.

تنطوي قدرة الحزب على ضمان الانضباط على أهمية توازي التزام المناضلين بمبدأ الانضباط . سبق لنا أن بينا أن هذا الانضباط هو انضباط طوعي. وهناك إضافة إلى هذا خصائص أخرى أساسية تضمن استناد الحزب البروليتاري إلى الانضباط وتضمن حماية هذا الانضباط وتعززه أكثر فأكثر ولقد بين لينين هذه الخصائص حين قال: ((بم يدعم نظام الطاعة (الانضباط) في حزب البروليتاريا الثوري؟ وبأي شيء يجري اختياره؟ وبما يتعزز؟ أولاً، بوعي الطليعة البروليتارية ووفائها للثورة، وبثباتها، وبطولتها وروح التضحية عندها، وثانياً، باستطاعتها الترابط والتقارب وإذا شئتم الاندماج لحد ما، مع أوسع جماهير الكادحين، وفي الدور الأول مع جماهير البروليتاريا، وكذلك مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية، وثالثاً، بصحة القيادة السياسية التي تقوم بها هذه الطليعة، وبصحة إستراتيجيتها وتكتيكاتها السياسيتين، على أن تقتنع أوسع الجماهير الكادحة بهذه الصحة بتجربتها الخاصة، بدون هذه الشروط لا يمكن تحقيق الانضباط في حزب ثوري كفؤ حقاً ليكون حزب الطبقة المتقدمة المدعوة إلى الإطاحة بالبرجوازية وتحويل المجتمع كله، بدون هذه الشروط تنقلب محاولات إيجاد الانضباط حتماً، إلى هراء وهدر ونوع من الثرثرة الفارغة)) .

من المؤكد أن هذه الشروط المبنية التي هي نافذة بالنسبة للحزب صحيحة أيضاً للمناضل. لا يمكن توقيع قيام الكادر الذي لم يستوعب هذه الشروط ولم يجعلها صفات أساسية له بالالتزام بنظام الانضباط والخضوع التام له.

يرى لينين أن المثال الذي يجب أن يحتذى بالنسبة للحزب هو مثال الانضباط الموجود في الجيش الذي يحرك ويستنفر الملايين لتنفيذ قرار واحد ووحيد. يتم الحفاظ على الجيش التركي مثلا من خلال انضباط عبودي معين، ومهما كانت حالات اللجوء إلى القسر والعنف في الأساس فان الجيش يجري تحريكه وتشغيله بفضل هذا الانضباط . بفضل نظام الطاعة، من المؤكد أن مفهومنا نحن للانضباط ليس مستنداً إلى القهر والإكراه، غير أن الحزب وصفوفه بحاجة ماسة أيضاً إلى مثل هذا الانضباط الذي يستنفر جميع الناس الموجودين في صفوف الحزب ويحركهم دفعة واحدة ويوجههم بالتالي نحو الهدف المحدد. وإذا كان جيش برجوازي يزيد تعداده عن النصف مليون قابلاً لأن يظل متماسكاً بهذا الانضباط ، افليس من الواضح أن انضباطنا المستند إلى أسس الطواعية والوعي ونكران الذات قادر على تمكيننا من تحقيق الكثير من النجاحات العظيمة؟ إن الحزب الذي يعبئ أعداداً متواضعة اليوم سيكون قادراً غداً على تحريك الملايين في ظل نظام الانضباط والطاعة نفسه، أما الحزب الذي يعجز اليوم عن تحريك الأقلية من الطبقة وإخضاعها لنظام الطاعة والانضباط فسيكون غداً عاجزاً تماماً عن قيادة الجماهير الواسعة والمتزايدة وفرض رقابته عليها. أن التنظيم يعني الانضباط في الوقت نفسه. فلكل تنظيم جدير بهذا الاسم حاجة ماسة إلى جملة من القواعد والنظم التي تضمن فعاليته وتحرك أعضاؤه وفقاً لأسس معينة بدون ذلك لا يمكن تحقيق وحدة الأعضاء ووحدة التنظيم، علماً أن التنظيم هو بمعنى من المعاني وحدة العمل والحركة. أما الانضباط فهو العنصر الهام الذي يضمن متانة هذه الوحدة بشكل سليم وقوي. وقد أوضح لينين آراءه حول هذا الموضوع بعبارات قصيرة وموجزة ولكنها ثمينة جداً حين قال: (سبق لنا أن أوضحنا وجهات نظرنا، بخطوطها العريضة العامة، حول أهمية الانضباط ومفهومه في حزب العمال، إن تعريفنا

للانضباط هو وحدة العمل وحرية المناقشة والانتقاد ولكن مثل هذا الانضباط لا يليق ألا بالحزب الديمقراطي للطبقة الأكثر تقدماً. فقوة الطبقة العاملة تكمن في التنظيم، ليست البروليتاريا شيئاً بدون تنظيم الجماهير. أما البروليتاريا المنظمة فهي كل شيء. والتنظيم يعني وحدة العمل والحركة. انه وحدة الممارسة العملية. ولكن من المؤكد أن أهمية هذه الاعمال والممارسات كلها تتوقف على كونها دافعة الى الامام ومانعة للتقهقر، على كونها قادرة على زيادة التحام صفوف البروليتاري من الناحية الايديولوجية واعلاء شأنها بدون السماح لها بأن تنحدر، على كونها لا تفسد وتخرب أو تضعف هذه الوحدة)

وكنتيجة نستطيع ان نقول ان الانضباط ونظام الطاعة امر ضروري لا غنى عنه من اجل توفير امكانية تشغيل وتنفيذ سائر القواعد والنظم الاخرى في الحياة الداخلية للحزب ((وكل من يضعف نظام الانضباط ونظام الطاعة الحديدي للحزب البروليتاري (وخصوصاً في فترة ديكتاتوريتها) كائناً من كان إنما يساعد البرجوازية بالفعل ضد البروليتاريا))

٨ – النضال ضد تاثيرات الطبقات اللابروليتارية في داخل الحزب

لكي يكون الحزب قادراً على العمل بشكل صحيح لا بد له من أن يكون مؤسساً على قاعدة مبدأ المركزية الديمقراطية .. وان يجمع في نشاطه بين الروح الجماعية والمبادرة، كما لا بد من تشغيل سلاح النقد والنقد الذاتي بهدف امتلاك الحزب لبنية أكثر متانة، ولتحقيق هذا كله لا بد من تشكيل نظام للانضباط والطاعة الفولاذيين .

لدى بحثنا لهذه المميزات حاولنا أن نبين أهمية كل منها بالنسبة للحزب وطريقة عملها، يستحيل تصور وجود حزب لينيني بدون هذه المواصفات. والحزب الذي يستطيع ان يجمع جميع هذه الصفات هو وحده القادر على ان يكون الفصيل الطليعي المتقدم للبروليتاريا بكل ما للعبارة من معنى . هنالك ايضاً حاجة الى وجود سلطة معينة في الحزب المنظم. فإذا كان

جمع هذه المواصفات يعني التنظيم فإن التنظيم نفسه يعني السلطة. ذلك لأن الأعضاء ملزمون باخضاع ارادتهم الذاتية لمصالح الحزب العامة وهذا يعنى الاعتراف بالسلطة والمساهمة في بنائها. على الأعضاء أن يخضعوا للسلطة هذه بدون قيد أو شرط. كما يتوجب عليهم أن يتحاشوا الأعمال التي من شأنها أضعاف السلطة وشلها.

من المعروف أن أعضاء الحزب البروليتاري لا يأتون فقط بين صفوف العمال. إن البروليتاريا نفسها، لا الحزب، ليست مفصولة عن الطبقات بسد يشبه سور الصين، فالطبقات الكادحة الأخرى تحيط بالبروليتاريا من جميع الجهات، وليست البروليتاريا كما قال لينين، ألا مثل جزيرة صغيرة في بحر المنتجين الصغار، وهي تظل معرضة لضغوطهم المستمرة كل يوم وكل ساعة (أن صغار المنتجين من البرجوازية الصغيرة يحيطون بالبروليتاريا من جهاتها الأربعة، وهذه العناصر البرجوازية الصغيرة تتسلل إلى صفوف البروليتاريا وتثير فيها باستمرار الذبذبة البرجوازية الصغيرة والتكتيكية والفردية والانقلاب المفاجئ من الحماس إلى الجزع .. الخ) وهذا الوضع بالذات ينعكس أيضاً في داخل حزب البروليتاريا. فالعناصر البرجوازية الصغيرة تتسلل إلى صفوف البروليتاريا وتشكل مصدراً لمختلف السلبيات والنواقص في حياة الحزب الداخلية. وقبل الانتقال إلى هذه التأثيرات التي تضغط على الحزب البروليتاري بشكل ملموس لا بد لنا من إيضاح سلسلة من الأمور المتعلقة بأخلاقية هذه الطبقة ـ البرجوازية الصغيرة وحالتها النفسية.

لدى قيام أساتذة الماركسية ـ اللينينية بدراسة النضال الطبقي للبروليتاريا وتحليل المواصفات التي يجب أن تتوفر في تنظيمها النضالي يتوقفون بشكل خاص عند البرجوازية الصغيرة وينبهون البروليتاريا إليها.

إن لكل من ماركس وأنجلز دراسات معروفة حول ماهية الطبقة التي تشكلها البرجوازية الصغيرة فمؤسسا الاشتراكية العلمية هذان تحدثا بالتفصيل عن مواقف البرجوازية الصغيرة من الثورة

وخصوصاً أثناء الثورات البرجوازية وبعدها ووصف حالتها النفسية في غمرة العمل، كما أن لينين قام بدراسة سلوك البرجوازية الصغيرة فيما يتعلق بالتنظيم في العديد من مؤلفاته وكشف بعبقرية فذة عن عجز البرجوازية الصغيرة عن التنظيم وعن نزعتها وميلها إلى البقاء بلا أي تنظيم لدى إيضاح المفهوم البروليتاري للتنظيم.

أن البرجوازية الصغيرة طبقة في حالة دائمة من التمزق والانقسام . فهي باستمرار تتعرض للضغط من كل من البرجوازية الكبيرة من الأعلى ومن البروليتاريا من الأسفل. وكما تمركزت الرأسمالية وتركزت وتفاقمت الأزمات الاجتماعية والاقتصادية وما إليها، تتعرض البرجوازية الصغيرة للإفلاس. فالبرجوازي الصغير يخسر دكانه أو حقله أو وظيفته. وهذا القلق الدائم الذي يبرز وضع البرجوازية الصغيرة في المجال الاقتصادي ينعكس على سلوكه فيغتاظ بسرعة، ويشارك في الهبات العنيفة قصيرة النفس محاولا أن يقف في وجه الإفلاس الذي يتهدده، إن هذا الموقف الذي يتخذه البرجوازي الصغير إزاء خطر الإفلاس يتم التعبير عنه على المستوى الإيديولوجي بالفوضوية. إنه مع الانقلابات والهبات السريعة لا مع العمل المنظم المستند إلى البرمجة والتخطيط وإلى قدر كبير من الجدية وذات الأمد البعيد . إنه يثور، ينتقد، يميل إلى الهدم ولكنه لا يبني شيئاً جديداً بدلاً من الذي هدمه.

رغم أن البرجوازية الصغيرة تميل في أحيان كثيرة إلى الوقوف في وجه البرجوازية الكبيرة التي تسبب دمارها وخرابها كنوع من رد الفعل، فإنها عاجزة عن أن تصعد نضالاً يمكن أن يوصل إلى أية نتائج ايجابية ضدها، لأنها بحاجة إليها بشكل دائم؛ باستمرار الملكية الصغيرة مشروطة ببقاء مصادر التسليف الكبيرة. وهي لذلك لا ترغب في خوض معارك جدية ضد البرجوازية الكبيرة بل تريد أن تحل المشاكل والقضايا المعلقة عن طريق الإصلاح. إنها مع النضال السلمي دائماً وأبداً. تتحاشى وتدين النضال المسلح والصراع الطبقي الحاد، تظل هائمة بالطرق الوسطى تتأرجح بين البرجوازية والبروليتاريا؛ تبقى بلا مكان محدد هنا أو هناك. ترى

في البرجوازية الكبيرة عقبة في طريق تطورها، وترى في البروليتاريا أناساً يميلون إلى الصراع الطبقي الحاد والعنيف، كما أنها لا تجد مكاناً لها في النظام الذي تناضل البروليتاريا من أجل إقامته. إن هذا الوضع يجعل البرجوازية الصغيرة حائرة لا تعرف أين تذهب مثل الذي فاتته الصلاة وهو يتردد بين المسجدين كما يقول المثال الشعبي. أما عندنا حيث يتطور الصراع الطبقي وتتحول الشوارع إلى ساحات للمعارك الطاحنة فإنه يضطر لان يغلق باب دكانه، لأن حياته الهانئة والسعيدة بدأت تتعكر وهي لهذا تعارض (التطرف) و (الحدة وتبادر إلى إدانة البروليتاريا بالفوضوية، وإلى توزيع المواعظ ذات اليمين وذات الشمال إن هذه الصفات تنعكس أيضاً على الحالة النفسية للبرجوازية الصغيرة. فهو لا يمتلك معنويات سليمة، أن معنوياته متدهورة باستمرار. ذلك لأن الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تنعكس على ملكيته الصغيرة وعالمه الصغير ومن ثم تنعكس الذبذبات التي تتعرض لها ملكيته الصغيرة على معنوياته. إن البرجوازي الصغير لا يستطيع أن يحافظ على إيمانه والتزامه لفترة زمنية طويلة، إنه دائم الولع بالأوهام يبحث في ثناياها عن الذي لا يستطيع الواقع أن يقدمه له بشكل من الأشكال يتحاشى مواجهة الواقع وجهاً لوجه. وحين يواجهه يفقد صوابه ويستغيث بأعلى الصرخات. ينفعل بسرعة؛ يسارع إلى الاندساس في صفوف البروليتاريا عندما يجدها قد حققت عدداً من الانتصارات. وخلال فترة صعود البروليتاريا يبقى في صفها بل ويزعم انه أكثر التزاماً بالقضية من البروليتاريا نفسها، لا يتردد في ألقاء الخطب الطنانة في التظاهرات والاجتماعات الجماهيرية ويطلق الشعارات البراقة، ويتولى قيادة الجماهير، ويدعو البروليتاريا إلى النضال والكفاح، ولا يدع مجالاً لأحد أن يسبقه. ولكنه ما أن تبدأ البروليتاريا بتلقي الهزائم والضربات حتى ينقلب فوراً رأساً على عقب، وينتهي كل شيء بالنسبة للبرجوازي الصغير الذي يسارع إلى البحث عن الأساليب والطرق المضمونة للالتفاف حول المنعطف ويبدو مقطوع النفس كما لو كان مسجوناً في جو بلا أوكسجين. إن الهزائم والنكسات الآنية العابرة تضعف أيمانه وتحطم جرأته وتخفض معنوياته إلى الحضيض.

ذلك لأن الأمور لم تعد كما كانت من قبل، فالصعوبات بل وحتى خطر الموت قد جاءت لتقرع الباب! وعندئذ يبدأ البرجوازي الصغير بفهم حقيقة العالم ويبدأ بإطلاق الصرخات التي تقول: (ماذا فعلت أنا؟) (كيف ورطت نفسي في مثل هذا العمل؟) ويكيل الشتائم للبروليتاريا وهو يشد شعر رأسه ويصفع ركبتيه. بل يتقدم خطوة أخرى ويلتحق بصفوف البرجوازية ويبادر إلى حمل السلاح ضد البروليتاريا وهو يقول : (أنت يا من تريد إحراقي معك!!) .

جميع هذه الصفات الكامنة في حياة البرجوازي الصغير ونفسيته تترك آثارها أيضاً على حزب البروليتاريا الذي تسلل صغار البرجوازيين إلى صفوفه. لنستعرض الآن باختصار هذه الآثار بخطوطها العامة عبر التطرق إلى ما كانت البرجوازية الصغيرة تريد أن تفعله داخل حزب البروليتاريا من خلال التجارب النضالية للبلاشفة الروس الملأى بالعبر والدروس الغنية.

يضع لينين مهمة خلق الحزب المحترف القادر على قيادة الصراع الطبقي للبروليتاريا المؤهل لتلبية مطالب الجماهير في روسيا قيادة سليمة وقوية على رأس قائمة المهمات النضالية الثورية ويبادر إلى بذل الجهود المكثفة في سبيل إيجاد مثل هذا التنظيم، وأحدى العقبات التي انتصبت في طريقه وهو يسعى لإيجاد مثل هذا التنظيم هي البرجوازية الصغيرة. فممثلوا هذه الطبقة يريدون دوماً ومهما كان الثمن أن يشكلوا عائقاً أمام بناء التنظيم الثوري للبروليتاريا. في البدء تطورت جملة من التيارات التي التفت حول شعار (حرية الانتقاد) واستندت إلى مفاهيم من قبيل (الاقتصادية) تركزت أهدافها على أفراغ الماركسية من جوهرها الثوري وتنشيط الانتهازية داخل الحركة العمالية للطبقة العامة، وراحت هذه التيارات تنشر المفاهيم والأساليب الخاطئة بين صفوف الطبقة العاملة. إن التيار (الاقتصادي) الذي هو من اخطر هذه التيارات راح يدعو بشكل خاص الطبقة العاملة إلى التخلي عن النضال السياسي والاقلاع عن بناء المنظمات السياسية بل الاكتفاء بالنضال الاقتصادي وحده وينصح

البروليتاريا بالسير في ذيل البرجوازية الليبرالية كما أن هذا التيار راح يدعو إلى العفوية والذيلية والعمل على طريقة الهواة الضيقة وينفي ضرورة وجود منظمة المحترفين الثوريين التي تعمل بانضباط وفي السر بقيادة القادة المجربين. ينبه لينين إلى مدى خطورة هذا التيار البرجوازي الصغير بالنسبة لنضال البروليتاريا ويقيم في كتابه (ما العمل) بنقد (الاقتصادية) نقداً رائعاً ويلحق بها الهزيمة الكاملة، وعلى أساس هذه الانتقادات يطرح لينين آراءه العبقرية حول التنظيم.

غير أن محاولات لينين الرامية إلى خلق منظمة المحترفين الثوريين لم تنته بتلك التحديدات النظرية بل بادر إلى العمل في سبيل تطبيق آرائه التي طرحها على الواقع. والمؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي عقد في تلك الفترة كان منبراً ذا أهمية كبيرة من حيث أقرار المبادئ اللينينية حول منظمة المحترفين وتطور أسسها العملية وجعلها سائدة في الحزب كله، لقد ناقش هذا المؤتمر، كما هو معروف، عدداً من المواضيع المختلفة ولكن أهمها كان متركزاً على مسألة: كيف يجب أن يكون الحزب الثوري. حول هذه النقطة بالذات يبدأ التيار البرجوازي الصغير الموجود في الحزب أن يلعب دوره بشكل مؤثر. فيحتدم صراع عنيف ومرير بين التيار البروليتاري الذي يريد خلق منظمة ثورية للمحترفين الثوريين الحقيقيين بقيادة لينين من جهة وبين التيار البرجوازي الصغير الذي أراد أن ينشئ منظمة للهواة، منظمة مهلهلة سائبة لا علاقة لها بالانضباط والنظام والسلطة من قريب أو بعيد بقيادة مارتوف من جهة ثانية، ورغم أن معظم المناقشات انصبت على المادة الأولى من النظام الداخلي فإن محور الصراع والنقاش كان هو هو، مفهوم التنظيم. كان لينين يدافع عن الرأي القائل بضرورة إيجاد تنظيم حزبي يضم المحترفين الثوريين، موحد الإرادة والعمل يرتكز على نظام راسخ للطاعة والانضباط وتتم قيادته من مركز واحد. أما مارتوف وإضرابه فكانوا، بالمقابل وعلى النقيض تماماً، يدافعون عن أقامة تنظيم للهواة مفتوح الأبواب لكل من يريد دخوله، لا ينطوي على وحدة الإرادة والعمل، بعيد عن الانضباط والنظام، لا مجال فيه للمركزية التي توضع على

الرف، وفي هذه المعركة بين لينين وقوف العنصر أو المثقف البرجوازي الصغير من الصراع ومن التنظيم بوضوح كامل. إنه يبين أن المثقفين بعيدون عن الانضباط والنظام نتيجة لطبيعتهم الطبقية. وأنهم يدافعون عن غياب التنظيم لا عن التنظيم؛ في حين أن البروليتاريا لا تملك سلاحاً آخر غير التنظيم ويقول: (إن البروليتاريا لا تخاف التنظيم والانضباط ...

ولا يهمها أن تسجل الأساتذة والطلاب الأعزاء والمحترفين الذين يريدون الدخول في الحزب من أجل العمل تحت أشراف التنظيم وقيادته أعضاء في الحزب. إن الذين ينقصهم التدرب على الروح التنظيمية والانضباط هم بعض المثقفين في حزبنا، لا البروليتاريا).

تتعرض البرجوازية الصغيرة في المؤتمر لهزيمة ماحقة، ولكنها لا تتخلى عن كفاحها ضد الخط البروليتاري فتبادر إلى الدوس على قرارات المؤتمر الذي هو أعلى سلطة في الحزب، وتحاول أن تسيطر على الحزب بمختلف الألاعيب من خارج المؤتمر. ترفض الخضوع لقرارات الأكثرية وتطالب بـ (الديمقراطية) و (الحرية) إن الديمقراطية التي أرادها (خرسان) البرجوازية الصغيرة لم تكن ألا ديمقراطية تؤدي إلى أضعاف الحزب من خلال تركه مفتوحاً أمام مختلف الأعداء للتسلل إليه والعدوان عليه. أما الحرية التي كانوا يريدونها فهي حركة الجميع في أن يتصرف كل منهم على هواه داخل الحزب. لقد نظروا إلى الانضباط بوصفه نيراً وكابوساً وشبهوا الحزب بمعمل كبير وأعلنوا بالتالي رفضهم التحول إلى مسننات وبراغي في آلات هذا المعمل. (.. أن الحالة النفسية للمثقف البرجوازي الذي يعتبر نفسه صفوة منتقاة، فوق الانضباط الجماهيري وفوق التنظيم الجماهير تتكشف هنا بأحلى وأوضح صورها... يتراءى التنظيم والانضباط البروليتاريين في نظر المثقف الفردي الأناني كما لو كان نظام عبودية الأرض) إن صغار البرجوازيين يرفضون، كما رأينا المركزية الديمقراطية كأساس، وسلطة الحزب ونظام الانضباط والطاعة له، من خضوع الأقلية لإرادة الأكثرية، وتنفيذ قرارات المؤتمر؛ ويحاولون أن ينسفوا

الحزب من هذه الزاوية. فضلاً عن أن البرجوازية الصغيرة الروسية. هذه الطبقة ذات الكفاءات العالية، نجحت وبدون صعوبة في التنظير لوجهات ومفاهيمهما هذه جميعاً.

هل يكتفي البرجوازي الصغير بممارسة الضغط على البروليتاريا والتأثير عليها في موضوع التنظيم فقط؟ إنه يبذل جهوداً مركزة ودائمة لتعكير مفهوم حزب البروليتاريا في مختلف المجالات الإيديولوجية والسياسة والإستراتيجية والتكتيكية أيضاً، ففي الوقت الذي كان فيه لينين يقوم برسم التكتيك الثوري للبروليتاريا في الفترة التي طرحت الثورة البرجوازية الديمقراطية في روسيا حين واجهت البروليتاريا مهمة تحديد الخط التكتيكي للبروليتاريا؛ كانت الفئات البرجوازية الصغيرة الموجودة داخل الحزب تحاول صياغة تكتيك يرفض قيادة الطبقة العاملة ويدعو إلى ربطها بذيل البرجوازية الصغيرة وفرضه من ثم على الحزب بمجموعة. كانت أهداف البرجوازية الصغيرة متركزة على تحريف النضال الطبقي عن خطه وإبقاء حزب البروليتاريا في مواقع المعارضة إلى الأبد.

إن العناصر البرجوازية الصغيرة في صفوف الحزب تشوهت أكثر في تلك السنوات العصيبة التي عاشتها روسيا حيث تزايدت ضغوط الحكم المطلق على الحزب، وحيث زالت أكثرية الإمكانيات التي كانت متوفرة للعمل العلني بعد تصلب وتصاعد النضال الثوري المتصل الذي صار يتلقى الضربات المتلاحقة، حتى غرقت هذه العناصر في مستنقع التفسخ والعفن والتحلل. وقد جاء وصف وضع تلك العناصر في تاريخ الحزب البلشفي الذي قال: (جلبت هزيمة الثورة عام ١٩٠٥ معها ظاهرة التفسخ والتحلل بين رفاق الطريق أيضاً، فتعمقت ظواهر الخيبة والانهيار المعنوي بين صفوف المثقفين بصورة خاصة. أما رفاق الطريق الذين جاؤوا من الدوائر البرجوازية والتحقوا بصفوف الثورة لدى مراحل صعودها، فقد سارعوا إلى الابتعاد عن الحزب في الأيام التي شهدت سطوة الرجعية وسيطرتها على الساحة. وقد التحق بعض هؤلاء بصفوف أعداء الثورة بصورة مكشوفة. في حين حاول آخرون أن يتخذوا مواقع لهم في

الجمعيات العلنية التي استطاعت أن تبقى مستمرة للطبقة العاملة وراحوا يبذلون جهوداً كبيرة لحرف البروليتاريا عن طريق الثورة ولتشويه صورة وسمعة حزب البروليتاريا الثوري وفيما كان بعض رفاق الطريق الذين التحقوا بالثورة في وقت من الأوقات، يتخلون عن الثورة ويبتعدون عنها كانوا في الوقت نفسه يعملون كل ما يستطيعون ليكسبوا ود الرجعية.

إن بعض هذه العناصر البرجوازية تتوه وتضيع طريقها، تصاب بالرعب وتستسلم، إلى درجة يبادرون معها إلى نقد الفلسفة الماركسية، وإلى نشر الإيديولوجية الدينية في صفوف الحزب الماركسي، زاعمين أن لا خلاص للشعب إلا عن طريق الله. ((انتقلت عدوى الهزيمة المعنوية وعدم الثقة والإيمان إلى بعض مثقفي الحزب الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ماركسيين غير أنهم لم يستطيعوا في أي وقت من الأوقات أن يصلوا إلى المواقع الماركسية العلمية، أيضاً وقد كان بين هؤلاء كتاب ومفكرين من أمثال بوغدانوف، بازاروف، لوناتشارسكي (التحقوا بالبلاشفة في عام ١٩٠٥)، بوشكشفتيش وفالانتيوف (من البلاشفة) وقد وجه هؤلاء في الوقت نفسه نقداً، للأسس الفلسفية للنظرية الماركسية، أي للمادية التاريخية، للأسس العلمية والتاريخية للماركسية، وتميز هذا النقد عن الأشكال المألوفة للنقد بأنه كان يجري تحت راية الدفاع، عن أسس الماركسية بصورة خبيثة ومغطاة لا بشكل مكشوف وواضح وصريح، فهؤلاء كانوا يزعمون بأنهم ماركسيون غير أنهم راغبون في أصلاح الماركسية عن طريق أبعادها عن بعض مبادئها الأساسية، لقد كانوا أعداء حقيقيين للماركسية في الواقع لأنهم كانوا دائبين على نسف الأسس النظرية للماركسية رغم استمرار مزاعمهم الخادعة حول أنهم ماركسيون. إن خطر هذا النقد الذي جرى بهذا الأسلوب المخادع والمضلل كان كامناً في توجيهه لتضليل الحزبيين البسطاء وحرفهم عن الطريق الصحيح. لقد كان تزايد وارتفاع مستوى الخديعة للنقد الذي رمى إلى نسف الأسس النظرية الماركسية متناسباً طرداً مع مدى الخطر الذي حمله بالنسبة للحزب وكيانه. ذلك لأن هذا النقد كان يتفاعل مع الحملة العامة التي بدأت القوى الرجعية بشنها ضد الثورة بمقدار ما يضاعف من مستوى تضليله، وصل بعض المثقفين الذين

انفصلوا عن الماركسية وابتعدوا عن مواقعها إلى حدود أطلاق المواعظ الداعية إلى ضرورة تأسيس دين جديد)).

كان (بناة الآلهة) هؤلاء من أبرز نماذج الانحراف الإيديولوجي البرجوازي الصغير داخل حزب البروليتاريا، وقد كتب لينين كتابه المعروف (المادية والنقد التجريبي) بهدف منع ذلك الانحراف من ألحاق الضرر بالحزب والطبقة العاملة ولإزالة آثاره. ولكن الهجمات البرجوازية الصغيرة استمرت تحت أقنعة جديدة. فنشأت تكتلات ومجموعات تكتيكية جديدة في أطار الحزب. لم يكن التصفويون والاوتزفيون سوى اثنتين من هذه المجموعات حاولت هذه التكتلات والمجموعات كلها تصفية الحزب وتحريف تكتيكاته الصحيحة بالانطلاق من روح العداء المكشوف حيناً والخفي حيناً آخر للحزب (كان المناشفة يريدون حل الحزب الثوري السري للبروليتاريا وإزالته من الوجود بعد تخليهم بصورة مخجلة عن المطالب الثورية المنصوص عليها في برنامج الحزب وعن سائر الشعارات الثورية وهروبهم برعب نتيجة لعدم الأيمان بإمكانية الصعود الجديد للثورة) وقد ضاعفت هذه المجموعات البرجوازية الصغيرة المعادية لخط الحزب من نشاطاتها العدوانية وتحالفاتها بهدف خنق التيار البروليتاري.

تتضح بشكل خاص ماهية الطبيعة التي اتخذتها البرجوازية الصغيرة والدور الذي لعبته في داخل الحزب في تلك السنوات العصيبة التي كان فيها الحزب يتعرض لأقسى الضغوط ولمختلف أشكال البطش من جانب الرجعية الحاكمة. إنها أي البرجوازية الصغيرة تبادر في مثل هذه المراحل بالذات للدعوة إلى تصفية الحزب، وإلى الدفاع المستميت المعادي عن المساومة والتساهل لا في الميدان الإيديولوجي الفلسفي فقط بل وفي الميدان التنظيمي أيضاً، ناصحة البروليتاريا بأن تكون طليعة يسهل اقتيادها. أنها تصاب بالانهيار المعنوي وفقدان الإيمان والثقة وتبدأ بتصوير آفاق البروليتاريا على أنها سوداء وتلعب دوراً تخريبياً يعطل على البروليتاريا سيرها في طريق تطوير النضال على أسس متينة وسليمة، كما تحيك المؤامرات

والألاعيب المختلفة بهدف السيطرة على الحزب. إنها تتعرض لقدر كبير من التفسخ والتحلل في مختلف ميادين الحياة الإيديولوجية والفلسفية والتنظيمية والأخلاقية والخ، لقد خاض لينين نضالاً دؤوباً ومكثفاً، وخصوصاً في هذه السنوات، في سبيل حماية الكيان التنظيمي للحزب، وإيديولوجية الثورة وفلسفتها وسياستها، ومن اجل إزالة جميع التأثيرات الطبقية الغريبة عن البروليتاريا وأبعادها عن الحزب. كان هدفه الأول متركزاً على تعزيز قوة الحزب من خلال التزامه أكثر فأكثر، وذلك خلال فضح الوجه الحقيقي للبرجوازية الصغيرة وأهدافها وغاياتها وتنقية الحزب منها إلى أقصى الحدود. غير أن المؤكد أن الإزالة الكلية لتأثيرات البرجوازية الصغير والتأثيرات الطبقية اللابروليتارية بصورة عامة أمر مستحيل وهذه الاستحالة تبقى مستمرة طالما أن النظام البرجوازي على قيد الحياة. بل أن بقايا النظام القديم تترك بصماتها على الحزب حتى بعد انتصار الاشتراكية.

يجب أن يكون معروفاً أنه في أثناء الثورة وبعدها تتبدل التأثيرات البرجوازية الصغيرة بأشكال وأوضاع مختلفة هذه المرة، فالبرجوازيون الصغار لا يؤمنون بإمكانية حدوث الثورة البروليتارية وقدرتها على بناء الاشتراكية. إنهم يقدمون بالأعلام عن موعد انطلاق الثورة ويحاولون أقناع البروليتاريا بالتخلي عن القيام بالثورة ونسف ثقتها بالمستقبل. كان تروتسكي وأرديك وكامينيف وزينوفييف

وزاسوليتس حلقات في هذه السلسلة البرجوازية الصغيرة. فقد وصل هؤلاء إلى حدود العمل من اجل نسف الحزب وتدميره عن طريق التآمر عليه بعد أن صاروا في وضع عملاء البرجوازية الإمبريالية داخل صفوف الحزب. ومن جهة ثانية يظهر في الساحة (الشيوعيون اليساريون) ودعاة (المركزية الديمقراطية). لم تكن هذه ألا مفاهيم مستمدة عن البرجوازية الصغيرة المتسللة إلى داخل الحزب، دعت البروليتاريا إلى طرق وتوجهات خاطئة تهدد وحدته التنظيمية وتلاحمه

وتحاول أن تعيق الخطوات الهامة التي لا بد من اتخاذها. بمعنى أنها التعبيرات المجسدة والمبلورة للتأثيرات الغريبة عن البروليتاريا في داخل الحزب.

هذه التأثيرات ليست كما أكدنا، ناجمة فقط عن الضغوط التي يحس بها حزب البروليتاريا لدى قيامه بهدم القديم ونسفه، فحزب البروليتاريا لدى قيامه ببناء الجديد الاشتراكية أيضاً يظل معرضاً لهذه الضغوط. وقد حدد لينين النقاط التالية في معرض التنبيه إلى هذه النقطة ((إن القضاء على الطبقات لا يعني فقط طرد الملاكين العقاريين والرأسماليين فهذا ما قمنا به نحن بسهولة نسبياً، إنه يعني القضاء على منتجي البضائع الصغار، وهؤلاء لا يمكن طردهم ولا يمكن قمعهم، إنما يلزم أن نتعايش معهم، فمن الممكن (والواجب) أصلاحهم وتربيتهم من جديد، وذلك فقط بواسطة عمل تنظيمي مديد بطيء تكتنفه الحيطة)).

أما الاستنتاج الذي يستخلص من هذه التوضيحات جميعها فهو: هناك ضغوط طبقية غريبة من الطبقات اللابروليتاريا على الحزب البروليتاري الثوري ومن داخله تتجلى من خلال تأثيراتها المختلفة عليه، إن أكبر الأخطاء التي تتهدد حزب البروليتاريا الثوري هو الاختناق في بحر هذه التأثيرات والتعرض للتصفية، والبلاشفة وعلى رأسهم لينين، أوضحوا مدى ضرورة اتصاف البروليتاريا بالحذر من هذه الناحية، وخاضوا نضالاً عنيفاً لإنقاذ الحزب من خطر الذوبان والانسحاق تحت وطأة وجهات النظر الطبقية الغريبة عن البروليتاريا والعادات والسمات اللابروليتارية، ولولا هذا النضال لما أستطاع حزب البلاشفة أن يصبح حزباً طبقياً بالمعنى الصحيح ولما تمكن بالتالي من تنفيذ مهماته التاريخية بنجاح.

مما لا شك فيه أن هناك في بلادنا ضغوطاً مختلفة من الطبقات اللابروليتارية تمارس على حزبنا من داخله ومن خارجه، وتتجلى هذه الضغوط والتأثيرات بأشكال ولونيات مختلفة.

بلادنا مستعمرة وشبه إقطاعية، والطبقات الموجودة تشكلت على قاعدة الرأسمالية الغربية الأجنبية، ونظراً لأن الجديد لم يبنى على أساس هدم القديم ونسفه فإن هذا القديم مازال مستمراً ومعششاً في سائر ميادين الحياة الاجتماعية. فالعناصر البرجوازية، المؤسسات الإقطاعية وحتى بقايا العبودية نجدها متداخلة ومتفاعلة فيما بينها، والتطور الطبقي ضعيف جداً حتى الآن لأنه لم يتم على المستوى الوطني القومي وبشكل جذري، ليست هناك بروليتاريا صناعية قوية في بلادنا. لا تزال البروليتاريا عندنا ضعيفة كماً ونوعاً. وهي مقسومة على نفسها بين من يعملون في الصناعة، من يعملون في الزراعة وبين الآخرين الذين لهم من العمال الموسميين، وفي كل يوم جديد يلتحق بصفوف البروليتاريا أعداداً كبيرة من الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدينة إضافة إلى أن البروليتاريا عندنا ليست مقطوعة الصلة تماماً بالريف. بهذا المعنى أيضاً نرى أن ضغوط الطبقات الأخرى وتأثيراتها تتجلى بأشكال أقوى وأكثر فعالية وباستمرار على هذه البروليتاريا. ما زالت العلاقات والمفاهيم وأحكام القيم الإقطاعية متوغلة عميقاً في بنية البروليتاريا وقد مارست سياسة الإذابة مثلها مثل التأثيرات المخدرة للدين تأثيرات سلبية ومخربة بالغة الأهمية عليها، من الواضح أن ضغوط الطبقات الأخرى وتأثيراتها على بروليتاريا ما تكون أقوى كلما كانت هذه البروليتاريا أضعف.

ليست صورة تشكل الطبقات والفئات الأخرى مختلفة هي الأخرى. فقد أوضحنا في كتاباتنا السابقة كيف تشكلت البرجوازية الصغيرة بصورة خاصة وما هي الأسس التي استندت إليها بقدر كاف من الجلاء، ليست البرجوازية الصغيرة عندنا طبقة تكونت على قاعدة رأسمالية وطنية بل على أسس الارتباط برأسمالية الاستعمار التركي والإقطاعيين وبالتالي خاضعة لتأثيرات قوية منهما، وهذه التأثيرات تتجلى في مختلف مجالات الحياة جميعاً، في الإيديولوجية، في السياسة، في التنظيم، في الممارسة العملية وفي الأخلاق.

إنها خاضعة لتأثيرات الكمالية والأفكار الرجعية الأخرى بشكل قوي في مجال الإيديولوجيا وهذه التبعية منعكسة في الميادين التنظيمية والعملياتية أيضاً وبالتالي فإن سلبيات البرجوازية الصغيرة عندنا أقوى وأشد. فهي لا تنتج الفكر ولا تبدي أية ردود أفعال قوية ضد الاستعمار والرجعية المحلية. كما أنها تشكل أكثر قطاعات المجتمع تتريكاً وتعرضاً لتخريبات هذه العملية، أن الروح التي تحملها هي روح العدمية القومية الكوسموبوليتية لا الروح الوطنية تبقى متركزة على مصالحها الأنانية التافهة، على مكانتها ووظيفتها، غير أنها لا تبدي أي استعداد مهما كان صغيراً للعمل من اجل الأهداف الكبرى، إن الخوف والرعب متسللان إلى أعماق عظامها وبالتالي تنظر إلى التنظيم والتحرك والنضال المسلح نظرة غريبة مفعمة بالرعب والخوف.

تلك في الأساس هي الأوضاع التي يعيش فيها مواطنونا. فالتدابير التي يتخذها الاستعمار بالاستناد إلى أساليب القهر والإذابة القسرية أدت إلى تحويل مواطنينا إلى نماذج متخلفة عن العصر، ومن الممكن العثور على سائر أشكال التخلف والرجعية والتشوه والتفسخ والعفن في مجتمعنا، فالتأثير العميق للدين وروابط الدم والعشائرية والعائلية والفردية والبعد عن الروابط الوطنية والطبقية، هذه جميعاً موجودة بأعلى أشكالها في البنية الاجتماعية الكردستانية. لا نكون مبالغين إذا قلنا أن مجتمعنا هو أكثر المجتمعات افتقاراً للتنظيم وتمزقاً في العالم كله. من المعروف أن الاستعمار لا يسمح بتأسيس أية جمعية أو مؤسسة ديمقراطية ناهيك عن التنظيمات الطبقية والسياسية. فالمواطن عندنا لا يعرف معنى السلطة والانضباط الوطنيين الاجتماعيين، إن أشكال الانضباط والسلطة التي يعرفها هي تلك المتخلفة كثيراً عن العصر، هذه هي الأوضاع التي يعيش فيها المجتمع عندنا. أما الاستعمار التركي الفاشي فيظل دائباً على تعزيز وتقوية هذه الأوضاع البائسة. إنه يعمل باستمرار على زرع الفرقة والخلافات بين المواطنين عبر استخدام قضايا الثأر والروح العشائرية والطائفية والإقليمية. ويظل دائباً على

فرض هذا الواقع السيء والمشين على مجتمعنا عن طريق إضافة الأفكار البرجوازية ومفاهيمها الأخلاقية إلى الأفكار والقيم الدينية والطائفية والإقطاعية المتخلفة.

تحمل الطبقات والفئات عندنا مواصفات بعضها في البنية الفوقية. فالإقطاعي متأثر بالبرجوازي والبرجوازي بالإقطاعي، والعامل متأثر بالفلاح والبرجوازي الصغير بالإقطاعي الخ... ولهذا السبب هناك فوضى واختلاط بين القيم وأشكال السلوك والأفكار في كردستان إن الكلام الذي قاله لينين عن روسيا حول هذه المسألة يصح أيضاً بالنسبة لكردستان: ليست البروليتاريا عندنا سوى جزيرة صغيرة في بحر صغار المنتجين والطبقات والأخرى وأكبر الأخطار التي تتهدد حزب البروليتاريا هو خطر الغرق والاختناق في هذا البحر.

تزعم الأوساط البرجوازية الصغيرة النخبوية عندنا أنها تنظم نفسها وتؤسس الأحزاب كما تطلق على هذه الأحزاب أسماء مثل (حزب العمال) و (الحزب الاشتراكي) والخ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عدم حياة البرجوازية الصغيرة عندنا وعلى إتقانها لفن التضليل والخداع إن هؤلاء يستخدمون أسم البروليتاريا ولكنهم يقومون بعملية التنظيم بما ينسجم مع المفهوم البرجوازي الصغير في التنظيم ومع حالتها النفسية، وهذه المنظمات البعيدة عن المقاومة والروح العملية، والمحرومة من الانضباط والسلطة المركزية، ما هي ألا أدوات لتضليل البروليتاريا والخداع الشعب، إنها تنطلق من الإصلاحية والاستسلام في حين تكون الأحزاب اللينينية مستندة إلى الفكر الاشتراكي. إنها غارقة في بحر من الفوضى في حين تكون الأحزاب اللينينية مستندة إلى الطريقة الرسمية في العمل، إلى وحدانية المركز القيادي، وإلى وحدة الإرادة في القرارات والأعمال، إنها تبني المنظمات وتديرها بالارتباط مع المصالح العشائرية والعائلية لا في أطار العلاقات الرسمية، وهؤلاء يرتكبون أحدى أكبر الجرائم بحق الطبقة العاملة والشعب عن طريق تصوير الحزب بهذه الصورة.

إن هذه التشويهات والانحرافات الإيديولوجية والتنظيمية والعملية البالغة للبرجوازية الصغيرة عندنا تبين بوضوح مدى ضرورة الانتباه الشديد واليقظة إزاء التأثيرات البرجوازية الصغيرة ولهذا السبب يجب على حزبنا وعلى مناضليه أن يكونوا حذرين منها وأن يناضلوا ضدها نضالاً ثابتاً ودؤوباً.

يضم حزبنا، مثله مثل الأحزاب اللينينية الأخرى، في صفوفه لا الناس القادمين من الطبقة العاملة فقط بل والناس الذين جاءوا من الطبقات الكادحة الأخرى أيضاً في الوقت نفسه، وهؤلاء ينتسبون إلى حزب البروليتاريا لا بهدف خدمة الفئات التي جاؤوا منها بل بهدف خدمة البروليتاريا. ذلك لأن حزبنا على الرغم من أنه الآن يخوض نضالاً تحررياً ووطنياً، هو حزب طبقة واحدة، حزب البروليتاريا الكردستانية. ولهذا السبب لا بد لنا من أن نتذكر دائماً وأبداً أن حزبنا هو حزب طبقة واحدة وليس تحالفاً بين طبقات مختلفة، ومن المعروف أن الجبهات لا الأحزاب هي التنظيمات التي تمثل التحالفات التي تقوم بين الطبقات.

إن العناصر التي تأتي إلى صفوف الحزب البروليتاري بهدف خدمة أغراضه وأهدافه تكون، مهما كانت نواياها. محملة بالعديد من سمات البنى الاجتماعية والطبقة التي يخرجون منها، وهذه السمات تكون سمات غريبة عن البروليتاريا وضارة، وهي بالدرجة الأولى تعبر عن الأمراض السائدة في مجتمعنا. ولعل أبرز هذه الأمراض يتجلى في ظاهرتي انعدام الروح التنظيمية والعملية. فالحياة البعيدة عن التنظيم والروح العملية هي من أبرز سمات مجتمعنا نحن، أما التنظيم العصري والمبادرة إلى الممارسة العملية فهما من الصفات الغريبة عن مجتمعنا غربة تكاد تكون كاملة. وهذا الواقع يتجلى أيضاً في حزبنا كما يجعل الفرد عاجزاً تقريباً عن الحياة والحركة بصورة منظمة، فهو أحياناً يشبه التنظيم بالعائلة أو العشيرة فيعجز عن مسايرة الطريقة

الرسمية لعمل الحزب، أو يغفل عن تحديد الفروق بين التنظيمات البرجوازية الصغيرة وبيننا فيقع في المطبات التي تصنفها تلك التنظيمات.

من الواضح أن التنظيم في كردستان اليوم يعني المقاومة والعمليات، من المستحيل الفصل بين التنظيم والممارسة العملياتية؛ فالممارسة العملياتية تعني التنظيم الذي هو الممارسة العملياتية ذاتها. وواضح اليوم أن البرجوازية الصغيرة تهرب من هذين الحديثين هربها من الوباء. وعلينا أن نبين أن كلا من التنظيم والسير وفق متطلبات العمل المنظم في هذه المرحلة يتناقضان تناقضاً كاملاً مع سلوك هؤلاء الهاربين الفارين. إن المعنى الذي يحمله أبقاء الشعب الذي يرتبط بقاؤه بالتنظيم والذي يعيش تحت وطأة القهر والاضطهاد بدون تنظيم في هذه المرحلة بالذات واضح تماماً.

هناك نقص آخر في مجتمعنا بالارتباط مع غياب التنظيم والممارسة العملياتية السائدة هو البعد عن السلطة والانضباط. إن السلطة والانضباط الذين نتحدث عنهما هما اللذان يكونان بمواصفات ثورية ووطنية قومية، إن الوضع الذي يعيش فيه شعبنا من هذه الناحية معروف ومحدد. فهذا الشعب لم يعرف خلال عدد من القرون، سلطة تمثل مصالحه القومية والطبقية الخاصة، ومواطنونا الذين سدت الآفاق أمامهم في هذا المجال يجدون الكثير من الصعوبات في فهم السلطة الثورية والتلاؤم مع متطلباتهم. وحين تضاف التحريفات البرجوازية الصغيرة لمسألتي السلطة والانضباط إلى هذا الواقع بصورة خاصة تغدو الصعوبات التي يواجهها الحزب البروليتاري واضحة وضوح الشمس.

إن عدم اعترافنا بسلطة الاستعمار ونظام انضباطه الخاص يجب ألا يدفعنا إلى رفض جميع أشكال السلطة من اليوم إلى الغد، من المؤكد أن عدم الاعتراف بسلطة المستعمر ومحاربتها هما من الأمور الضرورية. غير أن إيصالهما إلى عدم الاعتراف بالسلطة الثورية ليس ألا مرضاً من الأمراض البرجوازية الصغيرة وأن المفهوم الذي يقول: (أنا لا أعترف بأية سلطة

أو انضباط؛ إنني من الأساس أناضل في سبيل الخلاص من هذا الوضع؛ إنني أرى في السلطة والانضباط الحزبيين أيضاً أموراً تخنقني وتستعبدني)؛ هو مفهوم مشوه ومنحرف. إنه تحريف ينطوي على نوع من العمى النظري أيضاً. إن الذي يحول الفرد إلى عبد هو تسلط العدو ونظام الطاعة المفروض من قبل هذا العدو. أما الحزب فإنه يحرره عبر ضمه إلى صفوفه. فالسلطة الثورية لا تحول الفرد إلى عبد بل، على النقيض من ذلك، توصله إلى شخصيته الحقيقية. فضلاً عن أن مثل هذه السلطة أمر حتمي لا يمكن الاستغناء عنه من أجل تطوير النضال وتعزيزه. ((لا يستطيع الماركسيون أن يقبلوا بوجهة النظر العادية للمثقف الثوري. وجهة النظر الثورية المزعومة المجردة هذه التي تقول ((أنا لا أعترف بأية سلطة. إن الطبقة العاملة التي تخوض نضالاً قاسياً وصعباً وعنيداً في سبيل تحررها الكامل في مختلف أرجاء الأرض تشعر بالحاجة إلى السلطات. ولكن هذه الحاجة تعني في الوقت نفسه حاجة العمال الشباب إلى تجارب المناضلين القدامى الذين كونوا وجهات نظر سياسية واسعة وتقاليد ثورية، وتجارب المناضلين الذين شاركوا في عدد من الثورات وخاضوا العديد من المعارك الاضرابية ضد الظلم والاستغلال، إن بروليتاريا كل بلد بحاجة إلى سلطة نضال البروليتاريا العالمية. إن سلطة الاشتراكية الديمقراطية ضرورية لتصحيح وضبط برنامج وتكتيكات حزبنا، غير أنه من الطبيعي جداً أن لا علاقة بين هذه السلطة وبين السلطة الرسمية لعلم البرجوازية وسياستها البوليسية من قريب أو من بعيد. فهذه السلطة هي السلطة النضالية ذات الوجوه المتعددة لجيش الاشتراكية العالمي الذي يقاتل في صفوف متراصة واحدة)).

ففي بلادنا الآن نظام معين للإدارة والتنظيم له مواصفاته المحددة. فالمحاكمون هم الإقطاعيون الكمبرادوريون ورؤساء العشائر وعلى رأسهم الاستعمار التركي. بالاستناد إلى أي الأسس يقوم هؤلاء بحكم شعبنا؟ إلى أسس القهر والضغط والإرهاب بطبيعة الحال؛ بالاستناد إلى قوة الحراب والأسلحة، وإلى روابط الدم الإقطاعية. وهناك نظام للإدارة والحكم في المنظمات البرجوازية الصغيرة. ففي هذه المنظمات التي تستند إلى أساس الأساليب

البيروقراطية إما أن أحداً لا يسمع كلام احد في غياب القيادة المركزية، أو أن القيادة تفرض فرضاً جملة من أساليب الإكراه والعنف على الثورية، في هذه الأجواء المظلمة يتوجب الحذر والانتباه الشديدين لدى توفير أمكانية قيادة وإدارة جديرتين بصفة الثورية الصحيحة. ذلك لأن المستعمرين والرجعيين المحليين والتنظيمات البرجوازية الصغيرة أسهموا جميعاً في تشويه وتحريف معايير إنساننا فيما يخص هذا الموضوع. والفرد خاضع لوطأة التأثير الثقيل لهذا الواقع ويصعب عليه التحرر منها. من الواضح أن الأحزاب اللينينية هي تلك المستندة إلى قاعدة الوحدة الطوعية، والخاضعة لقيادة مركز واحد، والملتزمة بمبدأ العمل والقيادة الجماعيين وفي هذه الوحدة الطوعية هناك علاقات بين الأعلى والأدنى. غير أن القادة والقواعد ملزمة جميعاً بالتحرك الواعي في أثناء حل المسائل والنقاش والانتقاد والممارسة العملية في إطار من الوحدة الفولاذية. إن القيادة في حزبنا الثوري لا يمكن أن تكون لا بالإكراه ولا بالأساليب الآغوية. إن الأساس المعتمد هو الثقة بين الرفاق، وهذه الثقة نفسه ضرورية قبول القيادة.

ما هي السلبيات والنواقص والأمراض الأخرى المتفشية في مجتمعنا؟ إنها الإقليمية، الطائفية، العشائرية، وروابط الدم، العائلية، الفردية، الحقد، ضيق الأفق السلبية .. الخ.. وهي جميعاً سلبيات غريبة وخطرة، بعيدة عن البنية الثورية للبروليتاريا ويجب على حزبنا ومناضليه أن يناضلوا ضدها بحزم.

ما هو سبيل النضال ضد جميع هذه السلبيات والأمراض وكيف يمكن الوقوف في وجه ظهورها داخل حزبنا؟ لا نشك أن من الضروري وضع التربية والاقناع في المقام الأول كما في سائر الحالات. فعلى كل من يتخذ مكاناً له في حزبنا ويساهم في نضالنا التحرري أن يستوعب إيديولوجية حزبنا الثورية وسياسته وبنيته التنظيمية والسياسية التعليمية التدريبية الموجودة عندنا. هذه ستبقى في المستقبل أيضاً، كما كانت حتى الآن، سداً منيعاً في وجه التأثيرات الطبقية الغريبة القادمة من الطبقات غير البروليتارية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل التربية والتعليم كافيان وحدهما في مواجهة هذه القضية ؟ لا؛ بكل تأكيد على حزبنا وعلى كوادره أن يكونوا متيقظين ومتنبهين إزاء كل تحريف أو تشويه قد يظهر داخل التنظيم. فالتأثيرات الغريبة عن البروليتاريا يمكن أن تظهر في مختلف ميادين النضال واتجاهاته. ومن الحقائق المعروفة بالنسبة لنا جميعاً أن الأمراض البرجوازية الصغيرة ونقاط الضعف الاجتماعية الأخرى تنقض على الأحزاب البروليتارية بشكل أقوى وأعمق في المراحل الأشد صعوبة وتعقيداً. يجب على المناضلين أن يتمثلوا هذه الحقيقة بعمق، لا يجوز التساهل مع التيارات والنزعات البرجوازية الصغيرة والأمراض الاجتماعية الأخرى، مهما كان شكلها ـ لأن البرجوازية الصغيرة تتخذ عدداً كبيراً من الأشكال الحربائية المختلفة ـ بل لا بد من سحقها بالأساليب المناسبة والقضاء عليها قضاءاً كاملاً. لا بد من النظر إلى جميع أشكال المواقف والسلوك البرجوازية الصغيرة وإن كانت على مستوى الأشخاص وبعيدة عن استهداف سلطة الحزب بشكل مكشوف واعتبار عملية سحقها والقضاء عليها بوصفها واجباً هاماً من واجبات المناضلين. هذا ولا يجوز خصوصاً التساهل مع أي سلوك أو رأي يمكن أن يسيء إلى وحدة الحزب. لعل أبرز سمات حزبنا هي وحدته القوية وما زلنا نمتلكها الآن. على كل مناضل أن يدافع عن هذه الوحدة دفاعه عن حدقة العين وأن يعرف كيف يكسر الأيدي الشريرة التي تمتد إلى هذه الوحدة المقدسة لحزبنا إن وحدة حزبنا هي أكبر ضمانات انتصارنا. ينبه لينين بشكل خاص إلى أهمية وحدة الحزب ويقول: (هناك أمور نستطيع أن نتلاعب بها؛ وهناك أمور أخرى مثل وحدة الحزب، يجب علينا ألا نضيع الوقت ونحن نلعب بوحدة الحزب. إننا نعرف مدى خسائرنا الكبيرة نتيجة هذا الصراع الداخلي في الحزب. علينا ألا ننسى هذا الدرس).

على مناضلي الحزب أن يتعرفوا جيداً على سائر الأمراض الإقليمية التي هي أحدى الألاعيب الكبرى التي لعبتها الكمالية. العشائرية والفردية وغيرها؛ وأن يقفوا سداً منيعاً في وجه هذه السلبيات التي قد تتسلط على الأساليب الرسمية لعملنا ولوجودنا. إن الوعي الثوري

والالتزام بالقضية واليقظة السياسية هي العلاج الفعال والدواء الشافي ضد التأثيرات الطبقية الغريبة القادمة من الطبقات اللابروليتارية.

والخلاصة هي أن الضغوط والتأثيرات الطبقية الغريبة على الحزب اللينيني والتي حاولنا شرحها على المستويين العام والخاص هي أمور نابعة من البنية الطبقية للمجتمع. لا بد لحزب البروليتاريا من أن يخوض نضالاً كثيفاً وعنيفاً ضد هذه التأثيرات والضغوط ليتمكن من أن يتطور تطوراً قوياً وليصل إلى الأهداف التي وضعها أمامه. وأفضل أساليب النضال ضد التأثيرات الطبقية الغريبة عن البروليتاريا هو تعزيز وزيادة قوة الحزب الثوري ومناضليه. وفي الوقت نفسه يجب على المناضلين أيضاً ألا يتخلوا عن اليقظة السياسية إزاء هذه التأثيرات وأن يكونوا متطورين جداً في هذا المجال. بهذه الطريقة فقط يستطيع الحزب أن يضمن وجوده وأن يسير بخطوات أرسخ وأثبت قدماً نحو أهدافه.

الخاتمة

إن التاريخ العبودي الذي دام آلاف السنين وترك العديد من الآثار السلبية على البنية الاجتماعية والقومية لكردستان ينعكس أيضاً بشكل سلبي على شخصيات الأفراد. فالاستعمار الذي استخدم أحط الأساليب العنيفة والخبيثة لإدامة البنية الاجتماعية الموروثة من القرون الوسطى والذي سعى في الوقت نفسه من أجل إذابة هذه البينة الاجتماعية لمجتمعنا في بنيته الاجتماعية هو الذي دأب على فرض الأجواء السديمية الرهيبة، بذل في ميدان الشخصية أيضاً كل ما استطاعه من جهد لفرض بنية سلبية منتهية تماماً ومتحولة إلى مستحاثة. إن الشخصية التي برزت في ظل السيطرة الاستعمارية نتيجة لهذه الجهود تتصف بسمات سلبية للغاية حتى صارت هذه الشخصية عاجزة عن الامتناع من التحول إلى مسنن في واحدة من آليات السيطرة الأجنبية في المواقف التي تبدو فيها نماذج قادرة على ألا تكون أدوات بأيدي العدو، ناهيك عن مبادرتها إلى تشكيل الفكر والممارسة المؤهلين لأن يقاوما الاستعمار. فضلاً عن أن هذه السلبيات المعاشة على المستوى الموضوعي صارت تبدو كما لو كانت مقبولة على المستوى الذاتي أيضاً. بمعنى أن أناساً صاروا يخدمون المصالح الاستعمارية لا في الحياة العملية فقط بل وفي مجال الفكر أيضاً.

مع نشوء الظروف المساعدة على تناول قضايا الواقع الاجتماعي الغارق في عالم مظلم فرضه العدو بكامله ولو بالانطلاق من الأفكار الثورية بدأت صيرورة حياتية خاصة سواء بالنسبة للشعب أو بالنسبة للأمة. وقد كانت هذه الصيرورة مضطرة، بطبيعة الحال، أن تبدأ

بالتحليل والنقد الثوريين قبل كل شيء. وظهور هذه المرحلة الأولى من تاريخ كردستان الحديث والمعاصر كان مرتبطاً ارتباطا وثيقاً.

٣٧٤- بظهور البروليتاريا كطبقة. وتشكل مثل هذه الصيرورة حدثاً هاماً في تاريخ قريب جداً أي في الستينات والسبعينات من هذا القرن. وقد برزت هذه العملية بشكل أساسي في الجزء الخاضع لتركيا من البلاد. ولم يبدأ المجتمع بتناول واقعه السلبي هذا بالدراسة والتحليل على أساس الفكر الثوري ليبادر بالانطلاق من هذا الفكر إلى ممارسة النشاط الثوري في سبيل تغيير واقعه السلبي والبائس إلا بعد ظهور تلك القاعدة الموضوعية. ولكن تطور الفكر الثوري وتحوله إلى ممارسة كان أمراً بالغ الصعوبة ومملوءاً بالآلام بدون شك بسبب الحصار الشديد الذي فرضته قوى القهر الداخلية والخارجية على القاعدة الموضوعية.

أثناء هذه العملية التي بدأت مع توغل الرأسمالية الاستعمارية في كردستان ظهرت الطبقات والفئات الجديدة كثمرة من ثمار نمط الإنتاج. غير أن الطبقات التي أوجدها التطور الرأسمالي الذي ظهر بدور تخريبي على أساس المساومة والاتفاق مع سائر البنى السلبية القائمة من قبل في المجتمع نتيجة طبيعته بالذات، تشكلت وهي مثقلة بآثار هذه الولادة الشوهاء. ففيما ظهرت البرجوازية الصغيرة المرتبطة عضوياً عميلة مع الرأسمالية الاستعمارية وذات طبيعة عملية، ظهرت البروليتاريا ضعيفة ومثقلة بآثار قطاعات وفئات المجتمع الأخرى وخصوصاً قطاع الفلاحين. ولهذا السبب لا يمكن الحديث عن بروز الشخصيات القوية في هذه المرحلة وعن حل المسألة التي تخص قضية الشخصية.

سبق لنا أن أوضحنا أن ظهور الجهود الرامية إلى تغيير البنية السلبية القائمة في المرحلة الجديدة التي تم الوصول إليها ترافق أيضاً مع ظهور وميلاد الطبقات الجديدة. غير أن التوجهات الأولى في هذه العملية جاءت من جانب القطاعات البرجوازية الصغيرة. ومن بين الحقائق المعروفة أن هذه العملية التي بدأها عدد من المجموعات والأفراد لم تحقق الأهداف

المرجوة بل وبرزت فيها جملة من التحريفات والانحرافات. فقد أدت جهود التوعية المزعومة التي لم تخدم إلا في تبرير السلبيات الموجودة في القاعدة الموضوعية بسبب المفاهيم المختلفة التي ظهرت تحت أسم الفكر الثوري، إلى ظهور واقع في الفكر لا يقل سلبية عن واقع القاعدة الموضوعية. هذا ولم تقف عمليات التخريب التي تمت في هذا المجال عند حدود تبرير وتسويغ سلبيات القاعدة الموضوعية فقط بل تجاوزها إلى فرض مختلف المشاعر والأفكار الاستسلامية على المجتمع وصولاً إلى بذل الجهود الحثيثة لتفريغ نضال الشعب الذي بادر إلى القيام بعملية ثورية من هذا النوع من محتواه وتسويد صفحته في مجال الفكر. ومن المؤكد أن مثل هذا الواقع لم يكن ليستطيع إلا أن ينعكس أيضاً على قضية الشخصية. وقد تم بالفعل مواجهة واقع تخريب الشخصية المسحوقة والمنتهية نتيجة عملية تاريخية طويلة في أجواء ثورية مزعومة هذه المرة على أساس المفاهيم البرجوازية الصغيرة المشوهة إلى أبعد الحدود. من المؤكد أن لهذه الطبيعة السلبية المثيرة للتقزز للشخصية التي تكونت تحت تأثير المفاهيم البرجوازية الصغيرة قاعدة مادية محددة لا يمكن تفسيرها إلا بعملية التشكل الاجتماعي لهذه الطبقة.

إن السلبيات الموجودة في التشكل الموضوعي للبرجوازية الصغيرة تنعكس بصورة حتمية على الشخصية أيضاً انعكاساً سلبياً. وكنتيجة من نتائج ذلك قامت البرجوازية الصغيرة بتشويه شخصية المناضل وتعكيرها حتى وأصلها إلى وضع يكاد لا يعرف. كما ظهرت هذه الجهود والمفاهيم البرجوازية الصغيرة في المرحلة الأولى من النضال التي هي مرحلة التفكير، تجلت أيضاً في المرحلة الثانية التي كانت مرحلة تكون شخصية المناضل وتنظيم والممارسة العملية. ولهذه الأسباب فإن المرحلة الثورية التي كانت مضطرة لأن تحدث انقلاباً كبيراً في كردستان فرضت ليس فقط تفسير القاعدة الموضوعية بأسلوب ثوري، بل وإظهار أشكال التخريب الفكري والعملي التي أحدثتها البرجوازية الصغيرة بكل وضوح بالاستناد إلى القاعدة الفكرية والعملية الثورية.

أن المرحلة التي تشهد هذه التطورات تشكل مرحلة انتقالية من مراحل تاريخ الشعب الكردستاني. تمتاز هذه المرحلة بأنها مرحلة انتقالية يسعى فيها المجتمع للانتقال من مرحلة مظلمة يعاني فيها جهلاً مطبقاً وتواجه الخصائص القومية والاجتماعية خطراً لزوال، إلى مرحلة يبذل فيها جهوداً وطنية كي يصبح قومية وشعبنا وبدأ فيها، ولو نسبياً، بخلق الفكر والعمل من أجل نفسه.

وهذه المرحلة الانتقالية، كما هو مفهوم، تنطوي على آثار سلبيات المرحلة المظلمة السابقة جنباً إلى جنب مع سمات البنية الاجتماعية والقومية التي ستتشكل في المرحلة المقبلة ويكون تأثير السلبيات هو الأغلب والأكبر في البداية. وقد كانت هذه المرحلة بالفعل مثقلة، للسبب آنف الذكر، بمنعكسات الانحراف والمرض كما كانت التطورات الملموسة بهذا الاتجاه.

كما لو كانت الخيانة والاستسلامية الإقطاعيتين غير كافيتين بادرت البرجوازية الصغيرة إضافة إلى ذلك، إلى بذل الجهود لتخريب تراث المقاومة المأخوذ من أعماق تاريخ الشعب من جهة، وإلى تشويه النظرية والممارسة الثوريتين اللتين تشكلان خلاصة التجارب والعبر الكثيرة للثورات العالمية من جهة ثانية، حتى أغرقت هذه المرحلة المطالبة بخلق إيديولوجية الثورة وبرنامجها وإستراتيجيتها وتكتيكاتها، في بحر من الفوضى. إن هذه المرحلة التي شهدت على المستوى العالمي تصفية الاستعمار الكلاسيكي بصورة خاصة، شهدت في كردستان جهوداً بذلت من أجل تبرير وتسويغ هذا النظام الاستعماري وإظهاره كما لو كان مشروعاً. وبدلاً من العملية الثورية التي كان لا بد من تطويرها في هذه المرحلة من تاريخ كردستان، نجدنا أمام أحداث التقيم على القيم الثورية وإبراز قيم العمالة وإيديولوجياتها وسياساتها بدلاً منها وفرضها على الواقع. وبالتالي فإن التطورات القومية والاجتماعية في هذه المرحلة كانت مطبوعة ببصمات هذا التيار المنبثق من البرجوازية الصغيرة.

أن هذا الوضع المستمر في عرض السلبية في كل المجالات على مستوى التنظيمات البرجوازية ـ الصغيرة الإصلاحية كأساس في المرحلة التي نعيشها، يتجلي بوضوح تام وبكل عفنه وتفسخه في المجال الشخصي بصورة خاصة. وقد أدى هذا المفهوم إلى خلق نمط بالغ السلبية مستعد دوماً للانحلال والتفسخ، نمط عاجز عن المقاومة في سائر ميادين الحياة سواء في أعالي الجبال أم في أعماق السجون أم في قاعات المحاكم.

ولكن مسيرة جديدة بدأت رغم كل تخريبات البرجوازية الصغيرة، مسيرة قلبت تلك المرحلة الانتقالية التي عبرت عن الانتقال من عالم الظلمات إلى عالم النور، مسيرة قلبت الواقع الموضوعي السلبي لكردستان بالفكر والعمل الثوريين إلى مرحلة تسودها النظرية والممارسة الثوريين من أجل التحرر القومي والاجتماعي النهائي.

لا بد من فهم حزب العمال الكردستاني بوصفه الخطوة الأولى في عملية التدخل في هذه المرحلة الانتقالية وفي الأرضية السلبية التي تقف عليها وفي المبادرة إلى تغييرها بأسلوب ثوري، حزب العمال الكردستاني هذا هو نتاج تطبيق نظرية الماركسية اللينينية الثورية التي هي خلاصة نضالات الشعوب الواسعة والكثيرة والنظرية الثورية العالمية التي برزت في هذه المرحلة على الواقع الملموس في كردستان. ولدى نزول حزب العمال الكردستاني إلى الساحة استهدف الوقوف في وجه كل أشكال التبعية الفكرية والعملية بالاستناد إلى الفكر والممارسة الثوريين على أرض الواقع الكردستاني وبالانطلاق من نقد البنية الاجتماعية التي زادت القاعدة تشويهاً ومن تحليل تلك القاعدة الموضوعية غير الملائمة على الأرض الكردستانية. لهذا الهدف خاض الحزب نضالاً ثابتاً ودؤوباً ضد المفاهيم الاستسلامية والعميلة لدى إصلاحيي البرجوازية الصغيرة جنباً إلى جنب مع مفاهيم العمالة النابعة من الطبقات الحاكمة وصولاً إلى أدانة هذه المفاهيم جميعاً إدانة كاملة.

مسألة الشخصية في كردستان

إن حزب العمال الكردستاني، بوصفه حركة طبعت هذه المرحلة بطابعها، هي حركة طرحت شعار الاستقلالية في الفكر والسياسة والممارسة العملية، وبالتالي ظهرت بوصفها ممثلة مرحلة الاستقلال والحرية؛ هي حركة ذات مسؤولية نهائية في تطوير هذه المرحلة كما في الشروع بها وانطلاقها. وقد برهن حزب العمال الكردستاني بشكل لا يقبل أي شك، أنه القادر على متابعة المرحلة الجديدة بكل مسؤولياتها في شخصيته وذلك من خلال جملة التضحيات التي قدمها، والجهود التي بذلها، والأهداف التي طرحها بثبات حتى هذا اليوم.

ما زالت المحاولات الجادة والمكثفة مبذولة من أجل بناء هذه المرحلة بناء متيناً وسليماً.

رغم أنها حركة ناشئة وفتية فإن حركة حزب العمال الكردستاني التي مرت حتى اليوم بالعديد من التجارب والمحن نجدها تبذل جهوداً كبيرة في موضوع تجاوز نفسها والتغلب على ذاتها من أجل توفير القدرة على التغلب على المشاكل المعقدة والكبيرة المطروحة على القاعدة التاريخية والاجتماعية وتحاول أن تقلب التركة التاريخية السلبية إلى بداية ايجابية باذلة جهوداً فوق طاقتها وفوق طاقة البشر. وفيما ظل حزب العمال الكردستاني بوصفه تنظيماً يواجه هذه القضية أي قضية تنظيمه هو، في السنوات الأخيرة؛ ظل يسعى لبلوغ المستوى القادر على فرض التطور الثوري بعد نسف هذه القاعدة السلبية؛ كان في الوقت نفسه يبذل جهوداً مركزة من أجل خلق الشخصية النضالية المثالية.

إن حزب العمال الكردستاني الذي استهدف اجتياز الرسالة الثورية الزائفة للبرجوازية الصغيرة التي أفرغت الفكر الثوري من جوهره جنباً إلى جنب مع النمط المستلب الذي أضحى غريباً عن أمته ومجتمعه، هذا النمط المسحوق القديم، في سبيل خلق الشخصية النضالية، طرح في الوقت نفسه وبوضوح على المستويين النظري والعملي مسؤولية الوصول إلى المعايير الكفيلة بتوفير المقاومة الفعالة ضد سائر سياسات الاضطهاد والقهر والإبادة المطبقة في كردستان من قبل العدو. حزب العمال الكردستاني، فيما كان يطور وينمي المفهوم والروح النضاليين الذين

يخصانه هو على المستوى الشخصي، ظل يحاول أن يزيد من كفاءته من خلال الالتزام بهذه الحقيقة على المستوى التنظيمي أيضاً، كما بقي متنبهاً إلى ضرورة إحباط مختلف أساليب العدو التخريبية داخل التنظيم وخارجه وسحق ممثلي العدو المكشوفين والسريين من كل لون وشكل.

وبسبب خصائص المرحلة لا بد لحزب العمال الكردستاني من تركيز جهوده لتحقيق عملية تحريك الجماهير وبناء التنظيم والممارسة العملية المطلوبة للنجاح في مثل هذه العملية. باختصار نقول أن حزب العمال الكردستاني يواجه مهمة القيام بدور الجسر الذي ينقل شعبه المتخلف كثيراً عن العصر إلى هذا العصر وتحقيق تطور الشخصية إلى مستوى يتناسب مع هذه المهمة.

لا بد لنضال الشخصية الذي يجري خوضه من أجل أن يصل إلى المستوى الكفيل بالنجاح في ايصال الشعب الى العصر. إن الشخصية التي يجري خوض النضال من أجلها هي الشخصية المتطورة إلى أقصى الحدود، ذات الكفاءة في جميع الميادين، والمفعمة بالطاقات الكبيرة والقدرات الهائلة على تطوير وتوسيع النضال التحرري الوطني. ما زالت الجهود المكثفة والمحاولات الدؤوبة مبذولة في هذا الاتجاه. غير أنه من الواضح أيضاً أن هناك حاجة ماسة إلى المزيد والمزيد من الجهود الكبرى التي لا بد من بذلها في سبيل تطوير مثل هذه المرحلة بنجاح والوصول بالتالي إلى النصر. لا يمكن النظر إلى هذه المهمة كما لو كانت مهمة تم انجازها. لقد بدأت المرحلة الأولى وبشكل قوي في سبيل الوصول إلى النمط والتنظيم النضاليين المطلوبين ولكن هذه المرحلة مازالت بعيدة من أن تكون قد حققت النتائج المرجوة. مازالت الجهود المبذولة في هذا المجال بكل مشاكله ومهماته مستمرة حتى الآن.

من الواضح أن على البروليتاريا وعلى حزبها بوصفهما القوة التي تقدم الحل أن يبادروا قبل كل شيء إلى التعرف والالتزام بالمهمة التاريخية التي تقف أمامها. وبالشكل نفسه لا بد لمناضل

حزب البروليتاريا أيضاً ـ فهم روح الحزب ـ من أن يؤدوا رسالتهم التاريخية بشكل كامل. ذلك لأن تجاوز سلبيات القاعدة الموضوعية الموجودة، والتغلب على العقبات التي خلقتها القوى المختلفة، وقطع جميع الروابط التي تربط المجتمع بسلبيات الأرضية الموضوعية القائمة بمختلف الأشكال وبمصالح القوى الخارجية، لأن هذا كله يبقى مستحيلاً ما لم يتم تنفيذ هذه الرسالة التاريخية. والنضال الذي يجري خوضه يتركز على تحقيق هذا الهدف. فالمهمات التي وضعها الحزب أمامه لتحقيقها إنما هي في الوقت نفسه المهمات التي يجب على المناضلين بالذات أن ينفذوها. أن حزب العمال الكردستاني قادر على تحقيق وتنفيذ أصعب المهمات وأعقدها اليوم بإمكانياته الأكثر تطوراً وموقفه الإيديولوجي ـ السياسي الأنضج كفاءة، وروابطه الجماهيرية الأكثر نمواً، وبتنظيمه الذي يمتلك الخبرات المتراكمة بعد مروره بالعديد من التجارب، وبمناضليه المدربين المجربين، كما استطاع تحقيق وتنفيذ العديد من المهمات التي بدت مستحيلة في تاريخه. في سبيل الوصول إلى مثل هذه المرحلة لم يبقى أي عائق يعترض طريق مواجهة المهمات برغبة وحماس شديدين من قبل كل مناضل اليوم من أجل الوصول إلى النموذج النضالي الواضح والمؤهل لتحقيق النصر من خلال القيام بمختلف المهمات التي تنطوي عليها الثورة في كردستان. وعلى المناضل في سبيل تحقيق هذا الهدف أن يطور كفاءاته الإنسانية والبشرية إلى الحدود القصوى وينميها تماماً مع النضج خلال عمليات حل قضايا المقاومة التي تواجه الحزب بروح حزبية مفعمة بالوحدة والتلاحم. إن تغيير المصير المشؤوم والأسود والانتقال إلى المرحلة المفعمة بالأنوار من مرحلة الظلمات وبصورة نهائية مشروطان بوصول المناضلين إلى مثل هذا المستوى الرفيع من النضج. ذلك هو الواقع الملموس الذي يعيشه حزب العمال الكردستاني في هذه الأيام.

إن المرحلة التي بلغها نضالنا اليوم تفرض على المناضلين واجب صياغة ذواتهم ليكونوا نماذج ايجابية ناضجة تماماً من خلال تجاوز سنوات الطفولة والشباب المثقلة بمختلف النواقص والعيوب بسرعة، وعبر الخلاص من جوانبهم التي تشكل مصادر للأصوات الزائفة وأسباباً

لليأس النابع من أعماق تاريخ شعبنا، وأن يقرب شعبنا خطوة خطوة إلى الاستقلال والحرية من خلال التخلص عن جزء من تلك العجينة السلبية الفاسدة كل يوم. إن الشعب الذي يمتلك تنظيماً من هذا النوع يستطيع مناضلوه أن يصبحوا ضمانة النصر وروحه؛ هؤلاء المناضلون الناضجون لمثل هذا الحزب، مثلما يكون قد وصل إلى امتلاك جميع متطلبات الثورة. لا يوجد أي سبب يمنع مناضلي حزب العمال الكردستاني الذين استطاعوا أن يبدوا آيات الفداء والمقاومة الخارقة للعادة من خلال الأقدام على الانطلاق في مثل هذه الحملة في تلك المراحل السوداء والصعبة من الماضي، من النجاح في تنفيذ مهماتهم التاريخية بعد النضج في صفوف حزب العمال الكردستاني الذي فرض نفسه على شعبه وعلى العالم وانتزع اعترافهما والذي اكتسب الخبرة ونما وتطور في جميع النواحي في الوقت الراهن.

ما من سبب يمنع تنظيماً يضم مناضلين استطاعوا أن يجسدوا في شخصياتهم تلك السمات التي أتينا على ذكرها حتى الآن من أن يصبح تنظيماً جماهيرياً واسعاً. غير أن من غير الممكن القول أن هذه المرحلة قد تم بلوغها. مازلنا في عتبة الأعداد، في صفحة بناء منظمة المناضلين. وبمقدار ما يتم انجاز هذه المهمة بنجاح يجري خلق ضمانة تتويج المستقبل بالنصر منذ اليوم، وبدون عيش هذه الحقبة عمقاً واتساعاً؛ بدون استكمال تنظيم المناضلين وصولاً إلى جعله تنظماً جماهيرياً واسعاً لا يمكن الحديث عن النصر، أو أن النصر الذي قد يتحقق لن يكون إلا نصراً تحقق من خلال سلسلة من المصادفات. غير أن من الواجب أن نعرف أن الثورية البروليتاريا لا تترك أمورها تحت أية شروط أو ظروف للمصادفات. لذا لا بد من تنفيذ متطلبات المرحلة تنفيذاً كاملاً ومن تجاوزها والتغلب عليها بأفضل الأشكال. نستطيع من الآن أن نبين، ونحن واثقون تمام الثقة، أن سائر الجهود المبذولة والاستعدادات المستكملة تبرهن على أن حركة حزب العمال الكردستاني قادرة على اجتياز مثل هذه المرحلة بنجاح. قد يكون تقديم بعض التضحيات أمراً حتمياً غير أن الالتزام الصادق والقوي بالمعايير الثورية المطروحة منذ بداية النضال يؤكد على أن حزب العمال الكردستاني في هذا المنعطف الذي تم الوصول

إليه اليوم قادر على تجاوز هذه المحطة الصعبة. بالشكل نفسه، فإن هذه الحساسية التي تم أبداؤها في اكتساب الصفات النضالية النموذجية من البداية تبين واقع ميلاد تنظيم المناضلين بالجهود المستقلة والحرة الذاتية للمرة الأولى في كردستان، وتصلبه كالفولاذ من خلال الخطوات التي يخطوها حزب جماهيري خرج إلى الساحة من أجل تحقيق النصر النهائي يستند إلى أساس تنظيم المناضلين آنف الذكر. ومفهوم أيضاً أنه تحققت هذه الخطوة بشكل سليم وجرى اجتياز هذه المرحلة بقوة فأننا نكون قد اقتربنا كثيراً من حل التناقض المعقد وغير المفهوم الذي يطرحه التاريخ والظروف الاجتماعية. ويكون المناضل قد أدى رسالته التاريخية من خلال تقريب حل التناقض أيضاً بهذا المعنى.

لا يمكن الحديث عن الحياة اللائقة بالإنسان في الأجواء القومية والاجتماعية الغارقة في بحر من التناقضات. بل أن المطروح على بساط البحث هو تخريب العديد من السمات الإنسانية للحياة. وبعد الانتهاء بنجاح من مثل هذه المرحلة المثقلة بكتلة هائلة من التناقضات الوطنية ـ القومية والاجتماعية يمكن الحديث عن الاقتراب من نقطة الحل، أي عن وصول الجماهير إلى المستوى الذي يمكنها من تقرير مصيرها، وعن قيام تنظيم المناضلين بتنفيذ أهم مراحل دوره التاريخي بنجاح. أي حركة حلت تناقضاتها على المستويين القومي والاجتماعي تكون في الوقت نفسه قد ضمنت الالتحاق بالعصر، وما يصح على الحركة يصح على المناضل أيضاً. وهذا يعني ولوج الطريق المؤدي إلى التحرير القومي والوطني وإلى الاشتراكية الموازي لانطلاقة البشرية إلى الأمام وبالتالي إزالة التناقض القائم مع العصر. هكذا فإن الحركة التي حلت تناقضها القومي والاجتماعي في داخلها وبما ينسجم مع العصر ستكون قد نفذت جزءاً مهماً من دورها التاريخي، وتكون عملية الابتعاد عن تكوين الأمة في المجتمع قد تركت مكانها لإثبات الوجود من جديد ولتوحد المجتمع مع سائر القيم القومية والوطنية. وبعد ذلك يكون أفراد الأمة منعمين بالمساواة والحرية كما ستبدأ حياة تتصف بالانتظام العادي والطبيعي عن طريق السير في طريق حل معظم التناقضات القائمة على المستوى الفردي. هذه المرحلة

تشكل مرحلة جديدة بلغها الفرد الإنساني. مثل هذه المرحلة ليست إلا حقبة قطع الخطوات الواعية في ظل الاشتراكية باتجاه الوصول إلى الشيوعية التي تشكل عصراً مشرقاً طويل الأمد.

إن المهمة التي تقع على عاتق المناضلين الثوريين هي حل تناقض واقعنا الوطني ـ القومي والاجتماعي الذي يعيق مساهمتنا في مثل هذه الصيرورة بهويتنا الخاصة وشخصيتنا المميزة والتي تشكل وصمة عار على جبين عصرنا، وتمكين هذا الواقع من المشاركة في أحداث العصر المتزاحمة. وحين يتم تحقيق هذا الأمر يكون استيعاب الاشتراكية العلمية كنظرية من جانب المناضلين، قد حقق، كما قال معلم البروليتاريا العظيم انجلز، مهمته التاريخية بقيادة البروليتاريا.

في المرحلة التي تم الوصول إليها في كردستان في هذه الظروف، يستحيل حل التناقضات القومية ـ الوطنية والاجتماعية، إلا إذا تم خلق التنظيم الحزبي القادر على تحريك الجماهير كلها واستنهاضها وتعبئتها في معارك التحرير الوطني والقومي وعلى السير أمامها والمؤهل لقيادتها. بدون خلق مثل هذا التنظيم الحزبي لا يمكن حل قضية الشخصية كما لا يمكن بلوغ السمات النضالية البارزة والقوية. وبدون التحول إلى مناضلين أشداء ونموذجيين يستحيل خلق الحزب القادر على تنفيذ هذه المهمات وتحقيق النصر المطلوب.

تموز ١٩٨٣

قائمة المراجع:

(١) الثورة البرجوازية الديمقراطية في المانيا، انجلز، ص: ٢١

(٢) المصدر السابق ص: ٢٧٥

(٣) دور العنف في التاريخ، انجلز، ص: ٥١

(٤) المشاعية، المجتمع العبودي، المجتمع الاقطاعي، ص: ١٣٦.

(٥) سرخوابون، عدد خاص: ٣ ما هي الايديولوجية والسياسية؟ وكيف ظهرتا؟ ص ٣٠-٣١ .

(٦) المؤلفات الكاملة، م . دوغان، ص ١٤-١٥ .

(٧) حول التنظيم، ص: ٣١ (منشورات سرخوابون)

(٨) سرخوابون، عدد خاص: ٣ ما هي الايديولوجيا والسياسة وكيف ظهرتا؟، ص ٣٤ - ٣٥.

(٩) حول الدين، ماركس – انجلز، ص ١٥٣- ١٥٤ .

(١٠) حول التنظيم، ص: ٣٨ (منشورات سرخوابون)

(١١) المصدر السابق ص: ٦٣ .

(١٢) الثورة البرجوازية الديمقراطية في المانيا، انجلز، ص: ١٢ .

(١٣) مرض (اليسارية) الطفولي في الشيوعية، لينين، ص: ٢٣ .

(١٤) ما العمل؟، لينين، ص: ١٥٠

(١٥) المصدر السابق، ص: ١٥٣- ١٥٤

(١٦) البرجوازي الصغير في النضال الثوري وحول دور البرجوازية الصغيرة، ص: ٤٤- ٤٥ ، (منشورات سرخوابون)

(١٧) حول التنظيم، ص: ٧٠- ٧١ (منشورات سرخوابون)

(١٨) المصدر السابق، ص: ٨٤- ٨٥

(١٩) قضايا اللينينية، ستالين، ص ٧١- ٧٢ .

(٢٠) المصدر السابق، ص: ٧٣ .

(٢١) المصدر السابق، ص: ٧٣- ٧٤ .

(٢٢) قضية الكوادر، ستالين، ص ١١ .

(٢٣) حول التنظيم، لينين ص ١٣١- ١٣٦ (منشورات سير)

(٢٤) حول التنظيم، ص ٢١١- ٢١٩ (منشورات سرخوابون)

(٢٥) المؤلفات الكاملة، مظلوم دوغان، ص ٣٧- ٣٩ (منشورات سرخوابون)

(٢٦) المصدر السابق، ص: ٤٠

(٢٧) آراء وأقوال ...، ج . ديمتروف، ص ٦٧ .

(٢٨) المصدر السابق، ص: ١٣٥ .

(٢٩) مختارات، لينين، ص: ٤٤- ٤٥ .

(٣٠) دفاع لايبزيغ ١٩٣٣ ، ج . ديمتروف، ص: ٥٢

(٣١) المصدر السابق، ص: ٥٨

(٣٢) المصدر السابق، ص: ٤٢ .

(٣٣) مرض (اليسارية) الطفولي في الشيوعية، لينين، ص: ٧٣

(٣٤) المصدر السابق، ص: ٨٠

(٣٥) المصدر السابق، ص: ٨٤

(٣٦) نصائح للمناضل، فكتور سورج، ص: ٨٠

(٣٧) دفاع لايبزيغ ١٩٣٣ ، ج . ديمتروف، ص: ٢٧٨

(٣٨) التقرير السياسي، ص : ١٤٢ ، (منشورات سرخوابون)

(٣٩) المؤلفات المختارة، ماو، نقلاً عن ج . ديمتروف، م : ٢٢ ص: ٦٩

(٤٠) تاريخ الحرب البلشفي نقلاً عن ستالين، ص: ٤٤٩- ٤٥٠ .

(٤١) المؤلفات الكاملة، م . دوغان، ص: ٩٩ .

(٤٢) أسس اللينينية، ستالين، ص: ١٠٠- ١٠١

(٤٣) خطوة إلى الأمام خطوتان الى الوراء، لينين، ص: ٨٥ .

(٤٤) تعاليم لينين حول الحزب، سورن، ص: ٨٨ .